المدخل إلى التاريخ التركي



تأليف

يلماز أوزطونا

ترجمة

أرشد الهرمزي

الدار العربية للموسوعات

المدخـل إلى
التاريخ التركـي

يلماز أوزطونا

المدخل إلى التاريخ التركي

ترجمه من التركية
أرشد الهرمزي

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م ـ ١٤٢٦ هـ



الدار العربية للموسوعات
الحازمية ـ ص.ب: ٥١١ ـ هاتف: ٩٥٢٥٩٤/ ٠٠٩٦١٥ ـ فاكس: ٤٥٩٩٨٢/ ٠٠٩٦١٥
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣/ ٠٠٩٦١٣ ـ ٥٢٥٠٦٦/ ٠٠٩٦١٣ ـ بيروت ـ لبنان
البريد الإلكتروني: E mail:arab-enc-house@lynx.net.lb
مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

تقديـــم

لهذا الكتاب حكاية.. فقد صدرت الطبعة التركية منه على أجزاء متعددة منذ عام ١٩٦٣، وكان الجزء الأول والثاني يتناولان التاريخ التركي العام وموطن الأتراك وأقوامهم الرئيسية واعتناقهم الإسلام واتخاذهم الأناضول وطناً قومياً، إضافة إلى سرد مسهب للأقوام التركية في آسيا الوسطى والدول والإمبراطوريات التي أنشأها الأتراك على مر العصور.

أما الأجزاء الأخرى فكانت تتناول العهد العثماني وتسلط الضوء على تاريخ المنطقة برمتها. وقد ارتأينا أن ننقل للقارىء ما يخص التاريخ التركي العام والذي يسبق العهد العثماني إذ إن الأخير قد تناولته مئات الكتب والمؤلفات العربية والأجنبية ويمكن للقارىء المتتبع أن يحصل على أي كتاب يتناول هذا الشأن بسهولة ويسر.

وفي أواخر الستينات من القرن العشرين حدث وأن بحثت عن وسيلة أجتمع فيها مع مؤلف الكتاب، البحاثة والمؤرخ المعروف يلماز أوزطونا لطرح الموضوع عليه، فقادتني خطواتي إلى المفكر التركي الكبير نهاد آتسز، رحمه الله في مقر عمله باسطنبول حيث استشرته في هذا الأمر مع مجموعة من الشباب التركماني المثقف. وقد تحمس آتسز للأمر فقد كان يدرك أهمية الوعي التاريخي، وكان يحز في نفسه أن تبقى هذه الصفحات الناصعة في الخفاء.

سحب آتسز بطاقة زيارة تحمل اسمه وخط عليها مذكرة سريعة تفيد بتوصيته أن يقابل هذا الشاب ويستمع إليه، لعل ذلك يقود إلى نشر صفحات من التاريخ التركي بين أوساط القراء العرب. كنت آنذاك في ربيعي الخامس والعشرين ولم يكن المؤلف الكبير سيصدق أنني سأتصدى لهذا الأمر لولا أن فتح آتسز هذا المجال.

وقد تحقق ما توقعناه، فقد رحب المؤرخ الكبير بالفكرة وزودنا بإذنه لترجمة الكتاب ونشره على أمل أن يخدم ذلك شرائح واسعة من المثقفين والمتتبعين للتاريخ التركي. ورجعت إلى العراق وبدأت أنكبّ على الترجمة بحيث شغلني ذلك عن أي نشاط اجتماعي أو عائلي. كان عليَّ أن أقارن المسميات التركية بتلك التي في اللغة العربية، واستمرت هذه الجهود لأشهر متواصلة إلى أن اكتملت عندي النسخة الأولى من مسودة الكتاب.

وكان عليَّ أتأكد من كل صغيرة وكبيرة إضافة إلى مراجعة اللغة والأسلوب، ولم يكن أقدر على ذلك من البحاثة والأديب الضليع عطا ترزي باشي، مفخرة الأدب التركماني والعربي في كركوك، فقصدته حيث وافق بكل رحابة صدر على مراجعة المسودة من حيث قواعد اللغة والمصطلحات التاريخية، وكان أن زودني بملاحظات قيمة لا تقدر بثمن، ولا زلت احتفظ بملاحظاته المكتوبة بخط يده كقيمة أدبية لا تفنى. وأذكر أنه عرض المخطوط على المؤرخ الأديب حسين الداقوقي أيضاً، وبذلك قطعنا شوطاً كبيراً في التحضير لإصدار النسخة العربية.

في هذه الفترة سيطر حزب البعث العراقي على السلطة في العراق، وأصبحت الكلمة في قفص الاتهام إلا إذا كان لصالح البعث الشوفيني.وحدث بعد ذلك أن طالتني سلسلة الاعتقالات التي كانت تترصد جميع المثقفين وكل من يحترم الكلمة الحرة الهادفة، ولذلك فقد أصبح طبع مثل هذا الكتاب مصدر خطر جسيم لا تقدر عواقبه.

وحدث أن نفذت إلى خارج البلاد في حقبة سوداء عصية من تاريخ

العراق، شأني في ذلك شأن الكثيرين من زملائي من مختلف القوميات العراقية، وظل الحلم الكامن في أنفسنا للعودة إلى العراق وتنشّق نسيمه كجرح نازف في أعماقنا، وبعد ما يقرب ربع قرن من الاغتراب سقط الصنم في بغداد واتيحت لي العودة إلى مدينتي الوادعة، ولم يكن لي أمل وطيد في أن أعثر على مخطوطاتي ووثائقي التي تركتها في أعقابي عند النزوح الكبير.

وقد كانت المفاجأة الكبرى عندما زف إليَّ قريبي وصديقي الأستاذ أديب أحمد الجراح، أنه قد احتفظ بعد خروجي بكامل ملفاتي وقام بإعادتها إليّ فوجدت مخطوطة الترجمة وكأنها جاهزة للطبع. مرت أكثر من ثلاثة عقود على إنجاز مهمة الترجمة ولم يتسنَّ لها أن ترى النور إلا بعد أن جمعني اللقاء بأحبتي وبكتبي.

والكتاب من خيرة مؤلفات أوز طونا ويتناول منشأ الأتراك ومناطقهم الجغرافية والدول التركية الكبرى قبل اعتناق الإسلام، ثم يتطرق إلى الدول التركية بعد الإسلام والدول التركية في الهند والصين، كما يسلط الضوء على انفتاح الأتراك نحو القارة الأوربية، ويسهب الحديث عن السلاجقة.

كما يتطرق الكتاب في قسمه الثاني إلى الأناضول وتركيا وفتح الأناضول، كما يزود القارىء بأدقّ المعلومات عن الحروب الصليبية وعن إمارات الأناضول ودولها التركية.

إلا أن القارىء الكريم سيدرك صعوبة إخراج كتاب مضى عليه أكثر من أربعين عاماً إلى الوجود دون الإشارة إلى الأحداث التاريخية التي تبدل شأنها وتغيرت بشكل جوهري في العقود الأخيرة من الزمن، وقد ارتأينا الحفاظ على الروح الأصلية للكتاب والإشارة عندما يقتضي الأمر إلى التبدلات الجوهرية التي أفرزتها هذه السنين الطويلة. فعندما صدر الكتاب كان الاتحاد السوفيتي قطباً عالميّاً وخصماً عنيداً للغرب في فترة الحرب الباردة، وكانت الجمهوريات الإسلامية المستقلة حاليّاً منضوية تحت مظلة

الاتحاد السوفيتي، وسيدرك القارىء اللبيب الإشارات التي وردت إلى الاتحاد السوفيتي السابق كلما تطلب الأمر، في حين حذفت هذه المظلة عندما يتعلق الأمر بالجمهوريات المستقلة حالياً عندما لزم الأمر.

وقد كان أوزطونا دقيقاً في طروحاته، وسيجد القارىء أننا قد احتفظنا بأرقامه التي أوردها للمجموعات التركية في أنحاء المعمورة وفق أرقام عام ١٩٦٣، والمعروف أن هذه الأرقام قد تضاعفت أربعة أضعاف تقريباً في يومنا هذا عند بعض المجموعات أو تضاعفت في المجاميع الكبيرة. ونترك للقارىء استنباط الفروق الجوهرية على ضوء معطيات أربعة عقود من الزمن.

إننا على ثقة بأن هذا الكتاب سيسدّ ثغرة كبيرة في مجال البحث التاريخي في هذا الموضوع وأحمد اللّه عز وجل على نعمته التي أنعمها عليّ بإتمام هذا العمل الذي بدأ قبل عقود من الزمن ولم تستطع أيادي الغدر والتنكيل أن تقف حجر عثرة في طريقه رغم المصاعب والأهوال.

وفي هذا الشأن أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني وشد من أزري لإتمام هذا الأثر، ولا زلت أذكر بالفخر والاعتزاز أصدقاء حقبة الشباب الذين كانوا خير سند لي في انكبابي على العمل والترجمة في تلك الفترة مثل صديقي المناضل أسعد رشيد وصديقي العزيز حسين محمد علي، كما أود أن أتقدم بتحية إكبار للأديب الكبير والبحاثة المعروف عطا ترزي باشي، والذي لولا تصديه وإيثاره وتشجيعه لما كان لهذه الترجمة أن ترى النور.

واللّه الموفق.

أرشد الهرمزي

القسم الأول

الأتراك في فجر التاريخ

المبحث الأول

الأقوام التركية ومناطقها الجغرافية
الأتراك ما قبل التاريخ

منشأ الأتراك

الأتراك من الأقوام البيضاء المسماة البراكيسفال (ذوي الرؤوس الواسعة) ويستدل مما توصل إليه العلم الحديث وما نتج عن الحفريات والدراسات التي قام بها علماء الآثار من الروس أن قوماً براكيسيفاليّاً أطلقوا عليه (إنسان اندرونوف) كان يعيش قبل أربعة آلاف سنة في أواسط آسيا. ويحتمل أن تكون هذه الأقوام هي المعالم الأولى للأتراك. وتختلف هذه الأقوام اختلافاً كليّاً عن الأقوام المسماة بدوليكوسيفال (مستطيلة الرؤوس) وقد سكنت الأقوام البروتو ـ تركية في البقاع الواقعة بين جبال تانري والطاي في إقليم جونغاريا (شمال تركستان الشرقية) مظهرة علامات التوسع إلى الجهات الأربع، وقد اعتادت هذه الأقوام على تربية الثيران والجمال وتطبّعت بطابع الصيد والقتال، فكانت تقدس النسر وتزيّن مقابرها بمخالب النسور. ولم تتوان في بعض البقاع من تربية غزلان الرين وثيران الياق. وعمدت إلى صنع السكاكين وبعض الآلات من النحاس ثم نجحت بعد مئات السنين في الاستفادة من المواشي.

يستنبط البعض معالم الثقافة التركية الراجعة إلى تاريخ يرجع إلى

٦٠٠٠ سنة في أناف وعشق آباد عاصمة تركمنستان. أما الطبقة الخامسة لثقافة أناف فتمتد إلى بداية أعوام الميلاد. ويميل المؤرخون إلى مقارنة حضارة أقوام آسيا الوسطى بطبقات الثقافة والحضارة الراجعة إلى أناف. وتبدأ معالم الحضارة بالتبلور بشكل أوضح وأعمق مدى في ألطاي في الألف الثاني قبل الميلاد بين سنوات ٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م، إذ تحتل المعادن الأخرى والذهب محلها جنب النحاس وتخرج عن طور استعمالها للآلات الجارحة إلى الخواتم والأساور وأدوات الزينة وتحتل الأقوام البروتو ـ تركية هذا المركز الرئيسي في صناعة الذهب في الألف الثاني قبل الميلاد. ويخرج البروتو ـ أتراك في هذه العصور من مكانهم في الألطاي الشمالي إلى جنوبي سهل سيبريا. ويرجع المؤرخون الآثار التي تعود إلى سنة ١٧٠٠ ق.م والتي اكتشفت في جنوبي سهل سيبريا إلى هذه الأقوام. ولا تخرج الأقوام هذه في تلك الأدوار من كونها قبائل رحل فهي لا ترجح الاستقرار في بقعة ما إلا نادراً. وفي نفس هذه العصور نرى أقوام المغول والتونغوز وهي من أقرب أقرباء الأقوام التركية تعيش في سواحل بحيرة بايقال في ظل حضارة مختلفة عن سابقتها. وبتأثير حضارة الصين الفاتحة في الجنوب والحضارة التركية في الغرب نرى تقارباً بين الأقوام التركية والمغولية يعقبه امتزاج بين هذه الأقوام يظهر أثره في تطبع بعض الأتراك بطابع مغولي.

وتحتل الفنون التي يشكل أغلبها رسم أشكال الحيوانات المكانة البارزة في «أسلوب الحيوان» الذي ينتقل بشكله الرائع والجذاب إلى سهل روسيا وشمال البحر الأسود. ويمتاز هذا العصر من الناحية الأنثروبولوجية بامتزاج البروتو ـ أتراك المتزايد مع المغول. ولتفوق الثقافة التركية على أختها المغولية كان الأطفال الذين يولدون نتيجة لهذا التزاوج يظهرون صفات تركية وقد ينطقون بالتركية مع تمثيلهم لمعالم المغول.

وإنه مما لا يثير أية دهشة أن يبدأ المغوليون بفقدان طابعهم الأصيل

متأثرين بالشخصية التركية في العصور الساحقة في القدم كما هو الحال في وقتنا الحاضر. ويستدل من الخلاصة التي أوردناها أن الوطن الأم للأتراك هو الألطاي مع عدم إغفال نظريات مؤيدة بأدلة تتفاوت في درجة قوتها وثبوتها في كونهم قد نزحوا من بقاع أخرى. إلا أن الثابت هو أن الأتراك ابتداء يختلفون عن المغول وهم من الجنس الأبيض. أما النظرية التي تقول بأن الأتراك والمغول كانوا من جنس واحد افترق إلى قسمين في عام ١٥٠٠ ق.م فأمر بعيد الاحتمال ويميل العلماء إلى إهمالها. ولا تعدو القرابة التي تربط الأتراك بالمغول وأقوام تونغوز ـ مانجو من أثر ارتباطهم بتاريخ وثقافة مشتركتين. والعلماء الذين يزعمون بهذه القرابة والذين يطلقون على جميع هذه الأقوام اسم ألطاي هم ـ ويدمان الألماني (١٨٣٨)، وكاسترن الفنلندي (١٨٤٨)، وشوت الألماني (١٨٤٩) وعالم الدراسات التركية المجري وأمبري (١٨٨٥) والعالم الروسي أرستوف (١٨٩٦). وذهب العالم النمساوي توما شيك (١٨٨٨) إلى أن الوطن الأم للأتراك يقع في شرقي بحيرة بايقال. أما العالم الإنكليزي باركر (١٩٢٤) والعالم الفنلندي رامستد (١٩٢٨) فقد ذهبا إلى أن الوطن التركي الأول كان في سفوح جبال كنجان الواقعة في شرق المنطقة التي ذهب إليها توما شيك.

ويستدل عالم الدراسات التركية المجري نيميث (١٩٤٠) من أدلة لغوية على أن الوطن الأم للأتراك هو في الغرب شمال بحيرة أرال مترامياً إلى الألطاي في الشرق وإلى جبال الأورال في الشمال والغرب.

أما بالنسبة للمؤرخ التركي ـ زكي وليدي طوغان (١٩٢٧) فإن الوطن الأم للأتراك يقع في المثلث الواقع بين بحيرة أرال وجبال ألطاي وتانري في البقعة التي تحوي بحيرة بالقاش. وتتحدث الوقائع الصينية عن حكام السهول الشمالية التي تسميهم في عام ١٧٦٦ ق.م تشون ـ غوي وفي عام ١١٢٢ ق.م تا ـ بي وفي عام ١١١٦ ق.م به ـ جي وفي عام ٦٢٧ ق.م كيو ـ كوي. وبات في حكم المؤكد بأن هؤلاء الحكام هم من الأتراك. ويتعذر

علينا معرفة الأسماء التركية لهؤلاء الحكام لانتقالها إلينا من الصينية التي تحوي مقطعاً واحداً بالإضافة إلى التحريف الذي يصيب الأسماء عند كتابتها باللغة الصينية. ومن السهولة بمكان أن نستنتج بأن هؤلاء الحكام هم أجداد تيومان الكبير من قبائل الهون. إذ من المستبعد أن يكون تيومان قد أسس الدولة التركية الأولى عام ٢٢٠ ق.م بدون مقدمات إضافة إلى أن العائلة المالكة للأتراك (أبناء أسينا) تنحدر من أسرة واحدة عريقة في القدم. ويميل المؤرخون مؤخراً إلى أخذ الرأي القائل بأن الحكام الأتراك ينحدرون من سلالة واحدة (يرى زكي وليدي طوغان بأن هذا الرأي قد اكتسب القطعية والتأكيد).

وتعني كلمة (تورك) في التركية (القوي) وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد ولنتساءل عن الزمن الذي أطلق فيه اسم تورك كما جاء في كتابات أورخون أو توروك كما جاء في غابر العصور على الأتراك؟ فنقول إنه لا توجد معلومات يوثق بها عن تاريخ هذه التسمية. ويجدر بنا أن نشير إلى أن إطلاق اسم معين على القبائل التي تتكلم بلغة مشتركة أمر حديث نسبياً. إذ كانت العصور القديمة تتميز بمفهوم الدولة أو السلطة والقبيلة في القبائل الراحلة أكثر منها من مفهوم الأمة. ونستطيع أن نجزم بأن لفظة تورك كانت تطلق على إحدى هذه القبائل بدلاً من إطلاقها على جميع المتكلمين بالتركية والمنتشرين في بقعة واسعة جغرافياً. إلا أن هذه التسمية قد أطلقت على جميع القبائل التي تشترك في اللغة التركية في عصر حكم أقوام (كوك تورك) في العصر السادس. أما في العصور السابقة لذلك فكانت القبائل تسمى بأسمائها الخاصة (هون، أوار، تابغاج، قرغيز، قارلوق، ياغما، جيغيل، أوغوز، توركيش، أويغور، خزر، بلغار، يجنك، قبجاق...الخ) وكان اسم الدولة التركية يطلق على القبيلة التي تظهر تفوقاً عسكرياً وسياسياً من هذه القبائل.

وتشير الوقائع الصينية التي تتحدث عن أقوام السهول الشمالية إلى

قوم (تيك). ويرى اللغويون أن هذه اللفظة محرَّفة من كلمة تورك. وتبين الوقائع الصينية أن هؤلاء التيك قد بسطوا نفوذهم على إقليم شانسي ما بين (٧٨١ ـ ٧٧١ ق.م) ثم اجتازوا النهر الأصغر إلى الجنوب مخترقين الأراضي الصينية.

أما في المصادر اليونانية واللاتينية فإن (يوركا) في هيروديت (وتوركاي) في بيلينوس سكندوس وبومبينيوس ميلا هو القوم التركي ذاته بصورة ثابتة. ويتحدث هؤلاء الكتاب الكلاسيكيون عن الأتراك في موطنهم بين نهري الفولغا والأورال والذي يقع ضمن الساحة التاريخية التي انتشر الأتراك فيها. وبهذا نستطيع القول بأن اسم (تورك) قد جاء لأول مرة على حد ما نعلمه الآن بصورة مشوهة في المصادر الصينية في عام ١٣٢٨ ق.م أي قبل ٣٢٨١ سنة من يومنا هذا.

حكم (تشو) التركي في الصين

يتفق المؤرخون هارلتز، جروم كرجيمايلو، دارمشتيتر، مونستيربرغ، كوبرس، هالاون، ليج، وانغ ـ بون ـ سون، في أن التشو الذين يشكلون الإمبراطورية الصينية الثالثة هم من الأتراك وان هؤلاء الأتراك الذين تميزوا بتفوقهم العسكري الفذ وعملهم المنظم تمكنوا من السيطرة على الصين من عام ١٠٥٠ ق.م إلى عام ٢٥٦ ق.م. وبالرغم من اندماجهم مع الصينيين فإنهم عملوا على رفع شأن الحضارة الصينية إلى أبعد شأو. وقد حكم التشو على شكل أباطرة متفرعين من سلالة واحدة في الشمال والجنوب في السنسي والهونان. ويجب أن لا يغرب عن البال أن حدود الصين آنذاك كانت أصغر مما هي عليها الآن إذ لم يكن الصينيون قد عملوا على صبغ الأقوام الأخرى بطابعهم الصيني بعد. إلا أن الصين كانت بالرغم من ذلك أكبر بقاع العالم وأكثرها نفوساً إذ كان تعداد نفوسها يربو على العشرين مليوناً. وقد حكمت سلالة تسو الغربية بين (١٠٠٠ ـ ٩٥٠ ق. م) في وادي الواي (عاصمته هاو)، وحكمت السلالة الشرقية بين(٧٧٠ ـ ٢٥٦ ق.م) في

مدينة لويانغ. بينما حكم التشو في شنسي بين (١٠٥٠ ـ ٧٧٠ ق.م) في مدينة هسي ـ آن ـ فو، وحكموا في هونان ما بين (٧٧٠ ـ ٢٥٦ ق.م) في مدينة لو ـ يانغ. ويظهر من هذا أن الصين كانت آنذاك بعيدة عن الاحتفاظ بوحدتها الجغرافية.

وقد أتى الأتراك بسيطرتهم على تلك المناطق بتقاليد لم تكن معروفة فيها من قبل مثل تقديس الأبطال وإسباغ الصفة الدينية عليهم والحكم المركزي للدولة وعناصر أخرى للحكم. وبذلك فقد اكتسبت الحضارة الصينية قبل ٣٠٠٠ سنة علاماتها الأولى. ويرى العالم الفنلندي الكبير ج. جي رامشتيت (١٩٣٥) أن كلمات تركية عديدة قد دخلت في هذه الآونة في اللغتين الصينية والكورية، وعلى رأسها المصطلحات الخاصة بالتشكيلات الإدارية للدولة والتي لم تكن معروفة في هاتين اللغتين.

العصور المظلمة للفتوحات التركية

إن المعالم الخاصة بالعصور المظلمة للفتوحات التركية تنقلها لنا الملاحم التركية فتروي لنا ملحمة (أركنة ـ قون) قصة اضطرار الأتراك بفعل الأعداء إلى الالتجاء إلى بقعة ضيقة وتكاثرهم ثم انفتاحهم على العالم بإذابة الحديد الذي كان يعوق خروجهم من هناك. وتهدف هذه الملحمة إلى رغبة الأتراك المتولدة من كثافة السكان إلى الانطلاق إلى آفاق أخرى واجتيازهم في سبيل ذلك كل العقبات التي تعترض سبيلهم. وتشير الروايات المسندة إلى العصر الثامن إلى أن المنطقة التي أذاب الأتراك فيها مادة الصلب للخروج من المأزق الذي وقعوا فيه سنين عديدة وهي المسماة (دمير قابي) أي الباب الحديدي شمال نهر أيلي وبذلك فيكون الوطن الأم للأتراك هو شمال جبال تانري.

وتفسر الأساطير قدرة الأتراك الفذة في فتح البلاد وبسط نفوذهم فيها بأن لديهم دون غيرهم حجراً سحرياً يمكنهم من فتح الأقاليم التي

يرغبون فيها. كما تعزو تلك الأساطير إلى هذا الحجر أمر هطول الأمطار وترى أن الأتراك منوا بالنكبات في حقبة من الزمان فقدوا فيها سيطرتهم على هذا الحجر السحري.

وقد سلكت المصادر الصينية مسلكا أكثر واقعية في تفسير قدرة الأتراك وسطوتهم في الغزو والفتوحات فذهبت إلى أن تفوقهم في الفروسية هو العامل المؤثر الأكبر على تمكينهم من إخضاع بقية الأقوام إلى حكمهم. وكان من أهداف سياسة الصينيين على مدى القرون الاستيلاء على قطعان الخيل المدربة والعائدة للأتراك إضافة إلى بسط السيطرة على البقاع التي تربى فيها الخيول مثل فرغانة.

السقا

إن مسألة أصل السقا وانتسابهم إلى الترك أو الإيرانيين وبعبارة أخرى معرفة ما إذا كانوا من الأقوام الطورانية أم الآرية كانت مدار بحث العلماء والمؤرخين. ويذهب قسم من العلماء أمثال أرستوف، ماير، زكي وليدي طوغان إلى أن السقا كانوا بادئ ذي بدء من أصل تركي إلا أنهم امتزجوا مع الإيرانيين وتغلب عليهم الدم الإيراني عند نزوحهم إلى الجنوب الغربي.

ويؤيد هذا المنهج إطلاق أتراك الياقوت وهم من الأقوام التركية الأولى، اسم السقا عليهم. ويطلق اليونانيون على هؤلاء اسم السكيت. وإذا كان الجزم بكونهم من الأتراك مما يؤخذ عليه من الناحية العلمية فإنه لا يمكن القول أيضاً بأنه لا توجد قبائل تركية بينهم. ومن السهولة إيراد مئات الأمثلة على امتزاج الأتراك بغيرهم من الأقوام. إلا أن الرأي القائل بأن الطبقة الحاكمة من هذه القبيلة هي من الأتراك رأي مؤيد من قبل مؤرخين منهم ـ مينز، تريدلر، لاوفر، زكي وليدي طوغان. وتتفق العادات والقيم الأخلاقية للسقا والمذكورة من قبل سقراط مع ما ذكر في المصادر الصينية عن قبائل الهون وكوك تورك.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن حاكم السقا الكبير ـ آلب ـ أر ـ تونكا يحتل المكانة البارزة في أساطير الأتراك والإيرانيين على حد سواء. ويطلق الإيرانيون(كما في الشاهنامه للفردوسي) اسم أفراسياب على آلب ـ أر ـ تونكا الذي بدأت إمبراطورية السقا بالانقراض من بعده. إذ عمد الشاهنشاه الإيراني كيروس (كيخسرو) إلى مطاردة ـ آلب ـ أر ـ تونكا إلى الألطاي. وألقى القبض عليه أخيراً في أذربيجان وأعدمه سنة ٦٢٤ ق.م. وخلفته الإمبراطورة توميريس (ويرى بول ويتيك أن هذا الاسم قد جاء محرفاً في المصادر اليونانية وهو محرف من اسم تمير التركي) وقد تكون ابنة حفيده التي اشتهرت بقتالها مع الشاهنشاه الإيراني الكبير دارا ودفاعها عن وطنها. وتشير المصادر اليونانية إلى ابن توميريس (سبارغابيريس) الذي كان قائداً عامّاً لقوات والدته قد قتل على أيدي الإيرانيين. ويرى المتتبع حاكماً يسمى تشو على رأس السقا في عام ٣٣٠ ق.م قد يكون حفيد سبارغابيريس الخامس. وقد تضافرت جهود الصينيين من جهة والإيرانيين من جهة أخرى على إزالة إمبراطورية السقا من الوجود.

← انتشار الأتراك في هذه العصور في آسيا

يستدل من ملحمة (أوغوز) أن القبيلة التي كانت تسمى باسم (تورك) كانت في القرون السابقة للميلاد في عصر الهون تحتل موقعاً بارزاً بين الأقوام التي تتكلم التركية إلا أنها لم تكن هي الحاكمة. وقد كان تمكن الأتراك من مادة الحديد ونجاحهم في صنع الآلات منها قد مكنهم من إخضاع الأقوام الأخرى إلى سلطتهم وتجاوزت ميزتهم هذه إلى الملاحم الإيرانية. إذ إنه من المعروف أن الأتراك قد استخدموا هذه المادة قبل أربعة آلاف سنة وسبقوا الحيثيين في استعمالها. وقد انتشر في هذا العصر في آسيا الوسطى من القبائل الإيرانية والخوارزمية وقبائل الصغد الآلانيون إلا أن انتشارهم اقتصر على السهول ولم يتعدوها إلى الجبال التي كانت من ضمن الأقاليم التركية. وقد استطاع الإيرانيون الولوج إلى المناطق التركية بداعي

التجارة فحدث بذلك أول تقارب بين الآريين والطورانيين.

وإذا كان بعض المؤرخين يعتبرون تركستان الشرقية والغربية من ضمن الوطن الأول للأتراك فإن الحقائق التاريخية ودراسات الآثار تنقض هذا الرأي. فإذا كان الأتراك قد عاشوا في الأدوار السحيقة في القدم في شمالي تركستان الشرقية والغربية إلا أن تركستان برمتها لم تكن ضمن الإقليم الذي كان الأتراك يعيشون فيه في أدوارهم الأولى. ويزعم المؤرخون الذين يرون خلاف هذا الرأي بأن الآريين أو الأقوام الإيرانية قد أخرجت الأتراك من تركستان في العصر السادس ما قبل الميلاد. ولكن الحقيقة أن تركستان قد تم فتحها من قبل مته في أوائل العصر الثاني قبل الميلاد ولم تكن وطناً دائماً للأتراك إلا منذ القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين في عهد القاراخانيين إذ أبعد الإيرانيون إلى الجنوب الغربي وتمت سيطرة الأتراك على تلك المناطق.

ويمكن القول بأن استيلاء الأتراك على تركستان بشكل شامل قد تم في القرن الثالث عشر أي بعد استيلاء المغول عليها إلا أن أقواماً تركية متفرقة سكنت تركستان قبل مته واستمرت هذه الحركة بعد حكم مته. ولكن الثابت من علم الآثار بأن تركستان في تلك العصور كانت إقليماً إيرانيّاً.

وقد وصل الإسكندر المقدوني الذي دحر الإمبراطورية الإيرانية بصورة مؤقتة إلى تركستان واجتاز نهر آمو إلى نهر الأسرار. وكان جنوب تركستان الغربية المسمى بما وراء النهر والواقع بين هذين النهرين قد استقل عن الحكم الإيراني. وكان قوم السقا هو الحاكم أيضاً في هذه البقاع. وقد احتفظ بجنوب تركستان طوال العصور التي أعقبت الحضارة اليونانية بعد إسكندر. وعمد أنطيوكس الأول ثاني أباطرة السلوفكس الآسيويين إلى اجتياز نهر الأسرار مقتدياً بالإسكندر ومؤسساً مدينة أنطيوكيا (أنطاكيا) ثانية في هذه الأقاليم. فلما أحيت سلالة بارت فرعاً من فروع سلالة إمبراطور بارس الإيرانية مرة ثانية انسحب اليونانيون من هذه المنطقة. ومن الثابت أن

علاقات ثقافية قد تأسست بين الأتراك واليونانيين في هذه الفترة. ويظهر جلياً من ذلك أن الأتراك في فجر تاريخهم في القرن الثالث قبل الميلاد قد انتشروا في بقاع واسعة مهيئين للحاكم الكبير مته فتوحاته العظمى.

الشخصية القومية والسياسية للأتراك في الأدوار السابقة لبسطهم نفوذهم على قارة آسيا

يغلب على الأتراك طابع الشدة والقتال ويتميزون بكونهم قوماً حاكماً. ونستدل على ذلك مثلاً ما يقوله محمود الكشغري (وهو من أمراء إمبراطورية القاراخانيين) عن آلب ـ أر ـ تونكا بأنه (أجون بكي) أي حاكم الدنيا أو أميرها ويرى الباحث أن هذه الصفة التي أطلقت على هذا الحاكم التركي الذي حكم في القرن السابع قبل الميلاد لا تختلف بكثير عن اللقب الذي أطلق على الحكام العثمانيين وهو (باديشاه جهان) بمعنى إمبراطور العالم.

ولم يقتصر هذا الاعتقاد على الأتراك وحدهم قبل حكم الهون بل تعداهم إلى الأقوام الأخرى التي ارتبطت بالأتراك بروابط شتى وبذلك فقد فتح للأتراك طريق السيطرة على قارة آسيا برمتها. ولا تتوفر لدينا معلومات جازمة عن الدولة أو الدول التركية التي تشكلت قبل الهون أو بعبارة أصح قبل عهد تيومان والد مته، يضطرنا إلى هذا القول موقف علم التاريخ والآثار. إلا أن زكي وليدي طوغان يأخذ بالرأي القائل بأن التاريخ التركي يبدأ من عصر السقا بحكم ألب ـ أر ـ تونكا. وقد عمل السقا بحكم اختلاطهم بالإيرانيين إلى تحقيق المد التركي من شمالي آسيا مهيئين للأجيال القادمة حكم المعمورة. كان الأتراك في هذه الأدوار في حالة نزاع حاد وخصومة قومية مستديمة مع بعض الأقوام الأخرى وعلى رأسها الصينيون. وقد حدثت منازعات بينهم وبين الإيرانيين حول إدارة الحكم القائم في آسيا. وقد اعتبر الإيرانيون يوم مقتل الأمير الإيراني سياوش من قبل بارسكان شقيق الحاكم آلب ـ أر ـ تونكا في بي كنت يوم حداد قومي لمئات السنين. كما ترنم الأتراك مئات السنين بمقتل آلب ـ أر ـ تونكا على

يد الإيرانيين. إذ كانت حادثة قتله ذات أثر بعيد انعكس حتى على التاريخ الصيني كما أسدل الستار على محاولة السقا لانتزاع أذربيجان وقفقاسيا والأناضول من أيدي الإيرانيين. ويرى هيروديت أن حكم السقا في الأناضول استمر ثمانية وعشرين عاماً. إذ أباد الإيرانيون بخديعة حربية محاربي السقا قرب زيله عام ٦٢٦ ق.م وأزاحوهم من الأناضول. وقد احتفل الإيرانيون بهذا اليوم ما بين ستة أو سبعة قرون. وبعكس أعياد إيران الأخرى فقد ظلوا يحتفلون باليوم المصادف للسابع من تموز(يوليو) كعيد قومي حتى بعد اعتناقهم الإسلام.

وقد استطاع نفر من السقا الاحتفاظ بكيانهم بالقرب من كنجة في أذربيجان الشمالية حتى العصر الرابع بعد الميلاد. ونرى مما سبق أن الأتراك كانوا قد لعبوا دوراً هاماً في آسيا قبل حاكم الدولة التركية الكبرى تيومان وتمكنوا من التأثير على حضارات الأمم المجاورة بثقافتهم الفريدة في نوعها، وتجدر الإشارة إلى أن حضارتهم بدورها قد تأثرت بتلك الحضارات وهذا أمر طبيعي ومألوف فليست هناك لغة أو ثقافة أو حضارة لم تتأثر بغيرها من اللغات أو الحضارات. إذ تمتزج الحضارات مع بعضها وتتبادل مزاياها ولا حياة لأمة أو لغة انعزلت عن باقي الأمم.

قرابة الأتراك للأمم الأخرى

إن صلة الأتراك مع الأمم الأخرى ليست على هيئة وحدة جنس ولغة تماماً. إلا أن عوامل شتى وعلى رأسها تأثير الثقافة التركية على الأمم الأخرى أدت إلى حصول تقارب شديد بينهم وبين تلك الأمم. ويأتي المغول في مقدمة الأمم التي حدث تقارب كبير بينها وبين الأتراك. ولكن المغول بالرغم من اعتبارهم أقرب الأقربين إلى الأتراك فإنهم ليسوا من الأقوام التركية. إن قرابة الأمم بعضها للبعض الآخر ودرجة هذه القرابة تشكل مشكلة مستعصية الحل، ولما كان التاريخ وحده عاجزاً عن تفسير هذه النقطة فلنا أن نلخص الموضوع بخطوطه العريضة تاركين التفاصيل التي

لا علاقة لها بالموضوع، ولنلقي نظرة عامة على الأمم التي تعد قريبة للأتراك لتبيان درجة هذه القرابة إلى حد ما.

إن الأقوام تتفرق إلى شعب واسعة مثل الآريين(هند ـ أوربيين)، العرق الأصفر(المغول)، الساميين والحاميين. وهذا التقسيم يطابق إلى حد كبير تقسيم الفصائل النباتية المعروف في علم النبات والحيوان. والشعب المار ذكرها تنقسم بدورها إلى فروع أصغر، فنرى العرق الآري مثلاً ينقسم إلى فروع عديدة كالجرمانيين واللاتينيين والسلاف والإيرانيين. وهذه الفروع تتشعب هي الأخرى إلى أقوام وفصائل.

وقد سميت مجموعة من الأقوام تشبه من حيث السمة الأقوام الآرية والسامية والمنغولية من قبل علماء القرن التاسع عشر بأقوام (أورال ـ ألطاي) أو بعبارة أخرى تدل على نفس المعنى (الأقوام الطورانية). وهذه الأقوام هي من أقوام العرق الأبيض.

وتنقسم مجموعة أقوام أورال ـ ألطاي (طوران) إلى قسمين رئيسيين:

أورال (أو أقوام فين ـ أوغور) وأقوام ألطاي. أما القسم الأول (الأقوام الأورالية) فهو على قسمين: أقوام ألفين وأقوام أوغور. وتتألف أقوام فين من ثمانية أقوام هي اللابون، ألفين (وبضمنها الكاريل)، الأستون، الموردفين، الجرميس (الماريون)، الفوتياك (الأدمورتيون)، الزورين (الكوميون) والساموبد.

إن أقوام الموردفين والجرميس والفوتياك والزورين تتشابه فيما بينها وتشكل مجموعة يطلق عليها اسم أقوام فين الفولجا. أما الساموبد فيشكلون حلقة الوصل بين أقوام فين وأوغور ضمن الأقوام الأورالية.

أما أقوام أوغور فتضم المجريين إضافة إلى أقوام الفوكول والأوستياك القليلة العدد. أما الغالبية العظمى لأقوام أورال ـ ألطاي (الأقوام الطورانية) فتشكلها أقوام الألطاي والأتراك من هذه الزمرة.

ويتشكل أقوام ألطاي من ثلاثة أقوام هم الأتراك والمغول والمانجو ـ تونكوز. إن المانجو قريبون لقوم التونكوز الذين يعيشون عيشة بدائية في شمال مناطقهم. ولنا أن نتساءل هنا ما هي درجة قرابة الأتراك مع باقي أقوام ألطاي والأقوام الطورانية وما هو نوع العلاقة الناشئة بينهم؟

يعتبر البعض المغول من أقرب الأقربين إلى الأتراك ويرجعون هذا إلى أن المغول والأتراك كانوا يشكلون قوماً واحداً في فجر التاريخ انقسم على مر القرون إلى قومين مختلفين وهذا رأي لا يعتد به علميّاً. ولا يوجد تشابه بين لغة الترك والمغول أصلاً ويرجع هذا التشابه إلى اختلاط القومين وامتزاجهما ولا يدل هذا على كون القومين من أصل واحد. فالتركية والفارسية أخذت عن اللغة العربية كلمات وقواعد نحوية عديدة. وتشكل الكلمات التركية ٣٠٪ من اللغة الألبانية والبوشناقية، ولكن هذه اللغات ليست ذات أصل واحد. إذن كيف أصبح الأتراك والمغول أقرباء مقربين؟

اختلط الأتراك مع المغول في الشمال الشرقي من قارة آسيا طيلة ألوف من السنين. ويرجع الطابع المنغولي المعتدل لأتراك أواسط آسيا على الأرجح إلى هذا الاختلاط الشامل. في حين نرى أن أقواماً مثل الأوغوز لم تختلط بالمغول أو كان اختلاطها بهم قليلاً لم يكتسبوا شيئاً من هذا الطابع الذي يتمثل ببروز عظام الوجنة والعيون الغائرة. وتنضم الأقوام الصينية واليابانية وغيرهم تحت مفهوم الجنس المغولي في اللغات الأوربية ولا يدخل المغول ضمن هذا الجنس إذ إنهم من الأقوام الطورانية. وتجدر الإشارة لهذا التشابه في المصطلحات التي تثير ارتباكاً لدى الكثيرين من غير المضطلعين في هذا الموضوع.

وقد أدى هذا الاختلاط الواسع إلى التردد في تعيين نسب بعض القبائل ولغتها بين التركية والمغولية. إذ نرى قبيلة ما تتكلم بالتركية على مر القرون إلا أنها تنصهر في بوتقة المغول عند انتشارها في المناطق العائدة لهؤلاء. وكذلك الأمر بالنسبة لقبيلة قيات التي ينتسب إليها جنكيز خان إذ

يرجح الكثير من المؤرخين بأنها قبيلة تركية اكتسبت الطابع المغولي على مر العصور. ولقد اشترك الأتراك والمغول في تأسيس الدول وفي صيانتها وقد أدى هذا العمل المشترك إلى إيجاد أسس مشتركة بينهم.

أما بالنسبة لقرابة مانجو ـ تونكوز للمغول فهي مؤكدة. إلا أن صلتهم بالأتراك كانت محدودة بالنسبة لصلة المغول بهم. أما قرابة أقوام الأورال للأتراك فهي متولدة أيضاً عن الثقافة المشتركة التي تجمع بينهم وحياتهم المشتركة لألوف السنين تحت حكم الأتراك كإخوة متساندين. إلا إن الأمر يختلف بالنسبة للمجر الذي تتخطى قرابتهم للأتراك قرابة اللغة إلى قرابة الجنس. فقد كان المجر أيام معيشتهم في وطنهم الأصلي على سفوح جبال الأورال من أقوام ألفين لا تربطهم بالأتراك أية رابطة. إلا أن قبائل تركية عديدة اختلطت بهم لدى هجرتهم إلى سهل المجر وكانت عائلة أرباد الحاكمة لقوم المجر آنذاك عائلة تركية تنتمي إلى مته حسب بعض الروايات (وسنتطرق إلى هذا الأمر عند بحثنا لموضوع القبائل المجرية). ويتبين من هذا أن الأتراك كانوا عنصراً أهم من عنصر المجريين عند تأسيس المجريين وطناً لهم في المجر الحالي. وهكذا فقد نشأ عنصر متولد من الأتراك والمجريين ونرى اللغة المجرية حالياً مليئة بالكلمات التركية.

وقد يكون من المفيد أن نكرر هنا بأنه لا يوجد قوم على الإطلاق ولا لغة كيف ما كانت تكون خالصة صافية وإن أي قوم كان محكوماً عليه بالانقراض إذا ماعاش في عزلة عن باقي الأقوام. أما آخر الأقوام التي كانت تعد خالصة صافية فقد كانت في أستراليا وتسمانيا لكنها انقرضت الآن. وليست أقوام البوشيمان والهوتانت التي تعتبر أكثر الأقوام بدائية خالصة في جنسها ولغتها. وكذلك الأمر بالنسبة لكثير من اللغات، فإن لغات متكاملة حية مثل الإنجليزية والفرنسية قد بنيت على كلمات أجنبية بنسبة تسعين بالمائة.

ويذهب الكثير من المؤلفين إلى أن العرق يستند على اللغة أولاً والثقافة ثانياً. وبهذا فإن انتساب الفرد إلى عرق معين وتسميتنا لشخص ما بالتركي أو الألماني أو الصيني إنما يبنى على نطق الزمرة التي ينتسب إليها ذلك الشخص بالتركية أو الألمانية أو الصينية دون الالتفات إلى أصل تلك الزمرة واختلاطها مع باقي الأمم. وتعمل اللغة على تأسيس الوحدة الثقافية وإلى مفهوم الأمة بالتالي فنرى في هذا الصدد أن الشخص الذي يتكلم بلغة جديدة ناسياً اللغة التي كان والده يتحدث بها يكون قد انتسب إلى لغة جديدة وأمة جديدة. فإذا تبنى ثقافة تلك الأمة التي ينطق بلغتها يكون قد فقد صلته باللغة التي كان آباؤه يتحدثون بها قطعاً. وقد تكون هذه القاعدة ذات استثناءات. إلا أننا نرى صحة هذا الأمر بالنسبة للتاريخ التركي. فكون الغازي كيراي ومحمد عاكف أتراكا لا يحتمل أية شبهة فهما تركيان بقدر ما كان نابليون فرنسيّاً أو كانت كاثرين روسية.

انتشار الأتراك والأقوام الطورانية

إن الغالبية العظمى للأتراك المدرجين في قائمتنا يعيشون خارج تركيا. ولا توجد معلومات إحصائية صريحة عن عدد هؤلاء الأتراك لأن الدول المعنية وعلى الأخص الاتحاد السوفيتي الذي يضم الملايين من الأتراك تصرّ على عدم نشر هذه المعلومات وبذلك فقد عمدنا لحساب نفوس الأتراك في أواخر سنة ١٩٦٣ على المصادر المخولة والمعتمد عليها. وقد عملنا على اتخاذ كافة وسائل الحيطة وعدم المبالغة إطلاقاً بشأن مسألة النفوس. فلا شأن بعدد النفوس في قياس القوة أو العظمة ولا موجب للمبالغة في الدراسات العلمية. وبالرغم من أن بعض الدول تشير إلى نفوس الأتراك من رعاياها بشكل مشوه مفضوح فقد ابتعدنا عن الأخذ بمبدأ التقدير وأخذنا أوطأ الأرقام. ولنضرب مثلاً على ذلك فإن العالم الأخصائي والخبير الواسع الاطلاع والخبرة (سفن هدن) يشير إلى عدد نفوس أتراك تركستان الشرقية الواقعة تحت الحكم الصيني في عام ١٩٣٠ معتبراً إياهم

٦,٤٠٠,٠٠٠ نسمة. وبالرغم من الزيادة الأكيدة الحاصلة في السنين العديدة فقد أخذنا ليومنا هذا برقم يقل عن هذا العدد لكونه قد نشر من قبل السلطات الرسمية في الصين الشعبية. واتبعنا نفس الخطة للاتحاد السوفيتي ودول أخرى. ونظرة واحدة إلى دراسات البروفيسور الدكتور إبراهيم قفص أوغلو أستاذ التاريخ التركي العام في جامعة إستانبول وتعداده لمجموع نفوس الأتراك في عام ١٩٦٣ بخمسة وتسعين مليوناً تدل القارئ على مدى الحيطة التي التزمنا بها. وقد أخذنا ضمن القائمة عند حسابنا للأتراك من يتكلمون التركية وينتسبون إلى الثقافة التركية. ويجب أن لا يغرب عن البال الوضع الحالي من كافة الوجوه. فإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن نفوس الأتراك قد تعرض إلى بعض الضمور في مناطق معينة فيجب أن نذكر أيضاً أنه لا مجال للتخمين في مناطق أخرى، وقد فضلنا السكوت بالنسبة لهؤلاء زيادة في الحيطة. فمثلاً لم نأخذ بنظر الاعتبار زمر دونكن (والتي تعني العائدين للدين الإسلامي) والذين يبلغ تعدادهم ٣٠ مليوناً والذي يعتبر القسم الأعظم منهم أنفسهم أتراكاً وأحفاداً للفاتحين الأتراك لأنهم بالرغم من كونهم مسلمين فهم يتكلمون الصينية فلم نحسب لهم حساباً في قائمة الأتراك.

ومن الزمر التركية التي انصهرت تماماً ضمن الأقوام الأخرى الطبقة الأخيرة التي احتفظت بلغة الأتراك الفاتحين في الهند وبقوميتهم فقد أثبتت الإحصائية الإنجليزية لعام ١٨٨١ في الهند بأن في ولاية دلهي ٢٣,٩٥٣ من الجغتاي، وفي ولاية راولبندي ١٢,١٣٧ من أتراك البارلاس. إلا أن هؤلاء قد فقدوا لغتهم الأصلية.

وقد انتشر قسم قبائل الفين من زمرة قبائل الأورال في فنلندا والفولجا والأراضي الواقعة شمالي هذه البقاع. ويسكن اللابونيون الذين يسمون أنفسهم سامبا إلى الشمال من جميع قبائل الفين. ويشكل الفين الحقيقيون والكاريل الغالبية العظمى لقبائل هذه الزمرة ويعيشون في فنلندا

وجمهورية كاريليا التابعة للاتحاد السوفيتي. أما الأستون فيعيشون في جمهورية استونيا التابعة للاتحاد السوفيتي الواقعة جنوب خليج فنلندا ولا تربط الأستون أية رابطة بأقوام البلطيق مثل اللتونيين والليتوانيين في حين أن أقوام الفين الأخرى أي الموردفين والجرميس(الماريين) والفوتياك (الأدموريتون) والزورين (الكوميين) يشكلون فين الفولجا وهم متأثرون بالثقافة التركية وقد اقتبسوا آلاف الكلمات من التركية. وقد أجبر الروس هذه الأقوام التي يشكل المسلمون قسماً ضئيلاً منها على اعتناق المذهب الأرثوذكسي في أواخر القرن السادس عشر. إلا أن ديانتهم الشامانية القديمة لازالت تحتفظ بآثارها على حياتهم ومعتقداتهم. أما الساموید فهم أقرب إلى زمرة الألطاي ويعيشون في الشمال الشرقي إلا أن وطنهم الأصلي كان في جبال سايان. أما الفوكول والأرستياك فهم من غير المجريين يشكلون أقوام الأوغور وحدهم. ويعيش هؤلاء في مقاطعة توبولسك. ويكمن الأوستيك في شرق مناطق الفوكول. وقال الكثيرون من السياح أنه يمكن التجوال في آسيا بواسطة التكلم باللغة التركية. ويمكن تطبيق هذا الوصف على النصف الشمالي من آسيا إذا زالت حدة الحدود السياسية فيمكن التكلم بالتركية على خط طول ١٤٠ الجغرافي من الأدرياتيك إلى كامجاتكا وخط عرض ٥٠ من البحر المتجمد الشمالي إلى سهول إيران.

الياقوتيـــون

يعيش الياقوتيون في جمهورية ياقوتستان التابعة للاتحاد السوفيتي. وقد انقطعت علاقاتهم بباقي الأتراك منذ ١٥٠٠ عاماً تقريباً ويعيشون في الشمال الشرقي من مناطق الأتراك. وقد علم الروس بوجودهم في عام ١٦٢٠ واستولوا على أراضيهم في عام ١٦٣٢ وكان يتزعمهم آنذاك رئيس قبيلة يدعى تيكين. وقد عمل أحد رؤساء القبائل الخمس التي تشكل قبائل الياقوت المدعو ميماك على سحب قبيلته إلى شمال الأراضي التي استولى الروس عليها. يبدأ التجمد في ياقوتستان في شهر تشرين الثاني(نوفمبر) إذ

تغرب الشمس في اليوم الثاني والعشرين من ذلك الشهر ويستمر الليل مخيماً لمدة ٣٨ يوماً. وقد نظم العالم الروسي بيكارسكي قاموساً للهجة الياقوتيين التي هي أبعد اللهجات عن لهجة تركيا. وقد ترجم هذا المؤلف الضخم الذي استنفذ عمراً كاملاً من قبل مجمع اللغة التركية.

الجواشيـون

يعد الجواشيون من أبعد الأقوام التي تسكن إلى الشمال من المناطق التركية مع الياقوتيين، وإذا كان الياقوتيون قد قاوموا الدعاية الأرثوذكسية واحتفظوا بديانتهم الشامانية إلا نفراً قليلاً منهم اعتنقوا الدين الإسلامي، وقد قبل الجواشيون المذهب الأرثوذكسي ما عدا قسماً قليلاً منهم بقوا على دينهم الإسلامي. إلا أن الدين الشاماني والدين الإسلامي مازالا محتفظين بتأثيرهما عليهم. ويعيش الجواشيون في جمهورية جواشستان التابعة للاتحاد السوفيتي والمناطق المحيطة بها. وقد نظم العالم الروسي أشمارين والعالم الفنلندي باسونين قاموساً خاصّاً باللهجة الجواشية كما ألف العالم المجري ميزاروس كيولا مؤلفاً ضخماً في جزأين يضم مقتطفات من هذه اللهجة. وقد ترجم هذا الكتاب من قبل مجمع اللغة التركية.

ويعتبر الجواشيون من بلغار الفولجا الذين لم يختلطوا بزمرة القبجاق التركية. وبذلك تكون لهجتهم هي اللهجة البلغارية التي يعود تاريخ انتشارها إلى خمسة عشر قرناً. ويعتقد البعض من العلماء أن لهجة الياقوتيون والجواشيين شبيهة كل الشبه بلهجة قبائل الهون القديمة.

الأقوام التركية الأخرى

ينقسم الأتراك (عدا الجواشيين والياقوتيين) إلى أتراك الشرق وأتراك الغرب، ويضم أترك الغرب، الأوغوز الذين سموا في العصور الأخيرة بالتركمان وينقسم الأتراك الغربيون إلى ثلاثة فروع : العثمانيون (أتراك تركيا)، الآذريون (أتراك أذربيجان) والتركمان (أتراك تركمنستان). وأتراك

تركيا (العثمانيون كما كانوا يسمون قديماً) ينتشرون اليوم في تركيا والعراق وسوريا وقبرص واليونان وبلغاريا ويوغسلافيا ورومانيا، ولا تختلف لهجات الآذريين والتركمان والعثمانيين عن بعضها. إذ يستطيع المتكلمون باللهجات الثلاث التفاهم فيما بينهم بكل يسر. وخير دليل على ذلك أن شعراء أتراك عديدين أمثال فضولي، حبيبي، نسيمي، خطائي (الشاه إسماعيل)، القاضي برهان الدين قد استعملوا اللهجة الآذرية في شعرهم. أما الأتراك الشرقيون فيمكن جمعهم في مجموعات ثلاث هي أتراك تركستان وأتراك فولجا ـ أورال (أيتيل ـ يايق بالاسم التركي) وأتراك سيبريا. ويضم أتراك سيبريا أتراك الألطاي والتلاوتيين والشوريين وبعض القبائل الأخرى وقد احتفظ الكثيرون منهم بالدين الشاماني واعتنق القليل منهم الإسلام. أما أتراك فولجا ـ أورال فهم التتار (أتراك القرم والقازان) والباشقورد وأتراك قفقاسيا الشمالية. ويتشكل كل فرع من هذه الفروع من قبائل عدة. وقد قام الروس بتهجير أتراك القرم إلى سيبريا عن بكرة أبيهم بعد الحرب العالمية الثانية. وبذلك فقد القرم طابعه التركي الذي ظل محتفظاً به طوال ١٥٠٠ عام.

أما أهم فروع الأتراك الشرقيين منهم أتراك تركستان.وهم يعيشون في تركستان الغربية الخاضعة للحكم السوفيتي وتركستان الشرقية الخاضعة للحكم الصيني وفي جنوب تركستان الغربية في أفغانستان. وينقسم أتراك تركستان إلى ست قبائل رئيسية هي الأوزبك والقاراقالباق والقرغيز والقازاق والأويغور وأتراك قان صو. ويعد الأوزبك أكثرهم عدداً ويعيشون في جمهورية أوزبكستان الخاضعة للحكم السوفيتي والمناطق المحيطة بها وفي تركستان الأفغانية وتعتبر لهجتهم الجغتائية ثاني اللهجات التركية بعد العثمانية من حيث وفرة ثروتها الأدبية. أما القاراقالباق فيعيشون في قاراقالباقستان التابعة لجمهورية أوزبكستان ويعدون أقل القبائل التركستانية نفوساً.

أما القازاق فيعيشون في جمهورية قازاخستان ضمن الاتحاد السوفيتي وفي تركستان الشرقية وبعض مناطق سيبريا. وقد شكل الروس الآن الأغلبية

في شمال كازاخستان. أما القيرغيز فيتحدثون بلهجة قريبة من لهجة القازاق ويعيشون في جمهورية قرغزستان التابعة للاتحاد السوفيتي والمناطق المحيطة بها. أما الأويغور فهم بقايا القوم والدولة القديمة المسماة بنفس الاسم ويشكلون الأكثرية في تركستان الشرقية. في حين ينحدر أتراك قان صو من أتراك كوك تورك ويعيشون في مقاطعة قان صو الصينية الواقعة شرق تركستان الشرقية والأغلبية منهم بوذيون وهناك أقلية مسلمة. ويستطيع القارئ الإلمام بالمعلومات الأخرى حول الأقوام التركية لدى بحثنا للمواضيع الأخرى. لقد انحصر الأتراك اليوم في بقعة ضيقة بالنسبة للمناطق التي كانوا ينتشرون فيها سابقاً وسنلقي نظرة فاحصة على الوضع الجغرافي للأتراك على مر العصور.

نظرة في جغرافية المناطق التركية

لعل من المفيد أن نلقي نظرة فاحصة على جغرافية المناطق التي تطرقنا إليها في المباحث السابقة باعتبارها الوطن الأصلي للأتراك. وسنتطرق إلى جغرافية تركستان الشرقية والغربية عند بحثنا استيطان الأتراك في هذه المناطق. أما البقعة التي سيتناولها بحثنا هذا فتنحصر بين جبال كنجان وجبال الأورال وبين جبال تانري وسيبريا.

لقد اجتاز الياقوتيون الأتراك في يومنا هذا خط ٧٠ درجة شمالاً متجاوزين دائرة القطب الشمالي إلا أن الأتراك الأقدمين لم يتجاوزوا خط ٦٠ بل ٥٥ درجة شمالاً. إذ تلعب جبال الألطاي دوراً مهمّاً في سلسلة الجبال التي حددت مصير آسيا الوسطى والشمالية وتبدأ الألطاي الكبرى من خط عرض ٥٠ وخط طول ٨٦ من منبع نهر أوبي (اسمه التركي أوب) وتنحدر من السلاسل إلى الجنوب الشرقي منتهية في خط طول ١٠٥ درجة الذي يصادف في الجنوب مغولستان الحالية. وارتفاع الألطاي في مقدمتها يبلغ ٤٥٤٠ متراً. وتقع إلى الشمال الغربي منها جبال الألطاي الصغرى. وتسمى منابع نهر أوبي بالألطاي.

أما السلسلة الجبلية التي تقع إلى الجنوب من الألطاي فهي جبال تانري. وتنحصر بين هاتين السلسلتين جبال تارباكاتاي. كما تسمى المساحة المنحصرة بينهما بإقليم جونغاريا الذي يشكل شمال تركستان الشرقية. وتوجد إلى الشمال من الألطاي سلسلة جبال موازية لها تسمى هان هوكي. وتقع مدينة أوتوكن التي كانت عاصمة الكوك تورك في منطقة الغابات الواقعة في السفوح الشمالية الشرقية لهذه الجبال. كما تقع إلى الجنوب منها مدينة قاره قوروم عاصمة جنكيز خان. وتوازي جبال سايان جبال الهان هوكي في الشمال والتي تبلغ قممها الشرقية ارتفاعاً يبلغ ٣٤٩٠ متراً وتشكل جبال يابلونوي الواقعة شرق بحيرة بايقال امتداداً لجبال سايان. وتقع إلى الجنوب من يابلونوي جبال كنجان الكبرى التي تمتد من الشمال إلى الصين في الجنوب وتفصل جبال الكنجان ما بين إقليم منشوريا ومغولستان. أما في الشمال الشرقي فتقع جبال أورولكان التي تمتد من شمال ياقوتستان إلى شرقها وتعتبر جبال فركويان امتداداً لها. وتبدأ أورولكان من بحر نوردينسكجولد إحدى خلجان البحر المتجمد الشمالي. أما جبال الفركويان فيبلغ ارتفاعها ٢٥٠٠ متر في الشرق و٣٣٠٠ متر في الشمال بالقرب من نهر أنديكيركا.

وتفصل جبال ستانوفوي بين ياقوتستان عن سواحل بحر أوهوتسك في سيبيريا الشرقية. ويعيش في هذه المناطق التونكوز والبقعة الشاسعة المنحصرة بين جبال الفركويان في الشمال والستانوفوي في الشرق واليابلونوي في الجنوب هي القسم الشرقي من سهل سيبريا أكبر السهول في العالم. وتمتد إلى جبال الأورال في الغرب.

وتتفرع سلسلة جبال الأورال إلى ثلاث شعب وهي الأورال الشمالي والأورال الأوسط والأورال الجنوبي وتمتد على خط ١٨ درجة من خط عرض ٦٩ درجة إلى خط ٥١ درجة جنوباً. وهي جبال قديمة لا يتجاوز ارتفاعها ١٨٨٥ متراً بأي حال من الأحوال. وتفصل جبال الأورال قارتي

آسيا وأوربا المشكلتين لقارة أوراسيا الواحدة. ويصب نهر الأورال (اسمه التركي يايق) النابع من جبال يامان

(ارتفاعها ١٦٤٥ متراً) والمنحصرة بين الأورال الأوسط والجنوبي في بحر الخزر. ويشكل هذا النهر والخزر حدّاً فاصلاً بين القارتين بدورهما. ويمتد إلى الغرب من الأورال في قارة أوربا سهل سيبريا الأكبر والذي يسمى بسهل روسيا. إن هذا السهل الشاسع كان موطناً لأقدام خيل الأتراك على مر العصور من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب كما تخترق هذا الإقليم من الجنوب إلى الشمال أنهار متوازية عديدة منها أوبي الذي ينبع من شرق الأورال ويصب مثل جميع الأنهار الموازية له في البحر المتجمد الشمالي. ويصب في نهر أوبي في خط عرض ٦٢ درجة نهر الأرتيش الذي يلتقي بدوره في الجنوب بنهر توبول. وينبع هذا النهر على شكل فرعين من الأورال الجنوبي والأورال الأوسط. أما نهر تاودا فينبع من جبال نايرودنايا (ارتفاعها ١٨٨٥ متراً) ويصب في توبول نهير إيجيم الذي يلي إيرتيش في الكبر، وينبع من صحراء القرغيز في الجنوب. ويحتضن أيرتيش في الشرق فرع أوم ويستمر في سيره إلى الجنوب حيث يخترق بحيرة سايسان ثم يستمر في الانحدار من شرق البحيرة ويسمى آنذاك بنهر أرتيش الأسود.

كما يصب في خليج أوبي (أوب) عدا نهر أوب نهرا بور وطاس ويوجد في قربها نهر ينيسا (كام بالتركية)، وينبع هذا النهر من جبال سايان الواقعة إلى الغرب من بحيرة كوسو في مغولستان وتلتقي به من الجنوب إلى الشمال فروع تونكوسكا الأعلى وتونكوسكا الصخري وتونكوسكا الأسفل المتوازية والمنحدرة من الشرق إلى الغرب. وينبع تونكوسكا الأعلى من شمال جبال سايان ويصب فيه نهران هما أوكا وأنكارا. ويصب الأخير في بحيرة بايقال من جهتها الجنوبية الغربية. ويصب في البحر المتجمد الشمالي إضافة إلى ينيساي في الشرق نهر بياسينا وتايمير وكيتا وكاتانكا وأنابار

وأولينيك وهي متوازية في سيرها. ويبقى النهران الأخيران في أراضي ياقوتستان. ويقع إلى الشرق من هذه الأنهر النهر الذي يلي أوبي وينيساي في الكبر في منطقة آسيا الشمالية وهو نهر لينا الذي ينبع من جبال بايقال الواقعة غرب البحيرة المسماة بنفس الاسم. ويصب فيه من الشرق نهرا ويتيم والدان ومن الغرب فيلجوي. ويصب في نهر الدان النابع من جبال يابلونوي من ساحله الشرقي نهرا كونال ومايا. ونهر لينا مع القسم الأكبر من روافده في أراضي ياقوتستان. ويصب لينا في بحر نوردينسكجولد محدثاً دلتا خصبة. ويقع إلى الشرق من نهر لينا أنهر يانا وإينديكيركا وكوليما مع رافد أومولون الذي يصب في النهر الأخير. وكل هذه الأنهر تصب في البحر المتجمد الشمالي. وتسير باستثناء رافد أومولون في الأراضي الشمالية الشرقية من ياقوتستان.

أما نهر آمو الذي يصب في المحيط الكبير عند المضيق التتري ما بين جزيرة سهالين وسيبريا فيفصل بين المانجو والتونكوز ويشكل حدوداً طبيعية بين الصين والاتحاد السوفيتي. ويصب فيه من الجنوب أوسوري وسونكاري ومن الشمال سلنكا ورافده زيا. ويتفرع هذا النهر في السفوح الشمالية لجبال كنكان الكبرى إلى فرعين شيلكا وازكون. ويتفرع شيلكا بدوره إلى رافدين متوازيين هما أنكودا وأونوف اللذان ينبعان من جبال سوهوندو (٢٤٥٠ مترا) أما نهر أركون فينحدر إلى الجنوب الغربي ويصب في بحيرة كولون. ويسمى النهر الذي يستمر في الانحدار من الجانب الآخر من البحيرة باسم كيرولن الذي ينبع مثل أونون من الشمال الشرقي لمدينة أوركا.

ولنهر سلنكا الذي يصب في جنوب بحيرة بايقال دور بارز في التاريخ التركي. إذ يصب فيه من الجنوب الشرقي نهر أورخون. وينبع النهران من جبال هان هوكي، ويتفرع من سلنكا رافد يصب في بحيرة كوسو في الشمال. وقد اتخذت هذه المناطق طابعا هاما لكونها مركزا لقوم كوك تورك الحاكم في هذه البقعة. وكانت مدينة أوتوكن عاصمة كوك تورك تقع بالقرب

من الساحل الشرقي لنهر أورخون وتقع إلى الجنوب منها مدينة قارة قوروم.

وأهم بحيرة في المنطقة التي حددناها هي بحيرة بايقال. وهي على ارتفاع ٤٧٧ متراً عن مستوى سطح البحر. وهناك في وسطها جزيرة. وهذه البحيرة ضيقة ممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. وكان الأتراك يجدون فيها ضالتهم المنشودة وهم قوم يحلمون بالانفتاح على البحار المفتوحة ولذلك فقد كانت محبوبة بصورة خاصة من قبلهم. ويقع إلى الشمال الشرقي من بحيرة بايقال سهل (ويتيم) وفيه مرتفعات يبلغ ارتفاعها ٢٠٤٠ متراً في بعض المناطق. كما يقع إلى الشمال الغربي من البحيرة جبال بايقال المنخفضة وإلى غربها جبال سايان. وتبلغ مساحة بحيرة بايقال (بحر بايقال على ما يسميها الأتراك) ٣١,٥٠٠ كم مربع وهي ثامن بحيرة في العالم من حيث السعة.

لا تتجاوز مقدار سقوط الأمطار في آسيا الشمالية ٧٥ سنتيمتراً وبصورة عامة فإن معدله يبلغ ٦٠ سنتيمتراً. وتتساقط الثلوج فيها بصورة عامة. أما الأنهار فتتجمد شتاء ويبلغ معدل درجات الحرارة في أوتوكن عاصمة كوك تورك القديمة لدى المناطق الواقعة في الوسط والشمال من مغولستان الحالية ٢٠ درجة صيفا و٢٠ درجة تحت الصفر شتاء. وتعتبر ياقوتستان في الشمال الشرقي من أبرد مناطق العالم. ويبلغ معدل درجة الحرارة في ياقوت العاصمة ٤٠ درجة تحت الصفر شتاءً و١٥ درجة صيفاً. ويقع أكبر مناطق الغابات في العالم في سيبريا إذ تمتد الغابات من فنلندا إلى المحيط. ولغابات هذه المنطقة طابع مميز إذ توجد في الجبال نباتات الألب. وعند انتهاء الغابات جنوبا تبدأ منطقة السهول الكبرى. وتشاهد الصحاري في شرق مغولستان وجنوبها والمناخ ملائم لتربية الحيوانات أكثر منها للزراعة وقد أثر هذا الأمر على حياة الأقوام التركية وكانت السيطرة على كل هذه المناطق الشاسعة تتطلب التفوق في الفروسية. وبذلك فقد كانت الأقوام الساكنة في الجنوب والعاملة في الزراعة مثل الصينيين والإيرانيين أقل استعداداً لمواجهة الأتراك

والمغول والمانجو الفرسان والمعتادين على تربية الحيوان والتعدين. وقد اعتاد الأتراك الذين ضربوا مثلاً رائعاً في الإقدام والشجاعة وبما كانوا يملكون من معادن الصلب والذهب والنحاس والخيول القوية المدربة على بسط نفوذهم على أقوام آسيا الجنوبية وإخضاع سواهم من الأقوام لحكمهم، وقد انبثق التاريخ التركي متأثراً بهذه الأوضاع. ولعل هذه الظروف الطبيعية والجغرافية هي التي خلقت من الأتراك قوماً قويّاً استطاع أن يلعب دوراً هامّاً في تاريخ الأمم.

الجدول الأول

الأتراك والأقوام الطورانية الأخرى (١٩٦٣)

الأقوام الطورانية (أقوام أورال ـ الطاي)

١ ـ أقوام أورال (فين ـ أوغور)

أ ـ أقوام الفين

اللابون

الفين

الكاريل

الأستون

الموردفين

الجرمسين (الماريون)

الفوتياك (الأدمورتيون)

الزورين (الكوميون)

الساموِيد

ب ـ أقوام الأوغور

الفوكول

الأوستياك

المجر

٢ ـ أقوام الطاي

أ ـ الأتراك

ب ـ المغول

١ ـ مغول الوسط ٢ ـ مغول البوريات ـ الشماليون

٣ ـ المغول الجنوبيين ٤ ـ القالموق ـ مغول الآسترخان

٣ ـ تونكوز ـ مانجو

١ ـ التونكوز ٢ ـ المانجو

تصنيف الأقوام التركية

١ ـ الأتراك

أ ـ الأوغوز (التركمان أو أتراك الغرب)

١ ـ العثمانيون أتراك تركيا

٢ ـ الأذريون أتراك أذربيجان

٣ ـ التركمان أتراك تركمنستان

ب ـ أتراك الشرق

١ ـ أتراك تركستان

الأوزبك القاراقالباق

القرغيز القازاق

الأويغوز أتراك قان صو ـ كوك تورك

ب ـ أتراك فولجا ـ اورال (أيتيل ـ يايق)

التتار أتراك القازان والقرم

الباشقورد أتراك قفقاسيا الشمالية

ت ـ أتراك سيبريا

الألطاي التله أوتيون وغيرهم

٢ ـ الياقوتيون

٣ ـ الجواشيون

عدد سكان الأقوام ومناطقها وديانتها ومذهبها
حسب إحصائيات عام ١٩٦٣

١ ـ أقوام الأورال (فين ـ أوغور) ٢٤,٣٤٦,٠٠٠

أ ـ أقوام الفين ٩,٧١٥,٠٠٠

٤٠,٠٠٠ اللابون (بروتستانت) (النرويج ٢٤,٠٠٠ سويسرا ٩,٠٠٠ فنلندا ٤,٠٠٠ روسيا ٣,٠٠٠)

٥,٠٩٤,٠٠٠ الفين والكاريل (البروتستانت ٤,٨١٩,٠٠٠ الأرثوذكس ١٧٥,٠٠٠ الكاثوليك ١٠٠,٠٠٠

الكاريل وحدهم البروتستانت ٣٠٠,٠٠٠ الأرثوذكس ١٧٥,٠٠٠)

(فنلندا ٤,١٥٦,٠٠٠ الولايات المتحدة الأمريكية ٣١٨,٠٠٠ كندا ٦٤,٠٠٠ سويسرا ٥٤,٠٠٠ النرويج ١٣,٠٠٠البرازيل ١٢,٠٠٠ الأرجنتين ١,٠٠٠ شيلي ١,٠٠٠الكاريل : ٤٧٥,٠٠٠)

١,١١٦,٠٠٠ الأستون (البروتستانت ١,٠٢٦,٠٠٠ الأرثودكس ٦٠,٠٠٠ الكاثوليك ٣٠,٠٠٠) (أستونيا ١,١٠٠,٠٠٠ الولايات المتحدة ١١,٠٠٠ سويسرا ٤,٠٠٠ البرازيل ١,٠٠٠)

١,٦٤٠,٠٠٠ الموردفين (أرثوذكس) ٥٨٠,٠٠٠ الجرميس (الماريون) (الأرثوذكس ٤٣٠,٠٠٠ المسلمون ١٥٠,٠٠٠)

٧٣٠,٠٠٠ الفوتياك (الأدموريتون) (الأرثوذكس ٦٥٥,٠٠٠ المسلمون ٧٥,٠٠٠) ٤٩٠,٠٠٠ الزورين (الكوميون ـ أرثوذكس)

٢٥,٠٠٠ الساموبد (أرثوذكس)

ب ـ الأوغور = ١٤,٦٣١,٠٠٠

٨,٠٠٠ الفوكول (أرثوذكس) (توبولسك، الاتحاد السوفيتي)

٣٠,٠٠٠ الأوستياك (أرثوذكس) (أوبي - أيرتيش - الاتحاد السوفيتي)

١٤,٥٩٣,٠٠٠ المجريون (الكاثوليك ١٠,٣٩٣,٠٠٠ البروتستانت ٤,٢٠٠,٠٠٠)

(المجر ١٠,٦٥٠,٠٠٠ رومانيا ٢,١٤٠,٠٠٠ أردل وتمشوار) الولايات المتحدة ٧٢٥,٠٠٠ يوغسلافيا ٥٨٤,٠٠٠ (فويفودينا) جيكوسلوفاكيا ٣٥٠,٠٠٠ (شرق سلوفاكيا) كندا ٩٥,٠٠٠ النمسا ٣٠,٠٠٠ فرنسا ١٠,٠٠٠ البرازيل ٦,٠٠٠ تركيا ١,٠٠٠ الأرجنتين ١,٠٠٠ شيلي ١,٠٠٠)

٢ - أقوام الألطاي=١١١,١٧٢,٠٠٠

أ - الأتراك =٧٦,٢٩٢,٠٠٠

ب - المغول=١٠,٦٣٠,٠٠٠ (المسلمون ١,٧٨٠,٠٠٠ البوذيون ٦,٨٠٠,٠٠٠ الشامان ١,٩٥٠,٠٠٠)

(المغولستان الداخلية - الصين ٥,٥٠٠,٠٠٠ البوذيون ٤,٨٠٠,٠٠٠ المسلمون ٧٠٠,٠٠٠)

مغولستان ٢,٠٠٠,٠٠٠ البوذيون ١,٦٠٠,٠٠٠ المسلمون ٤٠٠,٠٠٠) حسب إحصائيات عام ١٩٦٣

(سيبريا - الاتحاد السوفيتي ٢,٠٠٠,٠٠٠ (شامان) (٥٠,٠٠٠ منهم المسلمون المغول في قالموقستان) مقاطعة جونغاريا في تركستان الشرقية في الصين ٦٥٠,٠٠٠ (بوذيون ٤٠٠,٠٠٠ مسلمون ٢٥٠,٠٠٠) أفغانستان ٤٨٠,٠٠٠ (مسلمون)

ج - التونكوز - مانجو =٢٤,٢٥٠,٠٠٠

١ - التونكوز ٢٥٠,٠٠٠ (أرثوذكس) (سيبريا الشرقية)

٢ - المانجو ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ (منشوريا الشمالية - الصين) (١,٠٠٠,٠٠٠ مسلمون والبقية بوذيون)

مجموع المغول والمانجو (٣٤,٨٨٠,٠٠٠)

مجموع الأقوام الطورانية عدا الأتراك (٥٦,٢٢٦,٠٠٠)

الأقوام التركية

٤٥٠,٠٠٠ الياقوتيون (الشامان ٤٠٠,٠٠٠ الأرثوذكس ٥٠,٠٠٠) (ياقوتستان)

١,٦٥٠,٠٠٠ الجواشيون (أرثودكس ١,٤٥٠,٠٠٠ مسلمون ٢٠٠,٠٠٠) (جواشستان ١,٠٥٠,٠٠٠)

تاتارستان ٢٤٠,٠٠٠ مقاطعة سمارا ٢٠٠,٠٠٠ باشقورد ستان ١٦٠,٠٠٠ كلها في الاتحاد السوفيتي.

أ ـ الأغوز ـ التركمان ـ أتراك الغرب ٤٣,٢٢٩,٠٠٠ مسلمون جميعاً

١ ـ العثمانيون (أتراك تركيا) ٣٠,٧٨٧,٠٠٠ مسلمون

تركيا	٢٨,٠٠٠,٠٠٠	سوريا	٦٠,٠٠٠
بلغاريا	٩٠٠,٠٠٠	الولايات المتحدة الأمريكية	٤٠,٠٠٠
العراق ـ شمال العراق	٥٤٠,٠٠٠	الأردن	٤٠,٠٠٠
يوغسلافيا ـ مقدونيا	٣٠٠,٠٠٠	ألبانيا	٣٠,٠٠٠
البرازيل	٢٥٠,٠٠٠	مصر	٢٥,٠٠٠
اليونان ـ تراقيا الغربية ـ الجزر الأسيوية	٢٤٠,٠٠٠	إنجلترا	١٥,٠٠٠
رومانيا ـ دوبروجه	٢٠٠,٠٠٠	ألمانيا	٧,٠٠٠
(كاكاوز)	١٠٠,٠٠٠	الأرجنتين	٦,٠٠٠
قبرص	١١٠,٠٠٠	ليبيا	٦,٠٠٠
لبنان	٦,٠٠٠	اليمن	٣,٠٠٠
فرنسا	٢,٠٠٠	النمسا	١,٠٠٠
سويسرا	١,٠٠٠	دول أخرى	٥,٠٠٠

٢ ـ الأذريون ـ أتراك أذربيجان ٨,٩٠٧,٠٠٠

٤,٧٥٠,٠٠٠ إيـران (أذربيـجـان ٢,٩٠٠,٠٠٠ ـ فـارس ٤٠٠,٠٠٠ ـ حمسه ١,٤٥٠,٠٠٠) وهمدان على شكل أقليات صغيرة (قزوين ـ طهران ـ خوزستان ـ أصفهان ـ كرمنشاه)

أذربيجان	٢,٩٤٥,٠٠٠	جورجيا	٧٠٠,٠٠٠
داغستان ـ قفقاسيا الشمالية	٣٠٠,٠٠٠	أرمينيا	٢٠٠,٠٠٠
البرازيل	١٢,٠٠٠		

٣ ـ التركمان (أتراك تركمنستان) ٣,٥٣٥,٠٠٠

تركمنستان	١,٤٨٥,٠٠٠	أوزبكستان	٣٠٠,٠٠٠
أفغانستان ـ خراسان الشرقية	٩٦٠,٠٠٠	قاراقالباقستان (أوزبكستان	٤٠,٠٠٠
إيران ـ خراسان الغربية	٧٥٠,٠٠٠		

ب ـ الأتراك الشرقيون

٣٠,٣١٣,٠٠٠ (بـوذيـون ١٥٠,٠٠٠ ـ كـاثـولـيـك ١٦,٠٠٠ ـ يـهـود ٤,٠٠٠ ـ شـامـان ١٠٠,٠٠٠ ـ مسلمون ٣٠,٠٤٣,٠٠٠)

١ ـ أتراك تركستان ٢٤,٠٣٤,٠٠٠ (بوذيون ١٥٠,٠٠٠ والبقية مسلمون)

(جـمـهـوريـات الاتـحـاد الـسـوفـيـتي ١٧,٩٦٨,٠٠٠ الـصـين ٤,٦٤٦,٠٠٠ أفـغـانـسـتـان ١,٤٢٠,٠٠٠)

أ ـ الأوزبك ١٠,٧٩٤,٠٠٠ مسلمون جميعاً

أوزبكستان	٨,١٠٠,٠٠٠	تركمنستان	٥٠,٠٠٠
أفغانستان ـ أتراك أفغانستان	١,٢٨٠,٠٠٠	تركستان الشرقية ـ الصين	٢٦,٠٠٠
قازاخستان	٥٠٥,٠٠٠	البرازيل	١٢,٠٠٠
قرغزستان	٤٥٠,٠٠٠	اليابان	٤,٠٠٠
تاجيكستان	٢١٥,٠٠٠	ألمانيا	٢,٠٠٠
قاراقالباقستان ـ أوزبكستان	١٥٠,٠٠٠		

ب ـ القاراقالباق ٤١٠,٠٠٠ (مسلمون جميعاً)

قاراقالباقستان ـ أوزبكستان	٣٦٠,٠٠٠	تركمنستان	٥٠,٠٠٠

ج ـ القرغيز ٢,٠٩٠,٠٠٠ (مسلمون جميعاً)

قرغيزستان	١,٥٠٠,٠٠٠	تاجيكيستان	٣٠٠,٠٠٠
أفغانستان ـ أتراك أفغانستان	١٦٠,٠٠٠	تركستان الشرقية ـ الصين	١٣٠,٠٠٠

د ـ القازاق ٦,٩٦٥,٠٠٠ (مسلمون جميعاً)

قازاخستان	٦,٠٦٠,٠٠٠	تركستان الشرقية ـ الصين	٧١٥,٠٠٠
مقاطعة تومسيك ـ سيبريا	١٣٠,٠٠٠	مقاطعة توبولسك ـ سيبريا	٦٠,٠٠٠

مجموع القرغيز والقازاق ٩,٠٥٥,٠٠٠

هـ ـ الأويغور ٣,٥٧٥,٠٠٠ (مسلمون جميعاً) (تركستان الشرقية ـ الصين)

و ـ أتراك قان صو (كوك تورك) ٢٠٠,٠٠٠ (بوذيون ١٥٠,٠٠٠ مسلمون ٥٠,٠٠٠) (مقاطعة قان صو في الصين)

٢ ـ أتراك فولجا ـ أورال (أيتيل ـ يايق) ٦,١٢٩,٠٠٠ (الكاثوليك ١٦,٠٠٠ اليهود ٤,٠٠٠ والبقية مسلمون)

(خارج الاتحاد السوفيتي ١٣٩,٠٠٠)

أ ـ التتار (أتراك قازان ـ القرم) ٣,٩٧٩,٠٠٠

(الكاثوليك ١٦,٠٠٠ اليهود ٤٠٠٠ والبقية مسلمون) (منهم خارج الاتحاد السوفيتي ١٣٩,٠٠٠ فقط)

جمهورية تترستان المستقلة	١,٦٠٠,٠٠٠	مقاطعة جليا بينسك ـ روسيا	١٤٥,٠٠٠
مقاطعة ساراتوف ـ روسيا	٢٨٠,٠٠٠	مقاطعة غوركي ـ روسيا	١١٠,٠٠٠
مقاطعة سامارا ـ روسيا	٢٤٠,٠٠٠	رومانيا ـ دوبروجه	١٠٠,٠٠٠
مقاطعات جمهورية روسيا الأخرى	٢٢٠,٠٠٠	مقاطعة أوليانوف ـ روسيا	٨٥,٠٠٠
مقاطعة أورينبورغ ـ روسيا	٢٠٠,٠٠٠	مقاطعة سارتسن ـ ستالينجراد ـ روسيا	٨٠,٠٠٠

جمهورية باشقوردستان المستقلة	٢٠٠,٠٠٠	جمهورية أودمورتستان المستقلة	٤٠,٠٠٠
مقاطعة بنزا ـ روسيا	١٦٠,٠٠٠	مقاطعة تامبوف ـ روسيا	٤٠,٠٠٠
مقاطعة أستراخان ـ روسيا	١٥٠,٠٠٠	جمهورية ماريستان المستقلة	٣٥,٠٠٠
مقاطعة برم ـ روسيا	٣٥,٠٠٠	مقاطعة بودوليا ـ أوكرانيا ـ كاثوليك	١٠,٠٠٠
جمهورية جواشستان المستقلة	٣٠,٠٠٠	القرم ـ أوكرانيا منهم ٤٠٠٠ قارايم وهم يدينون باليهودية	١,٠٠٠
مقاطعة شفيردلوفسك ـ روسيا	٣٠,٠٠٠	فنلندا	٥,٠٠٠
البرازيل	٢٤,٠٠٠	اليابان	٤,٠٠٠
مقاطعة ريازان ـ روسيا	٢٠,٠٠٠	جمهورية روسيا البيضاء	٣,٠٠٠
مقاطعة لينينجراد ـ روسيا	١٠,٠٠٠	جمهورية ليتوانيا ـ كاثوليك	٣,٠٠٠
بولونيا ـ كاثوليك	٣,٠٠٠	جمهورية مولدافيا	٢,٠٠٠
جمهورية أوكرانيا	٢,٠٠٠		

ب ـ الباشقورد ١,٥٠٠,٠٠٠ (مسلمون) (جمهورية باشقوردستان المستقلة ـ روسيا)

ج ـ أتراك قفقاسيا الشمالية ٦٥٠,٠٠٠ (مسلمون) (مقاطعة ستافروبول ـ جمهورية داغستان ومقاطعات قفقاسيا الشمالية في جمهورية روسيا)

٣ ـ أتراك سيبريا ١٥٠,٠٠٠ (شامان ١٠٠,٠٠٠ مسلمون ٥٠,٠٠٠)

(مقاطعات توبولسك، ينيساي، أبا كان، تومسك، ايركوتسك، بارناول، بيسك، أويردت، تورا، المقاطعات الأخرى في جمهورية روسيا) (الأكثرية منهم الطائيون وتله اوت)

تصنيف الأتراك من حيث الدين والمذهب

سنيون + حنفيون	٦٨,١٠٤,٠٠٠	مسيحيون	١,٥١٦,٠٠٠
شيعيون + جعفريون «١»	٥,٣٩٨,٠٠٠	يهود	«٤» ٤,٠٠٠
مسلمون	٧٤,١٢٢,٠٠٠	بوذيون	«٥» ١٥٠,٠٠٠
أرثوذكس «٢»	١,٥٠٠,٠٠٠	شامان	«٦» ٥٠٠,٠٠٠
كاثوليك «٣»	١٦,٠٠٠		

١ ـ أذريون ٥,٢٩٨,٠٠٠ تركمان ١٠٠,٠٠٠

٢ ـ جواش ١,٥٤٠,٠٠٠ ياقوت ٥٠,٠٠٠

٣ ـ بودوليا ـ ليتوانيا ـ تتار ـ بولونيا

٤ ـ قارا يم

٥ ـ أتراك قان صو

٦ ـ ياقوت ٤٠,٠٠٠ أتراك سيبريا ١٠٠,٠٠٠

مجموع الأقوام التي تتكلم التركية : ـ ٧٥,٦٧٢,٠٠٠

مجموع أقوام أورال ـ ألطاي (الأقوام الطورانية) ١٣٤,٨٩٨,٠٠٠

المدن التي تعيش فيها أغلبية من الأتراك والأقوام الطورانية

أباكان	ت	٥٣,٠٠٠	جهنفغ	×	٨١٣,٠٠٠
أدنه	ت	٢٧٩,٠٠٠	جيم كنت	ت	١٦٨,٠٠٠
أدابازاري	ت	١٠٣,٠٠٠	جيتا	×	١٨٨,٠٠٠
آق صو	ت	٢٨٣,٠٠٠	دبرجان	×	١٣٢,٠٠٠
آق تبه	ت	١٠٧,٠٠٠	دميرهان ـ شورا	ت	٥٠,٠٠٠
آلماتي	ت	٥٠٢,٠٠٠	دنيزلي	ت	٦٤,٠٠٠
آنديجان	ت	١٤٢,٠٠٠	دربند	ت	٨٠,٠٠٠
أنقرا	ت	٧٤٠,٠٠٠	ديار بكر	ت	٧٢,٠٠٠
أنطاكية	ت	٥٧,٠٠٠	الأزغ	ت	٧٤,٠٠٠
أنطاليا	ت	٦٥,٠٠٠	أردبيل	ت	١٠٠,٠٠٠
آراد	×	١٢١,٠٠٠	أرضروم	ت	١٠٧,٠٠٠
عشق آباد (ايشق آباد)	ت	١٨٨,٠٠٠	آسكي شهر	ت	١٧٥,٠٠٠
باكو	ت	١,٠٧٠,٠٠٠	آسكي زاغرا	ت	٦٧,٠٠٠
بالي كسير	ت	٧٢,٠٠٠	أوليا آتا	ت	٧٤,٠٠٠
بيكسكيمبا	×	٥٣,٠٠٠	فرغانة	ت	٨٨,٠٠٠
بودا بست	×	٢,٠٤٥,٠٠٠	غازي عنتاب	ت	١٤٦,٠٠٠
بخارى	ت	٧٦,٠٠٠	كنجة	ت	١٢٨,٠٠٠
بورصه	ت	١٧٦,٠٠٠	هامي	ت	٥٠,٠٠٠
جلال آباد	ت	٥٠,٠٠٠	هاربين	×	١,٣٩٨,٠٠٠
جار جوى	ت	٧٣,٠٠٠	هلسنكي	×	٢٥٤,٠٠٠
جبوكساري	ت	٩١,٠٠٠	همدان	ت	١٢٠,٠٠٠
هو جند	ت	٥٠,٠٠٠	مارا ش	ت	٦٣,٠٠٠
هودرزوفاسارهلي	×	٥٦,٠٠٠	مراغه	ت	٦٠,٠٠٠
هوكانت	ت	١١٦,٠٠٠	مرسين	ت	٨٧,٠٠٠
هوي	ت	٥٥,٠٠٠	مرو	ت	٥٣,٠٠٠
هوهاهوت		٢٢٠,٠٠٠	ميمنه	ت	٥٠,٠٠٠
هوتن	ت	٢٨١,٠٠٠	مزاري شريف	ت	١٠٠,٠٠٠

أيجفسك	×	٣١١,٠٠٠	ميسكولك	×	١٨٢,٠٠٠
أسكندرون	ت	٨١,٠٠٠	موصل	×	٤٠٠,٠٠٠
أستا نبول	ت	١,٦٠٠,٠٠٠	موتانكيانك	×	٢٥٨,٠٠٠
أستولني ـ بلغراد	×	٥٥,٠٠٠	نمنكان	ت	١٣٤,٠٠٠
أزمير	ت	٤٨٦,٠٠٠	نوفي ساد	×	١٠٨,٠٠٠
أزميت	ت	٩٢,٠٠٠	نوها	ت	٥٢,٠٠٠
قاراغاندا	ت	٤٢٨,٠٠٠	نيريكيهازا	×	٥٨,٠٠٠
قاراقول	ت	٥٠,٠٠٠	أوراديه ماري	×	١٠٩,٠٠٠
كاشغر	ت	٤٠٦,٠٠٠	أوش	ت	٧٢,٠٠٠
قيصري	ت	١٢٠,٠٠٠	أواولو	×	٥٩,٠٠٠
قازان	ت	٧٠٧,٠٠٠	باولودار	ت	١٠٠,٠٠٠
كشكميت	×	٧٠,٠٠٠	بج	×	١٢١,٠٠٠
كركوك	ت	١٥٠,٠٠٠	بتروزاوادسك	×	١٤٩,٠٠٠
قريق قلعة	ت	٥٤,٠٠٠	بيشيك	ت	٢٤٠,٠٠٠
قزل أوردا	ت	٧٣,٠٠٠	بلونه	ت	٧٠,٠٠٠
كولوزفار	×	١٧١,٠٠٠	بوري	×	٥٤,٠٠٠
قونيه	ت	١٤٥,٠٠٠	ريفال (تاللين)	×	٣٠٨,٠٠٠
كوسيكه	×	٩٠,٠٠٠	روسجوك	ت	١٠٠,٠٠٠
كوستنجه	ت	١٣٦,٠٠٠	سامون	ت	١٠٦,٠٠٠
كراسناود	ت	٥٠,٠٠٠	سارانسك	×	١٠٠,٠٠٠
كولجا	ت	٣٠٠,٠٠٠	ساتو ماري	×	٦٠,٠٠٠
لاهني	×	٧٨,٠٠٠	سيكيدين	×	١١١,٠٠٠
ماهاج قلعة	ت	١٣١,٠٠٠	سمرقند	ت	٢١٥,٠٠٠
مالا طيه	ت	١٠٠,٠٠٠	سمي بالات	ت	٢٧١,٠٠٠
مانيسا	ت	٦٩,٠٠٠	سيواس	ت	١٠٥,٠٠٠
ستيرليتاماك	ت	١٢٢,٠٠٠	ياركنت	ت	٣٠١,٠٠٠
سوبوتيكا	×	٩٣,٠٠٠	يوشكار ـ أولا	×	٩٧,٠٠٠
سلطان آباد	ت	٩٦,٠٠٠	زنجان	ت	٥٧,٠٠٠
سيكتيفكار	×	٧٠,٠٠٠	زونكولداغ	ت	٥٩,٠٠٠

سومباثيلي	×	٥٦,٠٠٠	شومنو	ت	٥٠,٠٠٠
شوشه	ت	٥٠,٠٠٠	تامبيري	×	١٢١,٠٠٠
طاروس	ت	٦٣,٠٠٠	طارتو	×	٨١,٠٠٠
طاش كنت	ت	١,٠١٠,٠٠٠	طاش كوركان	ت	٩٦,٠٠٠
تاتابانيا	×	٥٢,٠٠٠	تبريز	ت	٣٤٨,٠٠٠
مشوار	×	١٥٦,٠٠٠	تيركو موريش	×	٧٢,٠٠٠
طرابزون	ت	٦١,٠٠٠	تسيتسيهار	×	٢٥٠,٠٠٠
توركو	×	١١٩,٠٠٠	أوفا	ت	٦٠٢,٠٠٠
أولان ـ اوده	×	١٩١,٠٠٠	أورفه	ت	٦٩,٠٠٠
أوركا	×	١٧٦,٠٠٠	أورميه	ت	٨٢,٠٠٠
أورومجي	ت	٢٠٠,٠٠٠	أوركنج	ت	٥٠,٠٠٠
أوسكوب	ت	١٨٠,٠٠٠	أوست ـ كامينوكور	ت	١٢٩,٠٠٠
ياقوت	ت	٨١,٠٠٠	يان بولو	ت	٥١,٠٠٠
يانق قلعه (كيور)	×	٧٣,٠٠٠	ياركنت	ت	٣٠١,٠٠٠
يوشكار ـ أولا	×	٩٧,٠٠٠	زنجان	ت	٥٧,٠٠٠
زونكولداغ	ت	٥٩,٠٠٠		×	

وقد أدرجنا المدن التي يتجاوز عدد سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمه في أواخر عام ١٩٦٣. وقد أشير إلى المدن التركية بحرف(ت) ولم ندرج المدن التي يتراوح عدد نفوسها بين ٥٠,٠٠٠ ـ ١٠٠,٠٠٠ نسمه في منشوريا لعدم وجود معلومات إحصائية بشأنها. ولمعرفة نفوس المدن الموجودة على الخارطة يكفي البحث عن المدينة ضمن المدن المسجلة بترتيب الحروف.

المدن التي يتجاوز نفوسها ٥٠,٠٠٠ نسمه وتتكلم الأكثرية فيها باللغة التركية

أدنه (تركيا)
٢٧٩,٠٠٠

الأزغ (تركيا)
٧٤,٠٠٠

أزمير (تركيا)
٤٨٦,٠٠٠

أستانبول (تركيا)
١,٦٠٠,٠٠٠

أسكوبيا (مقدونيا ـ يوغسلافيا)
١٨٠,٠٠٠

أسكي شهر (تركيا)
١٧٥,٠٠٠

آق صو (تركستان الشرقية ـ الصين)
٢٨٣,٠٠٠

أنطاليا (تركيا)
٦٥,٠٠٠

أنقرة (تركيا)
٧٤٠,٠٠٠

أورفه (تركيا)
٦٩,٠٠٠

أورومجي (تركستان الشرقية ـ الصين)
٢٠٠,٠٠٠

أوفا (روسيا)
٦٠٢,٠٠٠

مالا طيه (تركيا)
١٠٠,٠٠٠

كراسنوفود (تركمنستان)
٥٠,٠٠٠

همدان (ايران)
١٢٠,٠٠٠

أنديجان (اوزبكستان)
١٤٢,٠٠٠

طاش كوركان (افغانستان)
٩٦,٠٠٠

جبوكسارى (روسيا)
٩١,٠٠٠

أدابازاري (تركيا)
١٠٣,٠٠٠

دنيزلي (تركيا)
٦٤,٠٠٠

ماهاج قلعه (روسيا)
١٣١,٠٠٠

أسكيزاغرا (بلغاريا)
٦٧,٠٠٠

روسجوك (بلغاريا)
١٠٠,٠٠٠

كنجة (أذربيجان)
١٢٨,٠٠٠

أوليا آتا (قازاخستان)	ميمنه (أفغانستان)
٧٤,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
باكو (أذربيجان)	كوستنجه (دوبروجه ـ رومانيا)
١,٠٧٠,٠٠٠	١٣٦,٠٠٠
بالي كسير (تركيا)	أوركنج (اوزبكستان)
٧٢,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
بخارى (اوزبكستان)	قارا قول (قرغيزستان)
٧٦,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
بلونه (بلغاريا)	مانيسا (تركيا)
٧٠,٠٠٠	٦٩,٠٠٠
بورصه (تركيا)	أزميت (تركيا)
١٧٦,٠٠٠	٩٢,٠٠٠
بيشبك (قرغيزستان)	مزاري شريف (أفغانستان)
٢٤٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠
تبريز (أذربيجان ـ إيران)	أرضروم (تركيا)
٣٤٨,٠٠٠	١٠٧,٠٠٠
جارجوي (تركمنستان)	شومنو (بلغاريا)
٧٣,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
جيم كنت (قازاخستان)	مرسين (تركيا)
١٦٨,٠٠٠	٨٧,٠٠٠
دربند (روسيا)	هوجذ (تاجيكستان)
٨٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
دميرهان ـ شورا (روسيا)	هامي (تركستان الشرقية ـ الصين)
٥٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
ديار بكر (تركيا)	أوش (قرغيزستان)
٧٢,٠٠٠	٧٢,٠٠٠

زنجان (حمسه ـ إيران)
٥٧,٠٠٠
زونكولداغ (تركيا)
٥٩,٠٠٠
سمرقند (أوزبكستان)
٢١٥,٠٠٠
سمي بالات (قازاخستان)
١٧١,٠٠٠
طاش كنت (أوزبكستان)
١,٠١٠,٠٠٠
طرابزون (تركيا)
٦١,٠٠٠
عشق آباد (تركمنستان)
١٨٨,٠٠٠
غازي عنتاب (تركيا)
١٤٦,٠٠٠
قارا كاندا (قازاخستان)
٤٢٨,٠٠٠
قازان (روسيا)
٧٠٧,٠٠٠
قريق قلعه (تركيا)
٥٤,٠٠٠
قزل أوردو (قازاخستان)
٧٣,٠٠٠
قونيا (تركيا)
١٤٥,٠٠٠

هري (أذربيجان ـ إيران)
٥٥,٠٠٠
أنطاكيه (تركيا)
٥٧,٠٠٠
باولودار (قازاخستان)
١٠٠,٠٠٠
فرغانه (أوزبكستان)
٨٨,٠٠٠
نمنكان (أوزبكستان)
١٣٤,٠٠٠
مراغه (أذربيجان ـ إيران)
٦٠,٠٠٠
سلطانآباد (همدان ـ إيران)
٩٦,٠٠٠
أسكندرون (تركيا)
٨١,٠٠٠
قيصرى (تركيا)
١٢٠,٠٠٠
أوست ـ كامينوكور (قازاخستان)
١٢٩,٠٠٠
أباكان (روسيا)
٥٣,٠٠٠
شوشه (أذربيجان)
٥٠,٠٠٠
ياقوت (روسيا)
٨١,٠٠٠

كاشغر (تركستان الشرقية ـ الصين)
٤٠٦,٠٠٠
كركوك (العراق)
١٥٠,٠٠٠
كولجا (تركستان الشرقية ـ الصين)
٣٠٠,٠٠٠
ماراش (تركيا)
٦٣,٠٠٠
الماته (قازاخستان)
٥٠٢,٠٠٠
مرو (تركمنستان)
٥٣,٠٠٠
موصل (العراق)
٤٠٠,٠٠٠
هوتن (تركستان الشرقية ـ الصين)
٢٨١,٠٠٠
يا ركنت (تركستان الشرقية ـ الصين)
٣٠١,٠٠٠
يان بولو (بلغاريا)
٥١,٠٠٠

هوكنت (أوزبكستان)
١١٦,٠٠٠
أورميه (أذربيجان ـ إيران)
٨٢,٠٠٠
سيواس (تركيا)
١٠٥,٠٠٠
طرسوس (تركيا)
٦٣,٠٠٠
ستيرليتاماك (روسيا)
١٢٢,٠٠٠
موها (أذربيجان)
٥٢,٠٠٠
آق تبه (قازاخستان)
١٠٧,٠٠٠
أردبيل (أذربيجان ـ إيران)
١٠٠,٠٠٠
سامسون (تركيا)
١٠٦,٠٠٠
جلال آباد (قرغيزستان)
٥٠,٠٠٠

المبحث الثاني

الدولة التركية الكبرى قبل اعتناق الإسلام
٢٢٠ ق. م ـ ٩٤٠ ب. م

١ ـ الكون ـ الهون ٢٢٠ ق.م ـ ٢١٦ ب. م

سلالة الهون

لا تتوفر لدينا معلومات كافية عن الدولة التركية والحكام الأتراك قبل تيومان يابكو الذي حكم في سنة ٢٢٠ ق.م كما أسلفنا سابقاً أو ليس من الممكن أن نتناول بالبحث تاريخ الدولة التركية في تلك الحقبة مستندين على تلك النتف المستخرجة من المصادر الصينية ليس إلا. وقد يتحقق هذا الأمر بتمحيص المصادر الصينية المتوفرة جميعاً وبظهور وثائق لم تكتشف لحد الآن. ويجب أن لا يغرب عن البال أن ركنين أساسيين للتاريخ والأدب التركي وهما كتابات كوك تورك وديوان لغات الترك لم يكونا معروفين قبل مائة عام من يومنا هذا وقد أسديا للتاريخ التركي خدمات جلّى بعد اكتشافهما.

وقد بات في حكم المؤكد أن تيومان يابكو لم يكن أول من حكم في السلالة الهونية. إذ إن التقاليد التركية كانت تقضي بتولي الأبناء الحكم بعد آبائهم. إلا أنه من العسير في يومنا هذا أن نتحدث عن آباء تيومان الذين

حكموا الدولة قبله. والتسمية التركية للقوم التركي الذي يسميه الغربيون (الهون)هو الكون. وقد حرفت التسمية في المصادر الصينية إلى هيونغ نو. ويعتقد أن الاسم التركي لتيومان هو تومان. إذ إن الأسماء قد أصابها الكثير من التحريف عند كتابتها باللغة الصينية كما بينا في المبحث السابق. ولا يسعنا معرفة الأسماء الأصلية على وجه التحقيق إلا منذ عهد كوك تورك الذين أدرجوا هذه الأسماء في كتاباتهم. ولا يقتصر دور تيومان (تومان) يابكو على كونه فاتحة للتاريخ التركي بل إن عام ٢٢٠ ق.م هو المنطلق الأول للدولة التركية الخالدة. وإذا كان الأتراك قد أسسوا إمبراطوريات متعددة في آن واحد فإن الدولة التركية التي كانت متميزة عن هذه الدول التي أسست في الأراضي الأجنبية قد استمرت في سيرها التاريخي ناقلة مركز ثقلها على مر السنين إلى الجنوب الغربي حتى عصرنا الحاضر. وسلالة الهون تتميز بكونها السلالة التي حكمت الدولة لأطول مدة بعد العثمانيين. إذ حكمت ٤٣٦ عاماً ابتداء من تيومان حتى فقدها للسلطة عام ٢١٦ ب.م. كما أن الهون هم المؤسسون للدولة التركية الكبرى. فقد ضموا القبائل التركية كلها تحت لواء واحد. وقد سمي أول الحكام الذين حكموا هذه الدولة باسم **قبيلتهم.** وكذلك الأمر بالنسبة للآبار والكوك تورك فهذه الأسماء تطلق **على القبائل** المسماة بها كما تطلق على الحكام أو السلالة الحاكمة نفسها. **فإذا ما سقطت** السلالة الحاكمة عن الحكم تخلت القبيلة بدورها عن إدارة مقاليد الأمور مخلفة مكانها لقبيلة أخرى تسلم زمام الحكم إلى سلالتها الحاكمة. وقد تطور التاريخ التركي قبل الإسلام على هذه الصورة. وقد سمي الأباطرة الأتراك بلقب يابكو أولاً ثم أطلق عليهم لقب القاغان أو الخاقان إلا أن جميع أباطرة الهون عرفوا بلقب يابكو.

تيومان (تومان) يابكو ٢٢٠ ـ ٢٠٩ ق.م

دام حكم تيومان (تومان) يابكو أحد عشر عاماً بين سنتي ٢٢٠ ق.م و ٢٠٩ ق.م. وقد هيئ للدولة التركية طريق عظمتها على عهد ابنه مته. ومن

المعتقد أن تيومان قد وحد الإمارات والدويلات التركية التي كانت تعيش حتى تلك العهود مستقلة عن بعضها البعض. وساعدت الاضطرابات الحاصلة في الصين على أن يلم الأتراك شعثهم ويستولوا على مناطق هامة من الأراضي الصينية. وقد تبعثرت آمال الصينيين الذين كانوا ينظرون إلى النزاع الذي دب بين الخاقان الكبير وبين ابنه الأكبر مته بعين الأمل بسيطرة الأخير على الحكم وبسط نفوذه على الدولة. أراد تيومان بتحريض من إحدى زوجاته أن يبعد مته عن ولاية العهد ويسند هذا المنصب إلى ابنه من زوجته هذه. إلا أن مته الذي لم يقبل بهذا الأمر جمع جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل ودرب هذا الجيش تدريباً لم يسبق له مثيل وثار بهذا الجيش على أبيه. وقد قتل في هذا الصدام تيومان وزوجته المحبة وابنه من هذه الزوجة وتشبه هذه الحادثة إلى حد كبير حادثة أخرى جرت قبل ثلاثة وثلاثين ومائة عام من هذا التاريخ بين الإسكندر الكبير وأبيه فيليب الثاني.

مته (اوغوز خان) ٢٠٩ - ١٧٤ ق. م

يطلق الصينيون على مته اسم (ماو - تون) ويعتقد أن هذا الاسم محرف عن موتون التركية. وقد سماه الأتراك فيما بعد مته (إذ نصادف في بعض المصادر الصينية الإشارة إليه باسم مي - تي) وقد خلد الأتراك مته باسم اوغوز خان.

ويدل إكمال سور الصين في عام ٢١٠ ق.م على مدى تخوف الإمبراطورية السماوية (أي الصين) من الأتراك في هذه الفترة إلا أن هذا السور العظيم لم يمنع مته من دخول الصين. وقد عمل مته طوال خمسة وثلاثين عاماً من حكمه على جعل الدولة التركية أعظم إمبراطورية في العالم من حيث المساحة والقوة. وكان عهده فاتحة عهد جديد للأتراك في تاريخ العالم حيث ظهرت أهميتهم بشكل واضح وصريح كعنصر قوي في ميزان القوى في العالم القديم. وكان الهون يعيشون بالقرب من بحيرة بايقال. وقد استطاع مته أن يجمع جميع من تعارفنا على تسميتهم اليوم

بأقوام ألطاي أي الأتراك والمغول والتونكوز في دولة واحدة. ثم قام بفتح مناطق عديدة من قارة آسيا حتى الهند وبحر الخزر. ولم يكن ينافس الأتراك كقوة عظمى في هذه الآونة غير الصينيين. وقد تصادم القومان الكبيران لتناقض أسلوب معيشتهم وتنظيمهم وثقافتهم وحضارتهم ودينهم.

كان الأتراك يغيرون على الأراضي الصينية من اضعف مناطق سور الصين وبصورة خاصة من سهل أوردوس. وقد حدث أن حاصروا الجيش الصيني الذي كان يبلغ ٣٢٠،٠٠٠ رجلاً وعلى رأسه الإمبراطور كاو ـ تي في قلعة بتنغ. وقد طلب الإمبراطور الصيني إزاء شدة الخطر عقد الصلح مع مته على أساس دفع الصينيين لضريبة معينة وتسليم المقاطعات الشمالية في الصين إلى الأتراك ولم ينس الصينيون هذه الأيام العصيبة وقد ظلوا يترنمون بأغنية شعبية مطلعها (شح الخبز في قلعة بتنغ سبعة أيام لم يستطيع الجنود أن يرموا سهامهم) طوال قرون عديدة، وقد رحل مته عن إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من المحيط الكبير إلى بحر الخزر ومن التبت وكشمير إلى شمال سيبريا وتحوي على مناطق لا تقل مساحتها عن ١٨ مليون كم مربع. وبذلك فقد سيطر الأتراك على قارة آسيا برمتها باستثناء مناطق الصين والهند وإيران.

الطابع العام للدولة التركية الكبرى

كان اليابكو أي الإمبراطور التركي والذي كان الصينيون يسمونه (شن يو) مقدساً يبجل بعنوان تانري قوت (تانزو بالصينية) إذ كان مطلق الصلاحيات لا تحد سلطاته أية قيود. وكان الابن الأكبر له أو شقيقه الأكبر في حالة عدم وجود الابن يسمى بوليّ العهد. ويكلف بحكم المناطق الشرقية عامة. أما حكم المناطق الغربية فكان يودع إلى أحد أمراء السلالة الحاكمة. أما التوجيه والإشراف والأوامر فكانت تصدر مباشرة من اليابكو. ولم تكن الإمبراطورية التركية تحوي على كثافة من السكان مثل الصين وآسيا القريبة إذ كان عدد السكان وهم من الرحل قليلاً. وكانت المدن

تؤسس على شكل خيام يمكن نقلها بسهولة. وكان السكان يعملون في تربية الحيوانات والاستفادة من مواردها. أما من الناحية الصناعية فكانت صناعة الأسلحة والجلود تحتل المكان البارز لكونها تتعلق بالأمن القومي. أما الكماليات فكانت تستورد من الصين ومن الأقاليم الأخرى. كما كانت تدخل إلى البلاد في أغلب الأحوال على شكل غنائم حربية أو بالمقايضة في زمن السلم. وكانت ظروف المعيشة قاسية لا ترحم. كما كانت النساء يعملن جنباً إلى جنب مع الرجال. وكان المجتمع التركي مجتمعاً أرستقراطيّاً تحتفظ العوائل العريقة فيه بالمراكز العسكرية الحساسة كما كانت هذه المناصب تتوارث في كثير من الأحوال من الأب إلى الابن. وكانت هذه العوائل معفاة من دفع الضرائب. وكانت الرتب العسكرية موزعة بين أمير يرأس الفرقة ورئيس مسؤول عن ألف جندي فرئيس لمئة جندي ثم رئيس لخمسين جنديّاً وأخيراً رئيس لعشرة جنود وكان هؤلاء الضباط يقودون فرساناً بالعدد المبين في رتبهم العسكرية. أما الجيش فكان مكوناً من الفرسان وكثيراً ما كان الفارس يستصحب معه فرساً احتياطيّاً آخر. وكانت الفرق مؤلفة من عشرة آلاف شخص. والجيش مؤلفاً من أربعة وعشرين فرقة. وكانت رئاسة الفرق تنتقل بالوراثة بين أفراد العوائل النبيلة. ويجدر بالإشارة أن مقدرة المناورة للجيش التركي كانت متفوقة جدّاً. كما كان الجيش التركي أكبر جيش محارب إذ لم يكن يحوي صفوفاً غير محاربة. فقد كان كل رجل تركي يعد جنديّاً. كما كان كل من يستطيع حمل السلاح خاضعاً للتدريب. أما التسليح فكان بالنبال والسيوف والمدى. وكانت الأسلحة التي يصنعونها من الحديد مشهورة ومتفوقة على أسلحة من جاورهم من الأمم. كما كان رمي السهام لدى الأتراك شيئاً لا يستطيع الآخرون منافسته. وكان الأتراك طبيعيين يعبدون قوى الطبيعة. وكانت أكبر الآلهة عندهم آلهة السماء. وقد عرفوا بكونهم قانعين متشبعين بالشعور القومي، كما كانوا مؤمنين بأحقيتهم في التحكم بالعالم والسيطرة عليه. كان الأتراك يطيعون زعماءهم الذين يتوسمون فيهم المقدرة طاعة عمياء. ولئن

كان هناك مجلس استشاري مكون من النبلاء فإن الكلمة الأخيرة في المجلس كانت لليابكو وإرادته لا تقبل المناقشة. وقد كان لهذا النظام في الإدارة مساوئ عدة إلى جانب محاسنها وذلك أن الزعماء كانوا يتسببون في تفرق الأمة وتشتتها إذا كانوا ضعيفي الشخصية والقدرة لحين ظهور زعيم قوي يلم شعثهم مرة أخرى. ولعل من المفيد أن نذكر بأن الدهاء القومي لديهم كان يتمثل في قدرتهم الخارقة على تنظيم صفوفهم والعمل بشكل منظم. وتظهر آثار هذا التنظيم مراراً في استطاعة نفر من الأتراك اختراق الصين وتأسيس دولة كبرى في أراضيها. لم يكن الأتراك يتوجسون من المسافات الجغرافية. إذ كانوا يتكيفون حسب الإقليم الذي تطأه أقدامهم وكأنهم عاشوا فيها مئات السنين فيثبتون دعائم دولتهم على أسس قوية وبسرعة فائقة. أما التسامح الديني لديهم فكان مشهوداً ومعروفاً في آسيا. إذ كانوا يحترمون ديانة الأقوام الخاضعة لحكمهم ولا يتدخلون في عاداتهم وطريقة معيشتهم ويمنحونهم حقوقاً واسعةً لإدارة شؤونهم الداخلية. إلا أنهم كانوا إلى جانب هذا يعمدون إلى فرض الضرائب وجبايتها بانتظام ويقمعون أي تمرد دون هوادة. ولم يكن الأتراك يجندون في جيشهم أبناء الشعوب الأخرى كما كانوا خلافاً لما اعتادت عليه الأقوام الأخرى جميعاً آنذاك لا يستخدمون مرتزقة. وبذلك فقد كان الجيش التركي جيشاً قومياً خالصاً وقد استمد هذا الجيش عظمته وقوته من هذا الأساس.

ملحمة أوغوز قاغان ـ خان

خلد الأتراك ذكر مته الذي جعل من الدولة التركية إمبراطورية عظمى فظهرت إلى الوجود ملحمة أوغوز قاغان (خان) والتي شارك في ترديدها الشعب التركي بأجمعه. وتتحدث هذه الملحمة عن فتوحات مته في الصين والهند وفي مسالك أوربا والأقاليم المتجمدة في آسيا الشمالية. وقد جعل الأتراك من شخص مته أسطورة مقدسة ولقبوه باسم أوغوز قاغان فخلده بذلك. ولعل ملحمة أوغوز قاغان تعد من أشهر الملاحم التركية وأبرزها.

وهي كملحمة أركنة قون تتحدث عن مقدرات الأتراك التاريخية ونفسيتهم. وفيما يلي ملخص لهذه الملحمة التاريخية:

ولد آي قاغان طفلاً فاحم الشعر والحاجبين على العينين أحمر الشفتين. وكان هذا المولود أجمل من الملائكة. رضع من أمه مرة واحدة ثم انقطع عن الرضاعة. أخذ ينطق وطلب لحماً نيئاً وخمراً. وكبر بعد مضيّ أربعين يوماً على ولادته وأخذ يمشي ويلعب. ثم امتطى صهوة الحصان. وانطلق في صيد الغزلان. وأصبح شابّاً يشار إليه بالبنان. كان هذا المغوار المسمى بأوغوز قاغان يناجي الرب. وفجأة أظلمت الدنيا، ونزلت من السماء حزمة من النور أنصع من ضياء الشمس والقمر. ولمح أوغوز قاغان وسط النور فتاة حسناء على خدها خال يتوهج ضياء كنجمة القطب. كانت فتاة إذا ضحكت، ضحكت السماء الزرقاء معها وإذا بكت أجهشت السماء الزرقاء بالبكاء. أحب أوغوز قاغان هذه الغادة الحسناء وتزوجها فأنجبت منه ثلاثة أبناء سموا كون (الشمس)، آي (القمر) ويلدز (النجم). وذات مرة كان أوغوز قاغان خارجاً للصيد عندما لمح بالقرب من البحيرة شجرة معمرة وكانت فتاة حسناء تقتعد فسحة في بدنها. كانت الفتاة جميلة يشبه شعرها النهر في مسيره وأسنانها الدر والصدف. أما عيناها فكانتا زرقاوين كالسماء. أحبها أوغوز قاغان وتزوجها فأنجبت للقاغان ثلاثة أبناء أطلق عليهم اسم كوك (السماء)، داغ (الجبل) ودنيز (البحر). وكان في هذه الآونة حاكم يسمى التون قاغان يحكم المناطق الشرقية وقد أرسل إلى قاغان رسولاً محملاً بالكثير من الذهب والفضة والدرر والجواري مبلغاً إياه طاعته واحترامه. فقبل منه أوغوز قاغان الطاعة ثم همَّ بالمسير فقطع مسيرة أربعين يوماً. حتى وصل إلى جبال الجليد. وفي هذه البقعة الباردة خيم أوغوز قاغان. وعند مطلع الفجر تسلل إلى خيمة أوغوز قاغان شعاع من النور وخرج من حزمة النور ذئب أغبر وخاطب أوغوز قاغان قائلاً:

ـ ايه أوغوز سأسير أمامك من الآن.

أمر أوغوز قاغان بجمع الخيام وبدأ بالمسير. وكان الذئب يسير أمام طلائع الجيش. وبعد أيام وقف الذئب فأمر أوغوز قاغان جيشه بالوقوف على ساحل نهر ايتيل. وأشتبك أوغوز قاغان بجيش العدو في معركة دامية فصبغت مياه أيتيل بدماء الأعداء. وتم لأوغوز قاغان النصر. ثم سار الذئب وهو يقود أوغوز قاغان إلى إقليم السند. وهنا حارب أوغوز الكثير من الأعداء. وضم هذه الأراضي إلى دولته وطفق عائداً. وكان يرافق أوغوز قاغان وزير صائب الرأي، أغبر الشعر، ناصع اللحية يسمى أولوغ تورك. وقد رأى أولوغ تورك في منامه ذات ليلة قوساً ذهبيّاً وثلاثة سهام فضية. كان القوس يمتد من الشرق إلى الغرب والسهام من الجنوب إلى الشمال فأفضى بحلمه إلى أوغوزقاغان وقال: أيها القاغان ملأت حياتك بالخيرات وأسبغ عليك الرب الأزرق نعمه فحقق لك ما رأيته في الحلم.

فاستمع أوغوزقاغان إلى نصائح أولوغ تورك وسرته كلمات وزيره ثم جمع أولاده وخاطبهم قائلاً:

ـ إنني أبغي الصيد ولكن الوهن أدركني فخارت قواي. يا كون، و آي، ويلدز انطلقوا إلى الشرق وأنتم يا كوك، وداغ، ودنيز اذهبوا إلى الغرب. ونفذ الأبناء أوامر والدهم فذهب ثلاثة منهم إلى الشرق وانطلق الآخرون إلى الغرب. فاصطاد كون و آي ويلدز الكثير من الغزلان والطيور ثم لمحوا في الطريق قوساً ذهبية فأخذوها إلى والدهم فسر أوغوز قاغان بذلك وقال: أيها الإخوة الكبار لتكن هذه القوس لكم.

أما كوك وداغ ودنيز فاصطادوا بدورهم الكثير من الغزلان والطيور ثم لقوا في الدرب ثلاثة سهام فضية فأخذوها إلى والدهم الذي سر بذلك وقال: أيها الإخوة الصغار لتكن هذه السهام لكم.

ثم جمع أوغوز قاغان مجلس الشورى الكبير ودعا الرعية إلى اجتماع

كبير وتبودلت الآراء، فقسم أوغوز قاغان وطنه بين أبنائه وقال:

ـ يا أبنائي لقد عشت طويلاً وخضت غمار معارك عديدة، رميت السهام بكثرة وامتطيت صهوة الخيول، وأبكيت أعدائي وأضحكت أصدقائي. فوفيت للرب الأزرق ما علي وهذه مملكتي أودعتها بيدكم.

ما بعد مته

اعتلى لاو ـ شانغ العرش بعد والده مته في عام ١٧٤ ق.م وتزوج من أميرة صينية. وتشير إليه المصادر الصينية أحياناً باسم كي ـ يو. وقد استمر حكمه ثلاثة عشر عاماً وخلفه من بعده ابنه جون ـ جن في عام ١٦١ ق.م وتزوج في عام ١٥٢ ق.م بدوره من أميرة. ويطلق الصينيون عليه أحياناً اسم كون، والغالب أن اسمه التركي كونه جين أو ما أشبه. واستمر حكم هذا اليابكو خمسة وثلاثين عاماً وخلفه من بعده إيجي هيسه الذي اعتلى العرش لوفاة أخيه الأكبر يوشان (يوتان) في نفس السنة. واستمر في الحكم الإمبراطور الخامس ثني عشر عاماً لغاية عام ١١٤ ق.م وأعقبه في الحكم بعد وفاته وو ـ وي (اوواي) الذي حكم تسعة أعوام إلى عام ١٠٥ ق.م حيث خلفه ابنه وو ـ شيه ـ لو ـ أره (اوشيلو) فحكم مدة ثلاثة أعوام وتوفي وهو في الثامنة عشرة من عمره فاعتلى العرش عمه جولي هو (كويليهو) الابن الأوسط للإمبراطور ايجي هيسه ولكنه لم يبق على العرش إلا عاماً واحداً (١٠٢ ـ ١٠١ ق.م) إذ خلفه أخوه جوتي هو (تي تي هو) فحكم خمسة أعوام إلى عام ٩٦ ق.م. ثم اعتلى هولو ـ كو (هولوكو) العرش وحكم أحد عشر عاماً إلى عام ٨٥ ق.م والإمبراطور العاشر للأتراك هو الابن الثاني للإمبراطور أوشيلو يابكو (إذ كان ابنه الأكبر متوفياً) وقد تزوجت عمته الأميرة من أمير أتراك أوسون عام ١٠٥ ق.م. ويترامى إلى علمنا أيضاً أبناء هولوكو الثلاثة وبنتاه. وقد ارتقى أحد هؤلاء الأمراء وهو حاكم جز وكي الشرقية إلى نيابة الإمبراطورية. وكان له ابن يسمى سيان ـ هيان ـ تام (سراهنشان) وأخ كان يحكم إقليم دويوى (تو ـ كوى) وقد قتل

عام ٨٥ ق.م. أما الابن الثالث فكان أمير كولي (لولي) الغربية. أما البنتان فقد تزوجت إحداهما من أوشن نو أمير أوسون وهم من الأتراك. أما الثانية فتزوجت من صيني يدعى لينغ (لين) وهو جنرال صيني التحق بخدمة الأتراك فعين من قبل اليابكو أميراً على القوغيز وتوفى سنة ٥٠ ق.م. وقد نشأت من هذا الزواج سلالة أمارة لين الذي حكم قبيلة القرغيز التركية إلى عام ١٢٠٠. وتزوجت ابنة هولوكو يابكو عام ٨٩ ق.م من جنرال صيني يدعى لي ـ كاونغ لي إلا أن هذا الأخير قتل بعد سنة واحدة. وهكذا فقد بدأت العلاقات تنمو بين الأتراك والصينيين إلا أن هذه العلاقات لم تكن تحمل الخير في طياتها للأتراك. ارتقى هواندي العرش عام ٨٥ ق.م بعد وفاة أبيه الإمبراطور هولوكو وحكم سبعة عشر عاماً إلى ٦٨ ق.م وتشير إليه المصادر الصينية باسم هو ـ ين ـ تي أو هون ـ ين ـ تي وزوجته جزون ـ كوى ـ يانجس (إحدى أميرات تو ـ كوى ـ تسي الشرقية) ولم يستطع ولي عهده أن يرتقي العرش بعده. وكانت إحدى بناته قد تزوجت من أمير الأويغور الأتراك الكبير أو ـ كوى والذي كان قد اعتلى العرش في تلك السنة، وتزوجت الأخرى من ملك الأوسون الأتراك أونغ ـ كوين ـ لي (فين ـ نانغ) والذي حكم خمسة وأربعين عاماً من ١٠٥ ـ ٦٠ ق.م. ويستطيع المدقق أن يرى من هذا كله نمو الروابط بين أركان الاتحاد التركي الكبير.

وقد تسلم زمام الأمور عام ٦٨ ق.م هو ـ لو ـ جوان ـ جو (هويلوى ـ تسوان ـ كوي) فحكم ثمانية أعوام إلى عام ٦٠ ق.م. وهو ابن الإمبراطور التاسع تسويد يهوي. وقد تزوجت شقيقته من ولي عهد الأويغور. أما الإمبراطور الثالث عشر فهو و ـ جو ـ تي (أوين ـ كويدي) واستمر حكمه عامين من ٦٠ ـ ٥٨ ق.م. حيث مات قتيلاً وقد كان ابن الإمبراطور السادس أوواى وكان أحد أشقائه أمير يوكن. أما شقيقه الآخر اي يوى جو (اين يوجو) فقد ادعى أحقيته في العرش ملقباً نفسه بعنوان ايي ـ لي ـ مو يابكو عام ٤٩ ق.م إلا أنه قتل. ويعتقد أن الأمير توين هو شقيق هذا اليابكو. وقد ادعى هذا أيضاً حقه في العرش عامي ٥٧ ـ ٥٦ ق.م إلا أنه

قتل هو الآخر. وأسرت زوجته الأميرة كويستي عام ٧٢ ق.م على يد الصينيين. وتعلم عن توين أيضاً ابنيه دوتو سو وكومه أولوتو. وقد تسبب الكثير من الأمراء في إثارة النزاع حول العرش في هذه الفترة مما أدى إلى نشوب حروب داخلية. وهؤلاء الأمراء هم أمير هوكي هوجي (في ٥٧ ق.م) أمير يويدي الغربية جلي (في ٥٧ ـ ٥٦ ق.م) أو ـ تسيه (في ٥٧ ـ ٥٦ ق.م) ويونه جين (ما بين ٥٦ ـ ٥٤ ق.م) وقد قتلوا جميعاً.

وبعد هذا ارتقى العرش الابن الأوسط للإمبراطور الثاني عشر هوي لوي ـ تسوان ـ كوي وهو هدهان ـ يه (هوهان ـ سي ـ هوهانيه ـ هوهاتشه) وقد بدأ بالمطالبة بالعرش عام ٥٨ ق.م. قبض على زمام الأمور في نفس السنة ودام ٢٧ عاماً إلى سنة ٣١ ق.م. وتشير المصادر الصينية أيام إمارته كي هوي شان. وقد زار إمبراطور الصين ثلاث مرات في عام ٥١ ـ ٤٩ ـ ٣٣ ق.م ونزل في ضيافته. وكانت له أربع زوجات معروفات هن ابنة أمير أوسون التركي أوشن نو والأميرة تو ـ يو ـ شي وابنه أمير هوين (هوان) جوئن كيو وأختها تايوشي. والأخ الأصغر لهذا اليابكو هو حاكم إقليم لولي الغربي (كالي) أما أخوه الأكبر جيجي (جيه ـ حيه ـ كو ـ تو أو هو ـ تو ـ كو ـ سوي أو هوتوسو) فقد ظل يدعي العرش التركي طوال عشرين عاماً (٥٦ ـ ٣٦ ق.م) وتزوج من ابنة ملك كانجلي التركي التي قتلت عام ٣٨ ب.م. أما ابنه الأمير كيوي ـ ليشو فكان الأمير الغربي الأكبر. وقد ارتقى العرش من بعده ابنه الأكبر جو ـ تي.

لم تتوسع الإمبراطورية التركية بعد مته بل فقدت قسماً من أراضيها خلال قرن واحد بعد وفاته. واستمرت الحروب بين الإمبراطوريتين التركية والصينية بالرغم من مظاهر الصداقة غير الحقيقية والمعاهدات العديدة المعقودة بينهما. وكانت نتيجة الحرب لصالح الأتراك في القرن الأول إلا أن هذا الصراع المستمر خلف تصدعاً في صفوف الترك. فقد تكبد الصينيون خسائر تقدر بمليون من الثيران وآلاف الأسرى في الحروب التي دارت

رحاها عام ١٢٧ ق.م. واشتبك جيش صيني قوامه ٢٤٠،٠٠٠ رجل عام ٩٤ ق.م بالجيش التركي في حرب ضروس دامت عشرة أيام تمخضت عن هزيمة الصينيين وانسحابهم إلى أراضيهم. وانقسمت الحروب بعد ذلك بطابع حرب العصابات ورجحت كفة هؤلاء تارة وأولئك تارة أخرى. إلا أن الإمبراطورية التركية أصابها الوهن والضعف نتيجة تطاحن الأمراء فيما بينهم. واستطاع الصينيون الاستفادة من التصدع الحاصل في صفوف الأتراك. وقد برز في هذه الفترة أي في القرن الأول قبل الميلاد جيجي يابكو الذي بسط سيطرته على الإمبراطورية طوال عشرين عاماً كأقوى إمبراطور بعد تيومان ومته. إلا أن الدولة لم تبلغ سطوتها التي بلغتها إبان حكم مته.

وأخذت المركزية التي اتبعتها القبائل المختلفة وخضعت لها في أرجاء الإمبراطورية التركية الشاسعة بالضعف وبدأت بعضها بإظهار علائم الفرقة. ولم يقتصر التمرد ضد الحاكم على الأقوام الخاضعة المحكومة بل تعداه إلى الأتراك والمغول الذين كانوا من الجنس الحاكم. وقد اغتنم الصينيون فرصة تمرد بعض القواد والنزاع الناشب بين الأمراء على العرش إلا أن الوضع الجغرافي كان حائلاً دون استطاعة الصينيين بسط نفوذهم على الأراضي التركية واقتصرت نتائج هذه المناوشات على استعادة الصينيين لقسم من أراضيهم التي استولى الأتراك عليها.

استمر حكم اليابكو الخامس عشر فو ـ جو ـ لي ـ جو ـ تي (فوجو ـ لي جودى) وأشقاؤه الخمسة أبناء اليابكو الرابع عشر الستة، ستة وسبعين عاماً من عام ٣٠ ق.م إلى عام ٤٦ ب.م.م. ظل جو ـ تي الذي كان يسمى تاو ـ تار ـ مو ـ كاو أثناء إمارته يحكم عشرة أعوام حتى عام ٢٠ ق.م. وقد قام بزيارة الصين عام ٢٥ ق.م حيث استقبل بحفاوة بالغة. ومن زوجاته ديو ـ مو ـ كاو والصينية جاو ـ كيون (جياو ـ كون) والتي تزوجها عام ٣٣ ق.م. وقد أنجبت له زوجته الأولى ابنه هايتون، أما الثانية فقد أنجبت له

الأميرتين سويبو ـ كويسو ـ يون و دانيوي ـ كويسه ـ يون والأمير تو ـ يا ـ سو (ولد الأخير عام ٣٢ ق.م).

أما بعد، فقد حكم أخوه سو ـ هسيه ـ جو ـ تي (سوي ـ هياى ـ جو ـ تي ـ سيو ـ سي ـ جودي) واسمه أثناء إمارته تسي ـ لي ـ سيو ـ تزوميسوي ثمانية أعوام من ٢٠ ـ ١٢ ق.م. ولم يخلفه ولي عهده الشرعي ابنه كهيلو سكيو بل ارتقى أخوه جو ـ يا ـ جو ـ تي (جه ـ يا ـ تي ـ كويه ـ حودى) العرش فحكم أربع سنوات إلى عام ٨ ق.م. م.

وثم أخوه وو ـ جو ـ ليو ـ جو ـ تي (او ـ جو ـ ليو ـ جو ـ تي ـ اوججولوجودى) واسمه أثناء إمارته نانغ ـ جي ـ يا ـ سو ـ ناجيزياس فحكم واحداً وعشرين عاماً من ٨ ق.م. والى ١٣ ب.م. وقام قبل عام واحد قبل الميلاد بزيارة للصين وتزوج من شقيقة رئيس مجلس الأعيان الصيني وان ـ كين فأعقبه من بعده أخوه دو ـ لي ـ جو ـ تي (أولوى ـ جوتي) واسمه أثناء إمارته هي ـ أن ـ كيهن فحكم خمسة أعوام من ١٣ ـ ١٨ ب.م فأعلن نفسه عام ١٠ ب.م إمبراطوراً باسم هاو ـ كهيويابكو ومن أبنائه الأمير تو (جيو) والأمير تيم (دي) توفي عام ١٢ والأمير كيو. أما الأخ السادس هو ـ تو ـ اره ـ شبه ـ تاو ـ كاو ـ جو ـ تي (يو ـ هو ـ تو ـ اوله ـ شي ـ كاو ـ جو ـ تي) فقد حكم مدة ثمان وعشرين عاماً من ١٨ ـ ٤٦ ب.م وله إخوة ثلاثة آخرون هم الأمير سن والأمير لو والأمير يوي ويحتمل أن يكون الأمير جياسو أحد أشقائه. ولهذا اليابكو والأمراء ستة إخوة آخرون وسبعة أبناء لم نتوصل إلى معرفة أسمائهم (عدا واحداً اسمه تانغ) أما الإمبراطور الحادي والعشرين فهو الابن الأكبر للإمبراطور وو ـ تا ـ تي هو وكان وليّاً للعهد منذ ثمانية وعشرين عاماً إلا أنه ارتقى العرش لمدة أشهر معدودة عام ٤٦، إذ خلفه أخوه بو ـ نو الذي حكم مدة سبعة وثلاثين عاماً من ٤٦ ـ ٨٣. وإذا كان أخوه الأصغر يوي ـ كين قد أعلن التمرد عام ٥٠ مطالباً بالعرش فقد أسر من قبل يابكو الجنوب وعدل عن مطالبته هذه.

ويعد حكم بونو الطويل تتابع أبناؤه الثلاثة سان ـ فو ـ لاو ـ تزو الذي حكم عاماً واحداً (٨٣ ـ ٨٤ = ١)ويو ـ ليو (يوى ـ ليو) (٨٤ ـ ٨٩ = ٥) ثم جو ـ جيان (يو ـ جو ـ كين) يابكو (٨٩ ـ ٩٣ = ٤) وقد قتل الأخيران ثم تتابعت النكبات وضعفت الدولة حتى إن والدة يو ـ ليو يابكو قد وقعت أسيرة في أيدي الصينيين عام ٩١. وفي عام ٩٣ انتقل حكم الدولة التركية الكبرى إلى الفرع الجنوبي أو الشرقي لمملكة الهون.

انقسام الإمبراطورية التركية

انقسمت الإمبراطورية التركية الكبرى عام ٤٨ إلى إمبراطوريتين هما الإمبراطورية الشمالية أو الغربية والإمبراطورية الجنوبية أو الشرقية. وكان على عرش الإمبراطوريتين أمراء ينتسبون إلى سلالة واحدة. وقد وقعت الإمبراطورية الجنوبية تحت النفوذ الصيني. وأخذت بمساعدة السيانبيين والصينيين بمحاربة الإمبراطورية الشمالية. ولما كان الإمبراطور الشمالي أو الغربي أكبر موقعاً من الإمبراطور الجنوبي أو الشرقي فقد كان الشمالي هو المرجع الأعلى للأتراك، واليابكو الكبير للإمبراطورية. وقد نتج عن تأثير السيانبيين على الهون الجنوبيين تصدع الوحدة التركية وظهور علائم الفرقة على الإمبراطورية وكان السيانبييون كسائر أقوام الترك والمغول يرومون زحزحة الأتراك الهون إلى الجنوب ليخلو لهم الجو في آسيا الوسطى. والإمبراطور السادس والعشرون للأتراك هو اليابكو التاسع للهون الجنوبيين (الشرقيين) إذ انقرضت الإمبراطورية الشمالية عام ٩٣ وخضع قسم من أراضيها لحكم يابكو الجنوب. واليابكو الأول لإمبراطورية الجنوب (الشرق) هي ـ لو ـ شبه ـ جو ـ تي (هو ـ هان ـ يه ـ هو ـ هان ـ سيه الثاني) (٤٨ ـ ٥٦= ٨) هو الابن الثاني للإمبراطور الأكبر الثامن عشر. وقد توفي شقيقه الأكبر الأمير اولياس عام ٧ ق.م. وقد خلفه في الحكم شقيقاه جيو ـ فو ـ يو ـ تي (كيو ـ فيو ـ يو ـ تي) (٥٦ ـ ٥٧ = ١) (واسمه أثناء إمارته مو) و أي ـ فا ـ يو ـ لو ـ تي (أي ـ فا ـ يو ـ ليو ـ تي) (٥٧ ـ ٥٩

ا= ٢) (واسمه أثناء إمارته هان) أما اليابكو الرابع فقد كان ابن اليابكو الأول الكبير هسين ـ تونغ ـ شيه ـ جو ـ تي (هي ـ تونغ ـ شي ـ شوى ـ هيو ـ تي) (٥٩ ـ ٦٣ = ٤) (واسمه أثناء الإمارة تيه ـ شيه) وجاء من بعده ابن اليابكو الثاني جيو ـ جو ـ حو ـ لين ـ تي (كيو ـ جو ـ جه ـ لين ـ تي) (حكم اشه معدودة في عام ٦٣) (واسمه في الإمارة سو) أما اليابكو السادس فهو شقيق الرابع هو يه ـ شيه ـ جو ـ هو ـ تي (هو ـ سي ـ شي ـ سوى ـ هيو ـ تي) (٦٣ ـ ٨٥ = ٢٢) (واسمه أثناء إمارته جانغ).

أما اليابكو السابع والثامن لإمبراطورية الجنوب فهما ابنا اليابكو الثالث إ ـ تو ـ يو ـ لو (اي ـ تو ـ يو ـ ليو ـ تي) (٨٦ ـ ٨٨ = ٣) واسمه في الإمارة هسوان ـ سيون) والآخر هسبو ـ لان ـ شيه ـ جو ـ هو ـ تي (هيو ـ لان ـ شي ـ سو ـ هيو ـ تي) (٨٨ ـ ٩٣ = ٥) (واسمه في الإمارة تون ـ تو ـ هو) وارتقى من بعده العرش ابن يابكو الجنوب الثامن وهو الإمبراطور السادس والعشرين للدولة الكبرى في نفس الوقت. وهكذا فقد انتقل الحكم من الفرع الشمالي إلى الجنوبي في نفس السلالة.

وقد طالب ابن اليابكو الثامن الأمير فونغ ـ ليو بالعرش عام ٩٤ إلا أنه لم يستطع أن ينال ما أراده وتوفي عام ١٢٠. أما أخوه الأكبر ان ـ كاو (كان ـ كوي ـ فنغ ـ كو) الإمبراطور السادس والعشرون للدولة الكبرى فقد حكم مدة سنة واحدة من عام ٩٣ ـ ٩٤ ثم قتل. وأعقبه الخاقان السابع والعشرون الذي هو اليابكو العاشر لإمبراطورية الجنوب وهو ابن اليابكو الرابع يتنغ ـ تو ـ شيه ـ جو ـ هو ـ تي (يتنغ ـ تو ـ شي ـ سوى ـ هيو ـ تي) (٩٤ ـ ٩٨ = ٤) (واسمه في إمارته سو ـ تسو) ثم تلاه ابن يابكو الجنوب السادس وان ـ شيه ـ جو ـ تي (وان ـ شي ـ شي ـ سوي ـ تي) (٩٨ ـ ١٢٤ = ٢٦) (واسمه في إمارته تان) فأعقب هذا شقيقاه وو ـ جي ـ هو ـ شيه ـ جو (١٢٤ ـ ١٢٧ = ٣) (واسمه في إمارته با) جو ـ جيه ـ جو ـ شيه ـ جو ـ جيو (تي ـ جو ـ شي ـ سوي ـ تيسو) (١٢٧ ـ ١٤٠ = ١٣)

واسمه في إمارته هسيو ـ لي ـ هيو ـ لي) وقد قتل الأخير وكانت والدته قد وقعت أسيرة بيد الأويغور عام ١٣٤. وكان الشقيق الرابع للأباطرة الثلاثة الآخرين أميراً لإقليم الشرق وقد قتل سنة ١٤٠.

أما جو ـ هيو (جه ـ هيو) (١٤٠ ـ ١٤٣ = ٣) والذي اعتلى العرش بعد ذلك فلم نتوصل إلى معرفة نسبه وكذلك بالنسبة للشقيقين اليابكو الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين. هو ـ لان ـ جو ـ شيه ـ جو ـ جيو (هو ـ لان ـ جو ـ شي ـ سوي ـ تسيو) (١٤٣ ـ ١٤٧ = ٤) (واسمه في الإمارة تاو ـ ليو ـ جو ـ تيو ـ ليو ـ جو) و اي ـ لينغ ـ شيه ـ جو ـ جيو (اي ـ لينغ ـ شي ـ سوى ـ تسيو) (١٤٧ ـ ١٧٢ = ٢٥) (اسمه في إمارته جو ـ أره ـ كيو ـ جه ـ أوله) وقد خلفة ابنه تو ـ تي ـ جو ـ شيه ـ جو ـ جيو (تو ـ جو ـ شي ـ سوي ـ تسيو) (١٧٢ ـ ١٧٧ = ٥) (اسمه في الإمارة ماو = ميو) فأعقب هذا ابناه هورجنغ (هو ـ جينغ) (١٧٧ ـ ١٧٩ = ٢) (قتل) وشقيقه جيانغ ـ جو (كيانغ ـ كيو) (١٧٩ ـ ١٨٨ = ٩) (قتل هو الآخر) وأعقبهما ابنا الأخير تي ـ جيه ـ شيه ـ جو ـ هو (تي ـ جي ـ شي ـ سوى ـ هيو) (١٨٨ ـ ١٩٥ = ٧) (واسمه في إمارته يو ـ فو ـ لو) وأخوه هو ـ جو ـ جوان (هو ـ جو ـ تسيوين) (١٩٥ ـ ٢١٦ = ٢١) وقد قتل هذا الإمبراطور الذي يأتي تسلسله الثامن والثلاثين بالنسبة لأباطرة الدولة الكبرى والحادي والعشرين بالنسبة لأباطرة الجنوب عام ٢٢٠ بعد أربعة أعوام من الإطاحة به. وبتخليه عن العرش ينتقل الحكم إلى السيانبيين ويهجر الهون الأتراك إلى أوربا ومن المعتقد أن سيو ـ بو والذي طالب بالعرش عامي ١٨٨ و ١٨٩ هو أخو الإمبراطور الأخير.

نظرة عامة إلى التاريخ التركي في عصر الهون

يعتبر عصر الهون فجر التاريخ التركي. وتعتبر المصادر الصينية الهون أجداداً لقوم الكوك تورك الذين حكموا في القرن السادس الميلادي. ولبروز الدهاء العسكري وأسس تنظيم الدولة متمثلاً بشخص الإمبراطور الكبير مته

فقد تميز عصر الهون بأهمية خاصة في التاريخ التركي. وكان حفيد مته وخليفته الثاني كون يابكو والذي حكم مدة خمسة وثلاثين عاماً هو الآخر عسكريّاً فذّاً ومنظماً ناجحاً. وقد كان لوصول مته في عام ١٧٧ ق.م إلى بحر الخزر ووصوله لمداخل أوربا أثر في جعله شخصية يهتم بها الشرق الأدنى أيضاً. وقد حكم في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد هوهانية يابكو وشقيقه الأكبر جيجي وهما يمثلان ردحاً آخر من عظمة الإمبراطورية. وقد تخطَّت الإمبراطورية التركية من حيث كبر مساحتها إيران وإمبراطورية روما والإسكندر. وللإمبراطور مته شأن في التاريخ مثل كيروس والإسكندر وقيصر. إذ إن الأبطال المذكورين لم يتوصلوا إلى تحقيق حركات واسعة على سطح العالم مثل مته. في حين لم يقف قبالة مته إلا البحر المتجمد شمالاً وقمم همالايا جنوباً والمحيط الكبير شرقاً والخزر والأورال غرباً.

وقد خدم الهون الأقوام التركية بتوحيدهم لهذه الأقوام وإظهار حضارة وثقافة واحدة إلى حيز الوجود وإبراز الأتراك كأمة واحدة. وتدل الحفريات ودراسات الآثار استناداً إلى اكتشاف مواد إيرانية وصينية كثيرة في آسيا الوسطى على تضخم تجارة الأتراك ونمو علاقتهم مع الأمم الأخرى. كما لعب الأتراك الهون دوراً هامّاً في تاريخ العالم بتشكيلهم حلقة وصل بين ثقافة الشرق الأدنى والشرق الأقصى. كما تطورت تجارة الترانزيت نظراً لمرور قوافل الحرير من آسيا الوسطى.

وكانت هناك طبقة الأسرى في المجتمع التركي في تلك الفترة شأنه في ذلك شأن جميع المجتمعات الأخرى. وهم أسرى الحرب والغزوات. وكان مجتمع الهون مجتمعاً عسكريّاً أرستقراطيّاً يعتقد بكونه وكيلاً للإله الأزرق على الأرض. وكما كانت الفروسية والبطولة نموذجاً يقتدى به فقد كانت التشكيلات العسكرية والإدارية في غاية الروعة من حيث حسن التنظيم. وكان الأتراك يسمون الفارس البطل (آلب) وقد وصف المؤرخ

الكبير أوتو فرانك الحياة الاجتماعية للهون بعبارة وجيزة إذ قال (لا يمكن مقارنة الهون إلا بالأتراك العثمانيين).

وقد زاد عدد الأتراك في عهد الهون وأضحت الألطاي وجبال تانري ثم سيبريا وبحيرة بايقال مناطق تركية صرفة. ونتيجة اختلاطهم بالمغول في هذه الفترة فقد ظهرت فيهم علامات العيون الغائرة لأول مرة وتؤيد ذلك الدراسات الأنثروبولوجية للهياكل التي تعود لهذا العصر. وقد حدث هذا الامتزاج في حوض بحيرة بايقال ووادي ينيساي. كما تدل الدراسات الأنثروبولوجية على تميز أتراك الألطاي بالطابع التركي القديم وعدم ظهور العلامات المنغولية وكان التونكوز يشكلون أكثرية في شرق الإمبراطورية وقد قام مته الذي وصل إلى سواحل أورخون بدفعهم بعيداً إلى الشرق كما أسرهم واستعبدهم.

وسيطرت الصناعة التركية في هذا العهد على المناطق المحصورة بين شمال البحر الأسود والمحيط الشرقي الكبير. ويشاهد الأسلوب الموحد لدى جميع الأقوام التركية وهو أثر خلفته الوحدة التركية في إمبراطورية واحدة. والأسلحة النحاسية المستعملة للقنص والصيد هي أدوات تركية برمتها في هذا العهد. كما تنحصر صور مصارعة الخيل بالأتراك وحدهم ويمكن مشاهدة صور مصارعة الجمال والنمور أيضاً في هذه الفترة بكثرة. ويبرز اثر الصناعة الصينية في القرن الأول قبل الميلاد في القسم الشرقي من الإمبراطورية التركية. وقد اكتشفت آثار تدل على صناعة فريدة في مقابر الهون الكائنة قرب نهر سلنكة وجبال نويون ـ أولاً. وتعود خمسة من هذه المقابر إلى أمراء إمبراطورية الهون. كما وجدت في الألطاي سيوف ومقابر للأمراء وهياكل عظيمة تعود لأتراك هذا العهد. ومعدل طول الهياكل العظمية هو ١٨٠ سنتمتر ويدل هذا على طول قامة الأتراك في تلك الفترة. وإلى جانب كثرة الطابع التركي نصادف آثاراً تدل على الطابع المغولي مما يدل على امتزاج القومين. وكان المغول يشكلون الموقع الثاني بعد الأتراك

في إمبراطورية الهون وكانت قبائل عديدة من بينهم تعتبر عريقة ولها امتيازات معترف بها.

وقد نشر الهون السلام والرفاه من كوريا حتى سهل المجر. وقد كتب مته في رسالة له إلى إمبراطور الصين بأن الأقوام التي خضعت لحكمه كانت تستفيد من قدرات إمبراطورية كبرى (دي كروت ـ الهونين ـ ٧٤) وقد تغير الحال بعد انقراض الإمبراطورية. ونشاهد أن الدراسات الأنثروبولوجية تفيد حدوث امتزاج بين الأتراك والصينيين في القسم الشرقي من الإمبراطورية ومصادفة عناصر هجينه. ومقابل هذا انتشر الأتراك في مساحات شاسعة وفي كل الاتجاهات. وسكن الأتراك تركستان الحالية وفرغانة. ودمغوا الأقوام الإيرانية إلى الجنوب والغرب. وكانت عاصمة الهون نوين ـ أولا على مسافة ١٠٠ كم غرب أوركا.

٢ ـ السيانبيون (التابغاج) ٢١٦ ـ ٣٩٤

سلالة سيانبي ـ توبا

استلم السيانبيون مقاليد الأمور في الدولة التركية الكبرى عوضاً عن الهون في عام ٢١٦ وقد حكمت هذه السلالة ١٧٨ عاماً حتى عام ٣٩٤ وتتالى على الحكم ١٦ إمبراطوراً (يابكو) وقد حكم اثنان من سلالة سيانبي الأصلية في التسعة عشر عاماً الأولى بين ٢١٦ ـ ٢٣٥ بينما كان الأربعة عشر الذين تلوا هؤلاء من سلالة سيانبي ـ توبا.

وقد كانت قبيلة السيانبيين وسلالتها الحاكمة ضمن الكتل الكبيرة التي ضمتها الإمبراطورية التركية الكبرى في عهد الهون. ومن أمرائهم المعروفين بين ـ هو الذي توف عام ٦٠ ب.م. كما توفي كيو ـ لون والذي يعتقد بأنه حفيد الأول عام ١٢٠. أما تان ـ شي ـ هواي (تانشيكهاي) حفيد الأخير فقد ولد عام ١٣٥ وتوفي في عام ١٨٠ عن ٤٥ عاماً. وابن هذا كياو ـ مان فقد كان يتنازع في عرش السيانبيين تابعاً للهون. وقد أصبح أخوه تان ـ شي

ـ هواي وأبناؤهم ملوكاً للسيانبيين بعد هو ـ لين. كما توصل أحد أبناء هؤلاء وهو كيوي ـ تيو إلى تسلم العرش في حين أطاح بو ـ تو كين في النهاية بحكم الهون واعتلى عرش الإمبراطورية الكبرى. وقد قتل بو ـ تو ـ كين عام ٢٣٣ بعد مضى سبعة عشر عاماً على حكمه فأعقبه ابنه هو ـ بو ـ نم الذي قتل هو الآخر بعد عامين في سنة ٢٣٥.

وبذلك فقد استلمت سلالة سيابني ـ توبا (بالتركية تابغاج) مقاليد الحكم للدولة الكبرى وهذه السلالة هي من أقرباء سلالة السيانبيين الأوائل. إلا أننا لا نعلم حالياً مدى درجة هذه القرابة. وقد كانت هذه السلالة التي حكمت الدولة الكبرى مائة وتسعة وخمسين عاماً تعيش في سيبريا. وأميرهم الأول هو ماو الذي توفي عن أربعين عاماً. وفيما يلي قائمة بملوك هذه السلالة: ـ (ماو ـ تاي ـ كون ـ ليو ـ يوه ـ توي إن ـ لي ـ هيو ـ جو ـ كي ـ تاي ـ هوي ـ لين خان) واليابكو الأول لسلالة سيانبي ـ توبا (كي ـ فوين) (٢٣٥ ـ ٢٦١ = ٢٦) هو ابن لين ـ خان.

أباطرة سيابني ـ توبا ٢٣٥ ـ ٣٩٤

بعد وفاة كي ـ فوين اعتلى لي ـ في العرش (٢٦١ ـ ٢٧٧ = ١٦) وكان عند جلوسه على العرش في الثامن والثمانين من عمره وقد توفي عن أربعة ومائة عام (وقد عمر والده ولاشك بدوره مثل هذا العمر) ولما كان ابنه الأكبر شا ـ مو ـ هان قد قتل عام ٢٧٦ فقد تسلم ابنه لي ـ هو العرش وتلاه ابنه جو فأعقب هذا ابنه (فو) وقد توفي فو حوالي عام ٢٩٧ وبذلك فقد حكم الثلاثة ما يقارب العشرين عاماً.

وقد خلف (فو) ولداه: أوتا (بي ـ تو) (٢٩٧؟ ـ ٣١٠؟ = ١٣؟) ويلو (أو ـ ليو) (٣١٠؟ ـ ٣١٦= ٦؟) وقد قتل الأخير الذي كان قد اشترك في الحكم الحكم منذ ولاية أخيه الكبير. وقد اتخذ هذا مدينة تينغ ـ سيانغ في إقليم شنسي الصيني عاصمة له. وقد اشترك معه في الحكم أخوه لوكوان

الذي اتخذ مدينة شانغ ـ فو عاصمة له. وأعقب يلو ابنه يو ـ ليو (٣١٦ ـ ٣٢٥ = ٩) وخلفه أخوه هونو (٣٢٥ ـ ٣٣٠ = ٥) ثم اعتلى العرش أخوه كي ـ نا (٣٣٠ ـ ٣٣٥ = ٥) فأعقب هذا أخوه إي ـ هواي (٣٣٥ ـ ٣٣٧ = ٢) ثم كي ـ ئه ـ نا (٣٣٧ ـ ٣٣٨ =١) مرة أخرى ثم إي ـ هواي (٣٣٨ ـ ٣٧٦ = ٣٨) مرة أخرى ثم أخوهما كاو ـ تو ـ شي ـ إي ـ كين (٣٧٦ ـ ٣٨٠؟ = ٤؟) وقد قتل الأخير. وقد حكم أبناء يلو الخمسة مدة أربعة وستين عاما.

وأعقب الأخير ابنه فوكين (٢٨٠؟ ـ ٣٨٦ = ٦؟) واشترك معه في الحكم الأمير ليو ـ كوي. ثم اعتلى العرش ابن فوكين كو أي وقد حكم ستة أعوام لغاية عام ٣٩٤ حيث أبعد وهو في الثالث والعشرين من عمره من العرش. وتسلم الإمبراطورية التركية السلالة التركية الثالثة وهي سلالة آبار (أوار).

الإمبراطورية التركية على عهد سلالة التابغاج

لم تستطع الإمبراطورية التركية على عهد السيابنيين أن تتوصل إلى ما وصلته على عهد الهون كما لم تستطع بسط نفوذها على الأقاليم الغربية. ونتيجة لذلك فقد اشترك المغول في إدارة الإمبراطورية على نطاق أوسع مما كان عليه في عهد الهون. ومع ذلك فلا مبرر للأخذ بالرأي القائل بأن السيانبيين كانوا يتكلمون المغولية. فقد أثبت العالم الفرنسي والأخصائي بلغات شعوب الشرق الأقصى وتاريخها بول بليون، أن السيانبيين كانوا يتكلمون التركية. أما زكي وليدي توغان فيرى أن الهون ينتسبون إلى فخذ الأوغوز من الأتراك (وتظهر هذا ملحمة أوغوزخان = مته) أما السيانبيين فينتسبون إلى فخذ شو والذي كان يسمى بالترك أصلاً. وقد ترك الأوغوز في عصر الهون الإمبراطورية إلى ذرة سو ـ تورك واستمر الوضع على هذا المنوال حتى عهد دوقوز أوغوز ـ أون أويغور أو بصورة أوضح حتى عهد السلاجقة. إلا أن الرأي القائل بأن سلالة الهون هي من فخذ الأوغوز

وسلالة السيانبيين ومن بعدها الأوار وسلالة كوك تورك تنتسب إلى أتراك شو وترتبط ببعضها بنوع من القرابة هو نظرية لا ترقى إلى درجة القوة والتأكيد.

الهون في عهد التابغاج

وكما كانت إمارة سيابني ـ توبا من ضمن الدولة الكبرى في عهد حكم الهون، فقد بقي الهون أيضاً على شكل إمارة تابعة للدولة التي تديرها سلالة سيانبي ـ توبا. وبالرغم من أن كتلاً كبيرة من الهون قد هاجرت إلى الفولجا وسهل المجر والهند واستمرت فروع السلالة الحاكمة للهون في حكمها في هذه الأقاليم طوال قرون عديدة إلا أن آسيا الوسطى لم تفرغ نهائيّاً من قبائل الهون. ومن الحكام الهون المهمين للهون على عهد السيانبيين في آسيا الوسطى.ليو ـ يوان (٣٠٤ ـ ٣١٠ = ٦) وابنه ليو ـ تسونغ (٣١٠ ـ ٣١٨ = ٨) والحاكم الأول على أغلب الوجوه هو حفيد إمبراطور الهون الأخير هو ـ جو ـ جوان. وقد جربت قبيلة الهون حظها على طول الحدود الصينية. وتجدر الإشارة في هذه الفترة إلى شخصية فذة في التاريخ التركي وهو ليو ـ تسونغ والذي وصفه كروست بأنه (اتيلا الصين) فقد فتح في عام ٣١١ عاصمة إمبراطورية الصين لويانغ وأسر الإمبراطور الصيني تيسين ـ هوي ـ تي وأحرق القصر الإمبراطوري وأصبح لفترة حاكماً لشمال الصين. ثم أسر الإمبراطور الصيني الثاني تسين ـ مين ـ تي وفتح عاصمته جانغ ـ نغان. إلا أن حكم الهون في الصين لم يستمر طويلاً فبوفاة اليابكو فجأة وامتداد نفوذ قبيلة وسلالة توبا (تابغاج) الحاكمة إلى الصين زال هذا الحكم. وقد نتجت عن فتوحات الملك ليو ـ تسونغ نقل عاصمة الصين من عام ٣١٧ إلى عام ٥٨٩ إلى نانكين في الصين الجنوبية. ويقارن كروسيت هذه الحادثة بنقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما وميلانو إلى اسطنبول في هذه الفترة.

٣ ـ الآوار (الآبار) ٣٩٤ ـ ٥٥٢

سلالة آوار ـ آبار

حلت سلالة آوار (آبار) محل سلالة سيانبي ـ توبا (تابغاج) في إدارة الدولة التركية الكبرى عام ٣٩٤. وقد حكمت مائة وستة وخمسين عاماً حتى عام ٥٥٢ فحكم ثلاثة عشر عاماً قاغان (إمبراطور) وإذا كان الهون والسيانبيون والتوبا (التابغاج) يسمون ملوكهم يابكو فقد سمى الآوار الإمبراطور قاغانا. وقد عرفت هذه الكلمة فيما بعد على شكل خاقان. وكان الآوار (بالتركية آبار) يعيشون ضمن الاتحاد التركي في عهد الهون والتابغاج. وقد سماهم اللاتينيون آوار كما سماهم الصينيون جوان ـ جوان والأمير الأول لقبيلة الآبار والذي حكم في عام ٢٨٠ هو مو ـ كو ـ ليو. أما ابنه فهو شي ـ لو ـ هوى وابن الأخير هو (تي ـ سو ـ يون) وقد أعقب هذا ابناه (بي ـ هيو ـ بو و يون ـ تي ـ كي) أما ابن الأخير (ويحتمل أن يكون اسمه بتلفظه التركي يون تكين)، طولون قاغان (٣٤٩ ـ ٤١٠ = ١٦) فهو الذي أطاح بحكم سلالة التابغاج واعتلى عرش الدولة التركية الكبرى. وبذلك أصبح إمبراطوراً للأتراك والمغول. وبموت طولون قاغان مقتولاً فقد خلفه شقيقه كناي ـ تيو ـ كاى (هو ـ ليو) قاغان (٤١٠ ـ ٤١٤ = ٤) وليس ابنه تو ـ جي البالغ العاشرة من عمره. وقد قتل هذا أيضاً فخلفه ابنه بو ـ لو ـ جين قاغان الذي حكم أشهراً معدودة عام ٤١٤ وقتل هو الآخر ليخلفه طالان (مه ـ او ـ خان ـ كه ـ جيم ـ كاي) قاغان والذي يعتقد بأنه شقيق سلفه وقد حكم ١٧ عاماً من عام ٤١٤ إلى عام ٤٣١.

أما ابن طالان قاغان سو ـ لين (أو ـ تي) قاغان فقد ظل من عام ٤٣١ إلى عام ٤٤٤ يحكم ثلاثة عشر عاماً وتزوج عام ٤٣٤ من أميرة تنتسب إلى سلالة وي في الإمبراطورية الصينية كما زوج شقيقته في نفس العام من إمبراطور الصين تاي ـ وو ـ تي (٤٢٣ ـ ٤٥٢) وقد حل محل سو ـ لين ابنه جولوق قاغان (تو ـ هو ـ جين) (٤٤٤ ـ ٤٦٤ = ٢٠) فأعقب

هذا ابنه فو ـ مينغ ـ تون قاغان (طولون الثاني) (٤٨٥ ـ ٤٩٢ = ٧) وقد قتل طولون الثاني فخلفه نوكاي قاغان (هيو ـ كي ـ فو ـ تاى ـ كو ـ جه) (٤٩٢ ـ ٥٠٦ = ١٤) والذي يعتقد بأنه شقيق طولون الثاني. فأعقب هذا طوق خان قاغان (فو ـ تو) (٥٠٦ ـ ٥١١ = ٥) والذي تزوج من زوجة عمه طولون الثاني الثانية الإمبراطورة (هاتون) هيو ـ ليو ـ لينغ وقد قتلت الهاتون (قاتون) عام ٥٢٠عن ٥٠ عاما. وجولوق قاغان معاصر لإمبراطور الهون في أوربا أتيلا.

كما انقرضت الإمبراطورية الرومانية الغربية في وقت كان يحكم فيه على رأس سلالة الآبار خليفة جولوق قاغان وهو جيو ـ لو ـ جين قاغان. وتجدر الإشارة إلى أن العصور الأولى انتهت بهذه الحادثة. وبذلك تكون سلالة الآبار قد حكمت في نهاية العصور الأولى وبداية العصور الوسطى.

خلف طوق خان قاغان وابنه جونو قاغان (تيو ـ لو ـ فو ـ بو ـ تيو ـ فا) (٥١١ ـ ٥٢٠ = ٩) وقد قتل هذا الإمبراطور الذي كان قد تزوج بعد الإمبراطورة هيولولين في عام ٥١١ بديوهون ديوان وقد قتلت هذه أيضاً عام ٥٢٠. لما قتل ابن جونو قاغان وولي عهده تسزوهوي في نفس السنة. وتعرض أكبر إخوته الستة الأمير تسو ـ هوي إلى نفس العاقبة. فاعتلى العرش من إخوته أو ـ نا ـ هوي (٥٢٠ ـ ٥٢١ = ١) والذي قام بزيارة رسمية إلى إمبراطورية الصين، وقد تزوجت ابنته بإمبراطور الهون الهنديين (آق هون) ميهيرا كولان (٥٠٢ ـ ٥٣٠) في عام ٥٢٠ وبذلك حدث تقارب بين الإمبراطوريتين التركيتين في الهند وآسيا الوسطى.

وقد استلم الحكم بعد هذا مي ـ كنيو ـ كو ـ شي ـ كيو (بو ـ لي ـ ميون) قاغان (٥٢١ ـ ٥٢٢) والذي يعتقد بأنه شقيق أو ـ نا ـ هوي قاغان. وقد أطيح به وقتل في سنة ٥٢٥ واعتلى العرش مرة أخرى أو ـ نا ـ هوي (٥٢٢ ـ ٥٥٢ = ٣٠) والذي هو آخر أباطرة الدولة التركية الكبرى من سلالة الآبار. وقد تزوج هذا سنة ٥٣٣ من أميرة من سلالة وي في

الإمبراطورية الصينية وبأميرة أخرى من نفس السلالة سنة ٥٣٨. وانتقل العرش بعد ذلك إلى سلالة كوك ـ تورك حيث هجر قسم كبير من الآبار إلى أوربا واستمروا يحكمون فيها سنين عديدة. أما ملوك الزمرة الباقية من الآبار والذين استمروا على العيش تحت ظل الدولة الكبرى في عهد سلالة كوك تورك فهم تي ـ فا (٥٥٢ ـ ٥٥٣ = ١) تم ـ جيو ـ هيو ـ لي (٥٣٣ ـ ٥٥٤ =١) كو ـ تي (٥٥٤) وقد نازع تي ـ فا سلالة كوك تورك على عرش الإمبراطورية إلا أنه قتل. وقتل من إخوته تم ـ جيو ـ هيو ـ لي أيضاً فخلفه شقيقه أوان ـ لو ـ شين (٥٥٤ ـ ٥٥٥) ثم استلم راية النزاع مع سلالة كوك تورك لأشهر معدودة نو ـ هوان والذي يعتقد بأنه شقيق كان ـ لو ـ شين ولكنه قتل أيضاً. ومن المعتقد أن الأربعة الآخرين هم أبناء إمبراطور الآبار الأخير أو ـ نا ـ هوي.

الإمبراطورية التركية في عهد الآبار ـ الآوار

اشترك المغول مع الأتراك في إدارة الإمبراطورية في عهد الآبار (الآوار) ونستطيع أن نقول إن نفوذ المغول قد زاد في هذه الفترة إلى حد كبير. وقد أبعد المغول تماماً من الحكم على عهد سلالة كوك تورك وقد كان الآبار منذ أقدم العصور قبيلة هامة ضمن الاتحاد التركي. ويعتقد بأنهم نفس القوم الذين ذكروا على لسان اليونانيين على شكل اباريس واباريتاي. ولم يستطع الآبار مثل التابغاج أن يصلوا إلى الحدود التي وصلها مته في فتوحاته. وقد بدأ الأتراك في هذه الفترة بالسكن في تركستان الشرقية متجاوزين جبال تانري. إلا أن القبائل التركية الساكنة جنوب جبال تانري لم تخضع للآبار بل اعترفت بسلطة الهون القاطنين في الهند. وطولون، جولوق، أو ـ نا ـ هوى والذي يعتقد بأن اسمه التركي هو أونا بوي هم من حكام الآبار الكبار. وقد عملوا على بسط نفوذهم على البقعة المحصورة بين بحيرة بالقاش والمحيط الشرقي الكبير محققين انتصارات عسكرية ضخمة. وقد أغاروا مثل الهون والتابغاج على الأراضي الصينية وفتحوا

قسماً كبيراً من أراضيها. وقد عمد الصينيون إلى تقوية سور الصين في عام ٤٢٣ لمجابهة غاراتهم. وكان مركز الدولة على عهد الآبار كعهده في حكم من سبقهم ومن خلفهم بالقرب من نهر أورهون قرب غابات أوتوكن.

ـ كوك تورك (كوك ـ تورك) ٥٥٢ ـ ٧٤٥

سلالة كوك تورك

حكمت سلالة الكوك تورك أكبر السلالات الحاكمة في الدولة التركية الكبرى وأعظمها مدة مائة وثلاثة وتسعين عاماً من عام ٥٥٢ ـ ٧٤٥ وبذلك فتكون مدة حكمهم أطول من حكم التابغاج والآبار. وقد اتخذ هؤلاء الذين أضفوا على التاريخ التركي أهمية خاصة مدينة أوتوكن التي تبعد ٦٠ كم عن مدينة قارا قوروم (عاصمة جنكيز) عاصمة لهم. وقد أطلقوا مثل الآبار لفظة قاغان على أباطرتهم ولفظة تيكين (بتسميتها في يومنا هذا: تكين) على أمرائهم. وقبل كل شيء لنتعرف على قاغانات الكوك تورك والأعضاء البارزين في سلالتهم الحاكمة.

ومؤسسا السلالة اللذان أطاحا بحكم الآبار واستلما مقاليد الأمور في الدولة التركية هما شقيقان عملا يداً واحدة ومن أجل تحقيق غاية واحدة ويدعى أحدهما بومين والآخر ايسته مي قاغان ويشبه هذا الحدث إلى حد بعيد ما عمله السلاجقة في هذا السبيل (كما عمل بيلكه قاغان وكول تيكين بعد ذلك على نفس المنوال) وهما ابن ملك قبيلة كوك تورك اولوغ يابغو (وكانت كلمة يابغو في هذه الفترة تطلق على الملك أو الإمبراطور) وقد انقسمت الدولة في بدء نشوئها إلى قسمين شرقي وغربي. واحتراماً للتقاليد المتبعة في التاريخ التركي فقد كان قاغان الغرب يتبع قاغان الشرق إلا أن العكس كان يحدث أحيانا.

عندما أطاح الكوك تورك بحكم الآبار في عام ٥٥٢ أصبح بومين قاغان قاغانا للشرق أو القاغان الكبير وايسته مي قاغان قاغاناً للغرب تابعاً

لأخيه. وبعد وفاة القاغان الأكبر بومين بعد عام واحد من توليته حل محله شقيقه استه مي قاغان لنفوذه وشخصيته المعترف بها بدلاً من ابن الأول (٥٥٣ ـ ٥٧٦ = ٢٣) وقد أنهى ايسته مي قاغان عام ٥٠٥ نزاع آخر أمراء الآبار على العرش وبعد وفاة ايسته مي قاغان تعاقب أبناؤه على عرش الغرب بينما توالى أبناء بومين قاغان على العرش الكبير في الشرق.

تزوج بومين عند اعتلائه العرش عام ٥٥٢ بالأميرة جانغ ـ لو من سلالة وي الإمبراطورية في الصين إلا أن أبناءه الثلاثة ليسوا من هذه الزوجة. فابنه الأكبر قار قاغان أصبح قاغاناً للشرق سنة واحدة (٥٥٣ ـ ٥٥٤) وبعد وفاته خلفه شقيقه باغان قاغان فحكم ثمانية عشر عاماً (٥٥٤ ـ ٥٧٢) أما الابن الأصغر طابار قاغان فقد حكم تسعة أعوام من عام ٥٧٢ على عرش الشرق ثم اعتلى عرش الدولة الكبرى بعد وفاة عمه ايسته مي قاغان فحكم خمسة أعوام.

وأصبح ابن باغان قاغان، أبا قاغان، قاغان الغرب الثالث فحكم سبعة عشر عاماً (٥٧٦ ـ ٥٩٣) وتعاقب أبناؤه على عرش الغرب. وخلف طابار قاغان على عرش الدول الكبرى ابن عمه قارقاغان، باغا اشباره قاغان فحكم ستة أعوام (٥٨١ ـ ٥٨٧) أما أخوه جور باغا قاغان فقد حكم عاماً واحداً على عرش الإمبراطورية (٥٨٧ ـ ٥٨٨).

أما القاغان الأكبر السادس تونكا توران قاغان والذي حكم اثني عشر عاماً (٥٨٨ ـ ٦٠٠) فهو الابن الأكبر لباغا اشباره وأعقبه استثناء بيلكه تاردو قاغان (ابن ايسته مي) من قاغانات الغرب فحكم ثلاثة أعوام (٦٠٠ ـ ٦٠٣) وخلف هذا الابن الأصغر) لباغا اشباره وهو كيمين توره قاغان الذي حكم ستة أعوام (٦٠٣ ـ ٦٠٩) وبعد وفاة الأخير عدل ملوك الغرب عن الاعتراف بسلطة ملوك الشرق وأعلنوا استقلالهم. إلا أن ملوك الشرق احتفظوا بصفة الإمبراطور بين الأتراك وتجاه الأمم الأخرى.

وقد خلف كيمين توره قاغان أبناؤه الثلاثة شيبي قاغان (٦٠٩ ـ ٦١٩

= ١٠) جولوق قاغان (٦١٩ ـ ٦٢١ = ٢) وقاره قاغان (٦٢١ ـ ٦٣٠ = ٩) وشيبي قاغان وقد اقترن عهده بظهور الإسلام أما جولوق قاغان فقد تزوج بالأميرة اي ـ جينغ وقتل. والثائر المشهور كورشاد (قتل عام ٦٣٩ بصورة بطولية) هو الابن الأصغر لجولوق قاغان ولم نتوصل إلى معرفة اسم ابنه الأكبر وأسماء أحفاده. أما الإخوة اجينا جول تيكين فقد التحق بخدمة الصينيين وارتقى إلى منزلة القائد العام للقوات الصينية. وله أخ آخر لا نعلم عنه سوى أنه والد ايلتريش قوتلوغ وقابا غان قاغان. أما سيربا قاغان الذي خلف قارة قاغان (٦٣٠ ـ ٦٤٦ = ١٦) فهو من سلالة قاغانات الغرب. وقد اعترف هذا الحاكم الأخير بسلطة الصين وقد حدثت ثورة كورشاد على عهده. وقد خلف سيربا قاغان، جيبي قاغان (٦٤٦ ـ ٦٤٧ = ١) وهو ابن شي باي قاغان وحفيد شيبي قاغان ولسقوط دولة الشرق بعد جيبي قاغان فقد أصبح حكام الغرب، ملوكا للدولة الكبرى خمسة وثلاثين عاماً حتى مجيء ايلتريش قوتلوغ قاغان إلى الحكم عام ٦٨٢.

وبهذه الصورة فقد أسدل الستار على الفترة الأولى لتاريخ كوك تورك (٥٥٢ ـ ٦٤٧ = ٩٥) وبدأت الفترة الثانية التي استمرت خمسة وثلاثين عاماً، أما الفترة الثالثة والمسماة (عهد قوتلوغ) فقد استمرت ثلاثة وستين عاماً (٦٨٢ ـ ٧٤٥) ودور القوة للفترة الأولى دام سبعة وخمسين عاماً (٥٥٢ ـ ٦٠٩) إذ وقع حكام الشرق بعد عام ٦٠٩ تحت النفوذ الصيني ثم أطيح بهم من قبل الصينيين نهائيّاً عام ٦٤٧. أصبح بيلكة تاردو قاغان ابن ايسته مي قاغان حاكماً للدولة التركية الكبرى في عام ٦٠٠ وقد كان حاكماً للغرب (٥٧٦ ـ ٦٠٣ = ٢٧) وقد تزوجت إحدى بنات ايسته مي قاغان بحاكم إيران المشهور الشاهنشاه خسرو أنوشيروان، وتزوجت الأخرى بملك بي ـ جيو في جانغ ـ نكان عام ٥٦٥.

واشترك بيلكه تاردو قاغان وأبا قاغان (٥٧٦ ـ ٥٩٣ = ١٧) في حكم دولة الغرب. وأبا قاغان هو ابن قاغان هو ابن باغان قاغان الابن الأوسط

لبومين قاغان. وبذلك فقد أسهم أبناء بومين أيضاً إضافة إلى أبناء ايسته مي في حكم دولة الغرب.

وبعد أباقاغان فقد اشترك ابنه الأكبر اينال قاغان (٥٩٣ ـ ٦٠٠ = ٧) في حكم الغرب مع بيلكه تارود. أما ابنه جور تومان قاغان (٦٠٠ ـ ٦١١ = ١١) فقد ظل حتى عام ٦٠٣ نائبا لبيلكه تاردو ثم حكم شخصيّاً في دولة الغرب. وخلفه في الحكم عمه شيكوي قاغان (٦١١ ـ ٦١٩ = ٨) فأعقبه ابنه تونغ يابكو قاغان (٦١٩ ـ ٦٣٠ = ١١) ثم اعتلى العرش قاغان الثامن الابن الأصغر لبيكله تاردو باغاتور سيبي قاغان (٦٣٠ ـ ٦٣١ = ١) فقد كان أخوه الأكبر يانغ صو تيكين متوفيّاً. وقد انتهى حكم أبناء ايسته مي بذلك واستلم أبناء بومين الحكم في كلا الفرعين.

والقاغان التاسع للغرب هو سر ـ يابكو قاغان (٦٣٠ ـ ٦٣٣ = ٣) وهو الابن الأكبر لتونغ ـ يابكو قاغان. وابنه الأصغر هو ملك قوندوز (أفغانستان الحالية) تاردو شاد. وقد أصبح ابن حفيده شي ـ لي ـ مانغ ـ كيا ـ لو (ولم نتوصل إلى معرفة اللفظ التركي لاسمه) حاكماً أو ملكاً لتوهارستان حتى عام ٧٥٠. وقد اعتنق هذا المعروف باللغة السنسكريتية سري مانكالا، الديانة البوذية. وقد حكم أحد أحفاد تاردو شاد الآخرين وهو كيو ـ بي ـ جو في طاشقند وقبل عام ٧٥٠ بحكم الصينيين. وحكم توغشادا والذي يعتقد بأنه حفيد تاردو شاد أيضاً تسعة وعشرين عاماً من (٧١٠ حتى ٧٣٩) في بخارى واعترف بسلطة الصينيين هو الآخر عام ٧١٩. ومن إخوته المعروفين أرسلان. ويتبين من هذا أن أحفاد تاردو شاد قد حكموا تركستان الغربية فترة طويلة.

والقاغان العاشر لدولة كوك تورك الغربية باشاغا طولو قاغان (٦٣٣ ـ ٦٣٤ =١) هو ابن أولوغ شاد الأكبر (وأولوغ شاد هو الابن الأصغر لآبا قاغان) وقد خلف هذا شقيقه اشباره تريش تونكا قاغان (٦٣٤ ـ ٦٣٩ = ٥) ثم ابنه باغاتورايبي قاغان (٦٣٩ ـ ٦٤٠ = ١) فأحد أبناء اولوغ شاد، ايبي

طولو قاغان (٦٤٠ ـ ٦٥٣ ـ = ١٣) وقد كان الأخير يطالب بالعرش منذ عام ٦٣٨. وعلى أثر سقوط الدولة الشرقية في عام ٦٤٧ أصبح قاغانا للدولة الكبرى واحتفظ بهذا المنصب ستة أعوام. وقد اشترك معه في الحكم من أبناء أولوغ شاد، ابن كورشاد ايبي اشباره يابكو قاغان (٦٤٠ ـ ٦٤٢ = ٢) وابن باغا تور ايبي قاغان ايبي شاد كوي قاغان (٦٤٥ ـ ٦٤٩ = ٤) وابن بورو شاد أولوغ اشباره قاغان (٦٥١ ـ ٦٥٨ = ٧) وخلف ايبي طولو قاغان ابنه جنجو يابكو قاغان (٦٥٣ ـ ٦٥٩ = ٦) وهو القاغان الخامس عشر للدولة الكبرى والسابع عشر لدولة الغرب.

وأعقب هذا اجينه تورجه قاغان (٦٥٩ ـ ٦٧٩ = ٢٠) والذي يعتقد بأنه ابن الحاكم الأخير. ولنذكر هنا بأن الحاكم ما قبل الأخير لدولة الشرق سيربا قاغان قد يكون هو الآخر من أبناء اولغ شاد. ولا نعلم نسب حكام الغرب بعد هذا بالنسبة لآبائهم أو إخوتهم وهم:

اجينه كور بور جور قاغان (٦٧٩ ـ ٦٨٢ = ٣)، اجينه تو يجا قاغان (٦٨٢؟ ـ ٧٠٠؟ = ١٨؟) اوجه له قاغان (٧٠٠ ـ ٧٠٦ = ٦) وابنه سوكه قاغان (٧٠٦ ـ ٧١١ = ٥) والحاكم الأول من هؤلاء هو حاكم للدولة الكبرى في نفس الوقت إلى أن ظهر ايلتريش قوتلوغ قاغان في ٦٨٢ فأسس الدولة الشرقية الثانية مرة أخرى ويرقى إلى منزلة الإمبراطور الأكبر للدولة التركية الكبرى.

ويسمى حكام الغرب ما بين الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين بقاغانات توركيش وهم: صولو قاغان (٧١١ ـ ٧٣٥ = ٢٦) توكسن قاغان (٧٣٧ ـ ٧٣٩ = ٢) اجينه كين قاغان (٧٣٩ ـ ٧٤٠ = ١) باغا تاركان قاغان (٧٤٠) ايل ـ ايتمش قوتلوغ بيلكه قاغان (٧٤٠ ـ ٧٤٢ = ٢) وتنكرى ايال ـ ايتمش قاغان (٧٤٢) وقد سقطت دولة الغرب في عام ٧٤٢ وأعقبتها دولة الغرب في عام ٧٤٥ فانتقل الحكم إلى سلالة دوقوز أوغوز أون أويغور.

وقد أسس ايلتريش قوتلوغ قاغان (٦٨٢ ـ ٦٩٣ = ١١) الدولة الشرقية مجدداً فبدأت بذلك الفترة الثالثة من تاريخ سلالة كوك تورك والتي يسميها هواة خلق الدول من المؤرخين بدولة قوتلوغ. وقد أسهمت زوجته أل بيلكة خاتون في حكم الإمبراطورية وارتقاء الدولة إلى مصاف العظمة بحيث تضاهي الإمبراطورية التركية على عهد مته وبومين. وقد خلف ايلتريش شقيقه قاباغان قاغان (٦٩٣ ـ ٧١٦ = ٢٣) وقد قتل قاباغان المولود عام ٦٦٥ في ٢٢ تموز ٧١٦ عن واحد وخمسين عاماً مخلفاً ثلاثة أبناء: بوكو قاغان، ايني خان، يولوغ تيكين، وقد طالب بوكو في عام ٧١٦ بالعرش لأشهر معدودة وقتل في نفس السنة. ولقي أخوه ايني خان نفس المصير. أما يولوغ تيكن فاشتهر بكونه أديباً لامعاً وقد عاون أبناء عمه بيلكه قاغان وكول تيكن. وبعد وفاة قابا غان تأزمت الأمور إلا أن الابن الأكبر للقاغان ايلتريش قوتلوغ استلم مقاليد الأمور وهو بيلكه قاغان (٧١٦ ـ ٧٣٤ = ١٨) وحكم الإمبراطورية بمعاونة أخيه القائد العام كول تيكن في جو من الألفة والتعاون يثير الإعجاب. وبذلك فقد عاشت سلالتهم والإمبراطورية التركية على عهدهم دورها اللامع الأخير. وقد توفي كول تيكن في ٢٧ شباط ٧٣١ وهو في السابع والأربعين من عمره في غمرة الحرب قبل ثلاثة أعوام من وفاة أخيه. وكان شقيقه الذي يكبره بعام واحد بيلكه قاغان متزوجاً من ابنة بيلكه تونيوكوك، وتونيوكوك الذي ولد عام ٦٤٨ كان قائداً عامّاً للقوات التركية لمدة خمسة وعشرين عاماً من ٦٨٢ وهي عام ٧٠٢ على عهد ايلتريش قوتلوغ وشقيقه قاباغان ثم أصبح رئيساً لوزراء بيلكه مدة ثمانية عشر عاماً من ٧١٦ إلى عام ٧٣٤. وقد توفي بعد عام ٧٣٤ عن تسعين عاماً. وله فضل كبير كقائد عام للقوات وكوزير أكبر في رفع شأن الدولة. وتميز كل من ايلتريش قوتلوغ قاغان وقاباغان قاغان وبيلكه وكول تيكين وتولوغ تيكن وبيلكه تونيوكوك في الإدارة بالفطنة والدهاء أضفوا على التاريخ التركي والحضارة التركية الكثير واشتهروا بهذه الميزة. وقد قتل بيلكه قاغان وهو في الحادي والخمسين من عمره فخلفه ابنه الأكبر وصهر

قاغان التوركيش، ايجن بيلكه قاغان (٧٣٤ ـ ٧٣٩ = ٥) ثم شقيقه بيلكه قوتلوغ قاغان (٧٣٩ ـ ٧٤١ = ٢) وبعد مصرعه حكم الشقيق الأصغر لبيلكه وكول تيكن، بنكه قاغان عاماً واحداً (٧٤١ ـ ٧٤٢) وخلفه الابن الثالث لبيلكه قاغان سوين قاغان (أشهراً معدودة عام ٧٤٢) ثم ابن بنكه قاغان أوزمش قاغان (٧٤٢ ـ ٧٤٤ = ٢) وبعد مصرعه خلفه شقيقه به يمي قاغان (٧٤٤ ـ ٧٤٥ = ١) وبعد القاغان الأخير الذي يأتي تسلسله السادس والعشرين من حكام هذه السلالة انتقل العرش إلى دوقوز أوغوز ـ أون أويغور. وليلكه قاغان وكول تيكن شقيقة لم نتوصل إلى معرفة اسمها كانت متزوجة من قائد تركي اسمه بارس بك.

الإمبراطورية التركية على عهد الكوك تورك

كان بومين قاغان وشقيقه ايسته مي وابنه (قاغان الشرق) باغان قاغان فاتحين عظاماً وقد وسعوا الحدود التركية إلى أبعد مدى وصلته منذ عهد مته أي منذ سبعة قرون. وأصبحت بحيرات ارال وبالقاش وبايقال بحاراً داخلية تركية، كما كانت السواحل الشمالية والشرقية لبحر الخزر بيد الأتراك في هذه الفترة. وقد اجتاز الأتراك في هذا العهد جبال أورال ونهر أورال إلى الفولجا غرباً. واخترق خط الحدود الشرقي شمال كوريا إلى المحيط الكبير. وكانت سواحل مضيق سهالين تركية. أما في الجنوب فقد كانت تركستان الشرقية وتركستان الغربية عدا جنوبها الغربي ضمن أراضي الإمبراطورية. وقد وصل الكوك تورك إلى كشمير والتبت مزيحين هون الهند إلى الجنوب. كما استولوا على قان صو. وأصبح سور الصين حدّاً فاصلاً بين الإمبراطوريتين الكبيرتين (الصينية والتركية) كما توصلوا إلى خط عرض ٦٠ درجة شمالاً.

وقد أرسلت الإمبراطورية الرومانية (البيزنطية) الشرقية إزاء هذه القوة والعظمة رسلاً إلى قاغان الكوك تورك (في عهد جستنيان الكبير) فتأسست أواصر الصداقة والعلاقات التجارية. وكانت خصوم الإمبراطورية التركية في

هذا العهد، الإمبراطورية الصينية في الجنوب الشرقي والإمبراطورية الإيرانية (الساسانية) في الجنوب الغربي. وكان الساسانيون أيضاً في هذا العهد (عهد خسرو أنو شيروان) في أوج قدرتهم وبذلك فقد كان الجنوب والغرب منيعاً تجاه الأراضي التركية. وكان الجيش التركي لا يقهر. وقدم سفير الصين إلى الكوك تورك شانغ ـ سون ـ جينغ تقريراً إلى إمبراطور الصين بين فيه أن الأتراك لا يهزمون في ساحات الحرب واحتمال تعرض الصين إلى مخاطر كبيرة في حالة عدم اللجوء إلى خدع سياسية. وقد لجأت الصين إلى الخداع السياسي الذي كان طابعاً مميزاً لتصرفات حكامها فاستطاعت بذلك إضعاف بنية الإمبراطورية التركية في زمن يسير .

ثورة كورشــاد

ثورة كورشاد هي من مفاخر التاريخ التركي التي تثير الإعجاب. والأمير كورشاد هو ابن الإمبراطور العاشر جولوق قاغان الأصغر. وقد توفي جولوق قاغان بعد عامين من حكمه على يد زوجته الأميرة الصينية ايجينغ خاتون في عام٦٢١. فخلفه شقيقه عم الأمير كورشاد قاره قاغان وتزوج أرملة أخيه تبعاً للتقاليد التركية. وقد انصاع القاغان الضعيف إلى دسائس زوجته الصينية وأحدثت سنين القحط والبرد تخريباً مروعاً في الديار التركية. فاستطاع الجيش الصيني مستفيداً من كل ما تقدم أن يغلب الجيش التركي على أمره في عام ٦٣٠ وأسر قاره قاغان مع مائة ألف تركي على يد الصينيين وتوفي القاغان بعد أربعة أعوام من الأسر نتيجة الحزن والكمد.

وقد أعلن الصينيون سيربا قاغان إمبراطوراً تركيا خلفاً لقارة قاغان. إلا أن الأتراك الذين اعتادوا العيش مستقلين منذ ألف عام لم يقبلوا بحكم هذا الحاكم الذي كان ألعوبة بيد الصينيين وعملوا سرّاً لإنقاذ الأسرى الأتراك والإطاحة بحكم الصينيين. وقد تشكلت هيئة للثورة من ٤٠ شخصاً. وانتخب هؤلاء النبلاء الأمير كورشاد رئيساً لهم إلا أن كورشاد كان قد قرر أن يودع الإمبراطورية إلى شخص آخر عند نجاح الثورة وأن يبقى بعيداً عن

السياسة لئلا يرتاب أحد في كون الثورة قد قامت لأسباب قومية بحتة. وأن لا يفكر أحد بأن كورشاد قد قام بالثورة ليكون إمبراطوراً. وبذلك فقد رفض الأمير التركي ترشيح زملائه له ليكون إمبراطور الأتراك. وبذلك فقد تقرر أن يسلم العرش إلى ابن أخ كورشاد بعد نجاح الثورة.

وقد كان على عرش الإمبراطورية الصينية في هذه الآونة ثاني أباطرة تانغ من سلالة الإمبراطورية الثامنة عشرة لي - شيه - مين والذي كان في الأربعين من عمره حاكماً منذ ثلاثة عشر عاماً. وقد كانت الصين بملايينها الخمسين من أكبر دول العالم وقتذاك وكان مئات الألوف من الأتراك الذين يعيشون في طوق حكم الصينيين في شمال الصين يواجهون خطر الامّحاء من الوجود.

وقد كانت خطة الثورة تستند على ما يلي: اسر الإمبراطور لي - شيه مين وذلك باختطافه وأخذه إلى البلاد التركية ثم مبادلته بالأسرى الأتراك في القصر الصيني والأراضي التركية. وحال إعلان الثورة كان الأتراك سيهبون مجهزين على الصينيين ومعلنين الاستقلال. وكان من المعروف أن الإمبراطور الصيني كان يتجول ليلاً متخفياً في العاصمة جانغان وقد بيت الأتراك العزم على اسر الإمبراطور آنذاك بسهولة. إلا أن عاصفة مفاجئة هبت ليلة التنفيذ حالت دون خروج الإمبراطور من قصره. وخشي كورشاد من مغبة تأخير التنفيذ خوفاً من افتضاح أمر الخطة وقتل الأتراك الأسرى. وبجرأة خارقة قرر كورشاد الهجوم على القصر الإمبراطوري واختطاف الإمبراطور بقوة السلاح. وكان في هذا يعتمد على الفارق الكبير بين مقدرة استعمال زملائه للسلاح وبين الصينيين.

وبالفعل فقد هجم الأبطال الأربعون في تلك الليلة على قصر الإمبراطور الصيني. واغتيل مئات الصينيين بسهام الأتراك. إلا أن العدد الفائق للحراس الصينيين كان حائلاً دون وقوع الإمبراطور الصيني بيد الثوار. وقد أمر كورشاد حال تيقنه من هذا بالانسحاب من القصر فهجم

الثوار الأتراك على إسطبلات القصر واستولوا وغنموا جياد الإمبراطور واستطاعوا أن يخرجوا من العاصمة الصينية. إلا أن جيشاً صينيّاً بكامله اقتفى أثر الثوار الأربعين. وقد وقف الأتراك على ساحل نهر وي وقتلوا من الصينيين مئات آخرين ثم قتلوا ببطولة نادرة. وبقي كورشاد وتسعة وثلاثون زميلاً له على تربة ساحل وي الصفراء مخلفين للتاريخ التركي مفخرة تعد من قبيل المعجزات.

ولم يستكن الأتراك بعد إحباط الثورة فاهتزت الأراضي التركية طلباً للاستقلال. وإذا أنعمنا النظر لا نجد بطولة فائقة مثل هذه الثورة في تاريخ أية أمة فقد أرعب هؤلاء الثوار الإمبراطورية الصينية إلى حد كبير وكان عملهم حافزاً قويّاً لاستقلال الأتراك، تطور على مر الزمن ليصبح سيلاً يكتسح الأراضي الصينية.

عهـد قوتلوغ

التقى في الفترة الثالثة والأخيرة لحكم الكوك تورك والمسماة بعهد قوتلوغ أبرز الشخصيات المعروفة في التاريخ التركي. إلا أن انسحاب هؤلاء من مسرح إدارة الدولة أدى إلى تدهور في وضع السلالة وتركها الحكم بالتالي. وقد بلغت الدولة في عهد ايلتريش قوتلوغ قاغان إلى حد الرقي الذي بلغته في عهد بومين وايسته مي قاغان. ولم يخل هذا العهد من أوقات عصيبة ومنها أن جيشاً صينيّاً قوامه ٣٠٠,٠٠٠ رجل زحف على أوتوكن عاصمة الإمبراطورية التركية إلا أن كول تيكن استطاع أن يصد هذا الجيش وأن يغلبه على أمره وأن يجبر الصينيين على دفع ضريبة سنوية مكونة من ٣٠٠,٠٠٠ قطعة حرير.

ويجب أن لا يغرب عن البال أن الصين كانت تعيش بدورها في فترة رقي وقوة آنذاك فلم تكن الفتوحات والانتصارات التركية تحقق بشكل حملات بسيطة، وإنما كانت تحصل بوساطة وعي وتكاتف شعبي اقتضى

الكثير من الجهد والتضحية للحفاظ على عظمة الإمبراطورية. واقترب العرب في دور قوتلوغ من آسيا الوسطى مهددين سلطة الصين من جهة والأتراك من جهة أخرى على هذه المناطق. وقد حلت الإمبراطورية العربية المسلمة (الدولة الأموية) القوية محل الإمبراطورية الإيرانية.

وبذلك فقد كانت نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن فترة وعي وتقدم بالنسبة للأتراك والصينيين والعرب في آن واحد. وقد اقتسم الأقوام الثلاثة الكبيرة قارة آسيا بينهم. وإذا كان الأتراك والصينيون قد أسسوا دولاً كبيرة منذ قرون عديدة فقد كان العرب يشكلون لأول مرة دولة كبرى واحدة. وإلى جانب هذا فقد انسحبت الإمبراطورية الإيرانية من مسرح التاريخ لانقراضها أمام الضربات العربية نتيجة انحدارها إلى أدنى درجات الضعف بسبب الضربات التركية المتكررة على مر العصور. وقد دخل الأتراك في عام ٦٨٧ إلى إقليم شانسي في الصين إلا إنهم اضطروا إلى الرجوع. ولكنهم قاموا بتلافي ذلك الرجوع بتغلبهم على الصينيين قرب هينغ ـ هيا في عام ٦٩٤. وظهروا عام ٦٩٨ شمال بكين. وقد هزم الجيش الصيني مرة أخرى أمام الجيوش التركية التي قادها قابا غان قاغان شخصياً في عام ٧٠٦ فقويت بذلك شوكة الأتراك. وفي عام ٧٠٧ قام الجيش التركي بقيادة كول تيكين بتقوية الحدود الجنوبية الغربية تجاه الجيوش العربية المستولية.

والتقى الجيشان التركي والعربي في عام ٧١١ في جنوب تركستان الغربية. وفي عام ٧١٣ زحف الجيش التركي على بيش باليق وعززت مكانة الإمبراطورية ونفوذها على القبائل التركية والإيرانية. وهزم الأوغوز العصاة في عام ٧١٥ قرب قارا كول. وفي ٢٢ تموز ٧١٦ قتل قابا غان قاغان على ساحل تولا قرب كرولين أثناء قمعه لعصيان البايركو إثر كمين مدبر.

وقد عد الأتراك هذه الحادثة قومية يشترك في مسؤوليتها الأمة كلها. والاشتراك في تحمل المسؤولية هذا بادرة فريدة ومما يبعث في الوقت نفسه

على الدهشة بالنسبة لذلك العهد (كيرود ـ ٥٢).

وبعد وفاة قاباغان قاغان اشتبك أبناء أخيه بيلكه قاغان وكول تيكين مع ابني القاغان المقتول في نزاع على العرش (إذ انحاز الثالث إلى صف بيلكه ـ كول تيكين) وبعد انتصارهما في هذا النزاع أعلنت الحرب على دسائس الصينيين وعلى القبائل التي أرادت الانفصال من الاتحاد التركي. وقد استمرت هذه الاشتباكات حتى مقتل كول تيكن في ٢٧ شباط ٧٣١ وبيلكه قاغان في ٢٥ تشرين الثاني ٧٣٤.

وتشترك المصادر التركية في تزويدنا بالمعلومات المتعلقة بهذا العهد مع المصادر الصينية على خلاف العهود السابقة التي كنا نستقي أخبارها من المصادر الصينية فقط. وقد اضطر الأتراك لبذل الجهود للدفاع عن تركستان الغربية ضد العرب والحفاظ على البقاع الواقعة بين الحدود الصينية وبحر الخزر.

وقد أدت محاولة الأوغوز مد نفوذهم إلى السلطة وصدامهم مع الكوك تورك من أجل ذلك إلى أضعاف بنية الدولة. كما كان المغول الذين كانوا يشتركون في إدارة الحكم على عهد الهون والتابغاج والآبار متذمرين لعزلهم على سفوح جبال كنكان ومعاملتهم كقوم محكوم من قبل الكوك تورك. ونرى أن مغولستان الحالية قد تم تتريكها تماماً في تلك الفترة ودفع بالمغول إلى البلاد التي كان يسكنها التونكوز سابقاً في الشرق. وقد عاد المغول إلى مغولستان وسكنوها إثر تجمع الأتراك في تركستان على عهد القاراخانيين وقد استعمل قاباغان نفس السلاح الذي كان الصينيون يستعملونه فتدخل في شؤون الصين وحتى في أمور السلالة الحاكمة. وقد رفض طلب الإمبراطورة الصينية تزويج ابن أخيها من أميرة تركية بدعوى أن السلالة الصينية لا تليق بأصالة السلالة التركية.

وقد تمت المحافظة على الشعور القومي في هذا الجو المتأزم وأضيفت هالة من القدسية على العاصمة أوتوكن بالإضافة إلى قدسية

القاغان. وفي كتابات أورخون عبارة تقول: ـ إن البؤس لا يطرق أبواب أوتوكن مادام القاغان التركي فيها .

وقد تجلت عظمة الدولة في مراسيم جنازة كول تيكين والتي كان الأتراك يسمونها (يوغ) فقد اشترك في تشييع الجنازة وفود من الصين والتبت وإيران ومن كل الشعوب المنظمة إلى الاتحاد التركي حاملة معها هدايا فاخرة لتوضع في قبر الأمير. وقد أظهر الإمبراطور الصيني شهامة تذكر بإنشائه نصباً تذكارياً نقشت عليه عبارات تبجل الأمير الراحل وبطولاته محيياً بذلك ذكرى الأمير الذي كان من ألد أعدائه. ولعله فعل ذلك لسروره الفائق لتخلصه من أخطر أعدائه (وهذا النصب هو في يدنا حاليّاً) ولا محل للارتياب في صدق مظاهر كل هذا التبجيل. ولعظمة الإمبراطورية دخل في إظهار كل هذا الاحترام. إلا أننا نرى بتدقيقنا للمصادر التركية والأجنبية إن الأتراك كانوا يضفون على السلالة الحاكمة صفة الألوهية وقد استمر الحال على هذا المنوال حتى اعتناق الأتراك للدين الإسلامي. فمظاهر الاحترام والتقدير التي أظهرت في جنازة كول تيكين تفيد بان روح الفروسية والنبل كانت مسيطرة على آسيا آنذاك بحيث يحتم على الكل احترام عدوه الصادق البطل.

ومن الأسباب المؤثرة على رفع شان الدولة التركية واستمرارها في عهد قوتلوغ هو وجود بيلكه تونيوكوك. وقد قاد هذا البطل الذي ولد في الصين ووقف على دقائق الطباع الصينية الجيوش التركية كقائد عام ثم أصبح وزيراً أكبر أثناء حكم بيلكه قاغان.

الإمبراطورية التركية في عصر الكوك تورك

اعتنى في هذه الفترة بالجيش التركي ليحتفظ بصفته المتميزة كأقوى جيش في آسيا. وقد كان ثلثا الجيش في هذه الآونة خيالاً والباقي مشاة. إلا أن الحروب التي كانت تجري في الأقاليم البعيدة كانت تتطلب اشتراك

الفرسان فقط. وقد كانت خيالة الأتراك كمشاة المقدونيين والبيزنطيين لا تقهر ولا يحول دونها حائل.

وقد كانت السرعة أول عوامل نجاح الجيش التركي. إذ إن المباغتة والسرعة كانت تولد انتصارات فائقة. وكانت طلائع العاصفة للجيش العثماني تتبع نفس الأسلوب على ما يذكر. وكان هذا الأسلوب وحده هو المؤثر في انتزاع النصر في مواجهة الجيوش الصينية الكثيفة. إذ كانت الجيوش التركية تنقض على الأعداء في وقت لا يتوقعه إثر مسيرة إجبارية ليلاً ونهاراً وتبديل الخيل المتعبة بالاحتياطية. وكانت الجيوش التركية تقبل الحرب في مواجهة جيوش قوامها مئات الألوف فتنسحب إلى أراضي نائية تركية موقعة الأعداء في حيرة من أمرها ثم تستعمل حرب العصابات منزلة بهم ضربات قاصمة وتعتمد في النهاية وعلى بعد مئات الكيلو مترات من قواعد الأعداء إلى إنزال الضربة القاضية عليهم في وقت تكون فيه متفككة تعبة. وإذا كان الأعداء يخشون البعد عن قواعدهم فلم يكن الأتراك ليعيرون أية أهمية لذلك. وقد سحقت جيوش صينية متضخمة بعبيدها وصفوفها المساعدة أمام الجيش التركي بخيالاته السريعة وخفيفة الحركة وقد كان الجيش التركي بين أعوام ٧٠٥ ـ ٧١٠ أي في إدراج عظمة الإمبراطورية مكوناً من ٢٣٠،٠٠٠ شخص.

ويجب أن لا يغرب عن البال أن الصين كانت متميزة بكثافة سكانها ويظهر من إحصاءات سنة ١٤٠ إن نفوس الصين كان ٤٩,٢٠٠,٠٠٠ منه ثلاثون مليوناً في إمبراطورية وي، و ١١,٧٠٠,٠٠٠ في إمبراطورية وو، و٧,٥٠٠,٠٠٠ في إمبراطورية سهو ـ هان وكان من بين سكان إمبراطورية وي مليون نسمة من الأتراك. وقد تزايد هذا العدد بعد خمسة قرون أي في عهد الكوك تورك.

الوضع المعنوي للإمبراطورية

ازدادت العلاقات الثقافية بين الأتراك وجيرانهم في فترة وصل فيها الأدب التركي إلى درجة راقية. ولنأخذ مثلاً كلمة اينجي (أي الجوهرة) فقد اقتبس الأتراك هذه الكلمة التي كان الصينيون يلفظونها جين جو على شكل ين جو ثم حوروها إلى اينجي وكانت الجواهر تأتي إلى الأتراك من الصينيين.

وقد كان الحكام الأتراك ورجال الدولة واقعيين نتيجة الظروف الجغرافية والتربية فيهم. ويظهر جلياً من كتابات أورخون واقعية بيلكه قاغان ومعرفته للأمور بصورة دقيقة.

وقد توصل الأتراك إلى استعمال لغة الشعر في النثر كأبرز ما توصلوا إليه من درك الثقافة والأدب. وقد كانت الطبقة العليا تحسن القراءة والكتابة وتستعمل الألفباء القومية.

أوتوكــــن

كانت اوتوكن عاصمة الإمبراطورية في موقع جغرافي ممتاز على خط عرض ٤٧ درجة وخط طول ١٠١ درجة (نفس خط عرض مدينة بودابست) ومناخ هذه البقعة مساعد لنمو النباتات. وغابات أوتوكن تكمن بين نهر أورخون وفرع تامير من نهر سلنكه. واتخاذ الأويغور الذين حكموا الدولة بعد الكوك تورك لمدينة قارابالكاسون التي تبعد ٦٠ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من أوتوكن دليل على كون هذه البقعة ملائمة من كل الوجوه.

الثقافة التركية على عهد الكوك تورك

أضحت الأقوام الإيرانية أقلية في تركستان الشرقية في عهد الكوك تورك. فقد انتشر الأتراك في جبال التون وجبال تانرى أي في منطقة جايدام إلى التبت. وكان شمال مقاطعة البامير تركية. ويعتقد بان الأتراك كانوا يشكلون أكثرية في فرغانة. وكان شمال تركستان الغربية في شمال بحر

الأسرار أي قازاخستان الحالية تركية بأكملها. كما كان نفوس الأتراك يهدد نفوس الأقوام الإيرانية في ما وراء النهر. وارتفع نفوس الأتراك في عصرين حكم فيهما الكوك تورك إلى درجة كبيرة.

ولا تقتصر آثار الحفريات العائدة إلى عهد الكوك تورك على الآثار المدفونة تحت الأرض. فقد وجدت آثار مكتوبة على هيئة كتابات محفورة على الصخور وقطع العظام. ولعل من اشهرها كتابات أورخون أو كتابات الكوك تورك. وقد حافظ الشعب آنذاك على هذه الكتابات المنقوشة لقدسيتها لديهم. وبذلك انتقلت هذه الكتابات التي ترقى إلى ١٢ ـ ١٤ قرن إلى يومنا هذا. ولا يزال سكان أواسط آسيا يقدسون الأماكن التي وجدت فيها هذه الكتابات. ولئن كنا قد توصلنا إلى كتابات أورخون وهي كتابات قاغانات الكوك تورك فلم نتوصل إلى معرفة أماكن قبورهم. ولا شك أن هذه القبور كانت على قمم الجبال في مناطق نائية محيت آثارها واندرست. في حين نصبت ألواح الكتابات في أماكن على مرأى من الجميع. ولا محال للاعتقاد بأن القبور التي وجدت قرب الألواح المذكورة تعود إلى بيلكه قاغان وكول تيكين ولاسيما الأول إذ إن المحافظة على سرية أماكن قبور الحكام كانت من التقاليد التركية الموروثة. وقبور اتيلا وجنكيز من اشهر الفاتحين غير معروفة أيضاً طبقا لهذه التقاليد.

وفي القبر الذي ينسب إلى كول تيكين تمثالان مضموما الذراعيين وتمثال من الرخام يمثل أسداً كما توجد تماثيل أخرى في القبر الذي ينسب إلى بيلكه قاغان. وقد وجدت سيوف كثيرة تعود إلى هذا العهد وهي طويلة مقوسة. وقد كان هؤلاء يحملون السيف معهم ويعلقونه من جهة الخاصرة بحزامين مصنوعين من الجلد.

وتفيد المصادر الصينية بوجود علامة فارقة على شكل رأس ذئب من الذهب على رايات الكوك تورك. إلا أنها لا تصف شكل العلم نفسه. وقد وجدت على الصخور الكائنة على ساحل لينا وينيساي كتابات تمثل فرساناً

رفعوا بأيديهم إعلاماً. إلا أن شكل الأعلام وألوانها غير واضحة.

وقد اكتشف علماء الآثار معالم قنوات للري محفورة من قبلهم. وقناة توتو من ضمن هذه القنوات وبلغ طولها عشرة كيلو مترات. وقد اكتشف علماء الآثار الروس أن هذه القناة قد حفرت في أراضي صخرية صلبة يصعب حفرها. وربطت بها شبكة لتوزيع الماء نظمت حسب أرقى المعلومات الرياضية. وقد أحيا الروس في عام ١٩٣٥ هذا المشروع إذ وجدوا أن لا مجال للتوصل إلى شكل أفضل منه. ويعتقد الأثاريون الروس أن الأتراك كانوا يزرعون الحبوب والنباتات المختلفة هنا في القرن الأول قبل الميلاد.

والتماثيل التي وجدت ومنها ما تعود لنساء هي من الطابع التركي إلا ما ندر. إذ إن الوجوه طابع طبيعي ينسب إلى الجنس الأبيض. والعيون ليست غائرة كما لا يوجد بروز في عظام الوجنة. وهذه التماثيل تعطينا فكرة واضحة عن الطابع التركي في عهد الكوك تورك.

وقد وجدت آثار المدن العائدة لهم ودققت من قبل علماء الآثار الروس. ولأطلال بارس خان قرب بحيرة ايصيق (قرغيزستان الحالية) طابع فريد يدل على عهد الكوك تورك. كما وجدت خرائب مدن جاركلان، جومكال، جالديوار، آت باش، شيرداك ـ بك و مانا كلدي في السفوح الشمالية لجبال تانري. وقد فحصت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها من قبل عالم الآثار الروسي برنشتام. وأكثرية هذه المدن محصنة.

ودخول فرغانة إلى الجامعة التركية في هذا العهد هو من أهم حوادث هذا العصر. وهي حالياً واحدة من بضعة أقاليم تضم كثافة كبيرة من السكان الأتراك. وقد دلت الدراسات التي أجريت على مدن تركية في فرغانة مثل جيكرجيك وياسيكوكارت على أمور لها أهميتها البالغة. وقد كانت فرغانة في يد التوركيش وهم حكام الغرب التابعين للكوك تورك. وقد ألحقت في القرن الثامن من قبل العرب إلى الإمبراطورية الإسلامية. وقد ازداد تغلغل

الأتراك في فرغانة على عهد الحكم العربي إلا أن تم تتريكها في عهد القاراخانيين. وفرغانة مركز زراعي وتجاري هام حفرت فيها الأقنية وتمت الاستفادة من كل شبر من أراضيها.

ومن المعروف أن الأتراك كانوا يدينون بالشامانية حتى عهد القاراخانيين فكانوا يعبدون الإله الأزرق وقوى الطبيعة. إلا إنهم اعتنقوا عدة ديانات أخرى ثم نبذوها. ويستدل من آثار ترقى إلى عهد الكوك تورك أن قسماً من الأتراك القاطنين في الجنوب الغربي بالقرب من حدود الإمبراطورية الإيرانية قد اعتنقوا الديانة الزرادشتية أي عبادة النار. ويعتقد أن بعض الأمراء الأتراك المنسوبين إلى سلالة الكوك تورك والذين كانوا يديرون خرا سان وما وراء النهر وفرغانة بشكل شبه مستقل قد اعتنقوا هم الآخرون الديانة الزرادشتية. وينعكس هذا على ما نرى في ملحمة ماناس.

وقد عثر على نقود تركية في الحفريات التي تمت في منطقة يدي صو أي في الجنوب الشرقي من بحيرة بالقاش. وقد كتبت على هذه النقود التي سكت من قبل حكام التوركيش عبارات تركية. ويرجع أقدم نقد تركي مكتشف لدينا إلى أوائل القرن الثامن وقد وجدت منها قطع بخمس فئات. وقد اكتشفت كتابات عديدة أخرى مكتوبة بكتابة الكوك تورك إلا أنها لا ترقى إلى أهمية كتابات أورخون الثلاثة. ولكنها أفادتنا كثيراً في معرفة معلومات خافية عن التاريخ التركي. وبعض من هذه الكتابات أقدم من كتابات أورخون بقرن ونصف أو قرنين. وتسمى بكتابات ينيساى لأنها وجدت على الأكثر قرب ينيساى الواقع إلى الجنوب من جبال صايان وهو النهر الذي يسميه الأتراك نهر كم. وهذه البقعة تشكل الآن جمهورية قانوتوفا الروسية ويشكل أهاليها الأتراك والمغول. وتدل الحفريات أنها كانت مأهولة بقبائل الكوك تورك والقرغيز في عهد حكم الكوك تورك. ولعل من المفيد أن نذكر أن المصادر الصينية تعتبر هذه المنطقة المنشأ الأصلي لقبيلة وسلالة الكوك تورك.

وتفيد المصادر الصينية أن الأتراك كانوا يكتبون بطريقة الحفر على الأشجار. ولم يستعملوا الورق إلا في عهد الاويغور الذين خلفوا هؤلاء. ولذلك فلم يبق من عهد الكوك تورك سوى الكتابات المنحوتة على الصخور بعكس وثائق الاويغور التي بقيت إلى الزمن الحاضر.

وقد اكتشفت كتابات الكوك تورك في فرغانة وفي الجنوب بين بحر الأسرار وجو في إقليم تالاس. وبذلك فقد انتشرت الألفباء القومية التركية في إيران وإقليم منشوريا. ولم تكن القراءة والكتابة محصورة آنذاك على الطبقة الراقية بل كانت عامة الشعب تحسن ذلك. وقد اكتشفت كتابة كتبت من قبل فلاح تركي في إقليم تالاس توضح لنا طريقة الري التي كان يستعملها ذلك الفلاح. والمفيد أن نذكر أن مدينة مينغ ـ بولاق في جنوب تالاس كانت مصيفا لقاغانات الكوك تورك الغربيين.

وقد كانت قبيلة قوري قان تعيش في شمال جبال سايان وتربطهما علاقات متينة بقبيلة الياقوت التي تعيش إلى شمالها الشرقي وقد كانت هذه الأقاليم تشكل الحدود الشمالية للدولة التركية. وقد أهملت هذه المناطق للظروف الطبيعية القاسية الموجودة فيها وبقي الياقوت شبه منعزلين فيها. وللخيل التي كانت القوري قان يربونها شهرة خاصة وقد ربوا غزلان الرين التي كانوا يمتطونها. وكانوا يستعملون الكلاب لسحب زحافاتهم. كما كانت خيامهم مدببة. وقد وجدت أعلام منحوتة على الصخور تعود إليهم. ويستدل من الصخور المنحوتة أن الأتراك كانوا يستعملون أحذية من الجلد ولباساً طويلاً للرأس. كما كان المحاربون منهم يستعملون الدروع. وأحذية الأتراك كانت مشهورة في آسيا والبلاد العربية.

أما القرغيز فقد كانوا يعيشون على ساحلي نهر ينيساي في الشمال الغربي من جبال سايان والتي تقع في أقصى الجنوب من سهل سيبريا. وقد وصل حكام الكوك تورك إلى مقاطعات القرغيز الذين كانوا مجاورين للقوري قان في الشرق والقارلوق في الجنوب الغربي أي في شمال

الألطاي. وقد كانت هناك قبيلة تركية أخرى تدعى سير ـ تاردوش تعيش في السفوح الشمالية لجبال سايان. وقد كان القرغيز والكوك تورك في هذه المناطق يستعملون الزحافات شتاء. والقرغيز بعيدون نسبيّاً عن القبائل التركية الأخرى. إلا أنهم امتزجوا مع غيرهم في عهد الكوك تورك. وقد كانوا مشهورين بتعدين الحديد وصنعه.

وقد اكتشفت مناجل وآلات زراعية حديدية تعود إلى هذا العهد. كما كانت أقنية الري العائدة لهم تمتد إلى وادي كم (ينيساي) ويستدل من هذا أن الأتراك كانوا يمتهنون الزراعة إلى جانب تربية الحيوانات.

مذكرات هوان ـ دزانغ

للسائح الصيني هوان ـ دزانغ مذكرات هامة عن أحوال الكوك تورك. وقد التقى بقاغان الكوك تورك الغربي عند دخوله مدينة سوياب وكان الأخير عائداً من الصيد. وقد كان القاغان يلبس ثياباً حريرية خضراء وقد أطلق شعره. وكان برفقته مائتا ضابط يلبسون ثياباً حريرية غالية وكان لبعضهم دروع. كما كان البعض منهم يحملون أعلاماً. وكان الجنود يتبعونهم ممتطين الجياد والجمال. وكانت الجياد تصهل ولم يستطع السائح تقدير عدد الجنود الذين وصفهم بقوله:

كانوا على درجة من الكثرة بحيث يصعب رؤية نهاية ركبهم.

وقد لمحه القاغان فكلمه فأمر أحد ضباطه بمرافقته. وقد أكرمه هذا في خيمة كبيرة ثم استدعاه القاغان بعد ثلاثة أيام إلى خيمته.

كان أثاث الغرفة مزركشاً و محلًّى بالذهب (يبهر الأبصار) وكان القارخانات أي النبلاء يجلسون على بسط وثيرة ويلبسون ثياباً حريرية موشمة بالذهب. وخلف القاغان يقف حراس عديدون. وقد تحدث القاغان مع الراهب الصيني بدماثة فأجلسه وكان هناك مترجم تركي يترجم حديثه إلى الصينية.

ثم استدعى السفراء الذين كانوا برفقة الراهب في نفس القافلة. وقد قدموا للقاغان رسالة إمبراطور الصين وهداياه فشكرهم القاغان ثم بدأ الحاضرون بتناول الطعام والشراب في جو مفعم بالموسيقى التركية. وان كانت الموسيقى التركية لا تشبه الصينية (فإنها كانت مع هذا تسبغ لوناً من المتعة على السامعين) ولم يتناول الرهبان البوذيون لحم الخرفان والثيران وأكلوا من القطائف والقشدة والعسل والحلويات. ثم قدم الشراب مرة أخرى.

ولا يخفي السائح دهشته من كرم ضيافة الأتراك وصداقتهم وإنسانيتهم وهم الذين صوروا من قبل الصينيين سفاحين خطرين. وقد نصح القاغان السائح الصيني بعدم السفر إلى الهند مبلغاً إياه بأنه لن يتحمل جوه القاسي. وعلى أثر ثبوت الصيني على عزمه أمر نبيلاً تركيّاً وبعض الجنود الذين يحسنون الصينية والهندية بمرافقته لتعذر عبوره جبال الهمالايا بمفرده. وأهداه ثياباً وخمسين قطعة من الحرير عند مغادرته إياهم. وقد وصل هوان ـ دزانغ إلى مدينة بينغ ـ يول (بين بنار) على بعد ٤ فراسخ من سوياب. وقد كانت هذه المدينة جنة مظللة بالأشجار وكانت بمثابة مصيف يصطاف القاغان فيه ويقضي أحرّ الأيام في ربوعه. وقد وصل بعد اجتيازه لعدة مدن إلى مدينة قوندوز (في تركستان الأفغانية حاليّاً) وكان يحكمها الابن الأكبر للقاغان توردو شاد، وقد كان الأمير مريضاً إلا أنه استقبل الراهب على فراش المرض ورحب به. ويدَّعي السائح الصيني بأنه عالج الأمير وشفاه.

والقاغان الذي يشير إليه السائح الصيني المشهور هو تونغ ـ يابكو قاغان (٦١٩ ـ ٦٣٠) واشتهر هذا القاغان بفتحه لمدينة ري (تارهان) وأصفهان في عام ٦٢٠. وقد عمل على بسط النفوذ التركي على هذه الأقاليم التي تقع في أواسط إيران بالرغم من عدم سيطرته عليها طويلاً. وقد حكم أحفاد تونغ ـ يابكو مائة وعشرين عاماً على الأقل (حتى عام ٧٥٠) في الجنوب الشرقي لتركستان الغربية.

الحضارة التركية على عهد الكوك تورك

كان الكوك تورك يقيمون قديماً بجوار بحيرة ايصيق ما بين جبال آلا وجبال تانرى. وهاجروا فيما بعد إلى الشمال إلى إقليم شنسي في الصين ثم إقليم تانو توفا. وقد نازعوا الآبار في الحكم وسكنوا غابات أوتوكن. ولهم دور في التاريخ التركي. وقد تركوا كتابات تاريخية على جانب كبير من الأهمية في حين كنا نستقي أخبار من قبلهم من المصادر الصينية ومن ذلك أننا لا نعرف الأسماء التركية الحقيقية لحكامهم.

وقد دونت هذه الكتابات المحفورة على الصخور بلغة الأدب لا باللغة التي كان عامة الشعب يتحدثون بها. وبالرغم من مضي ثلاثين ومائتان وألف سنة على لغة الأدب التي نقشت بها كتابات أورخون، فإن الرجل التركي المثقف يستطيع الإلمام بفحوى هذه الكتابات إذا قرأ نصها. فإذا رجعنا إلى ثلاثين ومائتين وألف عام قبل كتابات أورخون فسنصل إلى عام ٥٠٠ قبل الميلاد. ونستطيع التكهن بأن التغير الذي طرأ على اللغة ما بين عهد الكوك تورك وقبله في عهد مته كان قليلاً، إذ إن مته لم يعش في عام ٥٠٠ ق.م بل بعد ثلاثة قرون من هذا التاريخ. ولهذا أهمية كبرى لتاريخ الفكر التركي. فالفرنسي مثلاً لا يستطيع أن يفهم ميثاق ستراسبورغ الذي يعد النموذج الأول للغة الفرنسية والذي كتب بعد قرن واحد من كتابات أورخون تقريباً. ويتبين من هذا أيضاً خطأ نظرية نيميث المجري ورمشتيد الفنلندي القائلة باشتراك اللغتين التركية والمغولية في أصل واحد ثم تفرعها إلى لهجتين مختلفتين بمرور الأيام. إذ يتبين بتحكيم المنطق وبالمقارنة المذكورة أعلاه أن اللغة التركية في عهد الكوك تورك لم يطرأ عليها تغيير كبير بالقياس على ما كانت عليه في عهد الهون.

ومن مميزات هذا العهد تتريك بعض القبائل الإيرانية وتبنيها اللغة التركية. وانتقال الأتراك إلى مرحلة الحضارة المستقرة والتي تكاملت على عهد الأويغور من بعدهم. ولا شك في أن الأتراك سكنوا المدن قبل الكوك

تورك ولم يعيشوا في الخيام فقط. إلا أن علماء الآثار يرون أن عدد المدن قد زاد في هذا العهد. وتفيد المصادر العربية أن (مدن الأتراك كثيرة يسكنها التجار وهي ذات أسواق مليئة بالبضائع) بالنسبة إلى هذا العهد.

وقد بدأ في هذا العهد الاحتكاك بالحضارة الإسلامية. والتجأ آخر أباطرة إيران الساسانيون يزدجرد الثالث في عام ٦٤٢ بعد هزيمة نهاوند إلى القاغان الغربي للكوك تورك في مرو طولو قاغان. وقد عبر العرب الذين استولوا على خراسان مجر آمو في عهد الدولة الأموية إلى ما وراء النهر. واحتل الوالي والقائد الأموي قتيبة بن مسلم جميع أنحاء ما وراء النهر الخاضعة للأتراك وألحق سمرقند وبخارى بالإمبراطورية الإسلامية. وقد اعتنق الأتراك الساكنون في هذه البقاع الدين الإسلامي فكانوا أول من أسلم من الأتراك. وقد أصبح للعرب المسلمين في هذه الآونة أكبر دولة في العالم وبدأوا بسطوتهم يهددون الصين إضافة إلى البيزنطيين والأتراك. وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين بسقوط الدولة الأموية في عام ٧٥٠ خرجت الإمبراطورية الإسلامية عن كونها دولة عربية وأصبحت دولة إسلامية بمعنى الكلمة. واشترك الفرس في إدارة الدولة مضفين عليها قوة كبيرة. وقد بدأ الأتراك أيضاً في التغلغل في أركان الدولة إلى أن أصبح الحرس التركي بعد قرن من هذا التاريخ على درجة من القوة تمكنه من خلع الخلفاء ومبايعتهم.

وفي عام ٧٥١ خرج جيش صيني جرار بقيادة كاو ـ سيان ـ جه متوجهاً إلى طالاس (غرب بحيرتي بالقاش وايصيق) لطرد العرب من آسيا الوسطى. وقد شبت في هذه البقعة حرب ضروس من أعنف حروب القرون الوسطى وكان على رأس العرب القائد زياد بن صالح. وقد انضم الجيش التركي إلى جانب العرب في هذه المعركة وهزم الصينيون فانسحبوا من آسيا الوسطى واستولى العرب على قسم كبير من تركستان وتجاوزوا بحر الأسرار إلى الأقاليم التركية. وقد انضم الأتراك إلى جانب العرب في هذه

المعركة لوجود العداء التقليدي بين الأمتين التركية والصينية منذ فجر التاريخ وعدم التحام الأتراك بالمسلمين قبل هذا التاريخ. ولئن كان التوركيش قد دافعوا عن سمرقند وبخارى ضد العرب دفاعاً دموياً عنيفاً فإن هذه المصادمات كانت تقع بين القبائل التركية نفسها أيضاً، ثم إن الأتراك عوملوا معاملة حسنة بعد تأسيس الإدارة الإسلامية في ما وراء النهر وعومل معتنقو الإسلام من بينهم بنفس معاملة الفاتحين. كما أن العرب لم يكونوا يشكلون خطراً على الحدود الشمالية الشرقية لآسيا الوسطى وطن الأتراك نظراً للظروف الجغرافية في حين أن الحدود بين الأتراك والصينيين كانت تمتد على طول سور الصين وكانت بغداد عاصمة الدولة الإسلامية العربية بذلك بعيدة عن موطن الأتراك بعداً شاسعاً.

وقد أدى هذا التلاحم بين القومين الفاتحين الكبيرين التركي والعربي في العصر الثامن إلى تقارب نفسي، وساعد على هذا التقارب التسامح الأممي للدين الإسلامي وبعد الأتراك عن التعصب الديني على مر العصور. وبذلك فإن اعتناق الإمبراطورية التركية للدين الإسلامي بعد قرنين من هذه المعركة الكبرى إنما كان نتيجة لتكامل منتظم بعيد عن الارتجال.

وبهذه الصورة فقد أسس الأتراك علاقات متينة مع الفرس والعرب. وقد اتبعوا سياسة صداقة مع الفرس ولم يشتبكوا معهم إلا مضطرين. وقد أصبح الإمبراطور الأكبر للساسانيين كسرى الأول أنوشيروان (نوشيروان) والذي حكم ثمانية وأربعين عاماً صهراً لأيسته مي قاغان في عام ٥٦٣. فقد كان خلفه وابنه هرمز الرابع مشهوراً في التاريخ الفارسي باسم تورك ـ زاد وهو حفيد ايسته مي قاغان من جهة أمه. وقد لعب الأتراك دوراً مهمّاً في الجيش الساساني على عهده.

وقد أمن برويز الثاني ابن هرمز الرابع جانب الأتراك في الشرق فقام بفتوحاته الكبرى واستولى على مصر واليمن وفلسطين وردوس وأوسكدار. والتجأ ابن أخيه يزدجرد الثالث إلى الأتراك أمام الغزو العربي.

وقد كان نقض قاغان الكوك تورك الغربي تونغ يابكو (٦١٩ ـ ٦٣٠) الصلح مع الفرس عاملاً مساعداً لاستيلاء العرب ولولا ذلك لما استطاع العرب أن يظفروا بنتيجة غير النتيجة التي حصلوا عليها مع البيزنطيين وما كانت الأراضي الفارسية ضمن البقاع الكثيرة التي استولوا عليها في فتوحاتهم. إذ وجه تونغ يابكو ضربة قاصمة إلى الإمبراطورية الإيرانية بفتحه ري وأصفهان وأشرف على مداخل الشرق الأدنى، وفي عام ٦٢٣ تعاون الكوك تورك مع أتراك الخزر القادمين من قفقاسيا والقوات البيزنطية على إبادة جيش الفرس وبذلك فقد فتحوا طريقاً للفتوحات العربية وكانت الصين ترقب الانتصارات الغربية للأتراك عن كثب.

وقد أطلقت تسمية الترك على جميع القبائل التي تتكلم التركية في عهد الكوك تورك فقد كانت كل قبيلة وكل فخذ يعرف باسمه قبل هذا التاريخ مثل الهون والكوك تورك والخزر والقرغيز والقارلوق والتوركيش والجيغيل والياغما والأويغور، فإطلاق كلمة تورك على جميع هذه القبائل على شكل اسم قومي واعتماد المصادر العربية والبيزنطية لهذا الاسم كان له الأثر الكبير في توضيح معالم القومية التركية. وبذلك فقد أطلق الكوك تورك اسم تورك الدال على قبيلتهم على جميع الأقوام التي تتكلم التركية واستمرت هذه التسمية حتى بعد سقوط سلالة الكوك تورك عن الحكم. واستمرت القبائل والأفخاذ التركية على تبني هذا الاسم الموحد من تلك العصور وحتى محاولة الروس إطلاق الاسم القبلي عليهم مثل الأوزبك والقرغيز والقازاق والاذري والتركمان والتتار والباشقورد والجواش والياقوت والقاراقالباق.

وقد تزايد النفوس التركي في هذا العهد وساعد على حركة قبائلهم. فقد وصل نفوس القرغيز الذي قدر في القرن السادس بـ ٤٠٠،٠٠٠ نسمة الى أكثر من مليونين في القرن الثامن. واستوجب ذلك انتشاراً جغرافياً أوسع. وعلى سبيل المثال فإن عدد نفوس تركستان الشرقية في القرن الأول

قبل الميلاد كان أقل من مليون نسمة حسب المصادر الصينية (على أساس خضوع ٣١٥,٠٠٠ رجل للضريبة) وقد تبين من إحصائيات العرب في القرن التاسع في ما وراء النهر لغرض الضرائب أن نفوس هذا الإقليم الخصب كان ١,٥ مليون نسمة. ومن الطبيعي أن هذا الفراغ قد ملئ نتيجة تزايد نفوس الأتراك المستمر. ومن الأمور المؤيدة من قبل المصادر الصينية أن الكوك تورك كانوا من نفس الفخذ الذي انحدر منه الهون.

التقويم التركي

استعمل الأتراك تقويم الاثني عشر حيواناً. وقد استمروا على استعماله حتى اعتناقهم الإسلام وأخذهم بالتقويم الهجري والشهر القمري، وظل استعمال التقويم الحيواني مستمرّاً حتى بعد الإسلام. ويظهر من تدقيقات المؤرخ زكي وليدى طوغان أن البدء باستعمال هذا التقويم كان في عام ٢٠٠٠ ق.م. ويعتقد أن القبائل التركية بدأت باستعمال هذا التقويم منذ ذلك التاريخ. وفي هذا التقويم يطلق اسم حيوان معين على عام فيستمر اثني عشر عاماً وبذلك تنتهي الدورة الأولى لتبدأ الدورة الثانية بنفس تسلسل أسماء الحيوانات وهذه الأعوام هي عام الفأر، عام الثور، عام النمر، عام الأرنب، عام الغول، عام الثعبان، عام الحصان، عام الخروف، عام القرد، عام الدجاجة، عام الكلب، عام الخنزير.

المجتمع التركي في عهد الكوك تورك

يستند نظام المجتمع التركي في عهد الكوك تورك شأنه شأن هذا المجتمع في جميع العصور قبل الإسلام إلى أساس أرستقراطي وكان يطلق على النبلاء اسم تارخان وهم معفون عن دفع الضرائب. وكان يترأس طبقة النبلاء بطبيعة الحال القاغان الذي كان الحاكم الأكبر للأتراك. كما كان هناك قاغان آخر في الغرب من نفس السلالة إلا أنه تابع لقاغان الشرق. أما زوجة القاغان فكانت تدعى قاتون (وأصبحت هذه الأسماء فيما بعد خاقان

وخاتون) أما الأمراء فكانوا يسمون تيكن وزوجاتهم قونجوي. أما الأمراء الذين كانوا يتسلمون مناصب رفيعة كألوية أو قيادة الجيوش فكانوا يسمون يابكو أو شاد. وكان رؤساء القبائل يسمون هان (خان أو قان) أما النبلاء الآخرون فكانوا يسمون عادة تارخان أو جور، أو ابا أو تودون. وكان يطلق على الحرس الخاص لقب بوري (أي الذئب) وكان ضباط هذا الحرس يختارون من طبقة النبلاء.

وكان كل شاب تركي جندياً لا يعمل في الأرض لكي لا يفقد طبيعته العسكرية. أما الفلاحة والزراعة فكان المسنون والأسرى هم الذين يهتمون بأمرها.

وكان الفحش منعدماً ويحكم على من يعتدي على امرأة متزوجة بالإعدام. أما التعرض لفتاة فكان جزاؤه نفس الجزاء إذا لم تقبل الفتاة الزواج بالجاني. أما السارق فكان يجبر على تعويض ما سرقه بعشرة أضعافه فإذا فشل في هذا فقد حريته وعدّ أسيراً. في حين كان الزواج يتم على أساس الكفاءة بين الطرفين وكان محرماً على فتيات الطبقة النبيلة الزواج من الطبقة العامة.

الأدب في عهد الكوك تورك

ألفباء الكوك تورك هي الألفباء التركية القومية وهي مرتبة بشكل تتفق مع متطلبات اللغة التركية. وقد كان الذين أوجدوها مطلعين على القواعد الصوتية للغة التركية. إذ إن التركية تكتب بهذه الألفباء أحسن من كتابتها بالألفباء العربية. وهي مكونة من ثمانية وثلاثين حرفاً، أربعة منها حروف العلة أو حروف صوتية و A و E فيها هي نفس i و I كما إن O و U هي نفس Ö و U في حين أن حروف العلة في الحروف العربية هي ثلاثة وتكتب أصوات الواو جميعها بنفس الشكل.

ويعد التوصل إلى حل رموز كتابات أورخون نقطة تحول في

الدراسات التركية. ويشير المؤرخ الإيراني الجويني في معرض كتابته لتاريخ المغول في أوائل القرن الثالث عشر (تاريخ جهانكشاه) إلى كتابات أورخون كما أن المصادر الصينية المعاصرة له تذكر نصب هذه التماثيل التي تضم تلك الكتابات المنقوشة.

وقد نشر جوهان فون شتراهلنبرغ الضابط السويدي من أصل ألماني والذي أسر من قبل الروس إبان معركة بولتافا في ٨ تموز ١٧٠٩ ونفي إلى سيبريا فبقي يتجول فيها ثلاثة عشر عاماً بعد عودته إلى السويد في عام ١٧٢٢ نشر كتابه (الأقسام الشمالية والشرقية من أوربا وآسيا) ويشير فيها إلى كتابات أورخون مع مقتبسات من هذه الكتابات. وبالرغم من الضجة التي آثارها هذا الكتاب في أوربا فإن أحداً لم يفهم مغزى هذه الإشارات العجيبة. كما أن السائح الروسي بالاس رأى هذه الكتابات أثناء جولته في هذه المناطق في أواخر القرن الثامن عشر وكتب عنها. كما نشر سباسكي في عام ١٨٢٢ في كتابه الذي طبع في بترسبورغ (لينينغراد لاحقاً) اثنين وعشرين صورة من كتابات الكوك تورك هذه. وقد وجد شميدت في هذه الآونة نصبين آخرين يحتويان على نماذج من تلك الكتابات. وقد ألمح المستشرق الفرنسي المعروف أبيل ريموسات عام ١٨٢٥ إلى عائدية هذه الكتابات إلى الأتراك بقوله إنها في الوطن القديم للأتراك. وقد أخذت لجنة علمية فنلندية برئاسة هيكل نماذج من هذه الكتابات وتدارسها علماء ينتسبون إلى جميع الأقوام إلا أن الألغاز لم تحل.

وأخيراً توصل إلى حلها أحد أساتذة جامعة كوبنهاكن رئيس أكاديمية الدانمارك العلمية الملكية ولهلم لودفيك بيتر طومسن (١٨٤٢ ـ ١٩٢٧) في عام ١٨٩٣. وقد بدأ بقراءة كلمات تنكري (تانري) أي الإله وتورك وكول تيكين ثم بدأ بمقارنة بقية الحروف بما قرأه وقد نشرت الكلمات التركية مع ترجمتها الفرنسية والألمانية وقد ترجمها إلى الألمانية العالم الألماني الكبير رادلوف الذي كان يعمل في روسيا. وبذلك اكتشفت إحدى روائع التاريخ القديم.

وموقع هذه الكتابات قياساً من جنوب بحيرة بايقال هي ٤٠٠ كيلو متر جنوباً وغرب مدينة أوركا عاصمة مغولستان بـ ١٦٠ كم. وتقابل خرائب مدينة قارا قوروم عاصمة جنكيز خان. أي أن خرائب قارا قوروم تقع على الساحل الغربي لنهر أورخون وتقع كتابات أورخون على الساحل الشرقي له. وتقع هذه المنطقة على خط عرض ٤٨ درجة وخط طول ١٠٤ درجة وتقع إلى الشمال الغربي منها بحيرة أوكني ـ نور وتسمى هذه المنطقة كوشور جايدام.

وتبعد كتابات بيلكه قاغان كيلو متراً واحداً عن كتابات كول تيكين. والأخيرة هي أنظف وأمتن الكتابات الثلاثة ولم تصبها يد التخريب إلا قليلاً. وارتفاعها ٣،٧٥ متر أي أن ارتفاعها ينيف على !رتفاع شخصين طويلين وهي عريضة من ناحية القاعدة وإلى القرب منها سبعة تماثيل من المرمر كسرت رؤوسها فيما بعد. ويظهر من الحفريات أن هذه البقعة كانت مسورة لا يسهل الدخول إليها. وكتابات بيلكه قاغان تشبه الأولى من حيث الشكل والارتفاع. وتختلف عن هذه من ناحية عدد الأسطر. ولاندثار بعض أجزائها فقد صعبت قراءتها. وتعرف كتابات بيلكه قاغان في عرف العلم بالثانية وكتابات كول تيكين بالأولى وكتابات بيلكه تونيوكوك بالثالثة. ولكل من الكتابات أربعة جوانب ويشار إليها كما يلي:

N = الشمال، S = الجنوب،E = الشرق، W = الغرب. والأرقام التي تلي هذه تشير إلى تسلسل الأسطر. فإذا قلنا 2N8 فإننا نعني السطر الثامن من الجانب الشمالي من كتابات بيلكه قاغان. وهناك نسخ صينية من كتابات بيلكة قاغان وكول تيكين صنعت من قبل الفنانين الذين أرسلوا من قبل إمبراطور الصين.

وكتابات تونيوكوك هي أصغر الكتابات وفيها ٦٢ سطراً. وقد وجدت كتابات أخرى بالإضافة إلى هذه الكتابات الثلاثة ذات الشهرة العالمية. وتعرف لدى العلماء بكتابات ينيساي لأنها وجدت بالقرب من نهر ينيساي

والذي يطلق عليه نهر يم. وهذه المنطقة تقع في تانوتوفا.

وحروف الكوك تورك استعملت من قبل الأتراك قروناً عديدة. ويمكن مشاهدة آثار هذه الحروف إلى زمن قريب بالرغم من أن حروف الأويغور قد طغت عليها فيما بعد. وقد ثبت أن الألفباء التي كان يستعملها السكيل من مجريي ترانسلفانيا مشتقة من هذه الحروف. والسكيل الذين كانوا من الأتراك قديماً يعتبرون البقية الباقية من الآبار المهاجرين إلى أوربا، وقد كانوا يكتبون المجرية التي كانوا يتكلمونها بألفباء مشتقة من ألفباء الكوك تورك. وقد ثبت من دراسات العلماء المجريين أن آخر من كانوا يتقنون الكتابة بهذه الحروف عاشوا في القرن الماضي.

أهمية كتابات الكوك تورك

لا مثيل لهذه الكتابات في تاريخ الحضارة التركية وبذلك فهي على أقصى درجات الأهمية. ويمكن القول بأنها أهم من مئات الألوف من الآثار التركية المكتوبة. ويرقى بذلك يولوغ تيكين كاتب هذه الكتابات إلى مصاف أدباء الأتراك العظام. ويلي هذه في الأهمية ديوان لغات الترك لمحمود الكشغري والمكتوب في عهد القاراخانيين. ومن الصدف أن يكون الكشغري كسابقه يولوغ تيكين من أفراد السلالة الحاكمة في الإمبراطورية. وهذان المؤلفان يعدان من أعمدة الأدب التركي. ويأتي (قوتادغو بيليك) من نظم وتأليف الوزير يوسف خاص حاجب نظماً وكتاب (دده قورقوت) مجهول المؤلف في مصاف أبرز المؤلفات التركية. وقد كتب المؤلفان الأخيران بعد اعتناق الأتراك للإسلام. ويأتي بعد هذا حسب الأهمية الملاحم التركية ونصوص أدب الأويغور ومذكرات بابور شاه (بابورنامه) و دواوين نوائي وكتبه: حمسه ومحاكمة اللغتين وكتبه المنثورة، وشعر فضولي وبابور شاه، والشعر الشعبي للشعراء أحمد يسوي ويونس أمره، وكتب جلبي الكاتب وشعر نسيمي وسلطان ولد ومؤلفات جودت باشا وعبد الحق حامد ونامق كمال وقواميس عاصم المترجم. وقد تركت هذه المؤلفات

ومؤلفوها آثاراً لا تنمحي في الأدب التركي وسنفصل عند بحثنا لتاريخ الثقافة ما يخص الأدب التركي بشكل مقارن.

ولغة كتابات أورخون متطورة إلى حد يثير الإعجاب والحيرة في آن واحد. ويرى المدقق لغة نثر رفيعة تقارب درجة اللغة التركية التي يستعملها الأدباء الأتراك الكبار في القرن العشرين. وهذه اللغة شعرية تفيض حيوية وهي مكونة من جمل قصيرة غنية المعاني. وحذف كلمة منها أو إضافتها إليها يخل بالمعنى تماماً.

والأفكار التي تحويها هذه اللغة مثيرة للحيرة بالنسبة للقرن الثامن. إذ تفيض الروح القومية من بين الأسطر. ولا شك أن هذه الأفكار كتلك اللغة حصيلة تطور دام عصوراً عديدة وإن كان الأدب في هذه الكتابات يخرج إلى طور الوجود بشكل مفاجئ لفقدان النصوص التي سبقتها فإنه من المؤكد أن هذه اللغة مرت بتطورات عديدة وأساسية. ومن هذا تقدم المصادر الصينية تراجم للشعر التركي في عهد الهون. وقد نكتشف في المستقبل كتابات تعود إلى ما قبل عهد الكوك تورك. ويزداد هذا الأمل لدينا إذا ما تذكرنا أن أربعة آثار أدبية مهمة في التاريخ التركي وهي كتابات الكوك تورك، وديوان لغات الترك، وقوتادغو بيليك وكتاب دده قورقوت قد اكتشفت في الحقب الأخيرة. وإن كنا نكتشف كل عام شيئاً جديداً يعود إلى عهد الأويغور الذين جاءوا بعد الكوك تورك فليس من المستبعد أن نكتشف في يوم ما آثاراً يعود تاريخها إلى ما قبل الكوك تورك.

ويفيد المؤرخون أن الشعور القومي كان قد تبلور منذ عهد الهون. ويقول جيجي يابكو أحد أباطرة الهون في نهاية القرن الأول قبل الميلاد في إحدى خطبه إن الحرية والاستقلال هي ما توارثه الشعب من الأجداد إضافة إلى الوطن والدولة. ويفيد العالم الكبير هيرث الذي درس هذه الخطبة في المصادر الصينية بأن جيجي هو أول رجل دولة جعل الروح القومية أساساً لسياسة الدولة. وبذلك فليس من العجب أن نرى بروز الشعور القومي في

كتابات الكوك تورك. فقد برزت الروح التركية لتشكل طابعاً قومياً متميزاً في هذا العصر.

وقد كتب اسم كوك تورك في هذه الكتابات على شكل كوك تورك. أما لفظة تورك فتأتي أحياناً على شكل تورك وأخرى على شكل نوروك. ومما نعتقده أن الاسم كان في أصله توروك وقد أصبح على شكل تورك في هذا العهد. وقد كتب هذا الاسم في المصادر الصينية قبل الميلاد على شكل تيك وتذكر هذه المصادر في القرن الثامن عشر قبل الميلاد أي قبل ٣،٨٠٠ عاماً من الآن لفظة تيك = تورك. وكانت حروف الكوك تورك تكتب من اليمين إلى اليسار مثل الحروف العربية

وقد نصبت أولى هذه الألواح المحتوية على هذه الكتابة عام ٧٣٠ من قبل بيلكه تونيوكوك رئيس وزراء بيلكة قاغان. ونصبت الثانية عام ٧٣٢ من قبل بيلكة قاغان تخليداً لذكرى أخيه كول تيكين الذي قتل أثناء معركة عام ٧٣١ أما الثالثة فقد نصبت عام ٧٣٥ تخليداً لبيلكة قاغان الذي توفي عام ٧٣٤. وقد كتبت عبارات الكتابات الثلاث من قبل الابن الأصغر لقاباغان قاغان وابن عم بيلكه قاغان وكول تيكين، يولوغ تيكين. وينادي بيلكه قاغان في هذه الكتابات عبر العصور قائلاً:

«أنا بيلكه قاغان الذي خلق من الرب ويشبه الرب. جلست على العرش بمشيئة الله. فيا شعبي ويا سلالتي اسمعوني بدقة:

إن جميع الشعوب في مشرق الشمس وفي الجنوب وفي وسط الشمس وفي الغرب وفي الشمال في وسط الليالي تتبعني. فإذا ما بقي قاغان الأتراك في أوتوكن دائماً كما هي الحالة الآن فإن وطن الأتراك لن تصيبه أيدي المحن. وقد جلست أنا في أوتوكن أدير دفة الحكم لوحدي. لم يخدعني ذهب الصينيين وفضتهم وحريرهم وأقوالهم المعسولة وهداياهم الثمينة. لم أنس للحظة واحدة الأتراك الذين قتلوا بسببهم ووقعوا في قبضة أيديهم. وقد ساعدني الإله فأصبحت قاغاناً للأتراك. وجمعت شعث قومي

وأغنيت شعبي الفقير وأكثرت من عددهم. حاولت أن أكون ابناً لائقاً بآبائي بومين قاغان وايسته مي قاغان. قام أسلافي بإدارة بلاد الأتراك بدراية وحكمة فسعد الشعب التركي وبكى لوفاتهم بكاء مرّاً. ولم ينس جميع الأقوام الخاضعة لحكمهم من صينيين وسكان التبت والمغول الحياة الرغيدة التي عاشوها في ظلهم. وقد أعقب هؤلاء الحكام المشهورين حكام آخرون ليست لهم الدراية والحكمة الكافية ونتيجة لضعفهم ودسائس الصينيين فقد الشعب التركي أقاليمه الغنية وكسرت شوكة الأتراك.

ونتيجة لذلك أصبح النبلاء الأتراك الذين حكموا الصينيين عبيداً وأصبحت فتيات الأتراك جواري. وانتحل السادة الأتراك أسماء صينية تاركين أسماءهم العظيمة. وعاش الأتراك خمسين عاماً تحت الحكم الصيني المخجل المزري.

إلا أن الإله الأزرق رأف بحال الشعب التركي ونصب أبي ايلتريش قاغان وأمي ال بيلكه هاتون قاغانا للأتراك لكي يستعيد هذا الشعب مجده الغابر. وبعون الإله أصبح جيش أبي ذئباً وأصبح أعداء أبي خرفاناً. وتبعثر العدو أمام قواتنا كتبعثر الخرفان أمام الذئاب الكاسرة. وأحيا أبي دولة الأتراك ولمَّ شعث القوم المبعثر.

يا سادة الأتراك...... لن يختلّ قانون الأتراك ولا دولتهم ولا وطنهم ما لم تنشقّ الأرض وتسقط السماء. أيها الشعب التركي الخالد، عد إلى وعيك وكن لائقاً بدمائك التي أهرقت مثل الأنهار وبعظامك التي جمعت مثل الجبال.

يا شعبي..... اعلم أنني لم أصبح حاكماً لشعب غني قوي. بل توليت الأمور على رأس شعب ضعيف وفقير. وأقسمت مع أخي كول تيكين وابني أخي الأميرين على العمل من أجل الشعب الذي ضحى في سبيله والدي وعمي.

لم أنم الليل ولم اجلس النهار من أجل عظمة الشعب التركي وقوته. وعملت حتى الموت، حتى الإعياء. وقد ساعدني الإله وساعدني الحظ فأغنيت شعبي الفقير وأصبح الشعب التركي متفوقاً على جميع الأمم».

ملحمة أركنــه قـون

ملحمة أركنه قون جزء من الملحمة التركية الكبرى وموضوعها قوم الكوك تورك. تفيد عن منشئهم وخلاصة هذه الملحمة هي كما يلي:

«لم تكن هناك بقعة واحدة لا تتبع الكوك تورك في وطن الأتراك. وقد حز هذا في قلوب الأقوام الأخرى فتجمعوا وأغاروا على الكوك تورك للثأر منهم. وجمع هؤلاء خيامهم وقطعانهم في منطقة حفروا حولها خندقاً وانتظروا وصول الأعداء وبدأت المعركة التي استمرت عشرة أيام وتفوق الكوك تورك فيها.

وبعد هذه الهزيمة اجتمع رؤساء القبائل المعادية وسادتهم وتدارسوا هذا الأمر الجلل. وقرروا أن يأخذوا بالحيلة بعد أن خاب توفيقهم في الصدام المسلح. وعند الفجر تركوا حمولتهم وهربوا موهمين الأتراك بأنهم قد خذلوا إثر هجوم وتفرقوا. وظن الكوك تورك أن الأعداء قد فقدوا قوتهم ولاذوا بالفرار فأخذوا يقتفون آثرهم. وعلى حين غرة رجع الأعداء واخترقوا صفوف الكوك تورك تقتيلاً حتى وصلوا إلى خيامهم فنهبوا أموالهم وقتلوا كبارهم وأسروا صغارهم ورحلوا بعد أن اصطحبوا الأسرى.

وكان على رأس الأسرى الكوك تورك، ايل خان الذي لم ينج من أبنائه إلا واحد وهو قايي مع ابن أخيه المسمى دوقوز أوغوز. وكان قايي قد تزوج في تلك السنة. وقد استطاع قايي ودوقوز أوغوز أن يهربا من طوق الأعداء بعد عشرة أيام عصيبة قضوها في الأسر مع زوجتيهما. ولما وصلوا إلى ديارهم لمحوا جمالاً وخيلاً وقطعاناً من الخراف والبقر التي هربت من الأعداء. فوجدا أن أحسن طريقة للخلاص أن يلتجئا إلى مكان غير مطروق

في وسط الجبال الشاهقة فسارا بالقطعان إلى طريق الجبال.

وعندما وصلوا إلى مضيق لا طريق له سوى ذاك الذي سلكوه وجدوا أن الطريق من الضيق بحيث لا يسمح إلا بمرور ناقة أو حصان واحد فقط وكانت الجبال من الوعورة بحيث إن العابر إذا زلت قدمه سقط في هاوية سحيقة. وخرجا من هذا إلى سهل موفور الماء والكلأ يكثر فيه الصيد والأشجار والثمار. فشكروا الرب على هذه النعمة وسكنوا هذه البقعة يقتاتون على لحم الحيوانات شتاء وحليبها صيفاً. وصنعوا من جلودها ملابس يرتدونها وأطلقوا على هذه الأرض اسم (أركنة قون).

وتكاثر أطفال الأميرين في أركنة قون ولاسيما قايي خان. ومضت سنين عديدة وأولاد هذين الأميرين يعيشون ويتكاثرون في هذه المنطقة. ومرت قرون أربعة تكاثر عددهم وحيواناتهم فيها إلى حد لا يسمح بالعيش في هذه البقعة الضيقة فجمعوا مجلس الشورى ليجدوا طريق الخلاص. وتدارسوا الوضع بينهم على اعتبار أنهم سمعوا من آبائهم أن لهم وطناً خارج أركنه قون وعقدوا العزم على اكتشاف طريق الخروج منه والالتقاء بمن هم خارج الوادي ليعيشوا بسلام مع من يسالمهم ويقتتلوا مع من يعاديهم.

ونتيجة لهذا القرار فقد أجمع الكوك تورك على الخروج من أركنة قون إلا أنهم أخفقوا في الوصول إلى طريق الخروج وعند ذاك اقترح حداد أن يذيبوا قسماً من الحديد الموجود في الجبل تمهيداً لإحداث ثغرة ينطلقون منها إلى الخارج. وقد أعجبت هذه الفكرة كبار القوم واطلعوا على قطعة الجبل المعنية فجمعوا على سفح تلك البقعة وقوداً من الكثرة بمكان وأشعلوا ناراً متأججة رهيبة من سبعين مكاناً.

وبعناية الرب وعونه ذاب جانب من الجبل مخلفاً ثغرة تسمح بمرور ناقة محملة. وقد خرج الكوك تورك في تلك الساعة المقدسة من هذا المكان وقد اعتادوا على الاحتفال بذكرى ذلك اليوم عيداً. يطرق فيه خان

الكوك تورك قطعة حديد محمية في النار بالمطرقة ويتبعه الأمراء والنبلاء.

وقد أرسل بورتاجينه من سلالة خاقان الكوك تورك العظيم قايي خان رسلاً إلى الأقوام والأمم يطلعهم على خروج الكوك تورك من أركنة قون. ومرت السنين وعادت الأمم تخضع لحكم الكوك تورك».

خلاصة بشأن عهد الكوك تورك

يظهر من النظرة الموجزة التي اطلعنا منها على هذا العهد أن لسلالة كوك تورك شأناً هاماً في التاريخ التركي. وقد أوجزنا في هذه العجالة وضع الإمبراطورية التركية الآسيوية الممتدة من جزيرة سخالين إلى أواسط إيران والقرم وأثر العوامل الجغرافية على الأمور التاريخية وطبيعة القوم التركي ونفسيته وشخصيته. يقول البروفيسور الدكتور محمد ألطاي كويمن أستاذ التاريخ التركي العام في جامعة أنقرة:

لا يمكن مقارنة أية أمة بالأمة التركية من حيث انتشارها الجغرافي والدول التي أسستها (تاريخ السلاجقة، الجزء الثاني، صحيفة ١٣، منشورات مؤسسة التاريخ التركي)

ويقول البروفيسور الدكتور إبراهيم قفص أوغلو أستاذ التاريخ التركي العام في جامعة استانبول:

«كان الحكام يعتبرون أشخاصاً مكلفين من قبل الرب لإدارة شؤون البشر. وكان الشعب يضفي عليهم قبل الإسلام هالة من القدسية والألوهية ويعتقد أنهم يمتلكون قوة خارقة فوق طاقة البشر. ونتيجة روابط الدم والقرابة فقد كان هذا التقديس يمتد إلى أفراد السلالة الحاكمة وبذلك فقد كان كل فرد في السلالة بحكم وراثته هذه القوة الإلهية من جده في وضع يؤهله أن يكون حاكماً» (سلطان ملكشاه ص١٤ ـ منشورات جامعة استانبول).

وتوضيحاً لما جاء هنا نرى من المفيد أن نذكر أن الخاقان لدى

الأتراك كان فوق البشر وهم الذين أسسوا دولة دائمية حازت صفة الدولة الكبرى. وكان الأتراك يعتقدون بوجود صفة الألوهية لدى حكامهم. وتستعاد ذكرى بيلكه قاغان في كتابات أورخون بعبارة (من الإله ويشبه الإله بيلكه خاقان التركي) (انظر الكتابات التركية القديمة، حسين نامق أورقون الجزء الأول، ص ٢٢ ـ ٥٨ منشورات مؤسسة اللغة التركية) (جلست على العرش بمشيئة الإله) (نفس المصدر، الجزء الأول ص ٢٧ ـ ٤١).

وكان من المعتقدات المجزوم بها أن الخاقان قد ترأس الشعب التركي لتنفيذ إرادة الله ولذلك فقد كان مقدساً هو وأفراد عائلته. وكل أمير تركي (تيكين) له الحق والقابلية لأن يكون خاقاناً لما توارثه من سلفه من قدرة إلهية. وبالفعل فإن الإمبراطورية التركية كانت ملكاً مشتركاً للسلالة. وكان كل أمير تركي منذ صغره ينصب حاكماً عسكريّاً عامّاً لإقليم معين. ولم يكن معروفاً من سيكون خاقاناً على وجه التحديد. ولم تكن هناك قواعد معينة تحكم في هذا الأمر. وكان أقواهم على الأغلب هو الذي يصل إلى الحكم. وقد نتج عن هذا الأمر منازعات داخلية عديدة. إلا أن أي فرد خارج السلالة لم يكن يطمع نهائيّاً في الحكم أو يفكر في هذا الأمر إطلاقاً. كما كانت الرتب العسكرية الكبيرة يرثها الأبناء من آبائهم. وبذلك فقد ظهرت إلى الوجود أرستقراطية تركية إلا أنها لم تكن كما كانت الحالة في الغرب تمتلك حقوقاً تميزها عن طبقات الشعوب الأخرى.

وقد أوردنا مراراً أن المفهوم الجغرافي لم يكن معلوماً عند الأتراك. فقد كانت القبائل التركية إزاء تكاثر عددها أو تبدل المناخ أو الظروف الجغرافية تشد الرحال إلى الصين أو الهند أو إيران أو أوربا ولم تكن لتعيش هناك محكومة أبداً. إذ كانت تنهمك في تنظيم الشعب وتستولي على الإدارة. ويرى هذا الوصف الآن في الإنجليز في القرون الحديثة (عند الأنكلو ـ سكسون) ونتيجة لهذا فقد أصبحت الإمبراطورية البريطانية ثالث إمبراطورية عظمى بعد الإمبراطوريتين الرومانية والتركية.

الدول التركية التابعة للإمبراطورية التركية الكبرى

كانت الإمبراطورية الآسيوية الشمالية التي أطلقنا عليها اسم الإمبراطورية التركية الكبرى على شكل اتحاد فدرالي يضم دولاً عديدة. وأغلبها الدول والإمارات التي أسستها القبائل التركية المختلفة. وندرج هنا قسماً من هذه الدويلات والإمارات:

١ ـ مملكة تولوس	تذكر المصادر الصينية أسماء ثلاثة من ملوك قبيلة تولوس وهم الإخوة مي ـ كنو ـ تو (توفي في عام ٥١٦) أي ـ فو (٥١٦ ـ ٥٢٢) ويوه ـ كيو (٥٢٢ ـ ؟)
٢ ـ مملكة تونغ ـ هو (دونكهو)	كانوا تحت حكم السيانبيين حتى عام ٢٠٠ ق.م. وكانت منطقتهم تسمى او ـ هو ـ اوان (جنوب غرب منشوريا) وقد خضعوا حتى عام ٦٥ إلى الهون ثم الصينيين. وتذكر المصادر الصينية من ملوكهم: ـ كين ـ جي ـ فن (توفي عام ٦٥) فو ـ هو ـ يون (توفي عام ١١٥) كيو ـ لي ـ كيو (توفي في عام ١٩٢) ثم شقيقه الملك الأخير تا ـ تون (١٩٢ ـ ٢٠٨) وقد حاول الأخير أن يستولي على عرش الإمبراطورية الكبرى في عهد الهون في عام ٢٠٦ إلا أنه قتل في عام ٢٠٨. ولم يعتل ابن أخيه يو ـ به ـ بينغ العرش والتحقت المملكة بالصين.
٣ ـ مملكة تيم ـ تيم (ديملين)	دامت ثمانية قرون ونصف القرن من ٣٠٠ ق.م وحتى ٥٥٠ بعد الميلاد. وهي من أهم العناصر المشكلة لاتحاد الهون. وقد حكمها لفترة من الزمن أحد جنرالات الصين القدامى كوي ـ ليو

٤ ـ مملكة القرغيز

دامت خمسة عشر قرناً من ٣٠٠ ق. م وحتى عام ١٢٠٠. وقد تكلمنا آنفاً عن القرغيز ومناطقهم الجغرافية. ويطلق الصينيون على القرغيز اسم (كيان ـ كوين) وقد حكمهم من عام ٩٧ ق.م حتى عام ١٢٠٠ سلالة واحدة. ومؤسس هذه السلالة لين وكان جنرالاً في الجيش الصيني قبل اعتلائه العرش وقد توفي عام ٥٠ ق. م وقد تزوج أحد ملوك هذه السلالة من ابنة قاغان الأتراك التاسع من الهون.

٥ ـ مملكة اوسون

ويقال إنهم من سلالة السقا. وعاصمتهم جه ـ كو ـ جينغ الواقعة على نهر ايلي. وملكهم الأول الذي توصلنا إلى معرفة اسمه هو نان ـ تيو ـ مي (توفي في عام ١٦٠ ق. م) وخلفه ابنه كوين ـ ماو ومن ثم ابنه كين ـ مي وقد تزوج من أميرة صينية وأخرى من سلالة الهون. وتوفي في نفس السنة فخلفه ابنه كيون ـ سيو ـ مي (جين ـ تسيو) وقد توفي هذا أيضاً في نفس السنة (١٠٥ ق.م) وخلف هذا في العرش ابن عمه أونغ ـ كوي ـ مي (في ـ نانغ) (١٠٥ ـ ٦٠) وحكم لمدة خمسة وأربعين عاماً وتزوج من أميرة من سلالة الهون. فأعقب هذا ابن أونغ ـ كوي ـ مي، تي ـ مي (كوانغ ـ وانغ) ثم ابن أونغ ـ كوي ـ مي، يوان ـ كواي ـ مي والملوك الأخيرون لهذه المملكة هم تو ـ يو ـ مي ـ بي ـ يوان ـ جي (توفي عام ٤ ق.م)، او ـ جه ـ مي (حكم تسع سنوات من ٤ ق. م إلى ٥ ب. م)

٦ ـ مملكة هو ـ ته

٧ ـ مملكة قانقلي — م.مرت حتى عام ١٠ ق. م. وعاصمتها بي ـ تيان ـ جينغ وقد تأسست من اتحاد خمسة إمارات. وهي شهري سبز (سو ـ هياي = سورسه)، قوشانيه (فورمه = فو ـ مو)، طاشكنت (أوا ـ كي = يو ـ ني)، بخاري (كي = كي)، وأوركنج (يوه ـ كنين = يويه ـ كان) وقد انتشروا في خوارزم وما وراء النهر.

٨ ـ مملكة فرغانة — وعاصمة هذه الدولة التي أسماها الصينيون (تا ـ اوون) هي كواي ـ شان ـ جينغ. وقد دامت مملكة فرغانة التركية حتى عام ١٠٠ بعد الميلاد. وكانت أيام ضعف الإمبراطورية التركية تابعة للصينيين حتى أن هؤلاء أسسوا فيها إمارات عديدة. وتذكر المصادر الصينية اسم اثنين من ملوك فرغانة وهما ين ـ ليو، و كياو ـ سو ـ تي الذي خلفه عام ٤٦.

٩ ـ مملكة آلان — وكانت في سيبريا الغربية.

١٠ ـ مملكة تواون ـ جين — م.نت في سيبريا الشمالية واستمرت حتى عام ١٩٠ ق. م.

١١ ـ إمارة كشغر — كان الصينيون يطلقون على مدينة كشغر اسم سو ـ لي ـ جينغ وعلى وادي كشغر اسم سو ـ لو. وقد دامت الدولة التركية فيها حتى عام ٥٦٠. ومن حكام كشغر المعروفين الأمراء:

جينغ (توفي عام ٧٣) الأمير تيو ـ تي (٧٣ ـ ٧٤) ابن عم الأول جونغ (٧٤ ـ ٧٦) الأمير كان ـ كوي ـ كواي ـ سي، جينغ ـ بواون، هو ـ تي (شو ـ ته، (توفي عام ١٦٠)

١٢ ـ إمارة ياركنت

يسميها الصينيون شاو ـ جه، وأول أمرائهم وان ـ نيان وهو من أمراء الأوسون وأمه من أميرات الإمبراطورية الصينية. م.بح خليفة وابناً بالتبني للحاكم الذي سبقه (وقد يكون فارسيّاً) وقتل الأمير هو ـ تا ـ جينغ في عام ٦٤ ق. م. وتوفي من خلفائه ين في عام ١٤ فأعقبه ابناه كام (١٤ ـ ٣٣) وهيان (٣٣ ـ ٦٢) فأعقب الأخير الذي قتل ابنه يويو ـ كيو ـ جينغ. ثم ابن الأخير تسي ـ لي (توفي عام ٨٦) وقد استولى الصينيون على الأمارة في هذا العام. وابن كويسيانغ ابن هيان كان أمير مقاطعة يو ـ مي وتزوجت ابنة هيان من أمير هوتن، كوام ـ ته.

١٣ ـ إمارة هوتن

كان الصينيون يطلقون على مدينة هوتن اسم سي ـ جينغ وعلى وادي هوتن اسم يو ـ تيان. وقد دامت هذه الدولة حتى عام ٥٦٠ وقد حكم هذه الأمارة الأمير يو ـ لين ثم شقيقه كوي ـ شي (٦١ ـ ٦٢) إلا إنه قتل بعد عام واحد. كما قتل الأمراء كيون ـ ته، تو ـ مو، هيو ـ مو ـ يا. وحكم بعد ذلك ابن أخ الأخير كوام ـ ته وتزوج من إحدى أميرات إمارة ياركنت وتوفي حوالي عام ٨٠ ثم حكم الأمارة الأمير فانغ ـ تسين (توفي عام ١٤٠) وكيان ـ سوي (توفي عام ١٥٠) وخلف الأخير ابنه كان ـ كوي.

١٤ ـ إمارة يو ـ مي (كيو ـ مي)	عاصمتها كري ـ يا (كيو ـ مي = يو ـ مي ـ نيم ـ مي) وقد حكم فيها كياو ـ سو ـ تي الذي توفي عام ٤٦ فأعقبه أمير أمارة ياركنت ومن ثم كياو ـ سو ـ تي الثاني .
١٥ ـ إمارة تسيم ـ تسيو	عاصمتها تسيم تسيو التي تبعد ٢٣٠ كم إلى الشرق من كريا.
١٦ ـ إمارة آق صو	كان الصينيون يطلقون على مدينة آق صو (كيو ـ تسو= كي او ـ تسو= كيو ـ تساو) وعلى وادي آق صو اسم ين ـ جينغ= كو ـ لي ـ جينغ. ومن حكام هذه الإمارة التي خضعت للصين في عام ٢٢٢ الأمراء: ـ تسي ـ لو (قتل في عام ٥٠) وكيان (قتل في عام ٧٠)
١٧ ـ إمارة كو ـ مه	(كي ـ مه= بو ـ لو ـ كيا) عاصمتها نان جينغ التي تبعد ٣٣٥ كم إلى الغرب من عاصمة آق صو.
١٨ ـ إمارة وين ـ سو	ومدينة وين ـ سو تبعد عن نان جينغ ١٣٥ كم غرباً.
١٩ ـ إمارة قاراشار	وكان الصينيون يسمون قاراشار ين ـ شي وعلى واديها يون ـ كيو ـ جينغ.
٢٠ ـ إمارة شان ـ كوي	
٢١ ـ إمارة كوي ـ سيو	عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.
٢٢ ـ إمارة كوي ـ لي	عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.
٢٣ ـ إمارة كيو ـ لي	عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.
٢٤ ـ إمارة تسيه ـ مو	عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.

٢٥ ـ إمارة جن جن (ليو ـ لان)	عاصمتها مدينة كان ـ ني ـ جينغ قرب بحيرة لوب. وقد ألحقت عام ١٧٧ ق. م من قبل الهون بالإمبراطورية التركية الكبرى وخضعت في عام ٧٢ للصين وانضمت إليها عام ٢٢٢.
٢٦ ـ إمارة كامول	استمرت حتى عام ٥٦٠ وقد أطلق الصينيون عليها اسم أي ـ او ـ هيان. وعاصمتها أي ـ او ـ ليو وهي إلى الشرق من جبال تانري.
٢٧ ـ إمارة كيو	كانت في الشمال الغربي من دولة الاويغور.
٢٨ ـ إمارة بي ـ لو	كانت على سفوح جبال تانري. وقد انقسمت إلى أمارتين (كيان ـ تونغ ـ كوي ـ جينغ) (فان ـ كيو ـ لوي ـ كو ـ جينغ)
٢٩ ـ إمارة يو ـ لي ـ يا ـ سو	كانت إلى الشمال من الاويغور وعاصمتها نوي ـ تو ـ كو ـ جينغ.
٣٠ ـ إمارة تسي ـ مي	وهي إلى الجنوب من أمارة لو ـ تان ـ تسو ـ لي وقد انقسمت إلى شرقية (تسي ـ مي)وغربية.
٣١ ـ إمارة تان ـ يه	وهي إلى الشرق من إمارة او ـ تان ـ تسو ـ لي وعاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.
٣٢ ـ إمارة او ـ تان ـ تسو ـ لي	عاصمتها مدينة يو ـ ليو ـ كو جينغ

إمارة الأويغور

لما كان الأويغور قد خلفوا الكوك تورك في حكم الدولة التركية الكبرى فسيأتي البحث عنهم في فصل مستقل. وإمارة الأويغور كانت في غرب الكامول وقد شكل الأويغور إمارتين: أورمجي في الشمال (فو ـ تو ـ كو) وإمارة طورخان في الجنوب (كياو ـ هو ـ جينغ) وكانت هناك أربعة

إمارات صغيرة أخرى: ـ كو ـ هو، اي ـ جي، بو ـ لوي الأول وبو ـ لوي الثاني. وتذكر المصادر الصينية إن الأمير بو قد توفي في عام ١٣٠ ق.م. وقد خلفه او ـ كوي ثم خلفه أمير آخر اسر عام ٩٠ قبل الميلاد من قبل الصينيين. وبعد ذلك اعتلى العرش او ـ كواي شقيق ولي العهد كيون ـ سو وتزوج في عام تتويجه (٧٣ ق.م) من أميرة من سلالة الهون. وانضم الأويغور بعد هذا التاريخ إلى اتحاد الهون. ومن أمراء أورومجي المعروفين:

كو ـ كو (كيو ـ كو) (توفى عام ١٠ ب.م)، كان ـ تي (تولي عام ٧٤)، وشقيقه سوي ـ تي (٧٤ ـ ٩٧ وقد خلع عن العرش)، وابنه نوم ـ كي (٩٧ ـ ١٢٠)، وابنه كيون ـ تسيو (١٢٠ ـ ١٢٥)، وابنه كيو ـ تي ـ نو (١٢٥ ـ ١٥٠؟)، وابنه او ـ لو ـ تو (١٥٠؟ ـ ١٥٥+ ١٦٠؟ ـ ؟)، ثم شقيق الأخير بي ـ كيون (١٥٥ ـ ١٦٠؟).

م. أمير طورخان الأول فهو تيو ـ مو (دزومو) وقد توفي عام ٦٠ ق.م. وقد توفي كان ـ به ـ جيو في عام ٤٨١ وقتل ابنه الذي خلفه اي ـ جينغ، وخلف هذا ابن أخيه شيو ـ كي والذي لقي نفس المصير. وحكم بعد هذا جونغ ـ مين إلى أن قتل. فخلفه ما ـ جو الذي يعتقد بأنه ابن شيو ـ كوي إلى أن خلع. أما ابنه كو ـ كيا (كيو ـ هي) فقد توفي عام ٥٢٨ وخلفه كيو ـ كيان.

٥ ـ الأويغور (دوقوز أوغوز ـ أون أويغور)

٧٤٥ ـ ٩٤٠ السلالة والحكام

ازدادت أهمية دولة الأويغور ضمن الاتحاد المكون للدولة التركية الكبرى على مر الزمن. وأخذت هذه الأهمية طابعاً خاصّاً في عهد الكوك تورك حيث أصبح ملوك الأويغور حكاماً هامين في اتحاد الدولة الكبرى.

وقد برز منهم في تاريخ الكوك تورك سوكون شيكه (٦١٦ ـ ٦٢٩ =

١٣) زوجة او ـ لو ـ هوين وابنه بو ـ سا (٦٢٩ ـ ٦٤٠؟ = ١١؟) وتومي ـ تو الذي يعتقد بأنه شقيق من سبق (٦٤٠؟ ـ ٦٥٢؟ = ١٢ وقد قتل) وابنه بويون (٦٥٢؟ ـ ٦٥٨؟ = ٦؟) وبيلير الذي يعتقد بأنه شقيق من سبق (٦٥٨؟ ـ ٦٦٠؟ ـ = ٢) وشقيق هذا على ما يعتقد توك كاتيسي (٦٦٠؟ ـ ٦٧٠؟ = ١٠؟) وابنه بوكدائي (بوغداي) (٦٧٠؟ ـ ٦٨٥ = ١٥؟) وابنه هو ـ سو (هو ـ لي ـ في ـ لو) (٦٨٥ ـ ٧١٢ = ٢٧) ويذكر مؤرخو ذلك العصر أن هو ـ سو كان أحد أمراء سلالة الكوك تورك الإمبراطورية. ولكننا لا نعرف الآن اسم أبيه أو شقيقه أو جده. وقد كان ابنه قوتلوغ بيلكه كول قاغان ملكاً على الأويغور ٣٣ عاماً من عام ٧١٢ وحتى عام ٧٤٥ ثم أطاح بسلالة الكوك تورك وأصبح قاغاناً أكبر الأتراك (٧٤٥ ـ ٧٤٦) وعندما توفي خلفه ابنه ايل ـ ايتمش بيلكه باينجور قاغان (٧٤٦ ـ ٧٥٩) ولما كان ابنه الأكبر تاي بيلكه يابكو قد قتل فقد أعقبه على العرش ابنه ايل ـ توتمش ألب كولوك بيلكه بوكو قاغان (٧٥٩ ـ ٧٨٠ = ٢١) وقد اعتنق هذا الديانة المانية. وقد حكم من بعده شقيقه آلبا قوتلوغ بيلكه قاغان (٧٨٠ ـ ٧٨٩ = ٩) وتزوج من أميرة صينية. وقد أعقب هذا ابنه تاراس كولوك بيلكه قاغان (٧٨٩ ـ ٧٩٠ = ١) ثم ابنه أوجور قوتلوغ بيلكه قاغان (٧٩٠ ـ ٧٩٥ = ٥) أما آلب أولوغ بيلكه قاغان (٧٩٥ ـ ٨٥٠ = ١٠) فقد كان وزيراً لسلفه. لا يقتضي كونه من أمراء نفس السلالة لتمكنه من اعتلاء العرش. وقد أعقب هذا من يلي من الحكام:

آي ـ تنكري ده قوت بولمش ألب كولوك بيلكه قاغان (٨٠٥ ـ ٨٠٨ = ٣)، أي ـ تنكري ده قوت بولمش ألب بيلكه قاغان (٨٠٨ ـ ٨٢١ = ١٣)، تنكري ده قوت بولمش قوتلوغ بيلكه قاغان (٨٢١ ـ ٨٢٥ = ٤)، وقد تزوج هذا من أميرة صينية فأعقبه شقيقه ألب بيلكه تنكري أويغور قاغان (٨٢٥ ـ ٨٣٢ = ٧). ويصعب التحديد على وجه الدقة والد هذين الشقيقين. وقد أعقب هذا في الحكم آلب كولوك بيلكه قاغان (٨٣٢ ـ ٨٣٩ = ٧)، ثم اوكه قاغان (٨٣٩ ـ ٨٤٥ = ٦) وقد خلع عن العرش ثم قتل بعد عامين

وبهذا تنتهي الفترة الأولى للأويغور. وكانت العاصمة طوال قرن كامل مدينة قارا بالكا سون القريبة من اوتوكن. وقد نقلت بعد ذلك ولمدة ٩٥ عاماً إلى الجنوب الغربي، إلى مدينة قارا هوجا في تركستان الشرقية. وقد تقلصت حدود الإمبراطورية التركية في هذه الفترة وأعلنت الدول التركية المنضمة للاتحاد استقلالها. وقد اعتنق قاغانات الأويغور الديانة المانية بعد أن كانوا في الديانة الشامانية بين ٧٤٥ ـ ٧٦٣. وبذلك فقد ظل الأباطرة الأتراك مانيي الدين طوال ١٧٧ عاماً.

وإذا كانت الوثائق الخاصة بالتاريخ المدني لهذه الفترة متوفرة فإن الوثائق التي تعود للتاريخ السياسي كانت قليلة. لأن الإمبراطورية فقدت صفتها العالمية في هذه الفترة. وما نعرفه عن هذه الفترة حكم بيلكه بانجور قادر خان (٨٤٥؟ ـ ٨٨٥؟ = ٤٠؟) وتافغاج أوغولجاق قادرطان (٨٨٥؟ ـ ٩٤٠؟ = ٥٥؟).

وبعد عام ٩٤٠ انتقل تاج الدولة التركية الكبرى الى سلالة القاراخانيين المعتنقين للدين الإسلامي. وبذلك بدأت المرحلة الثانية الكبرى للتاريخ التركي. وتخرج دولة الأويغور عن كونها إمبراطورية لتعود إلى وضع مملكة صغيرة. وتنتقل العاصمة إلى شهر بيش بالق وتتقلص حدود الدولة إلى ابعد مدى.

وأول حاكم لهذه الفترة أرسلان خان (٩٤٠؟ ـ ٩٩٠؟=٥٠؟) وتستمر دولة الأويغور حتى عام ١٢٦٠ على هذه الحالة. وبعد هذا التاريخ تنقرض الدولة التي خضع ملوكها الذين سمو ايديقوت للقاراخطائيين ثم للمغول في عام ١٢٠٩ وتلتحق الدولة بإمبراطورية المغول. وحفيد ارسلان خان السابع ايديقوت بارجوق خان (توفي عام ١٢٣٥) معاصر لجنكيز خان. وقد حكم بعد هذا الأخير ابنه الأكبر (١٢٣٥؟ ـ ١٢٤٥؟ = ١٠) ثم الأوسط (١٢٤٥؟ ـ ١٢٥٥؟ = ١٠) ثم الأصغر (١٢٥٥؟ ـ ١٢٦٠؟ = ٥؟) وبنهاية حكم الأخير انتهى حكم هذه السلالة.

ملحمة الهجرة

تشبه ملحمة الهجرة في طابعها ملحمة أركنه قون. فكما كانت الأخيرة الملحمة اجميلتان.لالة الكوك توروملخصها: ت هذه الملحمة القومية لعهد الأويغور وملخصها:

كان لأحد حكام الهون ابنتان جميلتان. وكانتا على حسن بارع خلاب بحيث كان يعتقد بأنهما خلقتا للزواج من الآلهة. وقد فكر الأب، حاكم الهون كذلك فبني قلعة في الإقليم الشمالي المقفر لمملكته فأودع ابنتيه فيها. وقد استمع الإله لدعاء الأب وتوسلاته فنزل على شكل ذئب أغبر وتزوج من الفتاتين وقد نتج هذا الزواج عن انجاب تسعة أوغوز وعشرة أويغور. وقد تكاثر أولاد الأوغوز التسعة وال أيغور العشرة بصوت وروح يشبه صوت الذئب الأغبر وروحه.

وكان في إقليم الأويغور جبل يسمى هولين يخترقه نهرا توغلا وسلينكة. وذات ليلة نزل نور أزرق من السماء على شجرة تكمن بين النهرين. وراقب القوم هذا النور الذي دام اشهر عديدة. وانتفخت الشجرة وسمع القوم أنغاماً عذبة وانتشر نور في الليالي إلى مسافة ثلاثين قدماً عن الشجرة. وذات يوم انشقت الشجرة وخرج منها خمسة أطفال مقدسين خلقوا من النور. وقد وقف الجميع إجلالاً لهم وقد سموا سونكورتيكن، قوتور تيكين، توكك تيكين، أور تيكين، بوكو تيكين. وقد قرر الأتراك الذين آمنوا بأن الأطفال الخمسة قد أرسلوا من قبل الآلهة أن ينصبوا أحدهم حاكماً لهم. ولما كان بوكو تيكين أجملهم وأحكمهم وأدهاهم فقد أجمعوا على انتخابه قاغانا فأولموا الولائم ونصبوا منه قاغانا.

ومرت السنين واعتلى عرش الأويغور حاكم جديد فكر في أن يزوج ابنه كالي تيكين من الأميرة الصينية كيو - لي - ين أملاً في أن تنتهي الحروب التركية الصينية. وقد نصبت الأميرة معسكرها في جبال خاتون وكانت هناك إلى الجنوب من جبال تانرى صخرة تسمى الجبل السعيد. وقد

قدم السفراء الصينيون مع الوفد وتشاوروا فيما بينهم وقالوا إن سعادة جبال خاتون متوقفة على هذه الصخرة. فلا بد أن تزيل هذه الصخرة من الوجود لإضعاف دولة الأتراك.

وطلب السفراء هذه الصخرة مهراً لسيدتهم ولم يمتنع الحاكم التركي الجديد رغم أن هذه الصخرة كانت مقدسة مسحورة وكانت وحدة الأتراك مرهونة ببقاء هذه الصخرة في وطنهم. وكانت السعادة ستزول عن بلاد الأتراك بزوال هذه الصخرة. إلا أن الحاكم الذي وقع تحت تأثير الأميرة الصينية لم يعر اعتقاد أمته أهمية لضعف شعوره القومي.

ولما كانت الصخرة كبيرة ضخمة بحيث يصعب نقلها فقد عمد الصينيون إلى إحراقها ثم تقطيعها وحملوها إلى الصين. وعمت الفرحة بلاد الصين لهذا النجاح. فقد الأتراك صخرتهم المقدسة.

وقد نتج عن هذه الحادثة أوخم العواقب. وبكت الطيور والحيوانات بلغتها الخاصة وانتحبت لفقدان الصخرة. ومات الأمير بعد سبعة أيام إلا أن الوطن التركي لم ينج من الكوارث ولم يبق للراحة والبركة والخير من أثر. ومات الحكام الأتراك واحداً تلو الآخر.

وأخيراً اعتلى العرش أحد أبناء بوكو قاغان. وسمع على عهده الحيوانات الوحشية والطيور وحتى الأطفال ينادون: الهجرة. الهجرة. ولبى الأويغور الأتراك مشيئة الإله فتركوا موطنهم وسمعوا نداء الهجرة أينما حلوا إلى أن وصلوا إلى الإقليم الذي تكمن فيه مدينة بيش بالق وهناك خفتت الأصوات المنادية بالهجرة فتوقف الأويغور الأتراك وأنشأوا مدينة بيش بالق وولدت دولة تركية قوية.

الإمبراطورية التركية في عهد الأويغور

كانت السلالة الجديدة من نفس العائلة التي أنجبت السلالة الحاكمة للدولة التركية الكبرى والمسماة (أبناء اجينا) ولما كان الخاقان الأويغوري

الأول أميراً من سلالة الكوك تورك فقد كان الموضوع تبدل نظام حكم أكثر منه تبدل سلالة حاكمة. فقد انسحبت القبائل المتقاسمة للحكم في عهد الكوك تورك وحلت محلها قبيلة دوقوز أوغوز ـ أون أويغور. وهذا يعني أن الأوغوز والأويغور جاءوا سوية إلى الحكم وعرفت السلالة بهذا الاسم. وارتقى الأوغوز بذلك إلى الصفوف الأولى ولا يخفي أنهم قد أخرجوا للوجود بعد ذلك الدولتين السلجوقية والعثمانية ولعبوا أهم دور في التاريخ التركي. وبالرغم من أن بعض المؤرخين يدافعون بحرارة عن النظرية القائلة بأن الهون هم من الأوغوز أيضاً وإن مته هو اوغوز خان بعينه وان الأوغوز نشأوا عن أربعة وعشرين فرعاً ينتسبون إلى أوغوزخان فإننا يجب أن نحتاط في بحث هذا الموضوع.

وقد تجاوز عدد نفوس الأتراك سكان الفرس في تركستان الشرقية في عهد الأويغور. وقد أصبحت تركستان الشرقية تركية برمتها بعد ذلك في عهد القاراخانيين. وانصهر الفرس في بوتقة العنصر التركي أو انسحب قسم منهم إلى مناطق أخرى. وتتريك تركستان الشرقية حدث هام في التاريخ التركي لأن هذه المنطقة الكبيرة هي تركية حاليّاً أيضاً. وبالرغم من أن تركستان الشرقية كانت مثل تركستان الغربية داخلة في نطاق الدولة التركية الكبرى فإن الأتراك كانوا أقلية هناك وكان الفرس يشكلون الأغلبية سابقاً.

وقد التجأ الأويغور إلى تركستان الشرقية بعد إخراجهم عنوة من مغولستان من قبل أتراك القرغيز البدائيين الوافدين من إقليم ينيساي (كم) في عام ٨٤٥. وهذا الحدث بدوره يشكل حدثاً هامّاً في تاريخ الأتراك للقرون الوسطى. لأن مركز الثقل ومركز الدولة التركية الكبرى كانت في مغولستان الشرقية حتى ذلك التاريخ. وقد انتقل في الفترة الثانية للأويغور إلى الجنوب الغربي أي إلى تركستان الشرقية. وعند انسحاب الأويغور إلى هذا الإقليم نزح قسم منهم إلى إقليم قان صو الصيني المجاور لتركستان الشرقية ووقعوا بذلك تحت السيطرة الصينية. والقرغيز الذين طردوا

الأويغور من مغولستان الحالية التي كانت آنذاك إقليماً تركيّاً طردوا هم بدورهم من قبل المغول وأصبحت هذه المنطقة من آسيا مغولية تماماً في القرن العاشر. وبالرغم من هذا فقد استمرت القبائل التركية تعيش إلى جانب المغول فيها بعد هذا التاريخ.

وقد قام القاغان الثاني والثالث لسلالة الأويغور (دوقوز أوغوز ـ أون أويغور) باينجور (ماينجور) قاغان وابنه بوكو قاغان بفتوحات كبيرة.

وقد كتب اسم هذه السلالة في الكتابات المكتوبة بحروف الكوك تورك والتي اكتشفت عام ١٩٠٩ قرب بحيرة شينه ـ اوسو على شكل (أون أويغور ـ توقوز أوغوز) (حسين نامق أورقون، الكتابات التركية القديمة، الجزء الأول ص ١٦٤) وقد استعمل الأيغور أول الأمر حروف الكوك تورك ثم استعملوها إلى جانب ألفباء الأويغور ثم ثبتوا على الألفباء الأخيرة وتركوا السابقة. ومن المعروف أنهم قد بدأوا بطبع الكتب بحروف مصنوعة من الخشب القوي.

الوضع السياسي للإمبراطورية التركية في عهد الأويغور

تزوج باينجور قاغان (٧٤٦ ـ ٧٥٩) بعد ارتقائه العرش من أميرة صينية. وأسس علاقات صداقة مع الإمبراطورية الصينية وساعد على إخماد عدة تمردات حصلت في الصين. أما ابنه بوكو قاغان (٧٥٩ ـ ٧٨٠) فقد اشتهر باسم (فاتح الصين) واقتدى بأسلافه في الفتوحات. وقد فتح في ٢٠ تشرين الثاني ٧٦٢ عاصمة الإمبراطورية الصينية لو ـ يانغ. وبقي فيها حتى شهر آذار من عام ٧٦٣ واعتنق الديانة المانية. وقد كان هذا الدين الفارسي قد أبعد من قبل العرب المسلمين من بلاد الفرس وكان على وشك الانقراض. وقد اكتسب طابعاً من الأهمية لاعتناق إمبراطور كبير له.

وبدأ الأتراك الذين تغلغلوا في الصين الشمالي وقان صو مؤقتاً إلى اتخاذ الدين ذريعة للتدخل في شؤون الصين الداخلية. وأجبروا الإمبراطور

الصيني على إقامة المعابد المانية واستقبال الرهبان المانيين. وقد أبلغ السفراء الأتراك في عام ٨٠٧ رغبة القاغان في فتح معبد في العاصمة الصينية لو ـ يانغ كسائر المدن الصينية إلى الإمبراطور الصيني.

وقد اخرج الأويغور في عام ٨٤٥ من مغولستان وذلك من قبل القرغيز فنزحوا إلى تركستان الشرقية. واستمر القرغيز حتى عام ٩٢٠ يحكمون مغولستان واخرجوا بعد ذلك منها من قبل القيتانيين إحدى قبائل المغول.

واستقر الأويغور الصفر عام ٨٩٠ في إقليم قان صو وأسسوا مملكة صغيرة دامت ثمانية وستين ومائة عام حتى سنة ١٠٢٨ تابعة للدولة التركية الكبرى. وقد فتح قان صو في عام ١٠٢٨ من قبل التانغوت وخضع الأويغور الصفر للسيطرة الصينية.

وقد نبذ الأويغور الصفر الدين الماني واعتنقوا البوذية أكبر أديان الشرق الأقصى. وأخذت البوذية مع النسطورية إحدى مذاهب الدين المسيحي محلها إلى جانب الديانة المانية لدى الأويغور القاطنين في تركستان الشرقية.

وقد كان الباسميل الأتراك يعيشون في تركستان الشرقية لدى نزوح الأويغور إليها. وازداد الاحتكاك مع الدين الإسلامي في عهد الأويغور وكثر المعتنقون للإسلام بين الأتراك القاطنين في الغرب. إلا أن الأويغور بقوا بعيدين عنه في تركستان الشرقية التي أصبحت مركزاً لهم بعد عام ٨٤٥. إلا أن العلاقات التجارية كانت جارية. وكانت قوافل المسلمين والقوافل التركية والعربية تصل إلى جبال سايان التي يسميها العرب جبال كوكمن ونهر ايرتش.

ولا يزال الأويغور يشكلون الأغلبية بين الأتراك الساكنين في تركستان الشرقية ويشكل القازاق مع بقية القبائل التركية الأقلية.

أما الأويغور الصفر فبالرغم من إن اغلبهم قد نسوا اللغة التركية فإن بضع مئات الألوف منهم لا يزالون يتكلمون لهجة الأويغور العائدة للقرن التاسع. ويسكنون في سوجوف و كاجوف في إقليم قان صو. وقد وجد العالم الروسي مالوف (التون ـ ياروق سوترا) وهي من أكبر النصب التركية في بداية عصرنا بين الأويغور الأصفر. وقد استمر هؤلاء يستعملون ألفباء الأويغور حتى القرن السابع عشر.

الحضارة التركية في عهد الأويغور

وصل الأتراك في عهد الأويغور إلى ذروة الحضارة المستقرة. وقد أسست مدن عديدة وتطورت أخرى ومن هذه المدن قاراهوجا، قارا بالكاسون، بيش بالق، قاراشار، كشغر، خوتان، ياركنت، تورفان، قومول، كولجا، اورومجي، كوجا، آق صو، سوجو، كانجو، جرجن. ووصلت الزراعة والصناعة والتجارة والفن إلى مستوى نموذجي. واتصلت هذه المدن ببعضها بشبكة منتظمة من الطرق وشقت القنوات والترع فأوصل الماء إلى المناطق النائية والمقفرة.

وتطور النحت والرسم والرسوم الجدارية وصناعة القماش والسجاجيد والخزفيات إلى أبعد مدى. وانتشرت حروف الأويغور في آسيا بالرغم من كونها معقدة بالنسبة لحروف الكوك تورك. وكان هناك في القرن الخامس عشر قسم من أدباء الديوان العثمانيين يتقنون ألفباء الاويغور. وقد استعمل الجنكيزيون والتيموريون هذه الألفباء، وبعد ذلك استطاعت الألفباء العربية أن تحل محلها. ولم يكتب الأويغور كتاباتهم على الأشجار بل على الورق. وانتقل الورق المحتكر من قبل الأتراك بعدئذ إلى بغداد واستعمل هناك. وقد ساعد معرفة الأويغور للطبع مثل الصينيين على تطور في حضارتهم وأدبهم.

وقد ترك الأويغور آثاراً هامة في الأدب والفلسفة والدين والعلم

مكتوبة بتركية فصحى. ويكتشف العلماء الألمان والفرنسيون والإنكليز والروس في كل سنة أثراً جديداً من آثار الاويغور. وقد اكتشفت في خرائب تركستان الشرقية مئات الكتب التي بقيت من عهدهم. ولم ينشر ولم يدقق سوى قسم منها. وقد اقتبس المغول ألفباء الأويغور وانتقلت منهم إلى المانجو وبذلك انتشرت في مساحات تصل حتى المحيط.

ويجمع المؤرخون إن الدين الماني سبب برود الروح العسكرية المحاربة للأتراك ونتيجة لذلك فقد اجمع الأويغور والأتراك كافة على عدم اعتناق هذا الدين واقتصر ذلك على القصر والمثقفين.

وإذا كانت الآثار المعمارية العائدة لعهد الكوك تورك قليلة فإن الآثار العائدة لعهد الأويغور كثيرة ومتعددة. وكان الأويغور يحيطون مدنهم بأسوار ترتفع أحياناً إلى عشرين متراً. وكانت جدران المعابد مزينة بصور وشرائط مذهبة. وكان عرض معبد مدينة هوجو (والتي كان الأويغور يسمونها مدينة ايديقوت) عشرين متراً وقد نشرت تفاصيل تصميمه من قبل كرنويل. ووجد معبدان في مدينة تويوك الواقعة شرق تورخان. وقد وجدت في أحدهما مئات الكتب التركية واحدة منها بألفباء الكوك تورك والبقية بألفباء الأويغور.

ويبرز التأثير الصيني في الفن الاويغوري. ويرجع تاريخ هذا الفن إلى القرن التاسع وقد تطور في القرن العاشر وتكامل في القرن الحادي عشر والثاني عشر وكان تدهوره في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وقد أثر هذا الفن في القارلوق القاطنين على سواحل نهر جو في غرب بحيرة ايصيق. وكان قسم من هؤلاء قد اعتنقوا الديانة البوذية. وقد وصل الأويغور إلى التبت أيضاً وخضع إقليم بحيرة كوكو (كوكو نور) لحاكمية الاويغور. إلا أن هذا التأثير كان أكثر بروزا في قان صو الشرقية وكان هنا الأويغور الصفر البوذيون. وقد كان الأويغور الأتراك كما كانوا دائماً أرقى شعوب آسيا في التعدين و اثر الفن الاويغوري على المغول وعلى الصينيين بالتالي. وازدادت العلاقات الصينية التركية في هذا الحقل بشكل متبادل.

وقد لعب الأويغور الأتراك دوراً مهمّاً في إمبراطورية قارا خطاي المغولية. إذ كانت طبقة المعلمين والعلماء والكتاب في هذه الإمبراطورية من أتراك الاويغور. واستمر هذا في عهد جنكيز. وقد فقد الدين الماني أهميته القديمة في هذا العصر. واخذ الايغور باعتناق البوذية. والى جانب هذا ازداد عدد المسلمين منهم. وأخيرا دخلوا جميعاً في الإسلام.

وقد تطورت الموسيقى التركية والرقص أيضاً في عهد الأويغور على ما يظهر من الكتابات المنحوتة والمحفورة على الجدران. وكانت صناعة النسيج في عهد الأويغور مشهورة إذ كان القماش يصدر إلى جميع أقاليم آسيا ومن ضمنها الصين. كما كانت التجارة متطورة فقد كانت تهيئة الفواكه والشراب وتصديرها قد قطعت شأوا بعيدا. وقد فقدت الدولة الاويغورية في فترتها الثانية صفة الفتح إلا إن الجيش التركي استمر محاطا بأهمية تقليدية. وكان يتحتم على كل فارس أن يكون له حصانان أو ثلاثة بحكم القوانين المرعية.

القبائل التركية الأخرى في هذا العهد

يذكر الجغرافيون العرب في القرن العاشر إن الأتراك كانوا يسكنون الأقاليم الواقعة بين بحر الخزر والصين. وتقع تركستان الشرقية والغربية في هذه الأقاليم. ولم يكن الأتراك يشكلوا أكثرية بالنسبة لعدد السكان في تركستان الغربية في هذا القرن. إلا أنهم كونوا الأكثرية في مناطق عديدة. وكان أجداد السلجوقيين والاوغوز يعيشون بين الخزر وبحيرة ارال وغرب هذه البحيرة أما القارلوق فكانوا يعيشون في الفسحة الواقعة بين بحر الأسرار وحتى شرق فرغانة التي يستغرق عبورها عشرين يوماً. ويأتي بعدهم قبائل دوقوز ـ أوغوز التي تتغلغل حتى الصين. وقد كان هؤلاء يعيشون جنباً إلى جنب مع الاويغور. واحمد بن طولون الذي أسس أول دولة تركية مسلمة هو من دوقوز ـ أوغوز.

ويبرز التبيتيون في هذا القرن كمنافس للأتراك ويبدأون في التدخل بشؤون الصين وقد ظلت التبت موطن هذا القوم بعيدة عن الغزو والاستيلاء بفضل الجبال الشاهقة التي تحيط بها. وقد اهتمت الدولة في عهد الأويغور بصفتها إمبراطورية الأتراك الكبرى بالأتراك غير المسلمين والقاطنين في البلاد الإسلامية لعدم معاملتهم كغيرهم من المواطنين. ونذكر على سبيل المثال تدخل قاغان الأتراك إزاء الضغط الذي جوبه به الأتراك المعتنقون للدين المانى والذين كانوا من رعايا الدولة السامانية في ما وراء النهر وخراسان وتهديده السامانيين بشن الحرب لإنقاذ الأتراك من المعاملة السيئة.

وكانت منطقة ايرتيش أي الشمال الشرقي لقازاخستان الحالية آهلة بالسكان في هذا العصر من قبل قبائل كيماك. وقد كان هؤلاء يعيشون على شكل قبائل رحل من خط عرض ٥٠ درجة حتى عرض ٥٥ أو ٦٠ درجة. وقد اكتشفت آثار ترجع للأتراك على ساحل نهر نورا قرب مدينة قاراغاندا ومنها الأسلحة وبعض الأدوات. ويجلب النظر من بين هذه الأسلحة التي دققت من قبل مارغولان السهام. إذ كانت سهام الحرب تختلف عن سهام الصيد فقد كانت رؤوس الأولى مدببة والأخيرة عريضة.

وكان الكيماك يعيشون قرب بحيرة ايصيق أي في الشمال الشرقي لقرغيزستان الحالية. وهذه المنطقة تقع على خط عرض ٤٣ درجة. والجيكيل هم من القارلوق. وليس لهؤلاء طابع منغولي. ويشبه طابعهم طابع أتراك الأناضول الحاليين. في حين تزداد على الأويغور بمر الزمن الطابع المنغولي على هيئة العيون الغائرة وعظام الوجنة البارزة. وقد نتج هذا عن اختلاطهم بالمغول والصينيين.

القـارلـوق

انتشر المسلمون في هذا العصر حتى سواحل نهر تالاس. وكان الأتراك المسلمون وغير المسلمين يعيشون على ساحل هذا النهر الواقع بين بحر الأسرار ونهر جو. وهم من القارلوق. وإذا كان تأثير الفرس يبرز في

الآثار التركية وفنون الهندسة في جنوب تالاس فإن آثار الفن التركي في الشمال كانت متحررة من هذا التأثير. ومن هذه الآثار تماثيل الحيوانات والأشخاص. وقد كان القارلوق يعيشون على ساحل جو أيضاً وحتى غرب بحيرة ايصيق. وكانت جماعات منهم تعيش في تركستان الشرقية وما وراء النهر. ولم يكن الدين الإسلامي ولا الثقافة الإسلامية قد تسربت إلى وادي جو وبحيرة ايصيق بعد. وبمرور الزمن نرى تماثيل الحيوانات العائدة لهم تفقد طابعها القديم برؤوس البشر وتشاهد زيادة التأثير الإسلامي عليها. ويفقد الفن التركي المواضيع الواقعية وتكثر الكتابات ويظهر إلى الوجود ما يسمى بفن خطائي. وقد نزل القارلوق إلى جنوب نهر نارين فوصلوا إلى فرغانة.

وقد اكتشفت مدن كثيرة للقارلوق من قبل الآثاريين الروس وسلطت الأضواء بذلك على تاريخ ثقافة هذا الفرع من الأتراك. وقد اعتنق القارلوق الذين تبعوا حكم القاراخانيين في القرن التالي الدين الإسلامي ضمن الدولة التركية الكبرى.

وكان ملوك القارلوق يحملون لقب (يابكو) وقد عاش هؤلاء فترتهما الذهبية بين عام ٧٦٦ ـ ٨٤٠. وأصبحت مدينة بالاساكون الواقعة على الساحل الشمالي لنهر جو مركزاً ثقافياً هاماً. وقد كانت هذه المدينة التي تسمى أيضاً بمدينة (قوز ـ باليق) عاصمة للتوركيش الذين خلفوا الكوك تورك قبل أن تكون للقارلوق.

وقد كان القارلوق الذين يسميهم الصينيون (كو ـ لو ـ لو) ويسميهم العرب قارلوخ أو خارلوخ في تارا باكاتاي ما بين بحيرة سايسان وبحيرة آلا قديماً. ونزحوا إلى الجنوب والجنوب الشرقي بمرور الزمن.

وقد ذكرنا في مبحث سابق عن محاربة القارلوق إلى جانب العرب في معركة تالاس عام ٧٥١ والتي كان من نتيجتها طرد الصينيين من آسيا الوسطى. وملوك القارلوق كانوا أيضاً من سلالة أبناء اجينا، العائلة التي أنجبت السلالة الحاكمة للدولة التركية الكبرى. واستناداً إلى هذا فقد أعلن

يابكو (ملك) القارلون نفسه قاغانا (إمبراطوراً) للدولة التركية الكبرى على أثر انفصال مغولستان عن الأويغور ونزوح هؤلاء إلى تركستان الشرقية إلا أن لقبه هذا لم يعترف به. ولما كان القارلوق حلقة وصل بين المسلمين والأتراك فقد عملوا على نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية بين الأتراك. وكان يعيش إلى الشمال من القارلوق قبائل التوخسي التركية والى الجنوب منهم الياغما الأتراك.

ويعيش حالياً في تركستان الأفغانية قبيلة أوزبكية تسمى القارلوق ولاشك أنهم ينتسبون إلى القارلوق القدامى. وقد استمرت إمارة قارلوقية مسلمة حتى القرن الثالث عشر في يدي صو وكان مركزها قايالغ. وقد كان من أمرائهم أرسلان خان الأول خاضعاً للقاراخطائيين. أما ابنه أرسلان خان الثاني سارتا كتاي فقد بايع جنكيز في عام ١٢١١ وتوفي في عام ١٢٢١. وقد منح المغول ابن هذا ايلجي ـ ملك شاه دويلة فرغانة بعاصمتها اوزكنت. وقد توفي هذا في عام ١٢٦٠. وبوفاة ابنه صاتلمش ملك شاه تنقرض إمارة القارلوق.

نظرة عامة في جغرافية تركستان

درسنا فيما سبق تاريخ الدولة التركية طوال ستين ومائة وألف عام من عهد مته في ٢٢٠ ق.م وحتى حدوث اكبر انقلاب في التاريخ التركي باعتناق الدولة الكبرى للإسلام في عام ٩٤٠ على عهد القاراخانيين. وينتقل مركز الثقل بعد هذا إلى الإقليم الذي نسميه تركستان. وقبل أن نستغرق في بحث القاراخانيين يجدر بنا أن نلقي نظرة عامة على جغرافية تركستان التي سيأتي بحثها مراراً في هذا المبحث وتدقيق علاقاتها بالتاريخ التركي.

تقع تركستان بين خطوط عرض ٣٣ درجة ـ ٥٥ درجة وخطوط طول ٤٧ درجة ـ ٩٧ درجة. أي إنها تقطع ٢٣ درجة من الجنوب إلى الشمال و ٥٠ درجة من الغرب إلى الشرق ويقع قسم منها في الغرب في قارة أوربا. وهذا القسم هو الواقع في غرب نهر أورال في قازاخستان. وتقع السواحل

الشمالية والشرقية للخزر في تركستان. وتشكل بحيرة ارال وبالقاش أجزاء هامة منها وهي المناطق الوحيدة التي تطل منها على البحر. ويحدها من الشمال نحو الغرب، روسيا وسيبريا ومغولستان ومن الجنوب نحو الغرب، إيران وأفغانستان وباكستان وكشمير الهندية والتبت ومن الغرب بحر الخزر وروسيا ومن الشرق (من الجنوب إلى الشمال) إقليم قان صو الصيني ومغولستان وسيبريا. وقد أصبحت تركستان بسبب الظروف السياسية في الوقت الحالي ثلاثة أجزاء هي:

تركستان الغربية، تركستان الشرقية، وتركستان الجنوبية. وتركستان الغربية (محتلة من قبل الاتحاد السوفيتي) والشرقية من قبل الصين. أما تركستان الجنوبية فهي واقعة في أفغانستان ومجموع مساحتها ٥,٧٥١,٨٠٠ كم مربع (٣,٩٩٥,٠٠٠ كم مربع تركستان الغربية، ١,٦٤٦,٠٠٠ كم مربع تركستان الشرقية و ١١٠,٠٠٠ كم مربع تركستان الجنوبية) وقد كان نفوس تركستان الغربية في أواخر عام ١٩٦٣، ٢٥,٥٨٠,٠٠٠ ونفوس تركستان الشرقية ٦,٤٩٠,٠٠٠ وتركستان الجنوبية .٣,٥٠٠,٠٠٠ وقد قسم الروس تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات ضمن خمس عشرة جمهورية كان الاتحاد السوفيتي يتألف منها، واحدة منها فقط روسية. والجمهوريات الخمس المذكورة هي: ـ

الاسم	المساحة	عدد النفوس
قازاخستان	٢,٧٥٦,٠٠٠ كم مربع	١٠,٢٣٠,٠٠٠
اوزبكستان	٤٠٩,٤٠٠ كم مربع	٨,٩٣٠,٠٠٠
قرغيزستان	١٩٨,٥٠٠ كم مربع	٢,٢٧٠,٠٠٠
تاجيكستان	١٤٢,٥٠٠ كم مربع	٢,١٨٠,٠٠٠
تركمنستان	٤٨٨,٠٠٠ كم مربع	١,٩٧٠,٠٠٠

وتتمتع قارا قالباقستان بالحكم الذاتي داخل اوزبكستان (ومساحتها ١٥٥,٨٠٠ كم مربع ونفوسها ٤٥٠,٠٠٠ نسمة) وبذلك تكون مساحة

أوزبكستان الأصلية عدا قارا قالباقستان ٢٥٢,٦٠٠ كم مربع ونفوسها ٨,٤٩٠نسمة. أما مقاطعة بداخشان ذات الحكم الذاتي في قرغيز ستان فمساحتها ٦٣,٧٠٠ كم مربع ونفوسها ٨٠,٠٠٠ نسمة.

وفي هذا الإقليم الكبير يعيش الأتراك على الأغلب مع أقلية ضئيلة من غيرهم. فمن مجموع نفوس هذا الإقليم البالغ ٣٥,٥٧٠,٠٠٠ لا يشكل الأتراك أقلية إلا في تاجيكستان حيث الأكثرية من الفرس. ويشكل الروس الآن الأغلبية في شمال قازاخستان. ويكثر الصينيون والمغول عن الأتراك في أقصى شرق تركستان الشرقية. وماعدا هؤلاء فإن الساكنين هم من الترك. كما أن مناطق معينة مثل تركمنستان هي تركية على الإطلاق ماعدا أقليات ضئيلة جداً. وتقع أجزاء هامة من ما وراء النهر التاريخية أي البلاد الواقعة بين آمو وبحر الأسرار مثل سمرقند وبخارى في أوزبكستان. وقد ألحقت صحراء قزل قوم في الشمال الشرقي بقازاخستان وقسم من الأراضي الجنوبية بتركمنستان وتاجيكستان. والقسم الأكبر من فرغانة يقع في اوزبكستان أيضاً ويقع بعض الأقسام الجنوبية منها في تاجيكستان وقرغيزستان. ومدينة مرو التاريخية في إقليم خراسان القديم تقع في جنوب مورغاب في تركمنستان.

جبال تركستان

والمنطقة الجبلية تقع في جنوب تركستان الشرقية والغربية. وتفصل الألطاي الكبرى في الشمال ما بين تركستان ومغولستان كما تفصل الألطاي الصغرى تركستان عن سيبريا. وجبال تانرى الموازية للألطاي في الجنوب تقع قرب حدود قرغيزستان في تركستان الشرقية وارتفاعها ٧٣٠٠ متر. ويقع إلى القرب من هذه القمم العالية ممر موزارت ٣٩٠٠ متر. وترتفع جبال تانري في الشرق نحو قان صو إلى ٤٤٣٢ متر في قمم بوغدو ـ أولاً. وتسمى المقاطعة الكائنة بين جبال تانرى والالطاي بإقليم جونغاريا الذي يشكل شمال تركستان الشرقية. حيث النفوس بشكل عام ونفوس الأتراك

أقل مما هو في تركستان الشرقية. وتوازي جبال تانرى في الجنوب جبال آلتون وتكملها جبال نانشان التي تدخل في قان صو. وتقع إلى الجنوب الغربي من جبال التون جبال قرانلق (الجبال المظلمة) وتصل هنا جبال برزوالسكي إلى ارتفاع ٧٧٢٠ متراً وجبال دوبليكس في حدود التبت إلى ارتفاع ٨٠٠٠ متر. وتمتد جبال قارا قوروم على امتداد جبال قارانلق غرباً. وهي تكمن بين تركستان الشرقية وكشمير وتفصل جبال قزل يورد الواقعة شمال قارا قوروم تركستان الشرقية عن تاجكستان. وارتفاع قمة موزتاغ ـ آتا فيها ٧٨٥٠ مترا وتربط جبال قزل قوم بجبال تانرى، جبال كوكجال التي تقع بين تركستان الشرقية وقرغيزستان. وتقع المنطقة الكبرى لتركستان الشرقية والتي تسمى حوض طارم بين جبال تانري شمالاً، وجبال التون وجبال قرانلق جنوباً، وجبال قارا قوروم في الجنوب الغربي، وجبال قزل يورد وجبال كوكجال غرباً. وتتألف من سهل طاقلامكان وبعض الوديان الخصبة. وتقع في جنوبها الشرقي بين جبال التون وجبال قرانلق والجبال الخلفية إقليم جايدام بصحرائه المالحة.

وتقع جنوباً جبال هندوقوش إلى الغرب من جبال قارا قوروم وتؤلف غرباً جبال بابا وارتفاعها٥١٤٠ متر. والجبال الأخيرة تفصل أفغانستان عن تركستان الأفغانية. أما وادي فرغانة فمحاطة جنوباً بجبال آلاي. وهذه الجبال التي تبلغ قممها إلى ارتفاع ٧٠٠٠ متر تقع بين تاجيكستان وقرغيزستان. وتحيط الجبال بوادي فرغانة من ثلاثة جوانب وجانبها الغربي مفتوح. ويقسم نهر بحر الأسرار هذا الوادي إلى قسمين. أما تاجيكستان وقرغيزستان فهي مناطق جبلية محضه. ويقسم نهر نارين قرغيزستان إلى قسمين من وسطه وتندر الجبال الشاهقة في اوزبكستان وتركمنستان وقزاخستان. ويبلغ ارتفاع جبال البلقان الكبرى قرب الخزر في غرب تركمنستان ١٦٣٤مترا. أما جبال تارابا كاتاي في شرق قازاخستان فتمتد حتى جونغاريا. وتفصل جبال آلا في جنوب هذه جونغاريا عن قازاخستان. وتمتد جبال الألطاي الصغرى في جنوب شرق قازاخستان إلى سيبريا.

وأكبر قسم من هذا الإقليم هو الامتداد الجنوبي لسهل سيبريا أكبر سهول العالم.

الأنهر في تركستان

أهم أنهار تركستان هي نهرا آمو ونهر السر. وهما يجريان متوازيين من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وتسمى الفسحة الواقعة بينهما بما وراء النهر. ويصب النهران في بحيرة ارال (وقد كانت تصب قديماً في بحر الخزر) ونهر آمو ينبع من جبال قزل يورد في شمال جبال قارا قوروم. وينحرف إلى الشمال الغربي فاصلا بين أفغانستان وتاجيكستان واوزبكستان ويصب على شكل دلتا في الجنوب في بحيرة ارال مشكلاً حدوداً طبيعية بين أوزبكستان وقارا قالباقستان وتركمنستان. ويصب فيه فرعان هما يانجا في الجنوب وقزل صو في الشمال. أما نهر سر ـ دريا (والذي ترجمناه بنهر بحر الأسرار) فينبع من جبال الألطاي.

ويجري في وادي فرغانة من الشرق إلى الغرب. وينحرف بعد اجتيازه الوادي إلى الشمال الغربي ويصب في الساحل الشمالي الشرقي من ارال. واهم فروعه نهر نارين الذي ينبع من جبال كوكجال ويجري في قرغيزستان من الشرق إلى الغرب.

ويصب في الخزر من الجنوب نهر أتك الذي يجري في خراسان الإيرانية وتشكل حدودا بين تركمنستان وإيران ثم تصب في بحر الخزر (بحيرة قزوين) ويصب في الخزر من الشمال نهر أمبا النابع من أراضي قازاخستان. ونهر اورال الذي يجري في قازاخستان ويصب في الخزر مشكلا دلتا خصبة. وهذا النهر ينبع من جبال اورال ويفصل بين قارتي آسيا وأوربا.

واهم نهر داخلي في تركستان الغربية هو نهر زرفشان. وقد أسست مدن سمرقند وبخاري على الساحل الجنوبي لهذا النهر الذي ينبع من جبال الآي. ونهر جو الذي ينبع من الجبال الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحيرة

ايصيق ويجري نحو الشمال الغربي وينتهي في سهل آجليق ونهر صاري صو (النهر الأصفر) في قازاخستان يفصل سهل آجليق عن سهل القرغيز. ويشكل نهر تورغاي الذي يصب في بحيرة جالقار ونهر نورا الذي يصب في بحيرة نورا أهم الأنهر الداخلية لقازاخستان.

أما في قازاخستان الشمالية فإن نهر ايرتيش وفروعه هو من أهم الأنهر. ويسمى فرع نهر ايرتيش الذي يمتد من شرق بحيرة سايسان إلى جونغاريا بايرتيش الأسود. ويقع فروع إيجيم وتوبول في أقصى الشمال من قازاخستان. وايرتيش بحد ذاته فرع من نهر اوبي الذي يصب في البحر المتجمد الشمالي في خليج اوبي.

وأهم نهر في تركستان الشرقية هو نهر طارم. وينبع هذا النهر من الجبال الشاهقة التي تقع في شرق جبال قارا قوروم وتجري إلى تركستان الشرقية في منطقة تفصل بين كشمير وتركستان الشرقية ثم تقسم هذه المنطقة إلى قسمين من الغرب إلى الشرق. وتصب في بحيرة لوب الواقعة في شمال جبال آلتون. ويصب فيها من الشمال فرع كشغر ومن الجنوب فرعا ياركنت وخوتان. ويقع على هذه الفروع الثلاثة وديان ومدن. وينبع فرع خوتان من جبال قارانلق. أما ياركنت فهو امتداد غربي لنهر طارم.

ويقع نهر بولونكير قرب إقليم قان صو في أقصى شرق تركستان الشرقية. أما أهم أنهر جونغاريا فهي ايرتيش الأسود وهورونكو الواقع إلى جنوب الأول. أما نهر كوبده في الشمال الشرقي فيفصل ما بين مغولستان وجونغاريا.

البحيرات في تركستان

أهم بحيرة في تركستان بعد بحيرة قزوين (بحر الخزر) هي بحيرتا ارال وبالقاش. وقد تقاسمت قازاخستان وقارا قالباقستان بحيرة ارال وهي على ارتفاع ٤٨ متراً عن سطح البحر (بحيرة قزوين هي على انخفاض ٢٦

متراً عن سطح البحر)، أما بحيرة بالقاش الواقعة في قازاخستان الشرقية فهي على ارتفاع ٢٧٠ متراً عن سطح البحر. ويقع إلى جنوبها دلتا نهر إيلي. وتسمى المنطقة الكائنة بين هذا الدلتا وجبال آلا بإقليم (يدي صو).

والبحيرة المهمة الثالثة هي بحيرة ايصيق. وهي على ارتفاع ١٥٧٢ متر عن سطح البحر (بحيرة وان هي على ارتفاع ١٧٢٠ متر عن سطح البحر) وتقع في شرق قرغيزستان. وتقع إلى شرق بالقاش في قازاخستان بحيرة آلا قرب جونغاريا. وتقع إلى شمالها الشرقي بحيرة سايسان (على ارتفاع ٤١٣ متر عن سطح البحر) أما أهم بحيرة في أواسط قازاخستان فهي بحيرة جالقار.

وأهم بحيرات تركستان الشرقية هي بحيرة باغراج الواقعة إلى جنوب جبال تانري (٨٩٦ متر) وبحيرة لوب في جنوبها الشرقي (٧٩٠ متر) ومدينة قاراهوجا عاصمة الأويغور كانت تقع على الساحل الشمالي الغربي من بحيرة باغراج.

أما اكبر بحيرات جونغاريا فهي بحيرة أبي. وتقع هذه البحيرة التي هي على ارتفاع ٢١٠ متر عن سطح البحر في جنوب غرب الإقليم قرب يدي صو في جنوب شرق جبال آلا. أما في تركستان الجنوبية (الأفغانية) فليست هناك بحيرة تستحق الذكر.

المناخ في تركستان

تتحكم في تركستان المتكونة من مساحات شاسعة تقع بين سيبريا حتى كشمير ومن الصين حتى بحيرة قزوين ظروف مناخية مختلفة، وإذا استثنينا بعض المناطق المزدحمة بالسكان مثل فرغانة فإن سكان هذا الإقليم الشاسع قليل بالنسبة لكبر مساحته. والأمطار قليلة في تركستان بصورة عامة ولا يتعدى معدل سقوط الأمطار السنوي ٥٠ سنتيمترا. وتقل الأمطار في الصحاري بطبيعة الحال.

وأهم الصحاري، صحراء طاقلامكان الكامنة بين جبال قرانلق وجبال طارم، وصحراء قاراقوم التي تغطي مساحات شاسعة من تركمنستان. وصحراء قزل قوم التي تغطي أجزاء كبيرة من قارا قالباقستان وتمتد حتى قازاخستان. وتكثر الأمطار نسبياً في جبال في جبال تاجيكستان وقرغيزستان (المعدل السنوي ٨٠ سنتيمتراً) وتكثر في شمال قازاخستان أيضاً (٦٥ سنتيمترا تقريباً).

ومعدل الحرارة في تركستان عامة في الصيف ٣٠ درجة ومعدل البرودة شتاء ٥ درجات تحت الصفر. وتقل الحرارة بالطبع من الجنوب إلى الشمال. ويرتفع معدل الحرارة في تركستان الشرقية عن ٣٠ درجة في أكثر الأحيان. ومعدل درجات الحرارة شتاء في تركستان الجنوبية ٢ درجة. وفي قازاخستان الشمالية ١٣ درجة تحت الصفر شتاءً و١٦ درجة صيفاً.

ويتحكم في قسم كبير من تركستان مناخ صحراوي وهناك مناخ شبه صحراوي في المناطق التي تقع خارج الصحاري ومناخ السهول في منطقة السهول. والسهول الرئيسية هي سهل القرغيز وسهل اجليق ما بين نهر صاري صو وبحيرة بلقاش وهي السهول المترامية الأطراف التي تقع في شمال قازاخستان.

وتنبت في الصحاري والسهول نباتات نموذجية وتكثر نباتات الألب في المناطق الجبلية. وتوجد واحات في صحاري تركستان الشرقية والغربية وتتجمع قرب الواحات جماعات من السكان. وأراضي قازاخستان الشمالية صالحة للزراعة وتربية الحيوانات إلا أن الغابات قليلة. وتشكل سواحل آمو وسر وجو وايلي واحدة من اكبر مناطق زراعة القطن في العالم. وتربة تركستان غنية بالمعادن ويكثر في جوف الأرض النفط والحديد والنحاس والكبريت والملح والفحم والذهب وسائر المعادن.

ملوك الأتراك الكبار

ملوك وأباطرة

١ ـ سلالة كون ـ الهون ٢٢٠ ق. م ـ ٢١٦ ب. م = ٤٣٦ عام

١	تيومان (تومان) يابكو	٢٢٠ ـ ٢٠٩ ق.م = ١١	٢١	فوتاتيهو يابكو	٤٦
٢	متـه (أوغـوزخـان/ مـاوتـون = موتون) يابكو	٢٠٩ ـ ١٧٤ = ٣٥	٢٢	يونو يابكو	٤٦ ـ ٨٣ = ٣٧
٣	كون يابكو	١٧٤ ـ ١٦١ = ١٣	٢٣	سانمولوتسو يابكو	٨٣ ـ ٨٤ = ١
٤	كون يابكو	١٦١ ـ ١٢٦ = ٣٥	٢٤	يوليو يابكو	٨٤ ـ ٨٩ = ٥
٥	أيجيهيسة يابكو	١٢٦ ـ ١١٤ = ١٢	٢٥	يوجوكيه ن يابكو	٨٩ ـ ٩٣ = ٤
٦	أوفاي يابكو	١١٤ ـ ١٠٥ = ٩	٢٦	آنكو يابكو	٩٣ ـ ٩٤ = ١
٧	أوشيلو يابكو	١٠٥ ـ ١٠٢ = ٣	٢٧	تينكتوشي ـ سويهويتي يابكو	٩٤ ـ ٩٨ = ٤
٨	كيليكهو يابكو	١٠٢ ـ ١٠١ = ١	٢٨	فانشيجي ـ سويتي يابكو	٩٨ ـ ١٢٤ = ٢٦
٩	تسويد يكهيو يابكو	١٠١ ـ ٩٦ = ٥	٢٩	فوجيهو ـ شيهجو يابكو	١٢٤ ـ ١٢٧ = ٣
١٠	خولوكو يابكو	٩٦ ـ ٨٥ = ١١	٣٠	تيجوشي سويتسيو يابكو	١٢٧ ـ ١٤٠ = ١٣
١١	خواندي يابكو	٨٥ ـ ٦٨ = ١٧	٣١	جنيو يابكو	١٤٠ ـ ١٤٣ = ٣
١٢	خويلوي يابكو	٦٨ ـ ٦٠ = ٨	٣٢	هولا نجوشي ـ سويتسيو يابكو	١٤٣ ـ ١٤٧ = ٤
١٣	أوين ـ كويدي يابكو	٦٠ ـ ٥٨ = ٢	٣٣	ايليفكشي ـ سويتسيو يابكو	١٤٧ ـ ١٧٢ = ٢٥

١٤ خوخاسيه يابكو ٥٨ ـ ٥٦ = ٢ + ٣٦
ـ ٣١ = ٥
١٤آ جيجي يابكو ٥٦ ـ ٣٦ = ٢٠
١٥ جوتي يابكو ٣١ ـ ٢٠ = ١١
١٦ سويسه ـ جوتي يابكو ٢٠ ـ ١٢ = ٨
١٧ جيا ـ جوتي يابكو ١٢ ـ ٨ = ٤
١٨ أوج جولو ـ جوتي يابكو ٨ ق. م ـ ١٣ب م =٢١
٢٠ شياكو ـ جوتي يابكو ١٨ ـ ٤٦ = ٢٨

١ ـ آ ـ ملوك الجنوب الشرق
١ خوخانيه يابكو ٤٨ ـ ٥٦ = ٨
٢ كيو فيو ـ يوتي يابكو ٥٦ ـ ٥٧ = ١
٣ إيفايوليوتي يابكو ٥٧ ـ ٥٩ = ٢
٤ هيتونكشي ـ سويهيوتي يابكو ٥٩ ـ ٦٣ = ٤
٥ كيوجوجه ـ لينتي يابكو ٦٣
٦ هوسيشي ـ سويهيوتي يابكو ٦٣ ـ ٨٥ = ٢٢
٧ أيتويوليوتي يابكو ٨٥ ـ ٨٨ = ٣
٨ هيولانشي ـ سويليوتي يابكو ٨٨ ـ ٩٣ = ٥
٩ اليابكو السادس والعشرون الكبير

٣٤ توتيجيشو ـ سويتسيو يابكو ١٧٢ ـ ١٧٧ = ٥
٣٥ هوجينغ يابكو ١٧٧ ـ ١٧٩ = ٢
٣٦ كيانكيو يابكو ١٧٩ ـ ١٨٨ = ٩
٣٧ تجيشي ـ سويهيو يابكو ١٨٨ ـ ١٩٥ = ٧
٣٨ هوجو تيسون يابكو ١٩٥ ـ ٢١٦ = ٢١
١٩ أولوي ـ جوتي يابكو ١٣ ـ ١٨ = ٥

١٢ اليابكو التاسع والعشرون الكبير
١٣ اليابكو الثلاثون الكبير
١٤ اليابكو الحادي والثلاثون الكبير
١٥ اليابكو الثاني والثلاثون الكبير
١٦ اليابكو الثالث والثلاثون الكبير
١٧ اليابكو الرابع والثلاثون الكبير
١٨ اليابكو الخامس والثلاثون الكبير
١٩ اليابكو السادس والثلاثون الكبير
٢٠ اليابكو السابع والثلاثون الكبير

١٠ اليابكو السابع والعشرون الكبير ٢١
١١ اليابكو الثامن والعشرون الكبير
٢ ـ التابغاج سلالة (سيانبي وسيانبي ـ توبا) ٢١٦ ـ ٣٩٤ = ١٧٨ عام
٣ ـ

٣٩	بوتوكن يابكو	٢١٦ ـ ٢٣٣= ١٧
٤٠	هوبونم يابكو	٢٣٣ ـ ٢٣٥= ٢
٤١	كيفوين يابكو	٢٣٥ ـ ٢٦١= ٢٦
٤٢	ليفي يابكو	٢٦١ ـ ٢٧٧= ١٦
٤٣	ليوهو يابكو	٢٧٧ ـ ؟=؟
٤٤	جويابكو	؟ ـ ؟ =؟
٤٥	فويابكو	؟ ـ ٢٩٧؟=؟
٤٦	أوتا يابكو	٢٩٧ ـ ٣١٠= ١٣

٤ ـ سلالة الآبار (الأوار) ٣٩٤ ـ ٥٥٢ = ١٥٦ عام
٥ ـ

٥٥	طولون قاغان الأول	٣٩٤ ـ ٤١٠ = ١٦
٥٦	هوليو قاغان	٤١٠ ـ ٤١٤ = ٤

اليابكو الثامن والثلاثون الكبير ٢١٦

٤٧	ييلو يابكو	٣١٠ ـ ٣١٦ = ٦
٤٨	يوليو يابكو	٣١٦ ـ ٣٢٥ = ٩
٤٩	هونو يابكو	٣٢٥ ـ ٣٣٠ = ٥
٥٠	كينا يابكو	٣٣٠ ـ ٣٣٥ = ٥ +
		٣٣٧ ـ ٣٣٨= ١ = ١
٥١	إيهواي يابكو	٣٣٥ ـ ٣٣٧ = ٢ +
		٣٣٨ ـ ٣٧٦= ٣٨=٤٠
٥٢	كاوتسو شيكين يابكو	٣٧٦ ـ ٣٨٠؟ = ٤؟
٥٣	فوكين يابكو	٣٨٠؟ ـ ٣٨٦ = ٦؟
٥٤	كوئه ي يابكو	٣٨٦ ـ ٣٩٤ = ٨
٦٢	طولون قاغان الثاني	٤٨٥ ـ ٤٩٢ = ٧
٦٣	نوكاي قاغاي	٤٩٢ ـ ٥٠٦ = ١٤

٥٧ بولوجين قاغان ٤١٤

٥٨ طالان قاغان ٤١٤ ـ ٤٣١ = ١٧

٥٩ أوتي قاغان ٤٣١ ـ ٤٤٤ = ١٣

٦٠ جولوق قاغان ٤٤٤ ـ ٤٦٤ = ٢٠

٦١ يوجينغ قاغان ٤٦٤ ـ ٤٨٥ = ٢١

٤ ـ سلالة كوك تورك (كوك تورك) ٥٥٢ ـ ٧٤٥ = ١٩٣ عام

٦٨ بومون ـ بومين قاغان ٥٥٢ ـ ٥٥٣ = ١

٦٩ إيسته مي قاغان ٥٥٣ ـ ٥٧٦ = ٢٣

٧٠ طابار قاغان ٥٧٦ ـ ٥٨١ = ٥

٧١ باغا أشباره قاغان ٥٨١ ـ ٥٨٧ = ٦

٧٢ جور باغا قاغان ٥٨٧ ـ ٥٨٨ = ١

٧٣ تونكا توران قاغان ٥٨٨ ـ ٦٠٠ = ١٢

٧٤ بيلكه تاردو قاغان ٦٠٠ ـ ٦٠٣ = ٣

٧٥ كيمين توره قاغان ٦٠٣ ـ ٦٠٩ = ٦

٧٦ شيبي قاغان ٦٠٩ ـ ٦١٩ = ١٠

٧٧ جولوق قاغان ٦١٩ ـ ٦٢١ = ٢

٧٨ قارة قاغان ٦٢١ ـ ٦٣٠ = ٩

٦٤ طوق خان قاغان ٥٠٦ ـ ٥١١ = ٥

٦٥ جونو قاغان ٥١١ ـ ٥٢٠ = ٩

٦٦ أونا هوي قاغان ٥٢٠ ـ ٥٢١ = ١+٥٢٢
ـ ٥٥٢ =٣٠ =٣١

٦٧ بولومن قاغان ٥٢١ ـ ٥٢٢ = ١

٨١ إيبي تولو قاغان ٦٤٧ ـ ٦٥٣ = ٦

٨٢ جنجو يابكو قاغان ٦٥٣ ـ ٦٥٩ = ٦

٨٣ أجينه تورجه قاغان ٦٥٩ ـ ٦٧٩ = ٢٠

٨٤ أجينه كور بورجور قاغان ٦٧٩ ـ ٦٨٢ = ٣

٨٥ أيلتريش قوتلوغ قاغان ٦٨٢ ـ ٦٩٣ = ١١

٨٦ قاباغان قاغان ٦٩٣ ـ ٧١٦ = ٢٣

٨٧ بيلكه قاغان ٧١٦ ـ ٧٣٤ = ١٨

٨٨ أيجن بيلكه قاغان ٧٣٤ ـ ٧٣٩ = ٥

٨٩ بيلكه قوتلوغ قاغان ٧٣٩ ـ ٧٤١ = ٢

٩٠ بيلكه قاغان ٧٤١ ـ ٧٤٢ = ١

٩١ سوين قاغان ٧٤٢

٧٩	سيربا قاغان	٦٣٠ ـ ٦٤٦ = ١٦	٩٢	أوزمش قاغان	٧٤٢ ـ ٧٤٤ = ٢
٨٠	جيبي قاغان	٦٤٦ ـ ٦٤٧ = ١	٩٣	بيمي قاغان	٧٤٤ ـ ٧٤٥ = ١
٤ ـ آ ـ خاقان الغرب					
١	إيسته مي قاغان	٥٥٢ ـ ٥٧٦ = ٢٤	١٢	باغاتور أيبي قاغان	٦٣٩ ـ ٦٤٠ = ١
٢	بيلكه تاردو قاغان	٥٧٦ ـ ٦٠٣ = ٢٧	١٣	أيبي تولو قاغان	٦٣٨ ـ ٦٥٣ = ١٥
٣	أبا قاغان	٥٧٦ ـ ٥٩٣ = ١٧	١٤	أيبي أشباره ـ يابكو قاغان	٦٤٠ ـ ٦٤٢ = ٢
٤	إينال قاغان	٥٩٣ ـ ٦٠٠ = ٧	١٥	أيبي ـ شاد كوي قاغان	٦٤٥ ـ ٦٤٩ = ٤
٥	جورتومان قاغان	٦٠٠ ـ ٦١١ = ١١	١٦	أولوغ أشباره قاغان	٦٥١ ـ ٦٥٨ = ٧
٦	شيكوي قاغان	٦١١ ـ ٦١٩ = ٨	١٧	جنجو ـ يابكو قاغان	٦٥٣ ـ ٦٥٩ = ٦
٧	تونغ ـ يابكو قاغان	٦١٩ ـ ٦٣٠ = ١١	١٨	أجينه تورجه قاغان	٦٧٠ ـ ٦٧٩ = ٩
٨	باغاتور سيبي قاغان	٦٣٠ ـ ٦٣١ = ١	١٩	أجينه كور بور جور قاغان	٦٧٩ ـ ٦٨٢ = ٣
٩	سر ـ يابكو قاغان	٦٣٠ ـ ٦٣٣ = ٣	٢٠	أجينه تويجا قاغان	٦٨٢ ـ ٧٠٠ = ١٨
١٠	باغاشا تولو قاغان	٦٣٣ ـ ٦٣٤ = ١	٢١	أوجه له قاغان	٧٠٠ ـ ٧٠٦ = ٦
١١	أشباره تريش تونكا قاغان	٦٣٤ ـ ٦٣٩ = ٥	٢٢	سوكه قاغان	٧٠٦ ـ ٧١١ = ٥
ومن سلالة التوركيش					
٢٣	صولو قاغان	٧١١ ـ ٧٣٧ = ٢٦	٢٦	باغا تارخان قاغان	٧٤٠
٢٤	توكسن قاغان	٧٣٧ ـ ٧٣٩ = ٢	٢٧	أيل ـ أيتمش قوتلوغ بيلكه قاغان	٧٤٠ ـ ٧٤٢ = ٢
٢٥	أجينه كين قاغان	٧٣٩ ـ ٧٤٠ = ١	٢٨	تنكري أل ـ أيتمش قاغان	٧٤٢

٥ ـ سلالة دوقوز أوغوز ـ أون إيغور (الأويغور) ٧٤٥ ـ ٨٤٥ (٩٤٠) = ١٠٠ (١٩٥) عام

٩٤	قتلوغ بيلكه كول قاغان	٧٤٥ ـ ٧٤٦ = ١ ش
٩٥	أيل ـ أيتمش بيلكه بباينجور ـ (موينجور) قاغان	٧٤٦ ـ ٧٥٩ = ١٣ م
٩٦	أيل ـ توتمش آلب ـ كولوغ بيلكه قاغان	٧٥٩ ـ ٧٨٠ = ٢١ م
٩٧	آلب ـ قوتلوغ بيلكه قاغان	٧٨٠ ـ ٧٨٩ = ٩ م
٩٨	تاراس كولوغ بيلكه قاغان	٧٨٩ ـ ٧٩٠ = ١ م
٩٩	أوجور قوتلوغ بيلكه قاغان	٧٩٠ ـ ٧٩٥ = ٥ م
١٠٠	آلب ـ أولوغ قوتلوغ بيلكه قاغان	٧٩٥ ـ ٨٠٥ = ١٠ م
١٠١	آي تنكري ده قوت بولمش آلب كولوغ بيلكه قاغان	٨٠٥ ـ ٨٠٨ = ٣ م
١٠٢	آي تنكري ده قوت بولمش آلب بيلكه قاغان	٨٠٨ ـ ٨٢١ = ١٣ م
١٠٣	تنكري ده قوت بولمش كوجلوغ بيلكه قاغان	٨٢١ ـ ٨٢٥ = ٤ م
١٠٤	آلب ـ بيلكه تنكري أويغوز قاغان	٨٢٥ ـ ٨٣٢ = ٧ م
١٠٥	ألب ـ كولوغ بيلكه قاغان	٨٣٢ ـ ٨٣٩ = ٧ م
١٠٦	أوكه قاغان	٨٣٩ ـ ٨٤٥ = ٦ م
١٠٧	بيلكه باينجور ـ (موينجور الثاني) قادرخان	٨٤٥؟ ـ ٨٨٥؟= ٤٠؟ ب
١٠٨	تافكاج أوغولجاق قادرخان	٨٨٥؟ ـ ٩٤٠؟ = ٥٥؟ ب

٦ ـ سلالة القاراخانيين ٨٤٥ (٩٤٠) ـ ١٠٤٠ = ١٩٥ (١٠٠) عام

١٠٩	كول بيلكه خان	٨٤٥ ـ ؟ =؟ ش
١١٠	بازر خان	؟ ـ ؟ =؟ ش
١١١	صاتوق بوغرا عبد الكريم خان	٩٤٠؟ ـ ٩٥٥ = ١٥؟
١١٤	الخان أحمد الأول	٩٩٨ ـ ١٠١٧ = ١٩
١١٥	منصور خان	١٠١٧ ـ ١٠٢٤= ٧
١١٦	الخان أحمد الثاني	١٠٢٤ ـ ١٠٢٦ = ٢

١١٢ بايتاش موسى خان ٩٥٥ ـ ؟ =؟

١١٣ علي خان ؟ ـ ٩٩٨ =؟

٧ ـ السلالة السلجوقية ١٠٤٠ ـ ١٣٠٨ = ٢٦٨ عام

١١٩ السلطان طغرل بك ١٠٤٠ ـ ١٠٦٣ = ٢٣

١٢٠ السلطان آلب أرسلان ١٠٦٣ ـ ١٠٧٢ = ٩

١٢١ السلطان ملكشاه ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ = ٢٠

١٢٢ السلطان محمود ١٠٩٢ ـ ١٠٩٤ = ٢

١٢٣ السلطان برقياروق ١٠٩٤ ـ ١١٠٤ = ١٠

١٢٤ السلطان ملكشاه الثاني ١١٠٤ ـ ١١٠٥ = ١

١٢٥ السلطان محمد طابار ١١٠٥ ـ ١١١٧ = ١٢

١٢٦ السلطان سنجر ١١١٧ ـ ١١٥٧ = ٤٠

١٢٧ السلطان قليج أرسلان الثاني ـ تركيا ١١٥٧ ـ ١١٩٢ = ٣٥

١١٧ يوسف خان ١٠٢٦ ـ ١٠٣٢ = ٦

١١٨ سليمان خان ١٠٣٢ ـ ١٠٤٠ = ٨

١٢٩ السلطان سليمان شاه الثاني ـ تركيا ١١٩٦ ـ ١٢٠٤ = ٨

١٣٠ السلطان قليج أرسلان الثالث ـ تركيا ١٢٠٤ ـ ١٢٠٥ = ١

١٣١ السلطان كيكاوس الأول ـ تركيا ١٢١١ ـ ١٢١٩ = ٨

١٣٢ السلطان كيقباد الثاني ـ تركيا ١٢١٩ ـ ١٢٣٧ = ١٨

١٣٣ السلطان كيخسرو الثاني ـ تركيا ١٢٣٧ ـ ١٢٤٦ = ٩

١٣٤ السلطان كيكاوس الثاني ـ تركيا ١٢٤٦ ـ ١٢٥٦ = ١٠
+١٢٥٧ ـ ١٢٦١= ٤ =١٤

١٣٥ السلطان قليج أرسلان الرابع ـ تركيا ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧ = ١
+١٢٦١ ـ ١٢٦٦= ٥=٦

١٣٦ السلطان كيخسرو الثالث ـ تركيا ١٢٦٦ ـ ١٢٨١ = ١٥

١٣٧ السلطان مسعود الثاني ـ تركيا ١٢٨١ ـ ١٢٩٧ = ١٦
+١٣٠٢ ـ ١٣٠٨= ٦ =٢٢

١٢٨ السلطان كخسرو الأول ـ تركيا ١١٩٢ ـ ١١٩٦ = ٤ +١٢٠٥ ـ ١٢١١= ١٠=٦ — ١٣٨ السلطان كيقباد الثاني ـ تركيا ١٢٩٧ ـ ١٣٠٢ = ٥

ملاحظة : ـ كان ملوك السلالات الأربع المار ذكرها يعتنقون الدين الشاماني. وسنوضح ديانة من يلي من الحكام برموز تشير إلى الأديان كما يلي : ـ (ش) شاماني (م) ماني (ب) بوذي (ح) مسيحي، أما الحكام الذين لا توجد إزاء أسمائهم رموز فهم مسلمون جميعاً.

٨ ـ سلالة الألخانيين ١٣٠٨ ـ ١٣٣٥ = ٢٧ عام

١٣٩ السلطان أولجايتو خدابنده ١٣٠٨ ـ ١٣١٦ = ٨ — ١٤٠ السلطان أبو سعيد بهادر ١٣١٦ ـ ١٣٣٥ = ١٩

٩ ـ السلالة الجغتائية ١٣٣٥ ـ ١٣٧٠ = ٣٥ الالخانيون+ الجغتائيون = سلالة جنكيز = ٦٢ عام

١٤١ بوزان خان ١٣٣٥ ـ ١٣٣٨ = ٣ ح — ١٤٥ بويان ـ قولو خان ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧ = ١

١٤٢ أيسن ـ تيمور خان ١٣٣٨ ـ ١٣٤٠ = ٢ — ١٤٦ توغلوق ـ تيمور خان ١٣٤٧ ـ ١٣٦٢ = ١٥

١٤٣ محمد خان ١٣٤٠ ـ ١٣٤٣ = ٣ — ١٤٧ إلياس ـ خوجا خان ١٣٦٢ ـ ١٣٧٠ = ٨

١٤٤ قازغان خان ١٣٤٣ ـ ١٣٤٦ = ٣

١٠ ـ السلالة التيمورية ١٣٧٠ ـ ١٤٤٧ = ٧٧ عام

١١ ـ

١٤٨ تيمور كوركان ١٣٧٠ ـ ١٤٠٥ = ٣٥ — ١٥٠ السلطان شاه روخ مرزا ١٤٠٩ ـ ١٤٤٧ = ٣٨

١٤٩ السلطان خليل مرزا ١٤٠٥ ـ ١٤٠٩ = ٤

١٢ ـ السلالة العثمانية ١٤٤٧ ـ ١٩٢٢ = ٤٧٥ عام

١٣ ـ

١٥١ السلطان مراد الثاني ١٤٤٧ ـ ١٤٥١ = ٤ — ١٦٧ السلطان مصطفى الثاني ١٦٩٥ ـ ١٧٠٣ = ٨

١٥٢	السلطان محمد الثاني الفاتح	١٤٥١ ـ ١٤٨١ = ٣٠
١٥٣	السلطان بايزيد الثاني	١٤٨١ ـ ١٥١٢ = ٣١
١٥٤	السلطان سليم الأول ـ ياوز	١٥١٢ ـ ١٥٢٠ = ٨
١٥٥	السلطان سليمان الأول ـ القانوني	١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ = ٤٦
١٥٦	السلطان سليم الثاني	١٥٦٦ ـ ١٥٧٤ = ٨
١٥٧	السلطان مراد الثالث	١٥٧٤ ـ ١٥٩٥ = ٢١
١٥٨	السلطان محمد الثالث	١٥٩٥ ـ ١٦٠٣ = ٨
١٥٩	السلطان أحمد الأول	١٦٠٣ ـ ١٦١٧ = ١٤
١٦٠	السلطان مصطفى الأول	١٦١٧ ـ ١٦١٨ = ١+ ١٦٢٢ ـ ١٦٢٣= ١=٢
١٦١	السلطان عثمان الثاني	١٦١٨ ـ ١٦٢٢ = ٤
١٦٢	السلطان مراد الرابع	١٦٢٣ ـ ١٦٤٠ = ١٧
١٦٣	السلطان إبراهيم	١٦٤٠ ـ ١٦٤٨ = ٨
١٦٤	السلطان محمد الرابع	١٦٤٨ ـ ١٦٨٧ = ٣٩
١٦٥	السلطان سليمان الثاني	١٦٨٧ ـ ١٦٩١ = ٤
١٦٦	السلطان أحمد الثاني	١٦٩١ ـ ١٦٩٥ = ٤

١٦٨	السلطان أحمد الثالث	١٧٠٣ ـ ١٧٣٠ = ٢٧
١٦٩	السلطان محمود الأول	١٧٣٠ ـ ١٧٥٤ = ٢٤
١٧٠	السلطان عثمان الثالث	١٧٥٤ ـ ١٧٥٧ = ٣
١٧١	السلطان مصطفى الثالث	١٧٥٧ ـ ١٧٧٤ = ١٧
١٧٢	السلطان عبد الحميد الأول	١٧٧٤ ـ ١٧٨٩ = ١٥
١٧٣	السلطان سليم الثالث	١٧٨٩ ـ ١٨٠٧ = ١٨
١٧٤	السلطان مصطفى الرابع	١٨٠٧ ـ ١٨٠٨ = ١
١٧٥	السلطان محمود الثاني	١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ = ٣١
١٧٦	السلطان عبد المجيد الأول	١٨٣٩ ـ ١٨٦١ = ٢٢
١٧٧	السلطان عبد العزيز	١٨٦١ ـ ١٨٧٦= ١٥
١٧٨	السلطان مراد الخامس	١٨٧٦
١٧٩	السلطان عبد الحميد الثاني	١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ = ٣٣
١٨٠	السلطان محمد الثاني ـ رشاد	١٩٠٩ ـ ١٩١٨ = ٩
١٨١	السلطان محمد السادس ـ وحيد الدين	١٩١٨ ـ ١٩٢٢ = ٤

١٢ ـ الجمهورية التركية اعتباراً من عام ١٩٢٣

خاقانات الغرب والشرق الذين يلون الملوك الأتراك الكبار

١ ـ خاقان الشرق (١٠٤٠ ـ ١٠٧٧ = ٣٧) (السلالة القاراخانية)

كان عرش الدولة التركية الكبرى في هذه الأعوام بحوزة السلالة السلجوقبة الذين كانوا ملوك الشرق

١	سليمان خان	١٠٤٠ ـ ١٠٥٧ = ١٧	٤	محمود خان	١٠٥٩ ـ ١٠٧٤ = ١٥
٢	محمد خان	١٠٥٧ ـ ١٠٥٨ = ١	٥	عمر خان	١٠٧٤ ـ ١٠٧٥ = ١
٣	إبراهيم خان	١٠٥٨ ـ ١٠٥٩ = ١	٦	حسن خان	١٠٧٥ ـ ١٠٧٧ = ٢

ـ ٢خاقان الغرب (تركيا) (١٠٧٧ ـ ١١٥٧ = ٨٠) (السلاجقة)

كان عرش الدولة التركية الكبرى في هذه الأعوام بحوزة السلاجقة الكبار الشرقيين

١	السلطان سليمان ـ شاه الأول	١٠٧٧ ـ ١٠٨٦ = ٩	٤	السلطان مسعود الأول	١١٠٧ ـ ١١٥٥ = ٤٨
٢	السلطان داود	١٠٨٦ ـ ١٠٩٢ = ٦	٥	السلطان قليج أرسلان الثاني	١١٥٥ ـ ١١٥٧ = ٢
٣	السلطان قيلج أرسلان الأول	١٠٩٢ ـ ١١٠٧ = ١٥			

٣ ـ خاقان الشرق (١١٥٧ ـ ١١٩٤ = ٣٧) (سلاجقة العراق)

كان عرش الدولة الكبرى في هذه الأعوام بحوزة سلاجقة الأناضول أي أباطرة تركيا وهم الغربيون

١	السلطان محمد	١١٥٧ ـ ١١٥٩ = ٢	٣	السلطان أرسلان شاه	١١٦١ ـ ١١٧٧ = ١٦
٢	السلطان سليمان شاه	١١٥٩ ـ ١١٦١ = ٢	٤	السلطان طغرل شاه	١١٧٧ ـ ١١٩٤ = ١٧

٤ ـ خاقان الشرق (١١٩٤ ـ ١٢٣١ = ٣٧) (الخوارزمية كان عرش الدولة الكبرى في هذه الأعوام بحوزة سلاجقة الأناضول أي أباطرة تركيا وهم الغربيون

١	تكش خرزم شاه	١١٩٤ ـ ١٢٠٠ = ٦	٣	جلال الدين خرزم شاه	١٢٢٠ ـ ١٢٣١ = ١١
٢	محمد خزرم شاه	١٢٠٠ ـ ١٢٢٠ = ٢٠			

٥ ـ خاقان الشرق (١٢٣١ ـ ١٣٣٥ = ١٠٤) (قوم جنكيز الجغتائيون)

كان سلاجقة الأناضول أي أباطرة تركيا على عرش الدولة الكبرى حتى عام ١٣٠٨ والالخانيون من أبناء جنكيز بعد هذا التاريخ

١	جغتاي خان	١٢٣١ ـ ١٢٤٢= ١١ ش	١٠	قونجوق خان	١٣٠٦ ـ ١٣٠٨ = ٢ ش
٢	قاره هولاكو خان	١٢٤٢ ـ ١٢٤٧ = ٥ +١٢٥١ش	١١	تاليكو خان	١٣٠٨ ـ ١٣٠٩ = ١ ش
٣	مونكه خان	١٢٤٧ ـ ١٢٥١ = ٤ ش	١٢	كبك خان	١٣٠٩+ ١٣١٨ - ١٣٢١ = ٣ ش
٤	مبارك شاه خان	١٢٥١ ـ ١٢٦١= ١٠ + ١٢٦٦	١٣	إيسن ـ بوغا خان	١٣٠٩ ـ ١٣١٨ = ٩ ش
٥	الكو خان	١٢٦١ ـ ١٢٦٦ = ٥ ش	١٤	إيليجي ـ كداي خان	١٣٢١ ش
٦	باراق خان	١٢٦٦ ـ ١٢٧١ = ٥	١٥	دو وه تيمور خان	١٣٢١ ـ ١٣٢٢ = ١ ش
٧	نيكباي خان	١٢٧١ ـ ١٢٧٢ = ١ ش	١٦	تارما شرين خان	١٣٢٢ ـ ١٣٣٤ = ١٢
٨	توكا ـ تيمورخان	١٢٧٢ ـ ١٢٨٢= ١٠ ش	١٧	سانجار خان	١٣٣٤
٩	دو وه خان	١٢٨٢ ـ ١٣٠٦= ٢٤ ش	١٨	جنكشي خان	١٣٣٤ ـ ١٣٣٥ = اح

٦ ـ خاقان الغرب (تركيا) (١٣٣٥ ـ ١٤٤٧ = ١١٢) (العثمانيون)

كان الجغتائيون الشرقيين على عرش الدولة الكبرى حتى عام ١٣٧٠ والتيموريون بعد هذا التاريخ

١	السلطان أو رخان	١٣٣٥ ـ ١٣٦٢ = ٢٧	٤ ـ آ	موسى جلبي	١٤١١ ـ ١٤١٣ = ٢
٢	السلطان مراد الأول	١٣٦٢ ـ ١٣٨٩ = ٢٧	٥	السلطان محمد الأول جلبي	١٤١١ ـ ١٤٢١ = ١٠
٣	السلطان بايزيد الأول ـ يلدرم	١٣٨٩ ـ ١٤٠٢ = ١٣	٦	السلطان مراد الثاني	١٤٢١ ـ ١٤٤٤ = ٢٣+
					١٤٤٦ ـ ١٤٤٧ = ١= ٢٤
٤	سليمان جلبي	١٤٠٢ ـ ١٤١١ = ٩	٧	السلطان محمد الثاني	١٤٤٤ ـ ١٤٤٦ = ٢

المبحث الثالث

الدولة التركية الكبرى بعد اعتناق الإسلام
القاراخانيون ٩٤٠ ـ ١٠٤٠

القاراخانيون والأويغور

فقدت الدولة التركية الكبرى صفتها العالمية وصفة الإمبراطورية الآسيوية بين عام ٨٤٥ ـ ٩٤٠. وقد حكم خلال الخمس والتسعين عاماً هذه ملوك من الأويغور والقاراخانيين ولاتتوفر لدينا المعلومات الكافية للجزم بسيطرة أحدهما عل الآخر. إلا أننا نستطيع أن نقول بأن القاراخانيين كانوا ملوك الغرب والاويغور ملوك الشرق. وقد أحدث اعتناق صاتوق بوغرا خان الإسلام باسم عبد الكريم في عام ٩٤٠ نقطة تحول في التاريخ التركي إذ سيطر القاراخانيون بعد هذا التاريخ على الدولة التركية الكبرى. وتنتسب السلالة القاراخانية مثل الاويغورية إلى سلالة الكوك تورك التي نسميها أبناء اجينا. وقد أحدث القاراخانيون انقلاباً مزدوجاً في التاريخ التركي باعتناقهم الإسلام وإيصالهم الإمبراطورية التركية قرب البحر الأبيض المتوسط. وقد كان لهم تأثير هام في تاريخ العالم أيضاً. فقد أضفوا على العالم الإسلامي الذي بدا الوهن يتطرق إليه قوة جديدة وفتية ولم يمض قرن وربع القرن على اعتناقهم الإسلام حتى حكموا العالم الإسلامي بأسره. وبذلك فقد حل الأتراك محل العرب في تمثيل العالم

الإسلامي. أما الانقلاب الثاني فقد كان نقل الإمبراطورية التركية إلى الجنوب الغربي متبعين خطة سلالة دوقوز أوغوز ـ أون أويغور التي نقلت مركز الأتراك من مغولستان الغربية إلى تركستان الشرقية ولهذا الأمر أهمية قصوى وتأثير بالغ على تاريخ العالم. وإذا كان مركز ثقل سلالة الأويغور يتركز في الأقسام الوسطى والشرقية والشمالية من تركستان الشرقية فقد كان أبان حكم القراخانيين في غرب تركستان الشرقية (بجوار كشغر) وقد أسدى هؤلاء اكبر خدمة للأمة التركية منذ عهد الكوك تورك بتوسيع حدود الدولة اثر انتزاع ما وراء النهر من السامانيين الفرس وتوحيد تركستان الشرقية والغربية وزحفوا من كشغر (٨٠٠ كم) غربا إلى سمرقند (تقع سمرقند وبخارى وكشغر على خط عرض ٣٩ درجة) وحري بنا نظراً لأهمية هذا الحدث في التاريخ التركي أن نتوسع في هذا البحث من الناحية السياسية الجغرافية مستعينين بالأمثلة آخذين بنظر الاعتبار أن السلاجقة والعثمانيين قد استندوا إلى هذه الناحية في توسعهم. فإذا ما نظرنا إلى تاريخ الدولة التركية الكبرى منذ تأسيسها وحتى عام ٨٤٥ نرى أن العاصمة أوتوكن وحواليها أي وسط وشمالي مغولستان الحالية تبعد عن البحر الأبيض المتوسط (من خليج الاسكندرونة) بمسافة ٥٣٠٠ كم بينما تبعد عن المحيط الهادي (من خليج بجيلي) بمسافة ١٦٠٠ كم وقد أخفى هذا الأمر على الإمبراطورية التركية صفة كونها دولة من دول الشرق الأقصى. وقد نقلت العاصمة أبان حكم الأويغور في فترتهم الثانية أي خلال أعوام ٨٤٥ ـ ٩٤٠ إلى مدينة قارابا لكاسون على مسافة ١٤٠٠ كم إلى الجنوب الغربي. وبالرغم من إن مركز الدولة قد ابتعد عن اقرب المياه المفتوحة (المحيط) فإن المسافة إلى البحر الأبيض قد تناقصت إلى ٤١٥٠ كم (أصبحت المسافة إلى المحيط ٢٩٠٠ كم) ولم يقتصر التغيير على هذا الأمر فحسب بل إن أوتوكن كانت تقع على خط عرض ٤٨ درجة بينما كانت العاصمة الجديدة على خط عرض ٤٢,٣٠ درجة. وبذلك فقد أزيحت العاصمة إلى الجنوب بمقدار ٥,٥ درجة ونتيجة لهذا فقد تم الانتقال من المناخ البارد

إلى المعتدل. أما القاراخانييون فقد كانت عاصمتهم أول الأمر مدينة بالاساغون ثم مدينة كشغر. ولا أثر للمدينة الأولى حالياً وقد كانت تقع غرب بحيرة ايصيق على بعد ٢٤٠ كم إلى الشمال من كشغر. وكانت هذه المدن تبعد بمسافة ٣٣٠٠ كم عن البحر المتوسط و٣٥٠٠ كم عن المحيط الهادي و١٧٥٠ كم عن المحيط الهندي و٢٧٥٠ كم عن البحر المتجمد الشمالي (خليج اوبي) أي إنها كانت في وسط آسيا تماما وكانت الدولة التركية لا تزال دولة برية إلا أنها على بعد مسافات متساوية من المياه المفتوحة وبذلك فقد خرجت عن كونها دولة من دول الشرق الأقصى. وإضافة إلى هذا فقد انتقلت العاصمة ٣,٥ درجة أخرى إلى الجنوب (أستانبول ٤١ درجة وكشغر ٣٩ درجة) وقد كانت هذه المنطقة وحيدة في بابها من ناحية البعد عن البحار إذ يستحيل إيجاد نقطة تساويها في هذا البعد في إفريقيا أو أمريكا أو أية منطقة أخرى في آسيا بالذات. وهذا يعني أن المستقبل كان يخفي انفتاحاً على المياه المفتوحة. وقد آمن الأتراك بدهائهم السياسي بهذه الضرورة وتحسبوا لها منذ بادئ الأمر. إذ إن كل شيء كان يدفع الأتراك بعد هذه النتيجة إلى سبيل البحر المتوسط والأناضول. وقد كانت الحيلولة دون وصول الأتراك إلى هذه المناطق ضرباً من المستحيل. إذ إن الإمبراطورية التركية مرت بفترة تطور وتكامل استمرت ثلاثة عشر قرناً (٢٢٠ ق.م - ١٠٧ ب.م) للوصول إلى هذه النتيجة. تم تركز القاراخانيون في عام ١٠٤٠ في كشغر وسمرقند وانتقل عرش الدولة التركية الكبرى إلى السلاجقة وأصبحت مدينة نيسابور (قرب مشهد في خرا سان) عاصمة السلاجقة في عام ١٠٣٧. وبذلك فقد أصبحت الدولة التركية من دول الشرق الأدنى قاطعة علاقاتها التي ترجع إلى آلاف السنين بالشرق الأقصى. ويصادف عام ١٠٧١ فتح الأناضول ومالازكيرت. وفي عام ١٠٧٧ تأسست دولة تركيا واختيرت مدينة ازنيق عاصمة لها.

أسطورة صاتوق بوغراخان

حمل اعتناق صاتوق بوغرا خان للدين الإسلامي وتبديل الدين الرسمي للدولة إلى الإسلام نابذاً ديانة آبائه وأجداده لآلاف السنيين (الدين الشاماني) على انه وحي إلهي فظهرت نتيجة لذلك أسطورة صاتوق بوغرا خان بين الأتراك. وفحوى هذه الأسطورة أن الخاقان التركي تعلم أسس الدين الإسلامي في حلمه فأعلن إسلامه عند استيقاظه من النوم وعلم رعاياه أركان هذا الدين الجديد آمراً بأن يعتنق الأتراك جميعاً الإسلام. والحقيقة أن اعتناق الأتراك للإسلام كان نتيجة تفاعل وتكامل استمر قروناً عديدة حتمية المصالح السياسية والقومية العليا. وهو أبعد ما يكون عن حدث ارتجالي وإلهام من قبل شخص واحد.

لماذا أسلم الأتراك؟

يبدأ احتكاك الأتراك بالدين الإسلامي في أواخر القرن السابع. فقد وصل هذا الدين الذي ولد عام ٦١٠ واجتاز حدود الجزيرة العربية في عام ٦٣٤ إلى خراسان في أواخر القرن السابع وبدا بذلك احتكاك الدولة التركية الغربية به. وقد أسلفنا في موضوع الكوك تورك نتفاً حول هذا الأمر. تدارس الأتراك هذا الدين طيلة قرن ونصف القرن. وفي خلال هذه المدة اعتنق مئات الألوف من الأتراك هذا الدين ودخلوا في خدمة الإمبراطورية الإسلامية وارتقوا حتى إلى منصب القائد العام لقوات الخليفة كما أن الطولونيين من أتراك الأوغوز أسسوا أول دولة تركية مصرية ـ سورية. وقد اعتاد الأتراك في ما وراء النهر وسواحل بحر الأسرار أن يعيشوا مختلطين بدياناتهم الإسلامية والشامانية وحتى البوذية والمانية. وكان قسم من القارلوق مسلمين والقسم الآخر شامانيين كما كان بينهم من يدين بالبوذية أو المانية.

وقد حدث تقارب بين الأتراك والمسلمين نتيجة لوقوف العرب ضد

الصينيين. وأصبحت ما وراء النهر في الربع الأول من القرن العاشر مسلمة برمتها إذ كان الفرس والأتراك القاطنين هنا مسلمين، من رعايا الدولة السامانية، الدولة الفارسية التي كانت تتبع الخلافة الإسلامية في بغداد بالاسم فقط.

وقد واجه الأتراك هذه الدولة عندما نقلت العاصمة إلى بالاساغون وكشغر. وحتمت الظروف السياسية الجغرافية شن الحرب على السامانيين وفتح ما وراء النهر التي كانت خاضعة للدولة التركية الكبرى منذ عهد الهون وحتى سقوط سلالة الكوك تورك فقد كان استردادها من أيدي الفرس ضرورياً. وكان من الضروري للتغلغل في بنية الدين الجديد والمجتمع الإسلامي الحائز على ثقافة وحضارة فريدة في العصور الوسطى اعتناق الدين الإسلامي. ولم يكن الفرس وحدهم في عدم قبول سلطة الدولة التركية الكبرى التي تدين بالشامانية بل كان الأتراك المسلمون أيضاً يرفضون اتباعها. في حين أن دولة تركية كانت ستكسب تأييد هذا الإقليم الذي كان الأتراك يشكلون نصفه في حالة إسقاط الدولة السامانية وتأسيس دولة جديدة. وقد كان من نتائج إسلام القاراخانيين سيطرة الأتراك على ما وراء النهر وخراسان، الناحية.لذي يربط الشرق الأدنى بالشرق الأوسط. ولا يخطر بالبال إطلاقاً أن الحكام الأتراك بدهائهم المعروف لم يلتفتوا إلى هذه الناحية. لم يكن لينتظر الأتراك مستقبل لامع ما لم يتم فتح ما وراء النهر وخراسان. وبالفعل فإن الأويغور لم يمتلكوا دولة عالمية موسعة ولم يكن بوسع الإمبراطورية التركية التي فقدت صفة كونها من دول الشرق الأقصى أن تبقى ثابتة في آسيا الوسطى فإن دولة برية بهذا الشكل لم تكن لتطمع في أن تتوسع في حين أن تقاليد الأتراك وكرامتهم كانت تقتضي محافظة وضعهم العالمي وإضافة إلى الأسباب الوارد ذكرها في اعتناق الأتراك للإسلام فقد كان هناك عامل معنوي، فقد اعتنق قسم من الأتراك البوذية والمانية بعد نبذهم للشامانية وقد ظهر أثر تجارب قرن واحد أن هذه الأديان لا تتفق والبنية القومية للشعب التركي فقد أحدث اعتناق هذه

الأديان إخلالاً بتقاليد الأتراك ومزاياهم العسكرية ونتج عنه تخريب البنية السياسية للدولة التركية وتغيير القيم المعنوية للأتراك. وجاء الدين الإسلامي بتقديسه للعناصر المعنوية المقدسة من قبل الأتراك وأسسه العملية مطابقاً لرغبات هذا القوم نظراً لتجرده من الأخطاء والنواقص الموجودة في تلك الأديان. وقد أدى اعتناق الأتراك للإسلام بمحض إرادتهم وعلى شكل كتلة واحدة وتكيف الوضع القومي معه إلى وصولهم إلى أقوى المراحل التي وصلوها في تاريخهم الحافل.

وقد ظل قسم من الأتراك على ديانتهم القديمة بعد اعتناق القاراخانيين للإسلام على شكل كتلة واحدة ولا يزال هناك قسم منهم غير مسلمين. إلا أن العصور التي أعقبت هذا الحدث ولاسيما بعد إسلام ثلاثة من أربعة فروع تشكلت منه الامبراطورية المغولية بعد جنكيز خان وتبنيهم للغة التركية أدى إلى تناقص هذه الجماعات ونزولهم إلى مرتبة أقلية ضئيلة تعيش في الأقاليم النائية في الشرق الأقصى وسيبريا. ويجدر بالذكر أن العالم الإسلامي والإسلام كان يمر بفترة حرجة عندما اعتنق الأتراك الإسلام. إلا أن الأتراك أصبحوا مدافعين صلدين لهذا الدين ومقابل هذا فقد منح الإسلام للأتراك وحدة معنوية لا تقدر بثمن. ومن ناحية أخرى فإن الازدياد المطرد في نفوس الشعب التركي كان يحتم التغلغل في الأقاليم الإسلامية الغنية والوصول إلى المياه المفتوحة. وقد حدث هذا في وقت ملّ فيه العالم الإسلامي من ضعف الخليفة الذي كان مرجع السلطان وأخذ يرنو إلى الاستقرار والطمأنينة التي ستستتب بيد الأتراك ولم يكن من المتصور أن لا يحيط الحكام الأتراك الذين عرفوا بدهائهم السياسي وحكمتهم التنظيمية. ومن هذا يذكر المفكر العربي الكبير الجاحظ (توفي عام ٨٦٩) في أوج عظمة الخلافة: حب الوطن يشمل الناس جميعاً إلا أن هذه الخصلة تبرز لدى الأتراك أكثر من غيرهم ويذكر قتيبة بن مسلم (فاتح ما وراء النهر) أن الأتراك مولعون بوطنهم يضحون في سبيله بكل غال ورخيص. لا ينسونه ولا يسلونه أينما ذهبوا وقد أدت هذه العوامل إلى

تفوق الأتراك على باقي الأمم، والأتراك يعرفون هذا جيداً وتظهر الكفاءة الفذة للأتراك في العمل من أجل الوطن وفتح الأقاليم وإدارتها بشكل منظم على أبرز ما تظهر على الأمم القوية كالبيزنطيين والأنكلوسكسون، وغيرهم ويستدل على ذلك من دراسة بسيطة وسطحية للتاريخ التركي وقد برزت هذه الصفة على أبرز ما تكون في ملحمة أوغوز بهذه العبارة (إنهم يهاجرون دائماً لا يستقرون في مكان) وعلاوة على استمرار هذه المزايا عند الأتراك طيلة تاريخهم فإنها شكلت دعماً معنويّاً لهم في أيام فتورهم وضعفهم أيضاً. ويذكر المؤرخ الروسي بارتولد في معرض حديثه عن هذه الخصلة قوله: ـ أثارت الفتوحات التركية في القرن العاشر غروراً قوميّاً وفخراً للأتراك ساعدهم حتى في القرن العشرين.

ويرى محمود الكشغري (أحد أمراء الإمبراطورية التركية من سلالة القاراخانيين) والأدباء الأتراك الكبار الذين تعاقبوا في عهد القاراخانيين، ويوسف خاص حاجب، وهو من وزراء القاراخانيين أن الأتراك انفردوا بقابلية تشكيل الدول يشكل موهبة ورعاية سماوية. ويذكر يوسف خاص حاجب أن الحكام الأتراك توارثوا سر تشكيل الإمبراطورية الكبرى أباً عن جدّ منذ عهد آلب أر تونكا على شكل قدرة قومية خفية. ويستند محمود الكشغري إلى أحاديث نبوية في رأيه القائل بأن الأتراك امتلكوا قدرة حكم العالم بفعل قدرة إلهية. يذكر كبار بحاثة التاريخ الصيني واللغة الصينية أمثال هيرث وهيرمان أن وجود الإمبراطورية التركية كدولة كبيرة في مقابل البيزنطيين. أضفى الكثير من الرفاه والاستقرار على الحياة الاقتصادية والتجارية في تلك المنطقة. إذ كان الأتراك بمثابة حلقة وصل وارتباط بين الشرق الأقصى والأدنى أو بعبارة أخرى بين الصينيين والفرس والرومان والبيزنطيين. وكانوا مسيطرين على سبل التجارة بين البيزنطيين والصينيين والمسماة بطريق الحرير. وكان هذا نتيجة لامتداد الحدود التركية إلى شمال بيكين فبلاد الفرس وخراسان وجبال أورال. وقد استعمل الأتراك نظام الصكوك في المبادلات التجارية وعمموا استعمالها في آسيا. وقد حاولوا

استعمال النقود الورقية عدة مرات إلا أنهم أخفقوا في ذلك. ولكنهم وسعوا التجارة بتأسيس شركات تجارية مع التجار الصينيين والفرس وقد استمرت هذه في عهد الإمبراطورية المغولية أيضاً. وقد اشترك التجار العرب فيما بعد في هذه الشركات التي كانت تسير قوافل ترحل طيلة خمسة أشهر متوغلة في سيبريا. ويذكر أن خمسة آلاف شخص كانوا ضمن قافلة خرجت من خوارزم في جنوب بحيرة آرال في عام ٩٢١ وقد مرت القافلة ببلاد الأوغوز ووصلت إلى إقليم أتراك البلغار في سواحل الفولجا. وعادت القافلة التي بدأت بسيرها في الربيع إلى خوارزم في الخريف وقد كانت الشركات تمتلك بواخر تمخر عباب المحيط الهندي وقد سجل المؤلفون العرب والرومان نزاهة التجار الأتراك في مناسبات عديدة.

أثر عهد القاراخانيين في التاريخ التركي

يشكل القاراخانيون حلقة بين عهد الكوك تورك والأويغور وعهد السلاجقة. فالآثار المعمارية والسيراميك والنقوش الخشبية انتقلت إلى السلاجقة من القاراخانيين وكذلك الأمر بالنسبة للصفحات الأخرى من تاريخ المدينة.

وقد أدى إسلام صاتوق بوغرا خان (قبره في محلة آرتش بمدينة كشغر) إلى إسلام القبائل التركية الأخرى. وقد أسلم الأوغوز القاطنون ما بين بحيرة آرال وبحيرة قزوين في الربع الثالث من القرن العاشر، ويجدر بالذكر أن السلاجقة الذين سيطروا على الإمبراطورية التركية وحكموا العالم الإسلامي وأسسوا دولة تركيا هم السلالة الحاكمة لهؤلاء الأوغوز.

لقد أصبح قبول الإسلام ديناً من قبل الأتراك أمراً حتمياً كما كان بالنسبة للأقوام الأخرى وفي هذا يذكر بارتولد: نرى في التاريخ أن كثيراً من الأقوام الألوسطى، البوذية قد أسلمت إلا أن أي قوم مسلم لم يعتنق المسيحية أو البوذية (تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٥٩).

وقد ارتقى القاراخانيون إلى أعلى المراحل في العالم الإسلامي بعد انتزاعهم ما وراء النهر من السامانيين الفرس. وكانت بخارى عاصمة الدولة السامانية من جملة المدن التي فتحت من قبل الأتراك. ووصل هؤلاء إلى خراسان إلا أن إمبراطورية تركية أخرى واقعة تحت التأثير الفارسي وهي الدولة الغزنوية حالت دون استمرار القاراخانيين في سيرهم نحو الجنوب والغرب. وقد طرد الغزنويون الذين تصدوا للقاراخانيين في طريق الغرب من قبل السلاجقة واخرجوا من هذه البقعة وفتحت سبل الغرب والبحر الأبيض المتوسط للدولة التركية الكبرى. وتجلى مستقبل الدولة الغزنوية في الهند فتأسست أول دولة تركية مسلمة في القارة الهندية.

وبدأت تركستان الغربية بعد تركستان الشرقية في اتخاذ طابع تركي في مطلع القرن الحادي عشر فتأسست مدن تركية جديد (أطلق الأتراك اسم طاش كنت على مدينة بين كنت في القرن الحادي عشر) ونتيجة لفقد العرب قدرتهم الأولى فقد واجه الأتراك ضرورة الدفاع عن العالم الإسلامي.

وفي عام ١٠٢٥ اجتمع السلطان محمود الإمبراطور التركي الغزنوي في جنوب سمرقند مع إمبراطور القاراخانيين قادر خان يوسف وتدارسا النزاع بين الدولتين الكبيرتين حول ما وراء النهر إذ إن الغزنويين كانوا سيطروا على ما وراء النهر ودفعوا بالقاراخانيين بعيداً إلى ما وراء بحر الأسرار. وهنا برز السلاجقة ضد الغزنويين فإن سلالة تعجز عن إيصال الأتراك إلى المياه الدافئة لم تكن لتستطيع أن تبقى على عرش الدولة التركية الكبرى.

وقد أصبح الدين الإسلامي حاكماً في معظم أقسام تركستان التي كانت تسمي آنذاك (توران) ماعدا جونغاريا وشمال قازاخستان وشرق تركستان الشرقية بالقرب من قان صو إذ كانت شامانية أو بوذية. أما في تركستان فقد كانت مدينة كوجا مسلمة في حين كانت تورفان بوذية وكانت صحراء يدي صو المسكونة من قبل التوخسي والياغما والجيغيل من قبائل

الأتراك مسلمة مثل جنوب بحيرة بالقاش إلا أن سهل القرغيز في شمال هذه البحيرة كان يدين بالشامانية.

وقد حاول الأتراك نشر الإسلام وهم الذين قبلوا بهذا الدين بشكل سياسة قومية. وقد حاربوا في هذا السبيل فأرسلوا جيوشاً حتى إلى منابع نهر يامار (اوبي) التي كان يقطنها الباسميل الأتراك.

الحضارة التركية في عهد القاراخانيين

كان الايغور يعيشون على شكل دويلات صغيرة في مدن تركستان الشرقية على عهد القاراخانيين. وكان الأويغور الذين يدينون بالبوذية لا يزالون محتفظين بحضارتهم المتقدمة كما كانت المؤلفات التركية ذات القيمة الكبرى تكتب بلهجة الاويغور. وقد حال هؤلاء دون تسرب الإسلام إلى قان صو، ولم يفتح هذا الطريق إلا بعد إسلام المغول في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبذلك تسرب الإسلام إلى إقليم قان صو، وانتشر في جنوب شرق الصين في يونان.

وكان القاراخانيون قد نشروا الإسلام في إقليم طارم وقد انتشر هذا الدين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر في شرق بحيرة لوب وإقليم جايدام حتى التبت. وكانت خوارزم أي جنوب بحيرة ارال قد أصبحت تركية مثل تركستان الغربية وذلك في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وقد كان هذا الإقليم غنيا بموارده ويشكل حلقة اتصال بين قارتي آسيا وأوربا. وقد كانت الحضارة الإسلامية ابتداء من القرن السابع تعد من أرقى الحضارات لا تدانيها الحضارة المسيحية أو التركية أو الصينية أو الهندية. وقد كانت الحضارة المسيحية ممثلة بالبيزنطيين، إذ كانت أوربا الغربية والوسطى في حال مدقع من الإفلاس والفقر والتخلف ولم يبق أثر من ذكرى الإمبراطورية الرومانية الكبرى وأصبحت ضرباً من الخيال.

أما الأتراك فمما لاشك فيه أنهم أسهموا في الحضارة الإسلامية قبل

القرنين العاشر والحادي عشر وبرز منهم من عملوا من أجل هذه الحضارة بجد مثل الفارابي إلا أن هذه الحضارة كانت تتميز بطابع عربي.

وبتأسيس الدولتين الطاهرية والسامانية التابعتين للخلافة في بغداد وتبلور الأدب والشعر الفارسي في القرن العاشر فقدت اللغة العربية وثقافتها أثرها على الحضارة الإسلامية وظهرت إلى الوجود حضارة عربية - إسلامية مشتركة. وقد أسهم الأتراك ابتداء من النصف الثاني للقرن الحادي عشر كعنصر ثالث في هذه الحضارة.

وظهور الحضارة التركية الإسلامية للوجود من أهم أحداث التاريخ فقد أضفى الأتراك الكثير من الحيوية على هذه الحضارة. ووصلت الحضارة التركية إلى أوج عظمتها في القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر متقدمة على العرب والفرس.

وقد كان تأسيس الثقافة التركية الإسلامية والأدب التركي الإسلامي في القرن الحادي عشر في عهد القاراخانيين. في حين كانت الدولة التركية الكبرى تحافظ قبلهم على شخصية آسيا الوسطى. وبالرغم من هذا فإن الأتراك لم ينبذوا شخصيتهم الأولى في الحضارة وحتى في الدين فهناك اختلاف شاسع على ما نرى بين مفهوم الأتراك للدين ومفهوم العرب أو الفرس. ويتولد هذا الفرق من مزايا الثقافة التركية وحيويتها. ولا يخفى إن الأتراك أسسوا طرائق مختلفة مثل اليسوية والبكتاشية والمولوية وأضفوا روحاً جديدة على المعتقدات الدينية.

ونظراً لعدم اعتراف الدين الإسلامي بفارق الطبقات ووجود طبقة النبلاء في المجتمع التركي فلم تتم تصفية الفروق حتى حكم العثمانيين. فقد استمرت الطبقة النبيلة في عهد السلاجقة والتيموريين. كما استمر منح النبلاء امتيازات خاصة في عهد القاراخانيين بعد إسلامهم. وإن كان هؤلاء يعفون من الضرائب والرسوم، إلا أنهم لم يكونوا منفصلين عن طبقات الشعب مثل نبلاء أوربا. وبالرغم من أن اعتبار عائلة ما من النبلاء كان

يقتضي صدور أمرٍ سامٍ من الحاكم لقاء خدمه كبرى أو بطولة تظهرها كما كانت الحالة عليه فيِ أوربا فإن الشعب لم يكن ليملك حقوقاً أقل من هؤلاء. ومثال ذلك أن الحدائق الخاصة للحكام وقصورهم أثناء سفرهم كانت تفتح لأبناء الشعب بغض النظر عن كونهم من الطبقات الغنية أو الفقيرة بحيث يستطيع كل واحد أن يتجول فيه متى ما شاء.

الأدب التركي في عهد القاراخانيين

يعتبر ديوان لغات الترك وقوتا دغو بيليك المكتوبين في العهد القاراخاني من أهم آثار الأدب التركي بعد كتابات أورخون. وقوتادغو بيليك يعني علم السعادة ومؤلفه وزير القصر الإمبراطوري في عهد القاراخانيين يوسف خاص حاجب. وقد تمت كتابته في عام ١٠٧٠ فأهدى إلى حسن خاقان الذي كان وليا للعهد آنذاك وارتقى العرش في عام ١٠٧٥. ويتألف من سبعة آلاف بيت مكتوب على وزن (فعولن فعولن فعولن فعول) من أوزان العروض. ولد المؤلف في عام ١٠١٥ في مدينة بالاساغون عاصمة القاراخانيين (وهي في غرب بحيرة ايصيق) وهو من عائلة تركية نبيلة. وقوتادغو بيليك يحوي أفكار الشاعر وفلسفته والكتاب يحوي حواراً بين أشخاص أربعة:

كون دوغدي الحاكم الذي يمثل العدالة، آي طولدي الوزير الذي يمثل فلسفة الدولة، أوكدولمش ابن الوزير الذي يمثل العقل، وأودغورمش شقيق الوزير الذي يمثل القناعة. وقد عثر على ثلاث نسخ من قوتادغو بيليك هي نسخة فرغانة ونسخة فينا ونسخة مصر. واثنتان منها مكتوبة بالحروف العربية والثالثة بالحروف الأويغورية. وقد أحدث اكتشافها ضجة كبرى في تاريخ العلم وإن كانت لترقى إلى درجة كتابات أورخون وديوان لغات الترك. وقد عرف المستشرق اميديه يوبرت هذا الكتاب لأول مرة إذ كتب مقالة في عام ١٨٢٥ تحدث فيها عن هذا الاكتشاف الذي دقق نسخته المنسوخة من الحروف العربية إلى الحروف الأويغورية في هرات

عام ١٤٣٩ والموجودة في المكتبة الإمبراطورية بفينا. كما نشر مقطوعات منها مترجمة. وهذه النسخة هي النسخة الثالثة المعروفة في الأوساط العلمية باسم نسخة فينا وهي ترجمة ركيكة مكتوبة من اجل علاء الدين علي أفندي فناري زاده، من علماء عصر محمد الفاتح الذي كان يتقن قراءة حروف الاويغور. أما النسخة المصرية من هذا الكتاب والموجود حاليا في المكتبة الوطنيةعشر بالقاهرة فقد كتبت في أواسط القرن الرابع عشر بأمر عز الدين آي دمير من أمراء المماليك في مصر. أما النسخة المتقنة منها فهي نسخة فرغانة المستنسخة في القرن الثالث عشر.

وقد درس هذا المؤلف العالم الروسي برزين في عام ١٨٥٧، ثم العالم الروسي ايلمينسكي في عام ١٨٦٢، ثم العالم المجري ومبري في عام ١٨٧٠ وقد ترجم الأخير ألف بيت من المنظومة إلى اللغة الألمانية ونشرها. وقد أدت هذه الترجمة إلى اشتهار هذا المؤلف فعمد العالم الألماني شوت في عام ١٨٧١، والعالم فاسيلوف في عام ١٨٩٠ إلى دراسته. كما قام العالم الروسي الكبير رادلوف الأخصائي بعلم اللهجات التركية إلى طبع نسخة هرات كاملة في لينغراد في عام ١٨٩٠. وقام العالم نفسه بعد عام واحد بطبع المؤلف مجدداً بحروف المانجو. وقام مليورانسكي الروسي في عام ١٨٩٣ والبرتس الألماني في عام ١٨٩٧ وكليرمونت ـ كانيه الفرنسي في عام ١٨٩٨ ورادلوف في عام ١٨٩٨ بدراسة المؤلف مجدداً. كما عاد مليورانسكي إلى دراسته في عام ١٩٠٠ وكذلك رادلوف الذي نشر نسختي هرات ومصر مجدداً في عام ١٩٠٠ وترجم المؤلف بأكمله إلى اللغة الألمانية.

ومن العلماء الذين درسوا هذا المؤلف وكتبوا عنه أبحاثاً قيمة كل من: البرت في عام ١٩٠١ وطومسن الدانمركي والذي توصل إلى قراءة حروف الكوك تورك. وهرتمان الألماني في عام ١٩٠٢ وجو زيف المجري في عام ١٩٠٣ ورادلوف مرة أخرى في ١٩٠٨ وصامويلوفيج الروسي في

١٩١٢ وزكي وليدي طوغان في ١٩١٤، وبارتولد الروسي في ١٩٢٢، وفؤاد كوبريلي في نفس العام، وأ. رحيم وأ. عزيز من القازان الأتراك في ١٩٢٤ وصامويلوفيج ورضا نور في نفس العام، وفطرت التركي الاوزبكي في ١٩٢٥ ومالوف الروسي في ١٩٢٦ وبارتولد مجددا في عام ١٩٢٧، وفطرت وصامويلوفيج في عام ١٩٢٨ ومالوف الروسي في ١٩٢٩ وبروكلمان الألماني في ١٩٣٣ وصامويلوفيج في ١٩٣٤ ونيميت المجري في ١٩٣٥ ورشيد رحمتي ارات في .١٩٣٦

كما قام بونيللي في عام ١٩٣٣ بترجمة قسم من المؤلف إلى الإيطالية. كما عاد إلى دراسة المؤلف كل من ضياء الدين فخري فندق اوغلو في ١٩٣٨ وحسين نامق أورقون في ١٩٤٠ واحمد جعفر اوغلو في عام ١٩٤٣ وبرتلس الروسي في عام ١٩٤٤ وصادق آران في نفس العام، وبرتلس مجددا في ١٩٤٥ ومولاف في ١٩٤٨ و .١٩٥١ كما قام فاليتوف في عام ١٩٤٣ بترجمة مقتطفات منه إلى اللغة الروسية.

وقام مجمع اللغة التركية بطبع النسخ الثلاث للمؤلف في مجلدات ثلاثة في عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ في أستا نبول. ثم قام رشيد رحمتي آرات بنشر نصوصه بالحروف اللاتينية في عام ١٩٤٧ ثم نشر ترجمتها الكاملة الى اللغة التركية بحالتها في يومنا هذا. والمؤلفان الأخيران يعرضان الكلمة الأخيرة الكلمة الأخيرة للعلم حول هذا الموضوع.

ديوان لغات الترك

مؤلف هذا الكتاب هو الأمير محمود الكشغري ابن الأمير حسين خان ابن عم حسن خاقان الذي أهدى إليه كتاب قوتادغوبيليك وقد بدأ بكتابته في ٢٥ كانون الثاني ١٠٧٢ وانتهى منه في ١٠ شباط ١٠٧٤ وراجعه في عام ١٠٧٧ ثم قدمه إلى الخليفة المقتدي باللّه في بغداد. ويهدف الكتاب إلى تعليم الخليفة البالغ من العمر ٢١ عاماً (وهو الزعيم الروحي

للمسلمين) وصهر ألب أرسلان اللغة التركية. إلا أن المؤلف اجتاز حدود هذا التعليم ووضع موسوعة كاملة للغة الأتراك. وكان الأمير محمود الكشغري ملمّاً بلهجات اللغة التركية كافة وقد أورد في كتابه أمثله مختلفة حول هذه اللهجات. وضمن المؤلف كتابه خريطة ملونة للعالم تظهر فيها تركستان مركزا للعالم (كانت الأناضول قد فتحت في عام ١٠٧٧ وأسست دولة تركيا) ويذكر المؤلف في مقدمة الكتاب ما يلي:

«إن اللّه وهب شمس الدولة من أبراج الأتراك وقد رأيت دوائر السماء تدور حول أقاليم الترك. لقد وهبهم اللّه اسم تورك (وتورك يعني القوي) وجعلهم مسيطرين على المعمورة. وقد خرج أباطرة العالم من عرق تركي. وقد سلم زمام الأمور في العالم إلى الأتراك. وجعل الأتراك أقوى الأمم وأرقاهم. وقد قوي الأتراك بالحق لأنهم لم ينحرفوا عنه. وأصبحت الأمم الأخرى معززة بفضلهم وتوصلت إلى مطامحها بيد الأتراك. إذ قام هؤلاء بحماية تلك الأمم من كل الشرور. الكل محتاجون للأتراك حاكمي الدنيا ويتحتم تعلم اللغة التركية لإفهامهم المشاكل التي يريدون حلها».

ومما يستحق الذكر أن هذه الأسطر كتبت في بغداد عاصمة الخلافة. وهي مثال بارز للشعور القومي. وليس أول من فتح الأناضول من قاصيها إلى دانيها في هذه الأعوام تأكيدا لهذه الأقوال وبعدها عن المبالغة والتهويل. فقد أسس الأتراك دولة عاصمتها ازنيق وفتحوا اوسكودار وعبروا إلى جزر ايجه وسيطروا على الشرق الأدنى وشرق أوربا وأواسط آسيا والهند. وقد كتب محمود الكشغري كتاباً آخر تحت عنوان (كتاب جواهر النحو في لغات الترك) ولم يتوصل أحد إلى أثر هذا الكتاب وقد يكون امَّحى من الوجود. وقد كتب باللغة العربية لتعليم العرب قواعد اللغة التركية.

وقد أوردت نصوص في ديوان لغات الترك باللغة الشعبية التركية وهي أكثر وضوحاً من لغة قوتادغو بيليك التي كتبت بلغة الأدب المسماة (اللهجة

الخاقانية) والتي نتجت عنها في القرن الرابع عشر اللهجة الجغتائية.

وقد وصل ديوان لغات الترك إلى عصرنا بنسخة واحدة. وقد كان معروفا بعض الشيء إذ رآه الكاتب جلبي في القرن السابع عشر إلا أنه اشتهر وخرج إلى النور في سنوات الحرب العالمية الأولى من قبل العالم علي أميري من هواة الكتب المعروفين.

وقد نشر الكتاب في أجزاء ثلاثة من قبل نجيب عاصم. وقد اهتم به الكثيرون من العلماء الأتراك والغربيين ولاسيما بروكلمان الألماني. ويذكر أن بسيم أتالاي ترجم الكتاب ونشره في أجزاء ثلاثة.

الخوجا أحمد اليسوي

والخوجا أحمد اليسوي المسمى بعالم تركستان هو أحد أبرز الشخصيات التركية في عالم الفكر. وقبره الذي أنشئ من قبل تيمور في أواخر القرن الرابع عشر لا يزال محجا للكثير من الأتراك الوافدين للتبرك به.

ولد اليسوي في سايرام قرب جيم كنت في تركستان (جنوب قازاخستان الحالية) ووالده الشيخ إبراهيم من الدراويش الأتراك توفي وأحمد في السابعة من عمره فجاء مدينة يسي مع أخته واستقر فيها. وسلك سبيل التصوف تحت تأثير درويش تركي يسمى أرسلان بابا. ورحل إلى بخارى التي كانت تدار من قبل القاراخانيين التابعين للسلاجقة فدرس في الكتاتيب وتتلمذ على يد المتصوف الشيخ يوسف لهمداني وقد توفي في يسي في عام ١١٦٦ ودفن هناك.

وقد كان الدين الإسلامي في هذه الفترة في تطور حيوي في يدي صو (إقليم تركي جنوب بحيرة بالقاش) وقد انتشرت شهرة اليسوي إلى خارج يدي صو ووصلت إلى كل شبر في تركستان. ولم يكن القرويون والرحل من الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام بصدق واخلاص قد تخلصوا من كل أثر

لديانتهم الشامانية القديمة وقد كان من الضروري إذابة هذه البقايا في الإسلام. وقد استعمل اليسوي وزن الهجاء تاركاً وزن العروض وخاطب في كتاباته الطبقة العامة من الشعب.

وقد أطلق على قصائده الإسلامية اسم الحكمة تمييزاً لها من القصائد الاعتيادية. وإذا لم يكن شعر أحمد اليسوي قويّاً ورائعاً مثل شعر يوسف خاص حاجب فإن له تأثيراً كبيراً على الثقافة التركية لكونه يخاطب الشعب ويلقنه مبادئ الدين. والحكميات هذه متكونة من مقطوعات رباعية وهي تلحن وتغني في أغلب الأحيان. وقد اشتهر شعره وأصبح الشعب يحفظه عن ظهر قلب واللهجة المستعملة فيه تفرق عن اللهجة الخاقانية قليلاً وتقترب من لهجة الأوغوز في عهد السلاجقة. وقد توفي إبراهيم بن أحمد اليسوي والذي يعتبر مؤسس الطريقة اليسوية أول طريقة تركية قبل أبيه. وقد نشر أحفاده هذه الطريقة وكثر مريدوه وأشهرهم الحكيم سليمان اتا باقر غاني، وقد أفرد فؤاد كوبرلي النصف الأول من كتابه الموسوم (المتصوفون الأوائل في الأدب التركي) المنشور في عام ١٩١٨ للبحث عن الخوجا أحمد اليسوي. وبحث في النصف الثاني عن يونس أمرة.

عيبة الحقائق

ومن الكتب المنشورة في ذلك العهد عيبة الحقائق المنظوم في خمسين ومائتي بيت على وزن (فعولن فعولن فعولن فعول) وهو نفس البحر الذي نظم به الشهنامه وقوتادغوبيليك. وقد اكتشف مؤخراً ونشر. ومؤلفه هو أحمد بن محمود من قصبة يوكنك في سمرقند.

وقد كتب الكثيرون من غير الأتراك كتبا باللغة التركية لتعليم هذه اللغة إلى أبناء تلك اللغات. ومن أشهر هذه الكتب مقدمة الأدب للزمخشري (١٠٧٥ ـ ١١٤٤) وهو العالم العربي المشهور صاحب التفسير المعروف بالكشاف. وقد ترجم هذا الكتاب آنفاً من العربية إلى التركية.

تاريخ سلالة القاراخانيين ونهايتها

كانت الدولة في عهد القاراخانيين كسائر الدول التركية المسلمة وغير المسلمة حتى عهد العثمانيين ملكاً مشتركاً للسلالة الحاكمة التي كانت تبايع الأكبر سنّاً خاقاناً. إلا أن الأمراء كانوا يحكمون أقاليم قد تكون شاسعة الكبر أو جليلة الأهمية بشكل شبه مستقل.

وقد فتحت في هذا العهد أكبر مدن ذلك العصر بخارى عاصمة السامانيين الفرس (في ايار ـ مايو ٩٩٢) وقد شكل هذا الفتح تحولاً هاماً في تاريخ الدولة الكبرى إذ أصبحت حاكمة لما وراء النهر وتغلغلت بذلك إلى العالم الإسلامي.

وقد استمرت سلالة القاراخانيين ٣٧٢ عاماً في الحكم من ٨٤٠ حتى ١٢١٢ أي أنها استمرت في الحكم ٥٥ عاماً بعد انقراض سلالة السلاجقة. وكان القاغان الشرقي أي الأكبر (أرسلان ـ قاره ـ خاقان) والغربي (تامغاج بوغرا قاره خاقان) وولي عهد الإمبراطورية (أرسلان ـ ايليك). ويعتقد أن القاراخانيين قد لعبوا أول أدوارهم الأولى في التاريخ التركي على رأس الجيغيل من أتراك القارلوق. وقد كانت هناك اعتباراً من عام ٨٤٠ عاصمتان للدولة، الأولى هي بالاساغون التي كانت تسمى قارة أوردي والثانية تاراز. وقد تركت الأخيرة في عام ٨٩٣ واختيرت كشغر بدلاً عنها. وقد كان في هذا العهد قسمان شرقي وغربي. فقد كان الابن الأصغر للخان كول بيلكه قادر وهو أوغولجاق قادر خان يشترك مع شقيقه الأكبر بازر أرسلان خان (والد صاتوق بوغرا عبد الكريم خان) في الحكم. وقد تركت بالاساغون في عام ١١٣١ نهائيّاً كعاصمة وحلت محلها كشغر. وكان القاغان الشرقي يحكم تركستان الشرقية وقازاخستان من بالاساغون ويشترك معه في الحكم قاغان في كشغر وفي طاراس أحياناً. أما القاغان الغربي فقد كان مركزه في اوزكنت ثم سمرقند اعتباراً من عام ١٠٥٣. أما القاغان الذي كان يشترك معه في الحكم فكان مركزه بخارى وكان القاغان الغربي

يحكم ما وراء النهر. وبذلك فقد كانت الدولة مقسمة بين أعضاء السلالة الحاكمة.

وقد ألحقت شعبه بخارى من الفرع الغربي للدولة في ما وراء النهر بالسلاجقة في الفترة ما بين ١٠٨٩ ـ ١٠٩٤، إلا أن السلاجقة أعادوا هذه الشعبة في سنة ١٠٩٤ كسائر الفروع الأخرى مكتفين بخضوعها لهم. وقد خضعت عام ١١٤١ للمغول والقاراخطاي البوذيين والخوارزمية الذين اعتلوا عرش الفرع الشرقي للدولة التركية في عام .١٢٠٧

وعبد الكريم صاتوق بوغرا خان الذي اعتنق الإسلام هو ابن بازر أرسلان خان وحفيد كول بيلكه قادر خان وقد دفن في آرتوج شمال كشغر. وقد استمر نسله على فرعين من ابنيه بايتاش موسى خان وسليمان ايليغ ـ خان.

وقد أوردنا جدولاً بحكام فروع القاراخانيين. ومما يجدر بالذكر أن فرعاً من الفروع كان يعتبر متبوعاً من قبل بقية الفروع كما هي الحالة عليه في جميع السلالات الأخرى. وقد استمر القاغان الكبير من بايتاش موسى، وابنه شهيد أبو الحسن على أرسلان قاره تونكا خان، وهذا الإمبراطور مدفون في كشغر، وقد أعقبه ابناه أبو نصر ناصر الحق سيف الدولة قطب الدولة وناصر الملة شمس الدولة مؤيد العدل. أحمد توغان خان الأول وأبو المظفر منصور أرسلان خان. وقد اعتزل الأخير الحكم لخرسه، وتبحر في دراسة الفقه وقد أعقبه فرع القاراخانيين المنحدر من سليمان ايليغ خان. وقد كان ابنه شهاب الدولة ظهير الدعوة أبو موسى هارون حسن قليج بوغراخان (اسمه الحقيقي هارون) يشترك في الحكم. وقد اشتهر هذا بفتحه بخارى في عام ٩٩٢ وقد توفي في نفس العام. وقد ارتقى العرش ابناه خلفاً لمنصور خان وهما أبو مظفر جلال الدولة معز الدولة أحمد توغان الثاني وناصر الدولة ملك المشرق ناصر الملة ناصر الدين ناصر الحق يوسف هارون قادرخان. وقد ظل يوسف خان يحكم

خمسة وعشرين عاماً كإمبراطور مشترك. وقد تخلى أحمد خان عن العرش لشقيقه يوسف خان وقد حكم اثنين وثلاثين عاماً في فرغانة بعاصمتها اخسي. ويوسف خان أخر قاغان كبير، أما الفرع الشرقي للسلطة فإن أول قاغان له ابن يوسف خان القاغان الكبير، شرف الدولة أبو شجاع سليمان أرسلان خان. وقد أعقب هذا شقيقه قوام الدولة محمود بوغرا خان الأول. ثم ابنه إبراهيم خان الأول، ثم الابن الثالث ليوسف خان. وسليمان خان وشقيق محمد خان الأول محمود طغرل قاره خان وابنه عمر خان ثم ابن سليمان خان، أبو علي ناصر الحق والدين عز الدين حسن هارون تابغاج بوغرا قاره خاقان. وقد كتب قوتادغوبيليك من أجل هذا الحاكم الأخير. وقد اشترك حسن خاقان في الحكم مع عمه محمود خاقان أيام توليه الأخير. وقد أعقبه ابنه نور الدولة أحمد هارون خان، ثم ابنه إبراهيم أرسلان قاره خان الثاني وقد استشهد ـ ثم ابنه محمد خان الثاني ثم ابنه أبو المظفر يوسف خان فابنه أبو الفتح محمد خان الثالث. وقد انتهى حكم هذا الفرع بفعل الأتراك الشرقيين المسيحيين وهم النايمان.

أما الفرع الغربي للسلطنة فإن أول قاغان له هو عين الدولة مؤيد العدل محمود محمد خان الأول، أبو الحسن ناصر أرسلان ايليغ ـ خان وهو ابن علي خاقان القاغان الكبير. وقد لقب ناصر ايليغ خان بلقب مؤيد العدل وقد شارك أخاه منصور خاقان في الحكم مديراً قسماً كبيراً من ما وراء النهر من عاصمته أوزكنت. وتوفي عام ١٠١٢ فأعقبه في الحكم شقيقه مؤيد العدل ملك المشرق إبراهيم تامغاج خان الثاني. وخلف هذا ابنه وشريكه في الحكم شمس الملك ملك المشرق ناصر الحق والدين ناصر خان الأول. فشقيقه خضر خان، فابنه أحمد خان الأول وأحد أبناء سليمان خان من الملوك الشرقيين، يعقوب خان فأحد أبناء إبراهيم خان الأول ركن الدين قليج مسعود تامغاج خان الأول بن محمد خان، ثم أحد أبناء إبراهيم خان الأول سليمان قادر تافغاج خاقان بن داود خان. ثم أحد أبناء الملوك الكبار وحفيد حسن جعفر جاغري تيكين بن منصور خان الذي

فتح بخارى في ٢٣ كانون الأول عام ٩٩٩ وهو أبو القاسم محمود تامغاج خان الأول، فأحد أبناء الملوك الشرقيين هارون جبرائيل خان بن عمر خان والذي اشترك مع حسن خان من الملوك الشرقيين في الحكم. ثم ابن سليمان خان، علاء الدولة الغازي محمد تابغاج خان الثاني، وشريكه الذي حكم لمدة ستة عشر عاماً بين ١١٠٢ ـ ١١١٨ والذي هو ابن شعيت خان الذي طالب بالحكم في الفرع الشرقي وقتل عام ١٠٦٨ وهو ابن إبراهيم خان الأول. أما بعد ١١١٨ فقد اشترك في الحكم أحد أبناء محمد الثاني نصر الثاني فأعقب هذا بعد وفاته أحمد قادر خان الثاني. ثم جلال الدنيا والدين حسن كوك ـ ساكون قليج قاره خان وشقيق محمد الثاني أبو المظفر ركن الدولة والدين برهان الإسلام والمؤمنين إبراهيم تابغاج بوغرا خان الثاني لأشهر معدودة.

وقد أعقب هذا محمود خان الثاني فشقيقه إبراهيم تامغاج بوغرا خان الثالث، علي كوك ـ ساكون جاغري خان ابن حسن خان فشقيقه أبو المظفر ركن الدنيا والدين مسعود الثاني ألب قوتلوغ تونكا بيلكه قليج تامغاج خان. وقد شاركه في الحكم ابنه ركن الدنيا والدين غياث الدنيا والدين محمد الثالث تونكا بيلكه قليج تامغاج خان. وقد اعتلى الحكم بعد ذلك نصرة الدنيا والدين إبراهيم الرابع قليج تامغاج أرسلان خان ثم ابنه عثمان خان. وقد سقط هذا الفرع بيد الخوارزمية وإبراهيم خان الرابع وهو ابن جلال الدنيا والدين حسين الذي اشترك في الحكم ما بين ١٠٤١ ـ ١٠٥٦ وقتل في أيلول ١٠٥٦. وحسين خان وإخوته والد علي خان ومسعود خان الثاني. وكوك ساكون عبد المؤمن خان حاكم فرغانه هم أبناء يوسف أرسلان ايليك. وقد حكم يوسف أرسلان ايليك اعتباراً من ١٠٣٤ في قسم كبير من ما وراء النهر ثم انفرد بفرغانة. وله شقيق يسمى أرسلان تيكين. ويوسف أرسلان ايليك هو ابن على تيكين المشهور. والأخير هو شقيق أحمد خان الثاني ويوسف خان آخر الملوك الكبار.

وقد سيطر بهاء الدولة قطب الدولة ناصر اللّه عضد الدين علي يكان تيكين ما بين ١٠١٤ ـ ١٠٢٠ على بخارى ثم مد سيطرته إلى سمرقند وتولى ولاية عهد الإمبراطورية في عام ١٠٢٤ تحت اسم أرسلان ايليك. وقد طالب بالعرش في عام ١٠٣٢ وأعلى نفسه إمبراطوراً تحت اسم (تامغاج بوغرا قاره خاقان).

وللقاراخانيين فرع آخر يسمى بفرع فرغانة وهم على التوالي: والد إبراهيم الرابع حسين خان، ابنه محمود طغرل طوغان خان، فقاغان الغرب إبراهيم الرابع، فشقيقه نصر طوغرول خان، فابنه جلال الدنيا والدين محمد طغرل خاقان، فشقيقه جلال الدنيا والدين قادر خاقان أولوغ سلطان، ثم شقيقه الآخر حسام الدنيا والدين طوغان خاقان، ثم عماد الدين خان، ثم محمد أرسلان خان الأول، فابنه أرسلان خان الثاني.

وقد أعلن أرسلان خان الأول خضوعه للقاراخطاي وتوفي منتحراً. وقد انتقل فرع فرغانة إلى سيطرة الخوارزمية في عام ١٢١٢. ويسمى أرسلان خان الأول والثاني بفرع قايالغ أيضاً. فقد حكم هذا الفرع حتى عام ١٢٢٢ في مدينة قايالغ. أما الفرع الآخر فيتكون من أبناء أوت تيكين الذي قتل عام ١٢١٢ وهو ابن إبراهيم الرابع من حكام الغرب وشقيق عثمان خان وقد تبع ابنه تاج الدين بيلكه خان الخوارزمية وحكم في أورتار (فاراب) إلى أن قتل عام ١٢١٦ بعد حكم دام سبعة عشر عاماً. أما ابنه محمد سيونج قوتلوغ أرسلان خان الثالث فقد تبع المغول وحكم في فرغانة ويستمر حكم القاراخانيين بهذه الفروع نصف قرن آخر بعد عام ١٢١٢.

وبرز من القاراخانيين إضافة إلى من سبق من نسل بايتاش موسى خان ابنا محمود الثاني من حكام الغرب. وقد حكم أحدهما وهو محمد خان من عام ١١٥٩ وحتى عام ١١٦٢ الأوغوز الذين تمردوا على السلاجقة الكبار. وقد توفي عام ١١٦٣ أما شقيقه كمال الدين خان فقد حكم في جند وتوفي عام ١١٥٢.

ومن حكام هذه السلالة أيضاً: أبو منصور ثناء الدولة محمد خان أرسلان ايليك وقد حكم ما وراء النهر وفرغانة وتوفي عام ١٠٢٤ وهو من أبناء علي خاقان من الحكام الكبار. وقد لعب أحمد خان وعباس خان من أنجال محمد خان الأول من حكام الغرب دوراً هامّاً في تاريخ هذه السلالة وقد أصبح أحمد خان وليّاً للعهد تحت لقب أرسلان ايليغ في عام ١٠٢٦ وقد حكم سمرقند من ١٠٢٠ ـ ١٠٢٥ ومن ١٠٣٣ ـ ١٠٣٤ وتوفي عام ١٠٤٢ وتوفي شقيقه أبو الفضل عباس أرسلان تيكين في نفس العام. وقد عمل القاراخانيون على تأسيس أواحد القرابة مع الغزنويين والسلاجقة الذين خلفوهم على عرش الدولة الكبرى.

ومن أواصر قرابتهم مع الغزنويين:

١ ـ تزوج السلطان محمود الغزنوي بعد ارتقائه العرش في عام ١٠٠١ مع ابنة نصر ايليغ خان وقد كانت هذه الأميرة شقيقة محمد الأول وإبراهيم الأول من حكام الغرب.

٢ ـ خطب محمد الأول القاغان الشرقي الثاني للقاراخانيين ابنة السلطان محمود الغزنوي زينب في عام ١٠٢٥ إلا أن الزواج لم يتم (ومحمد الأول هو جد العالم الكبير محمود الكشغري).

٣ ـ خطبت شقيقة محمد الأول في عام ١٠٢٥ لابن محمود الغزنوي السلطان محمد إلا أن الزواج لم يتم لوفاة السلطان محمد، وقد خطبت خان ملك شاه خاتون الأميرة عام ١٠٢٨ لشقيق خطيبها الأول السلطان مسعود وتزوجته عام ١٠٣٣ وتزوجت بعد وفاة هذا من السلطان السلجوقي ألب أرسلان.

٤ ـ تزوجت شقيقة زوجة السلطان محمود الغزنوي نصر ايليغ خان من ابن السلطان محمود، السلطان مسعود أي أن الأب والابن تزوجا شقيقتين.

٥ ـ تزوج يوسف أرسلان ايليغ بن علي تيكين من ابنة أخ السلطان محمود الغزنوي.

٦ ـ تزوجت شقيقة يوسف أرسلان ايليغ من السلطان سعيد بن السلطان مسعود في عام ١٠٣٦.

٧ ـ خطبت ابنة سليمان خان أول حاكم شرقي للقاراخانيين للسلطان مودود أحد أبناء السلطان مسعود في عام ١٠٢٨ إلا أن الزواج لم يتم لوفاة الأميرة.

أما أواصر قرابتهم بالسلاجقة:

١ ـ تزوج السلطان ألب أرسلان من أرملة السلطان مسعود الغزنوي، خان ملك شاه خاتون.

٢ ـ تزوج نصر الأول الحاكم الغربي الثالث من ابنة ألب أرسلان وشقيقة السلطان ملك شاه عائشة خاتون.

٣ ـ تزوج السلطان ملك شاه من تركن خاتون وشقيقة نصر الأول.

٤ ـ تزوج السلطان ملك شاه أيضاً من الأميرة جلالية خاتون ابنة الأمير عيسى عم نصر الأول. وتركن وجلالية خاتون هما بنات عم. وتركن (تركان كما يلفظها الأتراك اليوم) هي والدة السلطان محمود الخاقان التركي الكبير وخلف السلطان ملك شاه.

٥ ـ تزوج سليمان خان الحاكم الغربي الثامن وابن أخ نصر الأول من ابنة السلطان ملك شاه في عام ١٠٩٥ ودام الزواج عامين.

٦ ـ تزوجت ابنة السلطان سنجر من ابن سليمان خان، محمد الثاني وهي والدة محمود الثاني. وقد ناب هذا عن أبيه في إدارة الإمبراطورية من ١١٥٣ ـ ١١٥٦ و ١١٥٧ ـ ١١٦٢ إبان احتجاز السلطان سنجر من قبل الأوغوز وما بعد وفاته.

٧ ـ تزوج السلطان سنجر بالأميرة تركن خاتون شقيقة محمود الثاني.

وقد تزوج أخر حكام الغرب من القاراخانيين عثمان خان من ابنة محمد الخوارزمي وشقيقة جلال الدين الخوارزمي خان ملك سلطان خاتون في عام ١٢١١. وقد توفي هذا في عام ١٢١١ وتزوجت الأميرة في عام ١٢٢٠ من جوجى خان الابن الأكبر لجنكيز خان.

الجدول رقم ٢

القاراخـــانيون

١ ـ الحكام الكبار للقاراخانيين

١	كول بيلكه خان	٨٤٠ ـ ؟	٦	أحمد خان الأول	٩٩٨ ـ ١٠١٦=١٨
٢	بازر خان		٧	منصور خان	١٠١٦ ـ ١٠٢٤=٨
٣	عبد الكريم صاتوق بوغرا خان	؟ ـ ٩٥٥	٨	أحمد خان الثاني	١٠٢٤ ـ ١٠٢٦= ٢
٤	باتياش موسى خان	٩٥٥ ـ ؟	٩	يوسف خان	١٠٢٦ ـ ١٠٣٢= ٦
٥	علي خان	؟ ـ ٩٩٨			

٢ ـ الحكام الشرقيون للقاراخانيين

١	سليمان خان	١٠٣٢ ـ ١٠٥٦= ٢٤	٧	أحمد خان	١١٠٣ ـ ١١٢٩= ٢٦
٢	محمد خان الأول	١٠٥٦ ـ ١٠٥٧= ١	٨	إبراهيم خان الثاني	١١٢٩ ـ ١١٥٩= ٣٠
٣	إبراهيم خان الأول	١٠٥٧ ـ ١٠٥٩= ٢	٩	محمد خان الثاني	١١٥٩ ـ ؟
٤	محمود خان	١٠٥٩ ـ ١٠٧٥= ١٧	١٠	يوسف خان	؟ ـ ١٢٠٥
٥	عمر خان	١٠٧٥	١١	محمد خان الثالث	١٢٠٥ ـ ١٢١٠= ٥
٦	حسن خان	١٠٧٥ ـ ١١٠٣= ٢٨			

٣ ـ الحكام الغربيون للقاراخانيين

١	محمد خان الأول	١٠٤٢ ـ ١٠٥٣ = ١١	١٠	جبرائيل خان	١٠٩٩ ـ ١١٠٢ =٣
٢	إبراهيم خان الأول	١٠٥٣ ـ ١٠٦٨= ١٥	١١	محمد خان الثاني	١١٠٢ ـ ١١٣٢= ٣٠
٣	نصر خان الأول	١٠٦٨ ـ ١٠٨٠= ١٢	١٢	إبراهيم خان الثاني	١١٣٢
٤	خضر خان	١٠٨٠ ـ ١٠٨١؟= ١؟	١٣	محمود خان الثاني	١١٣٢ ـ ١١٤١= ٩
٥	أحمد خان الأول	١٠٨١؟ ـ ١٠٨٩= ٨؟ + ١٠٩٤ ـ ١٠٩٥= ١= ٩؟	١٤	إبراهيم خان الثالث	١١٤١ ـ ١١٥٦= ١٥
٦	يعقوب خان	١٠٨٩	١٥	علي خان	١١٥٦ ـ ١١٦٠= ٤
٧	مسعود خان الأول	١٠٩٥ ـ ١٠٩٧=٢	١٦	مسعود خان الثاني	١١٦٠ ـ ١١٧٨= ١٨
٨	سليمان خان	١٠٩٧	١٧	إبراهيم خان الرابع	١١٧٨ ـ ١٢٠٤= ٢٦
٩	محمود خان الأول	١٠٩٧ ـ ١٠٩٩= ٢	١٨	عثمان خان	١٢٠٤ ـ ١٢١٢ = ٨

٤ ـ حكام فرغانة

١	حسين خان	١١٤١ ـ ١١٥٦ =١٥	٧	حسام الدين خان	
٢	محمود خان	١١٥٦ ـ ١١٦٥= ٩	٨	عماد الدين خان	؟ ـ ١٢١٢
٣	إبراهيم خان الرابع	١١٦٥ ـ ١١٧٨= ١٣	٩	أرسلان خان الأول	١٢١٢ ـ ؟
٤	نصر خان	١١٧٨ ـ ١١٨٢= ٤	١٠	أرسلان خان الثاني	؟ ـ ١٢٢٢
٥	محمد خان	١١٨٢ ـ ١١٨٤= ٢	١١	محمد سيونج قوتلوغ أرسلان خان	١٢٢٢ ـ ؟
٦	جلال الدين خان	١١٨٤ ـ ؟			

(المبحث الرابع)

الدول الإسلامية التركية الأولى

١ ـ الطولونيون (٨٦٨ ـ ٩٠٥)

الدولة الطولونية هي أول دولة تركية مسلمة وقد أسست في مصر. ومما يجدر بالذكر أن الأتراك لم يكونوا قد دخلوا هذه البلاد قبلاً. فتأسيس هذه الدولة وإن كانت من قبيل الصدف فإنه يمكن حمله على أساس جغرافي سياسي بتوسيع رقعة المناطق التي يسكنها الأتراك إلى قارة إفريقيا.

ومؤسس هذه الدولة هو ابن تركي من الأوغوز يسميه العرب باسم طولون التركي. وقد أتي بطولون في عام ٨١٦ مملوكاً إلى قصر الخليفة ببغداد. وقد اعتنى بتربية ابنه أحمد فارتقى إلى مراكز هامة في خدمة الخليفة وكان ملحناً وشاعراً يقرض الشعر بالتركية والعربية. وقد ولي أحمد في ١٥ أيلول من عام ٨٦٨ على مصر التي كانت من الأقاليم الهامة للخلافة العباسية. فأعلن أحمد نفسه حاكماً على مصر في عام ٨٨٠ بصورة رسمية إلا أنه اعترف بسلطة العباسيين. وحكم بذلك خمسه عشر عاماً وثمانية أشهر في مصر حتى وفاته. وقد جعلت منه سيطرته على سوريا ولبنان وفلسطين وبنغازي حاكماً ذا سطوة وقدرة.

توفي أحمد طولون مخلفاً ثمانية عشر ابناً و خمس عشرة بنتاً. وقد

خلفه ابنه أبو الجيش خمارويه الذي كان في العشرين من عمره فحكم أحد عشر عاماً حتى مقتله في عام ٨٩٥ وكان أخوه عباس قد قتل عام ٨٨٢. ومن أشهر بنات أحمد طولون بنته العباسة.

وبعد وفاة خمارويه تولى ابنه أبو العباس جيش السلطة وتوفي بعد عام واحد من حكمه في عام ٨٩٦ فخلفه شقيقه أبو الموسى هارون (٨٩٦ ـ ٩٠٥ = ٩) فأعقب هذا ابنه شيبان من أبناء أحمد بن طولون إلا أن العباسيين استرجعوا مصر من بني طولون وبذلك دام حكم هؤلاء ٣٧ عاماً (٨٦٨ ـ ٩٠٥). وقد تزوجت ابنة خمارويه الأميرة قطرالندى البالغة من العمر أربعة عشر عاماً بالخليفة العباسي المعتضد (٨٩٢ ـ ٩٠٢) في عام ٨٩٣ بحفل شيق أصبح موضوعاً لقصص ألف ليلة وليلة.

كان بنو طولون يتكلمون العربية ويعتنقون المذهب الحنفي وقد تركوا آثاراً عمرانية هامة في مصر وعلى رأسها جامع طولون. وقد كانت هذه الدولة ذات طابع عربي لا يمكن إزاءها اعتبارها دولة تركية. وتقتصر علاقة هذه لدولة بالأتراك على كون مؤسسها تركيّاً.

٢ ـ الإخشيديون (٩٣٤ ـ ٩٦٩)

حذا والٍ آخر من ولاة العباسيين على مصر حذو طولون وهو ابن والي العباسيين على سوريا توغا، محمد الإخشيد أبو بكر. وقد ادعى إخشيد الانتساب إلى نسل الملوك الأتراك الكبار من فرغانة. فقد كان توغاج بن جوف (جف) بن يل تيكين بن فوران بن فوري بن خاقان.

وقد نصب إخشيد في عام ٩٢٨ والياً على الرملة (في فلسطين) وعلى سوريا في عام ٩٣٠ وعلى مصر في عام ٩٣٣ فأعلن استقلاله في عام ٩٣٤ معترفاً بسلطة العباسيين وسيطر على فلسطين وسوريا ولبنان في عام ٩٤١ وعلى الحجاز في عام ٩٤٢. وقد اتخذ الفسطاط عاصمة له.

وبذلك فقد استطاع والٍ تركي بعد سقوط الطولونيين بتسعة وعشرين

عاماً مستفيداً من موقعه الجغرافي أن يستقل عن الخلافة في مصر والأقاليم التي كانت تشترك معها في المصير كفلسطين وسوريا. ولم تعد مصر تتبع العباسيين منذ ذلك التاريخ.

وقد كانت لغة بني إخشيد العربية ومذهبهم حنفيّاً ولا يمكن اعتبار هذه الدولة أيضاً من الدول التركية إذ اقتصرت علاقتها مع الأتراك على كون مؤسسها تركيّاً. استمرت دولة بني إخشيد خمسة وثلاثين عاماً حتى عام ٩٦٩. وقد توفي محمد إخشيد المولود في بغداد عام ٨٨٢ بعد حكم دام اثني عشر عاماً في ٢٤ حزيران ٩٤٦ عن عمر يناهز الرابعة والستين وقد ساعده أشقاؤه حسين وعبيد الله وحسين بن عبيد الله. وقد توفي عبيد اللّه الذي كان والياً عن أخيه على سوريا في عام ٩٤٥.

خلف محمد إخشيد ابنه أبو القاسم أنوجور (٩٤٦ ـ ٩٦٠ = ١٤) فأعقب هذا شقيقه أبو الحسن علي (٩٦٠ ـ ٩٦٦ = ٦) ثم أبو الفوارس أحمد بن علي (٩٦٦ ـ ٩٦٩ = ٣) وقد بقي هذا العامين الأولين من حكمه تحت إدارة الطواشي أبو المسك كافور من حكام المماليك. وقد احتل الفاطميون مصر في عام ٩٦٩ فانقرضت بذلك دولة بني إخشيد.

٣ ـ الساجيون (٨٩٢ ـ ٩٣٠)

حكم بنو ساج في أذربيجان وأرمينيا ثمانية وثلاثين عاماً (٨٩٢ ـ ٩٣٠) تحت السلطة العباسية في دولة أسسها أبو الساج ديوداد بن يوسف ديو دست بن أبو ساج. وقد كان ديوداد والياً للعباسيين على حلب في عام ٨٦٨ وولي بعد ذلك على الأهواز ثم أصبح والياً عامّاً على أذربيجان وأرمينيا في عام ٨٨٩ مدة عشرة أعوام. وقد أعلن ابنه محمد الأفشين أبو عبيد الله في عام ٨٩٢ استقلاله مع الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية. وقد حكم أفشين تسعة أعوام حتى عام ٩٠١ ثم أعقبه شقيقه يوسف (٩٠١ ـ ٩٢٧ = ٢٦) وطالب دي وداد ابن أفشين الأكبر وولي عهده بالعرش بعد

وفاة أبيه ولم يعترف بسلطة عمه إلا انه لم يفلح في ذلك. وقد أعقب يوسف الابن الآخر لأفشين أبو الموسى فير الفتح (٩٢٧ ـ ٩٣٠ = ٣) ثم استرجع العباسيون أذربيجان وأرمينيا. وقد كانت ابنة أفشين زوجة بدر المعتد أحد قادة العباسيين.

الجدول ٣ آ: قادة مصر الأتراك من العباسيين

يزيد التركي بن عبد الله	٨٥٨ ـ ٨٦٤ = ٦	أوزجر تركي	٨٦٨
كول بك	٨٦٤ ـ ٨٦٨ = ٤		

الجدول ٣ : الطولونيون (٨٦٨ ـ ٩٠٥)

أحمد بن طولون	٨٦٨ ـ ٨٨٤ = ١٦	جيش	٨٩٥ ـ ٨٩٦ = ١
خماروية	٨٨٤ ـ ٨٩٥ = ١١	هارون	٨٩٦ ـ ٩٠٥ = ٩

الجدول ٤ : الاخشيديون (٩٣٤ ـ ٩٦٩)

محمد إخشيد	٩٣٤ ـ ٩٤٦ = ١٢	كافور	٩٦٦ ـ ٩٦٨ = ٢
أنوجور	٩٤٦ ـ ٩٦٠ = ١٤	أحمد	٩٦٨ ـ ٩٦٩ = ١
علي	٩٦٠ ـ ٩٦٦ = ٦		

الجدول ٥ : بني ساج (٨٩٢ ـ ٩٣٠)

أفشين	٨٩٢ ـ ٩٠١ = ٩	فتح	٩٢٧ ـ ٩٣٠ = ٣
يوسف	٩٠١ ـ ٩٢٧ = ٢٦		

(المبحث الخامس)

الدول التركية في الهند
الكوشانيون ٣ ـ ١٧٦ وآق هون ٤٩٦ ـ ٥٦٧

الكوشانيون (٣ ـ ١٧٦)

حكم الكوشانيون الذين يطلق عليهم الصينيون اسم يو ـ جي ثلاثة وسبعين ومائة عام في معظم أجزاء الهند من عام ٣ حتى عام ١٧٦ وقد امتدت سيطرتهم التي كانت تحوي أكبر أقاليم الهند وأفغانستان ماعدا جنوب الهند والبنغال إلى ما وراء النهر لفترة من الزمن. وتشير الوثائق الأويغورية إلى الكوشان باسم (تورت كوشان أولوس) أي قبائل الكوشان الأربع وقد نزح الكوشانيون إلى الهند مع المغول واختلطوا بالفرس. وقد أثرت فيهم الثقافة اليونانية نظراً لأن اليونانيين كانوا متنفذين في باكتريا.

ويشكل الكوشانيون السلالتين الرابعة والخامسة من إمبراطورية الهند. إذ حكمت السلالة الأولى خمسة وسبعين عاماً من ٣ ـ ٧٨ أما الثانية فقد حكمت ثمانية وتسعين عاماً من ٧٨ ـ ١٧٦. ويغلب على السلالة الثانية العنصر الفارسي والثقافة الفارسية مما يصعب اعتبار دولة الكوشان دولة تركية صرفة. وقد بقيت الهند في حالة مضطربة طيلة أربعة وأربعين ومائة

عام حتى مجيء الكوبتا وهي السلالة الإمبراطورية السادسة في الهند إلى الحكم (١٧٦ ـ ٣٢٠).

وتاريخ الكوشانيين مضطرب وغامض. وتاريخ السلطنة مجهول بالرغم من معرفة أسماء الأباطرة السبعة الذين تولوا الحكم في السلالة الثانية. ومؤسس هذه السلالة هو كانيشكا الأول وقد أعقبه ابنه فاسيشكا ثم أبناء هذا الثلاثة كانيشا الثاني وفاسيشكا الثاني وهوفيشكا ثم تولى فاسوشكا ابن كانيشكا الثاني الحكم وانتهى حكمهم بحكم فاسوديوا.

آق هون (الهون البيض) (٤٩٦ ـ ٥٦٧)

حكم الآق هون الذين يشكلون السلالة الإمبراطورية السبعة في الهند واحد وسبعين عاماً (٤٩٦ ـ ٥٦٧) في وادي الغانج وبنجاب وأفغانستان وما وراء النهر وخوارزم وخراسان وتركستان الشرقية وذلك بعد الكوبتا.

ويسميهم الصينيون (يه ـ تا = هوتا) أما العرب فيطلقون عليهم اسم (الهياطلة) كما يسميهم الهنديون هونا بمعنى الهون في اللغة السنسكريتية في حين يطلق عليهم اليونانيون اسم هفتاليت. والآق هون هم زمرة من الهون الذين انتشروا في بقاع العالم بعد انتقال الحكم في آسيا الوسطى من الهون إلى التابغاج (ويرى زكي وليدي طوغان وآخرون من المؤرخين أن الهون هم أسلاف الأوغوز أي أتراك تركيا الحاليين). وقد اسقط الآق هون حكم الكوبتا في الهند بعد فترة وجيزة من فقدان الهون للحكم في أوربا بعد أتيلا مختلطين بالقبائل المغولية. ويأتي ذكر هؤلاء في المصادر الهندية تحت اسم توروشكا أي الأتراك.

وقد كان الآق هون مثل الكوشانيين يعتنقون الديانة البوذية وقد دخلوا أفغانستان عام ٤٢٥ والذي يصادف حكم أتيلا في أوربا. وبذلك فقد حاول الهون الذين فقدوا عرش الدولة التركية الكبرى تلافي خسارتهم في الهند وأوربا. وكان عبورهم من بلاد الفرس بعد حروب طاحنة مع الساسانيين

سيطروا على أثرها على البنجاب وكانت عاصمتهم مدينة فارفاليز بالقرب من مدينة قوندوز الحالية في تركستان الأفغانية. وقد سيطروا على تركستان الشرقية وأخضعوا الأوسون (من القبائل التركية) لحكمهم.

ولهم ثلاثة أباطرة: هم تورامان وابنه ميهراكولا وابن هذا الذي نجهل اسمه. وتورامان هو حفيد أخشونوار الذي كان ملكاً على الآق هون بين أعوام ٤٢٠ ـ ٤٧٠ وتزوج من الأميرة الفارسية فيروز دوخت. وقد تولى تورامان الحكم خلفاً لأبيه في عام ٤٧٠ فسيطر على شمال الهند في عام ٤٩٦ فأعلن نفسه إمبراطوراً (كان جنوب الهند وحتى وسطه يعيش حياة قرون ما قبل التاريخ وكان يسكن فيها أقوام الدرافيد البدائية). وقد تزوجت شقيقة تورامان بإمبراطور الساسانيين الفرس قباد الأول (٤٨٥ ـ ٤٩٨ + ٥٠١ ـ ٥٣١). وقد أدى هذا الزواج الذي تم عام ٤٩٨ إلى زوال المنافسة والخصومة التي كانت متحكمة في علاقاتهم بالفرس بسبب استقرار الآق هون في الهند وعدم تشكيلهم عنصراً مهدداً للدولة الفارسية. أما ميهراكولا فقد تزوج بأميرة تركية من سلالة الأوار في عام ٥٢٠ مما أوجد نوعاً من التقارب بين الزمرتين التركيتين. وقد كان الآق هون يشكلون دولة مجاورة هامة للدولة التركية الكبرى بسبب سيطرتهم على تركستان الشرقية حتى قان صو.

الجدول ٦ : الكوشانيون (٧٨ ـ ١٧٦)

كانيشكا	٧٨ ـ ٩٦ = ١٨	هوفيشكا			
فاسيشكا الأول	٩٦ ـ ؟	فاسوشكا			
كانيشكا الثاني	فاسوديوا		؟ ـ ١٧٦		
فاسيشكا الثاني					

الجدول ٧ : آق هون (٤٩٦ ـ ٥٦٧)

تورامان	٤٩٦ ـ ٥٠٢ =٦	؟	٥٣٠ ـ ٥٦٧ = ٣٧
ميهر كولا	٥٠٢ ـ ٥٣٠ = ٢٨		

الغزنويون ٩٦٢ ـ ١١٨٧

منشأ الغزنويين

سقط عرش دولة الآق هون غير المسلمة في الهند إلا أن دولة تركية أخرى تعتنق الإسلام سيطرت على الهند بعد أربعة قرون من هذا التاريخ وهي الدولة الغزنوية التي وضعت أسس الحكم التركي في الهند حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبذلك أصبحت الهند إحدى ساحات التاريخ الرئيسية الست إلى جانب تركستان وتركيا ومصر وإيران وأوربا الشرقية. والدولة الغزنوية هي من أهم الدول التي أسسها الأتراك.

والدولة الغزنوية هي الدولة التركية المسلمة التي أعقبت الدولة التركية الكبرى (القاراخانيين) فقد أسس الغزنويون دولة تركية متأثرة بالثقافة الفارسية وصلت مساحتها في أيام عظمتها إلى ٤,٩٠٠,٠٠٠ كم مربع. وسيطرت على أفغانستان وتركمنستان وخوارزم وما وراء النهر وخراسان وسامان ـ دامغان وكرمان ولارستان وأصفهان و ري (طهران) وهمدان ويزد و قزوين وكاشان و مازندران واستر آباد و كيكوجارتا باطهانستان والسند وبلوجستان والبنجاب وراجستان ومالوا وكوجارت والهند الحقيقية في وادي الغنج (أقاليم دلهي و أكرا و الله آباد و عود) وقد انسحبوا إلى أفغانستان والهند بعد سيطرة السلاجقة على آسيا الوسطى وبلاد الفرس.

وقد كانت عاصمتهم أول الأمر في غزنة ونقلت عام ١١٥٧ إلى لاهور كما كانت بلخ بعد عام ٩٩٧ بمثابة العاصمة لسنوات معدودة. ولم تكن غزنة مركزاً للدولة في الفترتين بين ١١٤٨ ـ ١١٤٩ و ١١٥٥ ـ ١١٥٦. وقد كان الغزنويون يتكلمون بالتركية في القصر والجيش إلا أنهم استعملوا اللغة الفارسية في المخابرات الرسمية. وقد استمرت الدولة خمسة وعشرين ومائتي عام من ٩٦٢ وحتى عام ١١٨٧ إلا أنها اكتسبت صفة الإمبراطورية في عام ١٠٠٠ بعد تولي السلطان محمود الغزنوي الحكم. فقد تبعت السامانيين حتى عام ٩٩٩ واستقلت بعد انقراض هؤلاء إلا أنها خضعت

للدولة التركية الكبرى (في عهد السلاجقة) في عام ١٠٧٢ بعد عام واحد من معركة مالازكيرت طيلة خمسة وثمانين عاماً وحتى وفاة السلطان سنجر وزوال شعبه خراسان من الدولة السلجوقية فاستقلت ثانية واستمرت ثلاثين عاماً إلى أن تركت الحكم في عام ١١٨٧ لسلالة تركية أخرى وهي سلالة الغوريين، السلالة التركية المسلمة الثانية في الهند.

الغزنويون حتى عهد السلطان محمود

وضع ألب تكين أسس الدولة. وقد كان هذا والياً عاماً للسامانيين في عام ٩٥٥ على هرات أي خراسان الشرقية وأصبح عام ٩٦١ والياً عامّاً على خراسان بأكملها. واستقل بدولته في عام ٩٦٢ مع الاعتراف بسلطة الحاكم الساماني. وبعد وفاة ألب تكين في عام ٩٦٣ خلفه ابنه أبو إسحاق إبراهيم (٩٦٣ ـ ٩٦٦ =٣) وقد خلف هذا أبناؤه بالتبني: بيلكه تيكن الذي كان والياً على بلح (٩٦٦ ـ ٩٧٢ = ٦)، بيرى تكين (٩٧٢ ـ ٩٧٧ = ٥) وسبوك تكين (٩٧٧ ـ ٩٩٧ =٢٠).

والمؤسس الحقيقي للدولة هو سبوك تكين (تيكين) وقد ولد في بارسغان بالقرب من بحيرة ايصيق وأسلم في عام ٩٦٠ وبيع إلى ألب تكين عبداً فرباه وتبناه فأوصله إلى مراكز مرموقة. ووالده قاره أرسلان.

وقد انتحل سبوك تكين بعد ارتقائه العرش اسم (ناصر الدين سبوك تكين قاره بجكم) وكان له شقيق يسمى بوغرا جيق وشقيقة تسمى قالجي. وقد تزوجت هذه بحاكم خوارزم أبو العباس مأمون وبأخيه علي في عام ١٠١٥ بعد وفاة أبو العباس. وقد خلف سبوك تكين ثلاثة أبناء: السلطان محمود وعضد الدولة يوسف وإسماعيل وقد خلف إسماعيل أباه لأشهر معدودة إلا أن السلطان محمود أبعده مع ابنه سالار مسعود.

السلطان محمود الغزنوي

السلطان محمود الغزنوي هو مؤسس الإمبراطورية الغزنوية والحاكم الذي ادخل الإسلام إلى الهند وهيأ تأسيس دولة باكستان في القرن العشرين ووضع أسس الحكم التركي للهند والذي دام قروناً عديدة.

ولد السلطان محمود في ١٤ تشرين الثاني ٩٧٠. وأبعد أخاه إسماعيل من العرش بعد مكوثه عليه لمدة سبعة أشهر في عام ٩٩٨ وتوفي في ٣٠ نيسان ١٠٣٠ عن تسعة وخمسين عاماً ونيف بعد حكم دام واحداً وثلاثين عاماً وثمانية أشهر.

وقد أنعم على «يمين الدولة وأمين الملة، كهف الإسلام، نظام الدين أبي قاسم الغازي سيف الدولة السلطان محمود الغزنوي» لقب السلطان = الإمبراطور من قبل الخليفة العباسي. وكان الخليفة العباسي حتى ذلك التاريخ هو إمبراطور الإسلام الوحيد فكان هذا الحدث انقلاباً هامّاً من حيث القانون الدولي الإسلامي. وقد تحرر السلطان محمود الغزنوي من سيطرة السامانيين بعد هزيمة هؤلاء من قبل القاراخانيون في عام ٩٩٩ وبذلك فقد تهيأ له ظرف مناسب لفتوحاته في الجنوب (الهند) وفي الغرب (إيران) بالرغم من منافسة القاراخانيين له في أكثر الأحيان.

دخل محمود الغزنوي في عام ١٠٠٠ إلى مدينة بشاور في الشمال الغربي من الهند. ولم يكن الحكم الإسلامي قد تجاوز نهر السند كثيراً حتى ذلك التاريخ. وقد أبعد الهندوس المسلمين إلى الشمال الغربي من الهند أيام ضعف العباسيين. وقد فتح السلطان محمود الغزنوي البنجاب، من أغنى الأقاليم الهندية بعد اندحار جيش هندي قوامه اثنان وأربعون ألف مقاتل وثلاثمائة فيل أمامه في عام ١٠٠١ وبذلك فقد بسط سيطرته على شمال الهند برمته. وقد رجع السلطان إلى غزنة بغنائم كثيرة وتقلد لقب الغازي. وقد فتح السلطان في غزوه العاشر وادي الغنج أي الإقليم الذي كان المسلمون يطلقون عليه اسم الهند. ودحر في غزوه الثالث عشر جيشاً

هندياً قوامه مائة وخمسون ألف رجل وغنم أكثر من ألف فيل مقاتل. أما أكثر غزواته شهرة فهو غزوه السادس عشر. إذ دخل مدينة كجرات في عام ١٠٢٦ وعاد بغنائم لا تحصى.

وقد ألحق نتيجة حروبه أهم أجزاء بلاد الفرس بدولته وأسس إمبراطورية عظمى. إلا أنه اضطر لمجابهة السلاجقة في أواخر أعوامه. ولم يكتف السلاجقة الذين ارتقوا عرش الدولة التركية الكبرى في عام ١٠٤٠ بتأسيس أكبر إمبراطوريات عظيمة بل سيطروا على الدولة الغزنوية نفسها. وسنعود إلى هذا الموضوع عند بحثنا للسلاجقة.

اشتهر السلطان محمود الغزنوي بكونه عسكرياً بارعاً وسياسيّاً حاذقاً. وقد كتب الفردوسي الشاهنامة من أجله إلا أن السلطان لم ينعم عليه بشيء كثير لأنه كان قد أمعن في البحث عن انتصارات الفرس ضد الأتراك فعاد وهجاه. وقد بدأت المرحلة الكبرى للأدب والشعر الإيراني في عهد الغزيويين. فقد لمع هذا الأدب وتطور وأكمل تطوره في عهد السلاجقة حتى وصل إلى ذروته في العهد المغولي. ولم يتوان الحكام الأتراك عن إسباغ الحماية على الشعر الفارسي لإلمامهم باللغة الفارسية.

ما بعـد السلطان محمود

خلف السلطان محمود ابنه جلال الدولة وجمال الملة أبو أحمد محمد، الذي كان والياً عامّاً على جزجان (في جنوب بحيرة قزوين) من عام ٩٩٧ وحتى عام ١٠٤١. أما شقيقه نصير الدين مسعود الأول، فقد كان والياً عامّاً على أصفهان وري (طهران) وقد أبعد هذا السلطان محمد وحكم من ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٠٣٠ وحتى ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٠٤٠ وقتل عام ١٠٤١ فارتقى السلطان محمد العرش ثانية وأكمل أشهر حكمه العشرة بعد توليته الأولى من ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٣٠ وحتى ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٠٣٠ من ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٠٤٠ وحتى

نيسان (أبريل) من عام ١٠٤١. وقد كان متزوجاً بابنة أبي نصر محمد بن أبي الحارثة أحمد بن محمد وقد أعقب هذا شهاب الدين مودود ابن السلطان مسعود (١٠٤١ ـ ١٠٤٨) ثم ابن هذا، مسعود الثاني (١٠٤٨ ـ ١٠٤٩) الذي كان لا يزال طفلاً وقد أبعد عن الحكم فعاد الابن الآخر للسلطان مسعود الأول، بهاء الدولة علي أبو الحسن إلى الحكم (١٠٤٩ ـ ١٠٥١) ثم الابن الأصغر للسلطان محمود الكبير مجد الدولة عبد الرشيد (١٠٥١ ـ ١٠٥٢) ثم طغرل المسمى بكافر النعمة لسبعة وخمسين يوماً ثم ابن مسعود، سيف الدولة فروخ زاد (١٠٥٣ ـ ١٠٥٩) فشقيقه ظهير الدين إبراهيم (١٠٥٩ ـ ١٠٩٩) فابنه علاء الدولة مسعود الثالث (١٠٩٩ ـ ١١١٥) وقد اشتهر من أبناء مسعود الأول مسعود والي بلح ومجدود الذي قتل أثناء ولايته على لاهور (البنجاب) في عام ١٠٤٢. وقد تزوجت إحدى بنات السلطان إبراهيم بن مسعود الأول بالإمام عبد الخالق الجزجاني وأنجبت العائلة التي أخرجت علماء عائلة الجزجاني المشهورين. وقد خلف مسعود الثالث ابنه الأكبر كمال الدولة شيرزاد (١١١٥ ـ ١١١٦) فأعقبه بعد مصرعه شقيقه سلطان الدولة أرسلان شاه (١١١٦ ـ ١١١٧) فشقيقه يمين الدولة الغازي بهرام شاه (١١١٧ ـ ١١٥٢) وبعد خمسة وثلاثين عاماً من حكم السلطان بهرام شاه أعقبه ابنه معز الدولة خسرو شاه (١١٥٢ ـ ١١٦٠) فابنه تاج الدولة خسرو ملك أو ملك شاه (١١٦٠ ـ ١١٨٧) وقد أبعد هذا عن العرش بعد حكم دام سبعة وعشرين عاماً وقتل عام ١١٩١ وبمصرع ابنه بهرام شاه آخر ولي عهد للغزنويين في هذا العام انقرضت هذه السلالة نهائيّاً. تزوج مسعود الثالث الغزنوي بإحدى بنات السلطان ملك شاه من أباطرة السلاجقة في عام ١٠٧٢ وقد أنجبت منه بهرام شاه الذي حكم خمسة وثلاثين عاماً.

الجدول ٨ : الغزنويون

م	الاسم	التاريخ	م	الاسم	التاريخ
١	ألب تكين ـ تيكين	٩٦٢ ـ ٩٦٣ = ١	١٢	السلطان علي	١٠٤٩ ـ ١٠٥١ = ٢
٢	إبراهيم	٩٦٣ ـ ٩٦٦ = ٣	١٣	السلطان عبد الرشيد	١٠٥١ ـ ١٠٥٢ = ١
٣	بيلكه تكين	٩٦٦ ـ ٩٧٢ = ٦	١٤	السلطان طغرل	١٠٥٢ ـ ١٠٥٣ = ١
٤	بيري تكين	٩٧٢ ـ ٩٧٧ = ٥	١٥	السلطان فروخ ـ زاد	١٠٥٣ ـ ١٠٥٩ = ٦
٥	سبوك تكين	٩٧٧ ـ ٩٩٧ = ٢٠	١٦	السلطان إبراهيم	١٠٥٩ ـ ١٠٩٩ = ٤٠
٦	إسماعيل	٩٩٧ ـ ٩٩٨ = ١	١٧	السلطان مسعود الثالث	١٠٩٩ ـ ١١١٥ = ١٦
٧	السلطان محمود	٩٩٨ ـ ١٠٣٠ = ٣٢	١٨	السلطان شير ـ زاد	١١١٥ ـ ١١١٦ = ١
٨	السلطان محمد	١٠٣٠+١٠٤٠ ـ ١٠٤١ =١	١٩	السلطان أرسلان شاه	١١١٦ ـ ١١١٧ = ١
٩	السلطان مسعود الأول	١٠٣٠ ـ ١٠٤٠ = ١٠	٢٠	السلطان بهرام شاه	١١١٧ ـ ١١٥٢ = ٣٥
١٠	السلطان مودود	١٠٤٠ ـ ١٠٤٨ = ٧	٢١	السلطان خسرو شاه	١١٥٢ ـ ١١٦٠ = ٨
١١	السلطان مسعود الثاني	١٠٤٨ ـ ١٠٤٩ = ١	٢٢	السلطان خسرو ـ ملك (ملك شاه)	١١٦٠ ـ ١١٨٧ = ٢٧

(المبحث السادس)

السلالات التركية في الصين

١ ـ سلالة جي (٤٧٩ ـ ٥٠٢ و ٥٥٠ ـ ٥٧٧)

سلالة جي هي السلالة التركية الثانية التي حكمت في الصين بعد سلالة جو (١٠٥٠ ق.م؟ ـ ٢٥٦ ق.م = ٧٩٤؟) وتشكل هذه السلالة الثانية عشرة من السلالات الحاكمة في الصين. وقد حكمت ثلاثة وعشرين عاماً في إمبراطورية الجنوب (٤٧٩ ـ ٥٠٢) وسبعة وعشرين عاماً في إمبراطورية الشمال (٥٥٠ ـ ٧٧). وقد أنهى التابغاج حكم هذه السلالة. وقد أسست سلالة جي مملكة في قان صو دامت ثلاثة وستين عاماً (٣١٣ ـ ٣٧٦) وقد سيطرت بعد ذلك على إمبراطورية الصين الجنوبية وعاصمتها جانغ ـ آن. وقد حكم فيها سبعة أعوام.

وبعد فقدانهم عرش الجنوب بثمانية وأربعين عاماً سيطرت هذه السلالة على إمبراطورية الشمال وأبعدوا من الحكم هنا على يد التابغاج إحدى السلالات التركية الأخرى. ويطلق على جي الجنوب اسم به ي ـ تسي وعلى جي الشمال جن و بي جيو.

ويجدر بالذكر أن هذه السلالة قد اضطرت إلى التطبع بطابع صيني لتستطيع الحكم في إقليم شاسع متعصب ومحافظ في مدنيته مثل الصين، وقد قطعت كل رابطة لها مع الأتراك ولم تبق أية علاقة غير رابطة الدم.

وبذلك فإننا نستطيع القول بأن السلالات التركية التي حكمت في الصين لم تؤسس دولاً تركية في الصين وإنما اعتلت عرش إمبراطورية كانت موجودة فعلاً بين الفينة والأخرى. في حين أن الدول التركية التي تأسست في الهند لم تكن كذلك فقد حافظت على تركيتها ولم تنصهر بين الهنود محافظة على ثقافتها وتقاليدها التركية. وعلة هذا كون السلالات التي حكمت في الهند مسلمة وبسبب وقوف الإسلام بمستواه العالي أمام تبني دين آخر وبالتالي حضارة أخرى. وهناك سبب آخر وهو تغذية الدول التركية في الهند بعناصر تركية من تركستان بصورة مطردة ومنتظمة.

٢ ـ التابغاج (توبا) (٣٨٦ ـ ٥٣٤ و ٥٣٤ ـ ٥٥٦)

التابغاج هم من أشهر وأهم السلالات التركية التي حكمت الصين. وذلك بسبب انتسابهم إلى التابغاج الذين اعتلوا عرش الدولة التركية الكبرى بعد الهون وارتباطهم بالأقوام التركية في أواسط آسيا وشمالها الشرقي بعلاقات وثيقة. وللتابغاج الذين يسميهم الصينيون تو ـ با تأثير مهم على التاريخ التركي بحيث ظل الأتراك طيلة قرون عديدة يطلقون اسم تابغاج على الصين (والمعروف عن الأتراك ميلهم الشديد إلى تتريك الأسماء الجغرافية).

وقد حكم التابغاج الذين يطلق عليهم الصينيون اسم او وه ي والغربيون اسم توبا ثمانية وأربعين ومائة عام في إمبراطورية الشمال (٣٨٦ ـ ٥٣٤) واثنين وعشرين عاماً في إمبراطورية الغرب (٥٣٤ ـ ٥٥٦) وبذلك يكون حكمهم قد بلغ سبعين ومائة عام. ويشكلون السلالة الخامسة عشرة من السلالات المعروفة التي حكمت الصين.

وعاصمتهم كانت أول الأمر في يه (آن يانغ) ونقلت بعد عام ٤٩٥ إلى مدينة لويانغ. وقد أسست هذه السلالة دولاً عديدة في مختلف الأقاليم إضافة إلى تسلمهم عرش الدولة التركية الكبرى. إذ تبعت إمارة شانسي

الشمالية هذه السلالة ثمانية وثلاثين عاماً (٣٣٨ ـ ٣٧٦) وتبعتها إمارة منشوريا الشمالية وإمارة مغولستان الشمالية ثمانية وثلاثين ومائة عاماً (٣٣٨ ـ ٤٧٦). وقد حكمت سلالتان من التابغاج. إذ حكمت سلالة التابغاج الثانية ١٧٤ عاماً من عام ٣٩٨ وحتى عام ٥٧٢. وقد حكمت في قسم صغير من الصين بين عام ٥٥٦ وعام ٥٧٢. واتباعاً للتقاليد التركية حكم منهم أمراء عديدون في مختلف أقاليم الصين مع الاعتراف بأكبرهم إمبراطوراً. وقد حكم فرعان من السلالة في عام ٥٣٤ توحدا أخيرا. التابغاج الشرقيين الذين حكموا عاماً واحداً حتى عام ٥٥٠ والتابغاج الغربيون الذين حكموا ٢٣ عاماً حتى عام ٥٥٧.

وقد حكم الشرقيين أقاليم هو ـ بيه وشان ـ سي وشان ـ تانغ وهو ـ نان في الصين في حين حكم الغربيون في أقاليم شن ـ سي وقان ـ صو وقد كانت عاصمة الفرع الأول جانغ ـ تو وعاصمة الثاني جانغ ـ نغان.

وكانت السلطة تنتقل على الأغلب بالوراثة من الأب للابن. وقد تزوج الإمبراطور الثاني توبا ـ تاو عام ٤٣٤ بأميرة تركية من سلالة الآبار. كما تزوج الإمبراطور التركي الكبير (الخاقان) اوتي من سلالة الآبار بابنة هذا الإمبراطور. كما نابت زوجة الإمبراطور توبا كياو الإمبراطورة هو عن ابنها طيلة مدة حكمه البالغة ثلاثة عشر عاما. وتزوجت ابنة الإمبراطور الثالث عشر هياو ـ وو ـ تي بالخاقان التركي الكبير أوناهوي قاغان من سلالة الآبار في عام ٥٣٣. وقد تزوج هذا القاغان في عام ٥٣٨ بابنة إمبراطور التابغاج وين ـ تي وبذلك أصبحت هاتان الأميرتان التركيتان إمبراطورتين (قاتون) وقد سقطت سلالة الآبار عن الحكم بعد أونا هوي قاغان واعتلى بومين قاغان من الكوك تورك عرش الدولة. وقد تزوج بومين قاغان في نفس العام الذي توج فيه (٥٥٢) بالأميرة جانغ ـ لو ـ ابنة آخر أباطرة التابغاج.

٣ ـ الجول (شا ـ تو) (٩٢٣ ـ ٩٥٠)

حكم الجول الذين أطلق الصينيون عليهم اسم شا ـ تو سبعة وعشرين عاماً في الصين (٩٢٣ ـ ٩٥٠) بقيادة ثلاثة أباطرة. وقد حل الشاتو الذين يكونون السلالة الثانية والعشرين الحاكمة في الصين محل سلالة هيو ـ ليانغ في الحكم. وقد كانت عاصمتهم تاي ـ يوان ولو ـ يانغ (٩٢٣ ـ ٩٣٦) وكاي ـ فونغ ـ بيان (٩٣٦ ـ ٩٥٠).

والشاتو ينتسبون إلى سلالة الكوك تورك الإمبراطورية فقد أصبح أمير الكوك تورك لي ـ كو ـ يانغ (حسب التلفظ الصيني) والياً عامّاً على شان ـ سي في عام ٨٨٣ وتوفي في عام ٩٠٨ عن خمسة وخمسين عاماً. والإمبراطور الأول للشاتو هو ابن هذا الأمير بالتبني. أما ابنه الحقيقي لي ـ تسون ـ ليو فقد حكم خمسة عشر عاماً كملك في إقليم قان صو حتى عام ٩٢٣ وقد توفي في عام ٩٢٥. وقد أعقب الإمبراطور الأول صهره. أما الإمبراطور الثالث للشاتو فهو من أمراء الكوك تورك أيضاً وقد ذكرت المصادر الصينية اسم أبيه على انه ليو ـ شيه ـ يوان.

ويستفاد من المصادر الصينية أن عائلة قيات التي كان جنكيز خان ينتسب إليها هي من أصل الشاتو أي أنها من الكوك تورك بالتالي. إلا أن تفوق المغول عددياً على الأتراك في مغولستان الحالية في القرن الثاني عشر أدى إلى تطبع هؤلاء بالطابع المغولي.

٤ ـ هسي ـ هسيا (١٠٣٨ ـ ١٢٢٧)

وهم أتراك تطبعوا بطابع تبتي. وقد حكموا من عاصمتهم هالهر أقاليم قان صو واوردوس وشنسي. ويشكلون السلالة السابعة والعشرين الحاكمة في الصين. إذ حكموا تسعة وثمانين ومائة عام من عام ١٠٣٨ وحتى عام ١٢٢٧. وقد خضع هؤلاء عام ١٢١٠ للمغول بقيادة جنكيز خان وانضموا عام ١٢٢٧ إلى الإمبراطورية المغولية. ولما كان سكان التبت

تحت سيادة الصينيين منذ عام ١١٢٥ فقد أسس هؤلاء علاقات وثيقة بسكان التبت والصين. وقد خلف الإمبراطور الأول ابنه شن ـ تسونغ (١٠٦٨ ـ ١٠٨٥ = ١٧) فأعقب هذا ابنه هوي ـ تسونغ (١٠٨٥ ـ ١١٢٥ = ٤٠) فابنه كاو ـ تسونغ (١١٢٥ ـ ١١٦٤ = ٣٩) فابنه تو ـ تسونغ (١١٦٤ ـ ١١٧٤= ١٠). وقد وهنت الإمبراطورية بعد الحاكم الأخير وبسطت إمبراطورية كين في هذه الآونة سيطرتها على شمال الصين. وقد تصدى كاو ـ تسونغ الابن الأصغر للإمبراطور هوي تسونغ لسلالة كين وحاربها.

وبالرغم من إن المغول قد انهوا حكم هذه السلالة في عام ١٢٢٧ فقد جاهد الأمير كونغ ـ تي (تي ـ بينغ) لاسترجاع عرش آبائه. وبتعبير أصح فقد استخدم أولي الأمر في سلالة هسي ـ هسيا هذا الأمير لهذا المأرب، إذ إن الأمير كان في التاسعة من عمره لدى وفاته عام ١٢٧٩. وقد سيطر هؤلاء من عام ١٢٧٤ وحتى ٢٥ شباط (فبراير) ١٢٧٦ على مملكة صغيرة إلا أن المغول تصدروا لهم وظل الموالين للأمير يجاهدون في سبيل استقلالهم حتى وفاته عام .١٢٧٩ وقد برز في هذا الوقت قوبيلاي ابن جنكيز الحاكم المتنفذ في الصين. وقد أسر قائد ثورة الأمير ووزيره كيا ـ سيو ـ تاو عام ١٢٧٩ من قبل قوبيلاي.

الجدول ٩ : الأباطرة الأتراك في الصين

آ ـ سلالة جي الجنوبية (٤٧٩ ـ ٥٠٢ = ٣٣)					
١	تاي ـ كاو	٤٧٩ ـ ٤٨٢ = ٣	٥	مينغ ـ تي	٤٩٤ ـ ٤٩٨ = ٤
٢	وو ـ تي	٤٨٢ ـ ٤٩٣ = ١١	٦	تي باو كيون	٤٩٨ ـ ٥٠١ = ٣
٣	يو ـ لين ـ وانغ	٤٩٣ ـ ٤٩٤ = ١	٧	هو ـ تي	٥٠١ ـ ٥٠٢ = ١
٤	وو ـ تي	٤٩٤			
ب ـ سلالة التابغاج (توبا)					
١	تاي تسونغ مينغ يوان ـ تي توباسيو	٣٩٨ ـ ٤٢٣ = ٢٥	٩	جونغ ـ تي	٥٢٨ ـ ٥٣٠ = ٢
٢	تاي ـ وو ـ تي ـ توباتو	٤٢٣ ـ ٤٥٢ = ٢٩	١٠	تونغ هاي	٥٣٠ ـ ٥٣١ = ١
٣	وين جينغ ـ تي ـ توبا سيون	٤٥٢ ـ ٤٦٥ = ١٣	١١	سي ـ ني	٥٣١ ـ ٥٣٢ = ١
٤	هيان وين ـ تي ـ توباهونغ الأول	٤٦٥ ـ ٤٧١ = ٦ وفاته في ٤٨٠؟	١٢	هيو سي ـ تي	٥٣٢
٥	هياو وين ـ تي ـ توبا هونغ الثاني	٤٧١ ـ ٤٩٩ = ٢٨ ولادته في ٤٦٠؟	١٣	هياو وو ـ تي	٥٣٢ ـ ٥٣٤ = ٢
٦	سيون ـ وو ـ تي ـ توبا كياو	٤٩٩ ـ ٥١٥ = ١٦	١٤	تسينغ ـ تي	٥٣٤ ـ ٥٥٠ = ١٦
٧	هياو مينغ ـ تي	٥١٥ ـ ٥٢٨ = ١٣	١٥	وين ـ تي	٥٥٠ ـ ٥٥١ = ١
٨	جاو	٥٢٨	١٦	في ـ تي	٥٥١ ـ ٥٥٦ = ٥
ج ـ الشاتو (٩٢٣ ـ ٩٥٠)					
١	.....	٩٢٣ ـ ٩٣٦ = ١	٣	......	٩٤٦ ـ ٩٥٠ = ٤ قتل
٢	شيه جينغ ـ تانغ	٩٣٦ ـ ٩٤٦ = ١٠			

(المبحث السابع)

الأتراك في أوربا

١ ـ الكون (الهون) ٣٧٤ ـ ٤٥٤

دولة هون الفولجا وبالامير

ارتحل الهون الذين يعتبرهم بعض المؤرخين من عداد الأوغوز بعد انتقال عرش الدولة التركية الكبرى للتابغاج من وطنهم الأصلي. وزحفت قبائل هونية يترأسها أمراؤهم إلى بقاع يبسطون عليها نفوذهم ويتحررون فيها من العيش كتابعين لغيرهم. ومن المعلوم أن هناك ثغرتين نفذ منهما الأتراك إلى الغرب والجنوب خارجين من أواسط وشرق آسيا. فقد كان المحيط الهادي (الباسيفيك) من الشرق والمناطق المتجمدة في سيبريا شمالاً حجر عثرة أمام هذه الهجرة. ولم يكن مفتوحاً أمام الأتراك إلا الصين والهند وفارس في الجنوب وأوربا الشرقية في الغرب. إلا أنهم لم يكونوا يستقرون في الصين ولم يعد دخولهم إليها قصد الغزو. وبذلك فلم يبق من كتل الأتراك والمغول والمانجو والتونغوز والتبت من أثر في هذه البلاد الشاسعة. ولم يبق إلا الصينيين الذين اسلموا (الدونكن) فقد حافظوا بسبب إسلامهم على طابعهم الخاص. وقد كان الهند وبلاد الفرس (أي المناطق الجنوبية الغربية) جاذباً في نظر الأتراك. وقد أسس الأتراك بالفعل دولاً كبرى في هذه البلاد كما عملوا على تتريك أجزاء كبيرة من إيران حتى يومنا هذا.

أما الطريق الثاني الذي انفتح أمام الأتراك فقد كان طريق الغرب وقد عبروا جبال الأورال ونهر الأورال إلى سهل روسيا. أحب الأتراك هذه الأقاليم وظلوا يحكمون فيها مئات السنين. ولم يكن الذين فتحوا طريق أوربا أمام الأتراك غير الهون إذا استثنينا بعض عناصر السقا المختلطة بالفرس. ومن معالم هذه السيطرة تأسيس دولة هون الفولجا التي أسسها بالأمير من أمراء الدولة التركية الكبرى في عام ٣٧٤. وبذلك بدأت قبائل الفولجا تتطبع بطابع تركي. وقد انقرضت هذه الدولة فيما بعد وانصهر الهون بين قبائل البلغار والخزر التركية الوافدة إلى أوربا.

سلالة آتيـــلا

استمر القسم الأكبر من الهون في سيرهم نحو قفقاسيا وشمال البحر الأسود وحتى سهل المجر. وكان على رأسهم أربعة أشقاء هم: مونجوق، أوكتار، روغا (روا)، وآيبارس. ويفيد كبار المؤرخين أنهم من السلالة الإمبراطورية للدولة التركية الكبرى. ومن المعلوم قطعاً أن أمراء القبائل كانوا يأتون من هذه السلالة ولاسيما في أدوار ما قبل الإسلام. وآتيلا بن مونجوق هو الحفيد الثاني عشر للإمبراطور جيجي يابكو من أشهر شخصيات التاريخ التركي والحفيد الثامن عشر بالتالي للإمبراطور مته (اوغوزخان) ويسلم بهذه النظرية اكبر علماء الأجناس وعلماء الدراسات التركية والطورانية أمثال ف. بي.، رادولف، جي. بي. إي.، ف. إي. كراوسه، زكي وليدي طوغان.

كما يذكر هؤلاء العلماء أن الأمير الذي يذكر المجريون اسمه بشكل جسابا وهو من أبناء آتيلا هو الجد الأكبر آلموس مؤسس سلالة ارباد. ومن الحقائق المسلم بها أن أول واشهر سلالة ملكية من المجريين هم من الأتراك. إلا أن هؤلاء العلماء ينسبون هذه السلالة إلى آتيلا وبالتالي إلى مته. ويتفق هذا الأمر مع مفهوم الأتراك لحكم السلالات. وسنتطرق بالبحث إلى هذا الموضوع عند بحثنا لموضوع المجريين.

وقد انقرضت إمبراطورية هون الأوربية التركية بعد حكم دام واحداً وثلاثين عاماً فقط ومن المؤكد كونهم قد وصلوا إلى درجة من القوة بحيث تمكنهم من تأسيس إمبراطورية كبرى في عام ٤٢٥. جلس أوكتار فأعقبه روغا (روا) على عرش الهون. وبعد وفاة روغا عام ٤٣٤ اعتلى العرش ابنا مونجوق بليدا (بودا) وآتيلا معاً إلا أن بليدا كان القاغان الأكبر وقد قتل عن خمسين عاماً بعد أن حكم أحد عشر عاماً من عام ٤٣٤ وحتى عام ٤٤٥.

أما آتيلا فقد ولد عام ٤٠٠ وأصبح وليّاً للعهد وقاغانا للشرق في عام ٤٣٤ وإمبراطوراً في عام ٤٤٥ وتوفي بعد تسعة أعوام عن عمر يناهز الثالثة والخمسين. ومن زوجاته آرى قان وايلديكه وقد توفي في ليلة زواجه بالثانية.

وأبناء آتيلا من زوجته آرى قان هم ايلاك ودنكيزيك وايرمك. وله أيضاً من الأبناء هرناك الذي كان والياً على دوبروجه وجسابا مؤسس سلالة ارباد. وقد خلف آتيلا على العرش ابنه ايلاك إلا أنه قتل في عام ٤٥٤ بعد عام واحد من توليته وتفككت أوصال الإمبراطورية بعده.

ولمَّ دنكيزيك شعث الهون المبعثرين وحاول الحفاظ على دولة الهون طوال خمسة عشر عاماً حتى مصرعه في عام ٤٩٦ وقد حكم دنكيزيك في شمال البحر الأسود ورومانيا في حين حكم شقيقه ايرنك (ايرمك) في أوكرانيا. وتبع ايرمك البيزنطيين بعد مقتل دنكيزيك واستمر على الحكم في وبروجه.

وقد كان أودوكار (اودوفاكار) الذي أنهى حكم الإمبراطورية الرومانية الغربية هو ابن اديكون ملك سكير المعاصر لآتيلا. ومن الأمور التي دار حولها نقاش طويل موقع عاصمة آتيلا والهون وتفيد بعض المصادر أنها كانت أقرب من مدينة سكادين الحالية في موضع تفرع فرع الماروس من نهر تيسا.

الأهمية التاريخية لهون أوربا

تعني كلمة (كون) في اللهجة التركية الدارجة الخروف. ومن هذا نستطيع أن نفهم مفهوم كلمة كون الأبيض والأسود من دول الهند التركية ولا يغرب عن البال دولتا الخروف الأبيض والخروف الأسود اللتان خرجتا إلى الوجود في القرن الرابع عشر. ولا تتيسر لدينا المعلومات الكافية عن الهون حتى هجرتهم من أواسط آسيا إلى سهل المجر. ومن المؤكد أن جد آتيلا أسس دولة تركية هامة في شمال البحر الأسود. ومن السهولة بمكان مشاهدة آثار الهون التي تخلفت من عهد حكمهم الخاطف حتى يومنا هذا. وقد التحق الهون بعد انقراض إمبراطوريتهم بإمبراطورية أتراك الخزر. كما التحق قسم من الذين بقوا في أوربا منهم بسلالة الآبار الوافدة إلى أوربا مؤخراً. أما البقية فقد انصهروا بين العناصر السلافية والجرمانية واللاتينية.

وقد صادف علماء الأنثروبولوجيا أناساً بطابع تركي في غرب جيكوسلوفاكيا واولم بالقرب من بافاريا واستنتجوا أنهم من بقايا هون أوربا ويمكن توضيح أسماء الكثير من المناطق في المجر وجيكوسلوفاكيا وألمانيا بلهجة الهون التركية مذكرين بذلك مرة أخرى قابلية الأتراك الفذة في تتريك الأسماء الجغرافية. ولا يستوجب هذا الأمر الدهشة إذا ما تذكرنا أن أسماء الكثير من المناطق الممتدة بين الصين والأدرياتيك هي تركية محضة دخلت الأطالس الجغرافية واستمرت حتى يومنا هذا. عبرت كتلة كبيرة من الهون في عام ٤٤٥ جبال القفقاس من الشمال إلى أذربيجان. وقد انضمت قبيلة اغاجري من اتحاد الهون في عام ٤٦٥ إلى الهون الموجودين في أذربيجان. كما كان أتراك سابير قد ولجوا هذه البقاع في عام ٣٠٥ وكان هؤلاء يعيشون في سيبريا الغربية وقد سميت سيبريا باسمهم. وقد انضم أغلبهم إلى إمبراطورية الخزر. كما غزا قسم منهم الأناضول في عام ٥١٥ ووصلوا إلى أنقرة وقسطمونو ورجعوا عام ٥٢٧ إلى أذربيجان وداغستان. وكان تعداد أتراك سابير في القرن السادس يناهز النصف مليون نسمة تحالف قسم منهم مع البيزنطيين والقسم الآخر مع الفرس. وتبين من هذا

أن تسرب الأتراك إلى أذربيجان والذي تم نهائياً بعد القرن الحادي عشر قد بدأ في عهد الهون.

وإضافة إلى من سبق فقد مر حوالي خمسون ألف تركي في عهد خسرو أنوشيروان من بلاد الساسانيين الفرس وسكنوا أذربيجان الجنوبية (من بطون البلغار والبلنجر). كما عمل نفس الحاكم على إسكان بعض القبائل التي تنتسب إلى بطون يازار وصول التركية القاطنة في خراسان في أذربيجان الجنوبية.

حضارة الهـــون

امتعض الكثيرون من الهون الحاكمين للدولة التركية الكبرى من تنازع هوهانية يابكو وجيجي يابكو الذي استمر طيلة أعوام عديدة. وارتحل قسم منهم بقيادة جيجي يابكو إلى الغرب مبتعدين عن النفوذ الصيني. وقد وصل جيجي يابكو إلى سواحل طالاس وسيطر على الإقليم المشرف على بحيرة ايصيق. وبذلك زحف القسم الأكبر من العنصر التركي الحاكم إلى الغرب. وقد تجمع أغلبية الهون بعد سقوط جيجي يابكو وسلالة الهون من الحكم في الغرب وتدفقوا إلى أوربا. وحدث بذلك احتكاك كبير بين الحضارتين التركية والأوربية كما احتك الهون بعناصر الآلان الفارسية القاطنة في شمال قفقاسيا ويمكن متابعة آثار الزحف التركي من الشرق إلى الغرب بفضل الحفريات بصورة منتظمة. وتظهر القطع الذهبية المصنوعة التي اكتشفت في سواحل بحيرة بوروفوكو في قازاخستان المراحل التي قطعها الأتراك من الشرق نحو الغرب. وقد اكتشف سيف هوني ذو طابع فريد في منطقة الفولجا وهو يماثل السيوف التركية المقدسة. ولم يكن الفين قد سكنوا شمال الفولجا في هذه الأدوار إذ استقروا فيها في الفترة ما بين القرنين السادس والثامن وأبعدوا الأتراك إلى سواحل الفولجا الجنوبية وهذا الأمر هو سبب وجود الأتراك في شمال الفولجا على عهد الهون.

وقد زحف الهون إلى إقليم الدون بعد الفولجا ويمكن متابعة

الاكتشافات الأثرية في هذه المناطق كما يمكن مشاهدة هذا القوم على سواحل الدنيبير وهم الذين سكنوا شبه جزيرة القرم أيضاً. ووصلوا إلى سواحل الدانوب متنقلين بين سواحل الأنهر وتجمعوا في سهل المجر تمهيداً لإقامة إمبراطوريتهم. وقد ترك الهون آثاراً حضارية متميزة في المجر كما انسحب الكثيرون من الجرمان إلى ألمانيا تحت وطأة الغزو التركي وخلا جنوب روسيا من العناصر الجرمانية. ومن المناطق التي استوطن الهون فيها أيضاً سيليزيا التي تركوا فيها مخلفات حضارية خالدة. ويوجز المؤرخ والجغرافي الفرنسي فرناند غرينارد اثر حضارة الأتراك الهون على حضارة أوربا بقوله:

«كان الأوربيون يجهلون حتى ذلك العهد الملابس الداخلية وسروج الخيل والكثير من الأساليب العسكرية التي كانت معروفة لدى الأتراك بالإضافة إلى الأسماء الجغرافية. وقد اقتبس اليونانيون والرومانيون والجول والجرمان أساليب تسريج الخيل». وقد كان اوريستا والد رومولوس آخر أباطرة الرومان والذي كان يحكم الإمبراطورية نيابة عن ابنه من ضباط آتيلا وقد تلقى تربيته العسكرية على يد الأتراك. كما كان اودوجر حاكم إيطاليا المشهور ابن أحد مستشاري آتيلا.

آتيــــلا

نوجز في هذه العجالة تاريخ حياة آتيلا ومميزات شخصيته وهو أحد شخصيات التاريخ التركي الفذة والذي يرتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً باسم إمبراطورية الهون في أوربا.

ارتحل الهون الأتراك الذين اخضعوا الآلان إلى حكمهم في أواسط القرن الرابع إلى بلاد فارس في عام ٣٥٩ وإلى قفقاسيا الجنوبية عابرين جبال الشمال في قفقاسيا في عام ٣٦٣ ثم إلى الأناضول من الجنوب فبلاد ما بين النهرين (العراق). إلا أن أغلبية الهون كانوا يقطنون شمال البحر الأسود والقرم وسواحل نهر الدون في هذه الفترة. وقد انتقلت عاصمة

أتراك الهون التي كانت على سواحل الخزر في عام ٤١٧ إلى جوار صوفيا الحالية في بلغاريا في عام ٤٣٠. وكاد آتيلا أن يحقق حلمه العتيد في سيطرة الهون على العالم فقد أخضع إمبراطوريتي الغرب والشرق وحاول فتح إيران إلا أنه توفي وهو يعد العدة لغزوها.

قضى آتيلا سني شبابه الأولى في أحد قصور روما فتعلم اللاتينية والثقافة الرومانية ووقف على نقاط الضعف في الإمبراطورية الرومانية فاستفاد كليّاً من دراسته هذه عندما اعتلى العرش. فقد زحف أول الأمر على روما الشرقية (البيزنطيين) فأجبرهم على دفع الضرائب ولم يكن هذا الأمر معروفاً من قبل لدى البيزنطيين وبسبب ذلك فقد انقطع الإمبراطور البيزنطي عن دفعها بعد أعوام فسار آتيلا عليه وفتح بلغراد ونيس وفيليبيا ثم وصل إلى شبه جزيرة غليبولي. واضطر الإمبراطور البيزنطي إزاء هزيمة جيوشه للموافقة على دفع فدية أكبر من سابقتها مبعداً بذلك آتيلا عن أبواب القسطنطينية (استانبول)، فألحق آتيلا بعد فترة، سبعين مدينة وقصبة بيزنطية إلى إمبراطوريته نتيجة تردي العلاقات بينه وبين البيزنطيين مجدداً. ولما وصل إلى أبواب استانبول مجتازاً مورا لم ير الإمبراطور بدّاً منحبك مؤامرة للإجهاز على آتيلا إلا إن المؤامرة باءت بالفشل فأرسل آتيلا نتيجة لذلك رسولاً إلى البيزنطيين يطالب فيها برأس المتآمر مهدداً إياهم واضطر الإمبراطور البيزنطي خشية اقتحام آتيلا لعاصمته إلى قتل الروماني الذي دبر المؤامرة بتوجيه منه فأرسل رأسه إلى آتيلا.

وكان آتيلا قد تحول ببصره إلى الإمبراطورية الرومانية الغربية التي كان على علاقات طيبة معها حتى ذلك الحين، وقد غير سياسته نتيجة لالتجاء بعض من يدعون بأحقيتهم في العرش إليه. وكانت الأميرة هونوريا شقيقة الإمبراطور الثالث فالينتيانوس قد منعت من الزواج خشية منافسة أطفالها للعرش وأرسلت الأميرة بداعي الانتقام خاتم خطبة إلى آتيلا إلا أن الأخير لم يجبها إلى طلبها. ولما كان آتيلا يبحث عن حجة ما فقد تذكر هذه الحادثة التي جرت قبل أعوام. وكانت الأميرة هونوريا قد أبعدت من

قبل أمها الإمبراطورة بلاسيديا إلى أستانبول ثم رافينا (إيطاليا) في هذه الأثناء بداعي أنها مغرمة بأحد رجال القصر فلما علم آتيلا بذلك أرسل رسولاً إلى إمبراطور روما الغربية يطلب فيها إطلاق سراح (خطيبته) الأميرة هونوريا كما طلب ما يقارب نصف أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية كحساب لزوجته المقبلة كصداقها وإرثها وتردت بذلك العلاقات بين الحاكمين ووصلت الأزمة إلى ذروتها.

ولما كان آتيلا يخشى اتحاد الإمبراطوريتين الرومانيتين أمامه واضطراره إزاء ذلك إلى القتال في جبهتين فقد أسرع بالسير على الإمبراطورية الغربية مجتازاً نهر الرين إلى سهل غاليا (فرنسا) وفتح مدينتي ميتز و ريمس وجابه جيوش الإمبراطورية الرومانية الغربية وحلفائها الغوت الغربيين على مقربة من مدينة أوليان في ٢٤ حزيران ٤٥١. ولم يتوصل كلا الطرفين إلى نتيجة حاسمة في الحرب الضروس التي دامت رحاها يومين وقتل فيها خمسة وستون ومائة ألف مقاتل من الجانبيين.

وسار آتيلا في العام التالي على إيطاليا مباشرة وسيطر على مدينتي ميلانو وبافيس. وأصبح من المتوقع اقتحام آتيلا لروما في أية لحظة وإزاء ذلك خرج البابا الثالث ليو من المدينة وتوجه إلى معسكر آتيلا طالباً منه عدم دخول روما، ولما كان آتيلا مزمعاً على التوجه إلى الإمبراطورية الشرقية مجددا فقد قبل طلب الصلح لقاء ضريبة سنوية كبيرة تعهد الرومانيون بدفعها. كان آتيلا يرنو إلى تأسيس أكبر الإمبراطوريات شأناً وهو بذلك يحذو حذو من سبقه من الأباطرة والفاتحين الكبار أمثال الإسكندر الكبير ومته وبالفعل فقد خلف آتيلا إمبراطورية مثيرة للدهشة من حيث السعة.

مرت فترة حكم آتيلا الذي سماه الأوربيون بسوط الرب كلمح البصر وفقد الأتراك الذين كانوا يكونون أقلية ضئيلة بين أقوام أوربا هذه الإمبراطورية بعد وفاته. وتشير خريطة إمبراطورية أتراك الهون إلى أن دولة آتيلا كانت تمتد من أواسط السويد إلى شمال قفقاسيا ومن سواحل الرين

إلى بحيرة قزوين وكانت الأقاليم الخارجة عن هذا النطاق مثل إيطاليا وفرنسا والبلقان من البلاد التي كانت تتعرض دوماً لغزو الأتراك في هذه الحقبة من الزمن. وجد آتيلا ميتاً في فراشه في صباح الليلة التي زفت إليه عروسه الجديدة ايلديكو وكان فراشه مخضبا بالدم الذي نزف من فمه وأنفه. كما كانت زوجته قد فقدت عقلها من الخوف ووجدت منزوية في أحد أركان الغرفة. ولم تظهر الحقيقة في سبب وفاته أبداً ولم يعرف أحد فيما إذا كان سبب موته هو نزيف حاد أم مرض مفاجئ أم دسيسة مبيتة.

دفن آتيلا بمراسيم مهيبة ووضعت جنازته في تابوت من ذهب ووضع هذا في تابوت فضي ضمه تابوت من الصلب. وقتل الذين دفنوه رمياً بالسهام لئلا يعرف مكان دفنه كما حول مجرى الماء الذي كان يصب بالقرب من المكان الذي اختير قبراً له إلى ناحية أخرى.

الجدول ١٠ : هون أوربا

م	الاسم	التاريخ	م	الاسم	التاريخ
١	بالامير	٣٧٤ ـ ٣٩٥؟ = ٢١؟	٦	بليدا	٤٣٤ ـ ٤٤٥ = ١١
٢	قاراتون	٣٩٥ ـ ٤١٥؟ = ٢٠؟	٧	آتيلا	٤٤٥ ـ ٤٥٣ = ٨
٣	مونجوق	٤١٥؟ ـ ٤٢٥؟ = ١٠؟	٨	إيلاك	٤٥٣ ـ ٤٥٤ = ١
٤	أوكتار	٤٢٥؟ ـ ٤٣٠ = ٥؟	٩	دنكيزيك	٤٥٤ ـ ٤٦٩ = ١٥
٥	روغا	٤٣٠ ـ ٤٣٤ = ٤			

٢ ـ الابار ـ الأوار ٥٦٥ ـ ٨٣٥

الأوار في أوربا

حذا الأوار الذين تركوا عرش الدولة التركية الكبرى للكوك تورك حذو الهون الذين لم يخضعوا للتابغاج الذين تسلموا زمام الأمور في هذه

الدولة فرحلوا إلى أوربا وأسسوا دولة كبرى فيها. أسس الأوار دولتهم على أنقاض إمبراطورية الهون التي تأسست قبل قرن من ذلك في عام ٥٦٥ وقد عمرت هذه الدولة أكثر من دولة الهون فاستمرت سبعين ومائتي عاماً إلى أن انقرضت في عام ٨٣٥. إلا أنها فقدت صفة الإمبراطورية بعد القرن السابع.

وأول أباطرة اوار أوربا الذين كانوا يسمون بالقاغان هو بايان قاغان. وكان له خمسة أنجال قتل أربعة منهم في عام ٦٠١ فخلفه ابنه الخامس الذي حاصر البيزنطيين في عام ٦١٦ وعام ٦٢٦ ويبدو أنهم اختاروا عاصمة آتيلا أو جوارها وهي على مقربة من مدينة سكدين الحالية في المجر عاصمة لهم. وقد زار حاكم الاوار الذي أعقب هذا وهو تودون قاغان في عام ٧٩٦ شارلمان الإمبراطور القادم للإمبراطورية الغربية في مدينة اخن (اكس - لا - شابل) زيارة رسمية. وقد اعتنق اثنان على الأقل من حكام الاوار مثل تيودوروس وابراهام الديانة المسيحية وقد انقرضت دولة الاوار بعد إبراهام بنهاية حكم تودون الثاني.

وكان الكوك تورك بنفس مذهب السلالات الحاكمة الجديدة يخشون من أسلافهم ونتيجة لذلك فقد ظهر إلى الوجود تحالف الكوك تورك - البيزنطيين إزاء الاوار ويبدو أن الكوك تورك كانوا يخشون من سطوة أسلافهم الاوار في حالة إجهازهم على الإمبراطورية الرومانية.

وقد كان انتصار شارلمان على الاوار في عام ٧٩١ ضربة قاصمة لهم واضطر هؤلاء في عام ٧٩٦ إلى نبذ الشامانية التي كانت الديانة الرسمية للدولة واعتناق المسيحية وكان هذا الأمر الذي حدث تحت ضغط خارجي يعني الموت بالنسبة للدولة. وبالفعل فقد أصبحت دولة الاوار بعد أربعين عاماً حدثاً منسياً ولا أدل على انقراض هذه الدولة من وصول شارلمان إلى المجر موطن الأوار.

وانصهر الأوار بين أقوام أوربا وقد قام علماء الأنثروبولوجي بتثبيت

الطابع الأواري الذي وجد بكثرة بين المجريين. كما اكتشفت في المجر مخلفات كثيرة تعود لهم. فقد ظهرت في الحفريات خمسة عشر ألف قبر أواري. كما عثر على مزمار بأنبوبين يعود لهم وهي آلة موسيقية تركية قديمة.

الأوار ودول أوربا

وصل الأوار إلى الرين فأحرزوا نصراً حاسماً على ملك الإفرنج سيغابرت الأول في عام ٥٦٦. كما كان القوتورغور والاوتورغور ما بين الدون والدينبر في ظل الحكم التركي عند اعتلاء بايان قاغان للعرش. أما الاونوغور والاوتورغور الذين كانوا يقطنون شرق الدون فقد كانوا خاضعين للكوك تورك. وبذلك أصبح الدون حدوداً طبيعية للأوار وخلفائهم الكوك تورك. إلا أن الكوك تورك سيطروا على غرب الدون في عام ٥٦٩ وخضعت الأقوام التابعة للأوار إلى الكوك تورك. وأملى بايان قاغان شروطاً صارمة على الإمبراطور تيبريوس الذي قاد جيش الإمبراطورية في عام ٥٧٣ بعد أن هزم هذا الجيش قبالة الأوار فأصبحت دولة الأوار أكبر دول أوربا دون منازع بعد البيزنطيين. ونشاهد في هذه الفترة الصراع الشديد بين الأوار والبيزنطيين في أوربا فتارة يتفوق هؤلاء وأخرى أولئك وقد قتل البيزنطيون إبان إحدى المعارك أربعة أبناء من أنجال بايان خان في عام ٦٠١ فعمد هذا إلى الزحف بجيشه على استانبول في عام ٦١٦ انتقاماً لذلك. وحوصرت استانبول حصارها المشهور في عام ٦٢٦ من قبل الأوار المتحالفين مع الفرس. ولازالت ترانيم اكاثيوس المشهورة تتلى في الكنائس الرومية وهي ابتهال وشكر للعذراء لإنقاذها البيزنطيين من هذا الحصار.

دخل الأوار إلى بافاريا في عام ٧٣٦ واستعرت بذلك حروب الأوار ـ بافاريا التي دامت عشرين عاماً وقد ترك الأوار القسم الكبير من النمسا نتيجة لهذه الحروب الطاحنة بعد أن كانت الحدود تفصل بمجرى انس في

جنوب الدانوب بين البلدين إلى الجرمان.

وبنهاية القرن الثامن تبدأ فترة الانحطاط إذ اندحر الأوار أمام إفرنج شارلمان. واعتنق تودون قاغان الذي زار أخن عاصمة شارلمان المسيحية في عام ٧٩٦ إلا أنه عاد إلى حظيرة الدين الشاماني بعد أن تبين أن هذا لم يطفئ جذور الحقد على الأتراك لديه. ولئن كان تودون قاغان قد دخل بافاريا وهزم الكونت جيرولد شقيق زوجة شارلمان وقتله فإن من أعقبه من الحكام اضطروا لاعتناق المسيحية نحو عام ٥٠٨. وانقرضت الدولة في عام ٨٢٦ بعد تودون قاغان الثاني.

الأوار في التاريخ

يأتي ذكر الأوار كما يسميهم الأوربيون على شكل (آبار) في كتابات أورخون. وحكام الأوار الأوربيون هم من نفس سلالة الأوار التي حكمت الدولة التركية الكبرى في آسيا. ولابد أن بايان قاغان أول أباطرة الأوار في أوربا هو ابن أحد حكام الأوار في آسيا أو ابن أخيه إلا أن درجة قرابته غير معروفة على وجه التحقيق في يومنا هذا. إذ إن المعلومات المتعلقة بحكام الأوار الأوربيين وفترة حكمهم محدودة جداً. إلا أن أغلب المؤرخين يجمعون على أن السلالات التي حكمت الدولة التركية الكبرى وحكمت الدول الفرعية في الصين والهند وأوربا هي من أصل واحد وسلالة واحدة هي عائلة اشينا (آسينا) أو كوكبوري (الذئب الأغبر).

ويعد الأوار أساتذة السلافيين في فنون الدولة وتنظيماتها فقد أزاحوا السلافيين جنوباً وغرباً إلى البلقان. كما كانت قبيلتان من فخذ الأونوغور التركية (تعدادها ٢٠,٠٠٠ نسمة) قد اتحدتا مع الآلان الفرس القاطنين في قفقاسيا الشمالية ودخلتا إلى أوربا منضمتين إلى أتراك الهون والبلغار فظهرت إلى الوجود قوة جديدة زحفت إلى المجر والنمسا فألمانيا إلى منطقة التورين وأسرت سيغابرت ملك الإفرنج وسيطرت على البلاد الواقعة

بين جبال كربت ونهر الدانوب مزيحة اللومبارد إلى إيطاليا. ثم غزت بانونيا في ٥٦٨ وبلاد الإفرنج في عام ٥٩٧. وقد سيطرت هذه الإمبراطورية المؤقتة على مساحات شاسعة تمتد من قفقاسيا الشمالية إلى بروسيا وأصبحت طليعة الأوار.

وقد سار الأوار في أثر الهون بعد سقوط بلغراد في أيديهم فدخلوا اليونان وموريا في عام ٥٨٩. كما حاصروا سلانيك واستانبول مرتين إلا أن هذا الحصار لم يجد نفعاً. ومن أهم مؤثرات الأوار على التاريخ إرغامهم السلافيين على الالتجاء إلى البلقان والعمل على صبغ شبه الجزيرة هذه بطابع سلفي.

الجدول ١١ : اوار أوربا

١	بايان قاغان	٥٦٥ ـ ٦٠٢ = ٣٧	٥	تيودورس	٨٠٥ ـ ؟
٢	xxx قاغان	٦٠٢ ـ ٦٢٦؟ = ٢٤	٦	إبرا هام	
٣	تودون الأول	٧٩١ ـ ٨٠٣ = ١٢	٧	تودون الثاني	؟ ـ ٨٣٥؟
٤	زودان	٨٠٣ ـ ٨٠٥ = ٢			

٣ ـ الخزر (٤٦٨ ـ ٩٦٥)

نظرة عامة إلى دولة الخزر التركية

الخزر من الأقوام التركية التي أسست إمبراطورية في أوربا الشرقية دامت سبعة وتسعين وخمسمائة عام من ٤٦٨ وحتى عام ٩٦٥. وقد اتخذت الدولة صفة الإمبراطورية بعد عام ٦٢٠ وكانت العاصمة في بلنجر زهاء خمسة وخمسين ومائتي عام (٤٦٨ ـ ٧٢٣) وفي ايتيل (أترخان الحالية) زهاء اثنين وستين ومائتي عام (٧٢٣ ـ ٩٦٥) وقد اعتنق الخزر الذين كانوا يدينون بالشامانية الإسلام بين ٧٣٢ ـ ٨٠٠ ثم اليهودية بعد هذا التاريخ كأديان رسمية. وقد عاد القاغان الرابع عشر والأخير للخزر يوسف إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى في عام ٩٦٥ إلا أن الدولة كانت في سبيلها إلى الانقراض وتقلصت إلى مجرد إمارة صغيرة حافظت على كيانها لقرن آخر

من الزمن. والأتراك الذين يسمون بالقارايم وهم الذين يدينون باليهودية ويعيشون اليوم في أقاليم مختلفة كانوا يعيشون قديماً في القرم وهم البقية الباقية من الخزر.

ودولة الخزر هي الدولة التركية الوحيدة التي اعتنقت اليهودية كما يتحتم علينا اعتبارها الدولة التركية المسلمة الأولى باعتبار أنها أعلنت الإسلام الدين الرسمي زهاء ثمانية وستين عاماً اعتباراً من عام ٧٣٢.

ويرى زكي وليدى طوغان أن الخزر هم من سلالة الفرع الغربي للكوك تورك، أي أنهم من فخذ الكوك تورك وسلالة (آجينا ـ الذئب الأغبر) (ابن فضلان ٢٦٩ ـ ٢٧٠). ولا نعلم شيئاً عن ملوك الخزر الذين حكموا طيلة قرن ونصف قرن قبل أن تنتقل الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية. وقد تسلط الأضواء على نسبهم لأحد ملوك الكوك تورك لدى العثور على الوثائق المؤيدة لذلك.

وقد أسس الخزر الذين أفرطوا في الاستفادة من التسامح الديني للأتراك باعتناقهم عدة أديان أواصر قرابة متينة مع الدول المجاورة ولاسيما مع البيزنطيين **فقد كان هؤلاء** مسيطرين على جنوب البحر الأسود وغربه بينما كان الخزر **يقطنون سواحله** الشمالية والشرقية. ومن هذا أن أميرة من أتراك الخزر تدعى **تيودورا قد** تزوجت عام ٦٩٥ بالإمبراطور جوستنيان الثاني. كما أن أميرة أخرى أطلق البيزنطيون عليها اسم أيرين تزوجت بالإمبراطور قسطنطين كوبرونيموس الخامس عام ٧٣٢. ويعرف الإمبراطور ليو الرابع الذي كان ثمرة هذا الزواج باسم خزر.

كما أسس الخزر علاقات وثيقة مع العرب والإمبراطورية الإسلامية فقد تزوجت إحدى أميرات الخزر بوالي العباسيين على أرمينيا يزيد بن أسيد السلمي عام ٧٦٠. وقد توفيت هذه في عام ٧٤٦. كما تزوجت أميرة أخرى بالوزير العباسي المعروف فضل بن يحيى البرمكي في عهد الخليفة هارون الرشيد.

الخزر في التاريخ

أسس الخزر العلاقات مع منافسيهم البيزنطيين. ولا أدل على ذلك من كون أميرة الخزر الثانية إمبراطورة البيزنطيين. كما أن للخزر الفضل الكبير في حماية استانبول من الغزو الساساني الفارسي في عام ٦٢٧. كما اشترك أتراك الخزر والبلغار في الدفاع عن استانبول ضد الحصار الغربي في عام ٧١٨. وتظهر أهمية هذا العون إذا تذكرنا تفوق الأتراك الفذ في القتال.

التقى الخزر بأتراك القوتورغور والهون والأوار والبلغار لدى عبورهم شمال البحر الأسود إلى أوربا الشرقية. والحقوا هذه الجماعات بقواهم عند تأسيسهم لدولتهم الأوربية. ويستدل من الوقائع التاريخية أن الخزر كانوا أول الأمر من التابعين للدولة التركية الكبرى تحت حكم الكوك تورك. وقد اختاروا لعاصمتهم أول الأمر بلنجر (اندري الحالية) في شمالي شرق قفقاسيا (داغستان) ثم سمندر (قزلر) ثم نقلوها إلى دلتا الفولجا في السواحل الشمالية من بحيرة قزوين.

كانت المسيحية تحتل مكانتها إلى جانب اليهودية والإسلام بين صفوف الخزر. وقد ترك الخزر أثراً حيوياً بين أقوام أوربا فسلالة ارباد التركية التي أسست مملكة المجر تنتسب إلى قبيلة قابار الخزرية. كما قامت الأقوام الاسكندنافية بتقليد المؤسسات التركية الخزرية. وساعد الخزر في تغذية المدينة التي أدت إلى تبلور القومية الروسية. كما اقتبست اكبر دول ذلك العصر مثل الإمبراطوريتين الإسلامية والبيزنطية فنون الحرب والاستحكام.

وإن كان الدين الرسمي هو اليهودية فإن حكام الخزر لم يرغموا رعاياهم على اعتناق هذا الدين إطلاقاً والدليل على ذلك أن أكثر رعايا الخزر كانوا من المسلمين ويليهم المسيحيون ثم اليهود فالشامان.

وقد تلقى الخزر الضربة القاصمة من النورمان القاطنين بين بحر البلطيق والبحر الأسود (عاصمتهم نوفكورود في أقصى الشمال) وهم أسلاف الروس الجدد.

ولما كان الروس يشكلون عنصراً هاماً في التاريخ التركي فإنه يجدر بنا أن نوجز هنا نبذة قصيرة عن نشأتهم. كان الروس آنذاك نورمنديين من الإسكندنافيين يتكلمون إحدى اللهجات السويدية. وقد انصهر هؤلاء في القرون التالية بين السلوفاك وأخذوا يتكلمون الروسية الحالية وهي إحدى اللهجات السلوفاكية وأصبحوا سلوفاكيين تماماً نحو عام ١٠٠٠ (مينورسكي: الروس إي. آ، ٩ ـ ٧٨٨ب). وقد لقي أتراك البلغار نفس المصير كما سنتطرق بالبحث في مبحث قادم. فقد انصهرت الأقلية الحاكمة من أتراك البلغار بين سلوفاك البلقان واخذوا يتكلمون البلغارية إحدى اللهجات السلوفاكية الجنوبية. وكان الروس آنذاك يطلقون على حكامهم لقب القاغان مقلدين بذلك أتراك الخزر. في حين كان لقب حكامهم قبلاً هو كنياز أي الأمير الكبير.

المسلمون العرب وأتراك الخزر

اجتاز المسلمون العرب بين عامي ٧٢١ ـ ٧٢٣ الحدود الجنوبية لإمبراطورية الخزر من جبال القفقاس إلى داغستان وسيطروا على عاصمتهم بلنجر. وإزاء ذلك نقل الخزر كما أسلفنا عاصمتهم إلى مدينة أتيل (استرخان) على بعد ٥٠٠ كم من شمال العاصمة القديمة. وقد ألحق مروان بن محمد الأموي في عام ٧٣٢ بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل داغستان برمتها إلى الإمبراطورية الإسلامية. كما تقدم في عام ٧٣٧ بجيش أكبر يضم مائة وخمسين ألف مقاتل إلى الشمال فوصل إلى دلتا الفولجا وأتيل. وهذا أقصى ما بلغته القوات الإسلامية (خط عرض ٤٧ درجة) فقد كان تقدم الأمويين إلى خط عرض ٤٨ درجة شمالاً في فرنسا مؤقتاً. شدد الحصار على مدينة أتيل وعمد خاقان الخزر إلى تكليف خزر تارخان بقيادة

الجيوش. إلا أن هذا لم يفلح في فك الحصار وخسر جيش الخزر عشرة آلاف قتيل و سبعة آلاف أسير وعشرة آلاف جريح، فطلب الخاقان الصلح وأعلن إسلامه فأرسل الأمويون نوح بن ثابت الأسدي وعبد الرحمن الخلاني للتبشير بالإسلام وانسحبوا من داغستان.

إلا أن الخزر شددوا من عزائمهم في الغرب فألحقوا القرم التي كانت تدار من قبل أحد الولاة بالحكومة المركزية في عام ٧٨٧ وألغوا امتيازات الغوت وأسسوا مدينة كيف.

وقد استمر الصراع بين الخزر والعرب فعبر جيش قوامه مائة ألف مقاتل بقيادة استرخان جبال القفقاس من الشمال إلى الجنوب وانتزعوا أذربيجان وأرمينيا من الخلافة الإسلامية (في عهد العباسيين) ورجعوا بمائة ألف أسير.

وبالرغم من التسامح الديني المفرط لدى الخزر فقد اعتبروا الدفاع عن اليهودية دينهم الرسمي واجباً عليهم. ومن ذلك أن خاقان الخزر أمر بهدم منارة أحد الجوامع في أتيل بحضور بعثة تمثل الخليفة المقتدر في عام ٩٢٢ ردّاً على تخريب أحد المعابد اليهودية في الأندلس.

إلا أن الإسلام كان في تطور مطرد في هذه الأقاليم وانحصرت اليهودية برجال القصر. فقد كان هناك في أتيل عشرة آلاف مسلم وثلاثون جامعاً كما كانت الأوضاع في صالح المسلمين في سائر المدن. وكان هناك سبعة قضاة يحكمون بأصول الشريعة. وبدأ عدد من يعتنقون الشامانية بالتناقص إذ انخرط هؤلاء في الإسلام ومن تبقى منهم في المسيحية أو اليهودية. وقد كان للخزر توراة تركية يمارسون بها شعائرهم الدينية. وكانت الإمبراطورية قد توسعت وخضعت أقاليم الدلتا في خزرم وجنوب بحيرة آرال لهم ردحاً من الزمن. وبذلك كانت سطوة الخزر تمتد إلى خط طول ٦٠ درجة شرقاً. كما كان حاكم بلغار الفولجا خاضعا لهم. وبإسلام هؤلاء وصل الإسلام إلى خط عرض ٥٥ درجة شمالاً. وكان حاكم (يابكو)

الأوغوز في أوست يورد أي في الإقليم المنحصر بين الخزر وآرال يخضعون للخزر. وتبرز الأهمية التاريخية للخزر إذا ما تذكرنا أنهم حكموا داغستان وقفقاسيا الشمالية واسترخان والقرم وشمال البحر الأسود. وقد أطلق المؤلفون العرب المسلمون اسم الخزر على بحر الخزر كما سموا بحيرة آرال باسم خرزم.

كان الخزر كسائر الأتراك شجعاناً يتميزون بقدرة عسكرية فائقة فعمل أباطرة البيزنطيين والساسانيين على اختيار حرسهم الخاص من الخزر. أسلم هؤلاء في بغداد واعتنقوا المسيحية في استانبول والمجوسية في بلاد الفرس. وقد لعب الضباط والجنود الخزر دوراً هامّاً في القصر الإمبراطوري البيزنطي. كما كان بعض الأباطرة يشتركون في بعض مراسيم الأعياد بالزي القومي للخزر. وإن كنا نعرف عن ملوك الخزر أسماءهم ابتداء من بولان وحتى يوسف فإن تواريخ حكمهم مجهولة. ومن حكامهم اوبجا بن بولان وابن هذا حذقيا ومناحه ابن هذا الأخير. أما هانوكا فهو الابن الأصغر لمناحه. ويوسف (جوزيف) الحاكم الأخير هو ابن هارون (آرون) الثاني. وقد تقلصت دولة الخزر بعد هذا إلى شكل إمارة صغيرة حكمت قسماً من القرم وشمال بحر ازاق وسواحله الشمالية واستمرت حتى نهاية القرن الحادي عشر. وانضم الخزر بعد هذا التاريخ إلى سائر الزمر التركية مثل القبجاق والبجنك والأوغوز. في حين استمروا يحكمون مدينة أتيل. وقد فتح سوبيدي نويان مدينة اتيل وأسست بالقرب منها بعد ذلك مدينة سراي التي أصبحت فيما بعد عاصمة لإمبراطورية التون ـ أوردي. ولم يعثر على أي قبر من قبور حكام الخزر ولاشك أنها ستسلط الأضواء على الكثير من المعلومات حول هؤلاء إذا تم العثور عليها.

الجدول ١٢: الخزر

١	بولان	٦٢٠؟ -	٨	مناشه الثاني	
٢	أوباجا		٩	نيسي	
٣	حذقيا		١٠	هارون الأول	
٤	مناشة الأول		١١	مناحيم	
٥	هانوكا		١٢	بنيامين	
٦	إسحاق		١٣	هارون الثاني	؟ - ٩٣١
٧	سابولون		١٤	يوسف	٩٣١ - ٩٦٥ = ٣٤

٤ - المجـــر

منشأ المجر

كان المجر من أقوام الفين القاطنة في السفوح الغربية لجبال أورال الوسطى على خط عرض ٥٨ درجة شمالاً. ويرتبطون بصلات القرابة مع قبائل الفوكول والفوتياك القاطنة حاليّاً في سيبريا الغربية الآخذة بالانقراض. وقد عاش المجر تحت سيادة جيرانهم الأوغور الأتراك متأثرين بالحضارة التركية المتمثلة بتطبعهم بالفروسية. ويجدر بنا أن نتذكر أن الفروسية كانت نادرة لدى أقوام الفين باستثناء المجر. وقد ساعدت هذه الصفة قوم المجر على دخول التاريخ الأوربي من أوسع أبوابه. في حين كانت أقوام الفين الأخرى وعلى رأسها الفنلنديون قد اعتادوا على العيش تحت حماية وسيادة الأقوام الأخرى (تأسست فنلندا في عام ١٩١٨).

وقد كان المجر فرساناً عندما انضموا إلى إمبراطورية الهون الأوربية. وهاجروا إلى الجنوب الغربي شأنهم في ذلك شأن الأتراك إلى أن وصلوا إلى أقاليم قازان وسيمبرسك (أوليا نوفسك) وبنزا وتامبوف وساراتوف في إقليم برم. وعندما انقرضت إمبراطورية الهون الأوربية في أواسط القرن الخامس انتقل هؤلاء من سواحل الفولجا إلى سواحل الدون وعاشوا فيها

قرابة أربعة قرون حتى القرن التاسع خاضعين لأتراك الخزر. وقد اضطر المجر إزاء ضغط البجنك في القرن التاسع عشر إلى الالتجاء إلى باساربيا مجتازين نهر الدونتز والدنيبر وبوغ والدنيستر والرحيل من هناك إلى مولدافيا مجتازين بروت. كان المجر يتكلمون المجرية (إحدى لهجات الفين) على الأغلب والتركية على نطاق ضيق إلا أنهم كانوا متطبعين بالثقافة التركية فأصبحوا بذلك ركناً هامّاً من أركان هذه الثقافة كما كانوا يدينون مثل الأتراك بالديانة الشامانية.

والمجر على حد تعبير المؤرخ المجري اكهارت كانوا يتبعون الدولة التركية الكبرى والكوك تورك عندما كانوا يقطنون المجر الحقيقية أي شمال باشقوردستان الحالية. ثم خضعوا للخزر. إلا أن الخزر كانوا بدورهم خاضعين لإمبراطورية الكوك تورك الممتدة من المحيط الهادي إلى البحر الأسود. وكان الأتراك يسمونهم أون ـ أوغور (القبائل العشر) وقد نمت من هذه التسمية تسميتهم باسم هونغوريوس بالفرنسية وأونغار بالألمانية واونغري باللاتينية وونغر بالروسية.

كان المجر يجيدون لغة الكوك تورك ويتقنون الكتابة بها. وقد استعملوا هذه الكتابة حتى في وطنهم الحالي (هنغاريا) وكان هؤلاء يعيشون كقوم ولم ينتقلوا إلى الصفة الدولية إلا بعد استقرارهم في هذا الوطن. وقد كان المجر يتكونون من سبع قبائل أكبرها المجر الذين أسبغوا اسمهم على هذه المجموعة.

التحقت قبيلة قابار التركية التي أنجبت سلالة ارباد بالمجر الذين رحلوا من شمال البحر الأسود وقد نشأت سلالة ارباد من آتيلا وبالتالي من متە وبذلك فقد ارتقت إلى الحكم على رأس المجر.

ويطلق البيزنطيون اسم الترك على المجر الذين تحالفوا مع أتراك البجنك. ولم ينس المجريون اللغة التركية إلا بعد قرن أو قرنين من تأسيسهم دولتهم. وكان ملوك المجر يسمون في القرن الثاني عشر باسمين الأول مجري والثاني تركي.

عاش المجر ردحاً من الزمن في قفقاسيا الشمالية الغربية في سواحل نهر كوبان. وقد ارتحل قسم منهم إلى كرجستان (جورجيا) في الجنوب جبال القفقاس. وقد نزل المجر أو القبائل المجرية التركية السبع على وجه أصح في عام ٨٣٠ إلى ليوديا وشمال بحر ازاق بين نهري الدون والدنيبر. وارتحلوا منها في عام .٨٨٩ وقد أعلن هؤلاء ارباد ابن الموس خاقاناً برفعه على درع بموجب التقاليد التركية. ورحلوا بقيادة مليكهم إلى سهل المجر.

المجر المؤسسون للدولة في سهل المجر

عندما وصل المجر إلى بلاد المجر كان يعيش فيها الألمان البافاريون (في الشمال الغربي) البقية الباقية من أتراك الأوار والسلوفاك. ويماثل استيطان المجر لهذه البلاد وجعلهم منها وطناً ثابتاً استيطان الأتراك بعد قرابة القرنين للأناضول. وقد أدى هذا الاستيطان إلى عزل السلوفاك الجنوبيين عن الشماليين وبذر جذور الحق والشقاق بينهم وبين هؤلاء.

وقد اعتنق الأتراك الأوار هنا المسيحية إلا قسماً منهم استمروا على دينهم الشاماني في حين كان المجر كقوم فاتح يدينون بالشامانية برمتهم. وقد أدى ظهور دولة هذا القوم المجهول في أوربا مجاورة لإمبراطورتي الشرق (البيزنطيين) والغرب (ألمانيا) إلى الإخلال بميزان القوى في المنطقة.

اتخذ المجر سهل المجر قاعدة للإغارة على أوربا مقتدين بمن سبقهم كآتيلا وبايان خان. فوطأت أقدام خيل المجر مقاطعات فرنسا الجنوبية الشرقية وأواسط شرقها كبرغونيا وبروفينس مما أدى إلى شعور البيزنطيين والألمان بالندم لطلبهم مساعدة هؤلاء ضد البلغار بالنسبة لأولهم والسلوفاك بالنسبة لثانيهم. إلا أن المجر لم يفلحوا في خططهم الرامية إلى القضاء على دولة المجر التي كانت تستند إلى تأييد أتراك البجنك. فقد دفع هؤلاء بالمجر بعيداً إلى الشمال من جبال كاربات.

قام المجر في القرن العاشر بعشرين غارة على ألمانيا وسبع غارات على إيطاليا وأربع غارات على فرنسا وتسع غارات على البيزنطيين وبغارة واحدة على كل من هولندا وإسبانيا. كما كان المجر بعد اعتناقهم المسيحية في القرن الحادي عشر يحاكون الأتراك في إطاعة ملوكهم والاستقلال بأمورهم فيما يخص القبائل ويهددون أمن أوربا واستقرارها. فقد أغاروا على ميناء بريمن في عام ٩١٨ وعلى مدينة بافيا أهم مدن إيطاليا الشمالية (لومبارديا) بكنائسها الأربعة والأربعين في عام ٩٢٤. ونهبوا بافاريا والالزاس واللورين وبيكارديا ومدن شمال ووسط إيطاليا حتى روما في عام ٩٢٦. كما اندحرت أوستمارك (مارك الشرقية والتي استمدت النمسا اسمها منها) والتي أسسها شارلمان لحماية الخطوط الشرقية لإمبراطوريته أمام المجر. كما عمد ملك ألمانيا هنريخ الأول في عام ٩٢٤ إلى دفع إتاوة معينة لوقف الغزو المجري.

درس هنريخ الأول مؤسس السلالة السكسونية فنون الحرب التركية وأسس جيشاً راكباً عمل على تقويته مدة تسعة أعوام وبعد أن تمكن من هذا قطع الضريبة عن المجريين الذين اجتاحوا سكسونيا إلا أنهم اندحروا أمام الألمان في معركة مرسبورغ التي جرت عام ٩٣٣. كما أباد الإمبراطور اوتو ابن هنريخ الأول الجيش المجري الذي اجتاح بافاريا في معركة أوكسبورغ وأسر قادته وأعدمهم في عام ٩٥٥ فعاد ميزان القوى إلى سابقه بين الألمان والمجريين.

أحيت سلالة بابنبرغ الماركية النمساوية (اوسترايخ). وقد أصبح سادة هذه السلالة التي حكمت النمسا قبل سلالة هابسبريغ محافظي الحدود الألمانية إزاء المجريين. وقد تزوج الملك ستيفان أثناء ولايته للعهد بشقيقة هنريخ الثاني وبذلك دخلت المجرية في الجامعة الكاثوليكية. وقد تقلد ستيفان في عام ١٠٠٠ التاج المرسل من قبل البابا وانفصل المجريون بذلك عن الأتراك بشكل حاسم.

وكان المجريون يطلقون على ملوكهم لقب كيرالي السلافية وقد دخلت هذه اللفظة إلى التركية في القرن السادس عشر على شكل قرال (الملك).

دامت دولة المجر ستة قرون في أوربا كدولة كبيرة متنفذة إلى أن فتح الأتراك هذه البلاد في عام ١٥٢٦، وكانت دولة المجر تضم بالإضافة إلى المجر الحالية مقاطعتي ترنسلفانيا (اردل) وتمشفار في روما والنصف الشمالي من يوغسلافيا الحالية (فويفودينا، بلغراد، كرواتيا، سلوفنيا، دالماجيا، البوسنه، الهرسك، سلافونيا)، وجبال كاربات السلوفاكية والأوكرانية في الشمال. كما أخضعت مولدافيا ورومانيا والصرب ردحاً من الزمن.

دخل هذا القوم كقوم فاتح ومؤسس لدولة، مسرح التاريخ بفضل سلالة ارباد. ويرى عالم الأجناس المجري جيروف ستيفان أن المجر الحاليين يتكونون بنسب ٨٠٪ من الأتراك و٢٠٪ من المجر والسلاف والجرمان وسائر الأقوام. كما يفيد المؤرخ واللغوي نيمث غيولا أن سبع قبائل من القبائل التسع المؤسسة لدولة المجر هي من الأتراك. وقد كان هناك مسلمون أتراك بين المجريين عند دخولهم سهل المجر وبالرغم من أن المجريين الذين اعتنقوا المسيحية اضطهدوا المسلمين فإنهم لم يفلحوا في إجبارهم على اعتناق المسيحية إلا في القرن الخامس عشر. كما كان هناك قرويون يتقنون التركية ويتلون أدعيتهم في الكنائس باللغة التركية حتى مطلع القرن التاسع عشر. ويمكن القول بأن الطابع التركي لازال محتفظاً بأثره على المجريين.

سـلالة ارباد

كانت سلالة ارباد تدين بالشامانية ١١١ عاماً (٨٨٩ ـ ١٠٠٠)، وقد اعتنقت هذه السلالة الحاكمة المجرية المذهب الكاثوليكي ثلاثة وتسعين ومائتي عام (١٠٠٠ ـ ١٠٣٨ و ١٠٤٦ ـ ١٣٠١). فإذا أضفنا إلى هذا حكم

ملكين من أصهار الارباد ثمانية أعوام (١٠٣٨ ـ ١٠٤٦) يكون حكمها قد دام اثني عشر وأربعمائة عام. وقد كان الارباد على رأس المجر حتى قبل عام ٨٨٩ إلا أن هؤلاء لم يكونوا قد توغلوا بعد في بلاد المجر، وقد حكم آنذاك آلموس (الموش) والد ارباد وأوكياك (اميسه) جده، وقد حكم بعد ارباد ابنه زولتان ثم فاليكس ابن الأمير جوتوكسا ابن ارباد، ثم تاكسوني ابن زولتان فابنه كزا فابنه سزنت استيفان. وقد اعتنق استيفان (اسمه الحقيقي فاجك) المذهب الكاثوليكي بعد ثلاثة أعوام من حكمه ورقى إلى مرتبة القديسين من قبل البابا في عام ١٠٨٣ بعد خمسة وأربعين عاماً من وفاته. وقد أعقب سزنت استيفان ابن أخته بيتر ابن دوق فينيسيا ثم صهره صاموئيل. وبعد ذلك ارتقى إلى العرش اندراس وبيلا ابنا فازسولي ابن عم استيفان، ثم سالامون ابن اندراس، ثم ابنا بيلا كزا وسزنت (١١٩٢).

تزوجت بيروسكا ابنة سزنت لاسلو بالإمبراطور ليوانيس الثاني فأصبحت إمبراطورة البيزنطيين. وقد تعاقب على العرش كالمان ابن كزا فابنه استيفان الثاني والابن الأصغر للماك كزا، وبيلا الثاني ابن الأمير آلموس و كزا الثاني ابن بيلا الثاني واستيفان الثالث ولاسلو الثاني واستيفان الرابع ابنا بيلا الثاني وبيلا الثالث ابن كزا الثاني وأمرة ابن بيلا الثالث ولاسلو الثالث ابن امرة واندراس الثاني ابن بيلا الثالث. وكانت والدة اندراس الثاني من سلالة جابيت الفرنسية، من أعرق السلالات الأوربية والمسيحية. ويشتهر اندراس الثاني بقيادته للحروب الصليبية الخامسة في عام .١٢١٧ وقد تزوجت شقيقته ماركيت بالإمبراطور البيزنطي إيساكيوس الثاني.

وقد تعاقب على الحكم بعد ذلك بيلا الرابع فابنه استيفان الخامس فابنه لاسلو الرابع، وكانت والدة الأخير أميرة تركية من فخذ الكومان وكان هذا يلقب باسم كون لتزينه بالزيّ التركي وميله للشامانية. وقد تزوج هذا

الملك بأميرة كومانية. وقد أعقبه على العرش اندراس الثالث وبحكمه انتهى حكم هذه السلالة فقد خلفه فاجلاف الثالث ملك بوهيميا وبذلك حلت سلالة سلافية محل سلالة ارباد التركية وهي سلالة يريمسيل الجيكية. وبعد أن حكمت هذه السلالة أربعة أعوام أصبح اوتو من سلالة ويتلسبرغ الألمانية (البافارية) ملكاً لثلاثة أعوام وأعقبته سلالة جابيت ـ آنجو المجرية الفرنسية مدة سبعة وثمانين عاماً ثم سلالة لوكسمبورغ الألمانية مدة اثنين وأربعين عاماً.

الجدول ١٣: الارباد

١	ارباد	٨٨٩ ـ ٩٠٧ = ١٨	١٥	استفان الثاني	١١١٦ ـ ١١٣١ = ١٥
٢	زولتان	٩٠٧ ـ ٩٤٥ = ٣٨	١٦	بيلا الثاني	١١٣١ ـ ١١٤١ = ١٠
٣	فاليكس	٩٤٥ ـ ٩٥٠ = ٥	١٧	كزا الثاني	١١٤١ ـ ١١٦١ = ٢٠
٤	تاكسوني	٩٥٠ ـ ٩٧٠ = ٢٠	١٨	استيفان الثالث	١١٦١ ـ ١١٧٢ = ١١
٥	كزا الأول	٩٧٠ ـ ٩٩٧ = ٢٧	١٩	لاسو الثاني	١١٦٢ ـ ١١٦٣ = ١
٦	استيفان الأول	٩٩٧ ـ ١٠٣٨ = ٤١	٢٠	استيفان الرابع	١١٦٣
٧	بيتر	١٠٣٨ ـ ١٠٤١ = ٣+ ١٠٤٤ ـ ١٠٤٦=٢= ٥	٢١	بيلا الثالث	١١٧٢ ـ ١١٦٩ = ٢٤
٨	اباصاموئيل	١٠٤١ ـ ١٠٤٤ = ٣	٢٢	امره	١١٩٦ ـ ١٢٠٤ = ٨
٩	اندراس الأول	١٠٤٦ ـ ١٠٦٠ = ١٤	٢٣	لاسو الثالث	١٢٠٤ ـ ١٢٠٥ = ١
١٠	بيلا الأول	١٠٦٠ ـ ١٠٦٣ = ٣	٢٤	اندراس الثاني	١٢٠٥ ـ ١٢٣٥ = ٣٠
١١	سلامون	١٠٦٣ ـ ١٠٧٤ = ١١	٢٥	بيلا الرابع	١٢٣٥ ـ ١٢٧٠ = ٣٥
١٢	كزا الأول	١٠٧٤ ـ ١٠٧٧ = ٣	٢٦	استيفان الخامس	١٢٧٠ ـ ١٢٧٢ = ٢
١٣	لاسو الأول	١٠٧٧ ـ ١٠٩٥ = ١٨	٢٧	لاسو الرابع (كون)	١٢٧٢ ـ ١٢٩٠ = ١٨
١٤	كالمان	١٠٩٥ ـ ١١١٦ = ٢١	٢٨	اندراس الثالث	١٢٩٠ ـ ١٣٠١ = ١١

ووالد ارباد هو اوكياك (اميسه) وجد جده جسابا من أبناء آتيلا وبذلك يعتبر ارباد الحفيد الرابع والعشرين للإمبراطور مته (أوغوز خان) ويؤيد صحة هذه النظرية كبار المؤرخين أمثال ف. هيرث (الألماني) و ر. رادلوف (الروسي من أصل ألماني) و ج. أ. بوري (الإنجليزي) وف. أ. كراوسه (الألماني).

والجدير بالذكر أن بيلا الثالث (تسلسل ٢١ أعلاه) قد عاش أحد عشر عما من ١١٦١ إلى ١١٧٢ ضيفاً على الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية.

حكمت هذه البلاد سلالات عديدة ابتداء من سلالة ارباد التي حكمتها خلفاً لأتراك الأوار وهذه السلالات هي:

١	سلالة ارباد (تركية) (٢٦ ملك منهم خمسة يدينون بالشامية	٨٨٩ ـ ١٠٣٨+ ١٠٤٦ ـ ١٣٠١= ٤٠٤
٢	سلالة اورسولو (إيطالية) (١ ملك)	١٠٣٨ ـ ١٠٤١+ ١٠٤٤ ـ ١٠٤٦ = ٥
٣	سلالة ابا صاموئيل (مجرية) (١ ملك)	١٤٠١ ـ ١٠٤٤ = ٣
٤	سلالة بريمسل (جيكية) (١ ملك)	١٣٠١ ـ ١٣٠٥ = ٤
٥	سلالة ويتلسبرغ (ألمانية) (١ ملك)	١٣٠٥ ـ ١٣٠٨ = ٣
٦	سلالة جابيت ـ آنجو المجرية (فرنسية) (٤ ملك)	١٣٠٨ ـ ١٣٩٥ = ٨٧
٧	سلالة لوكسمبرغ (ألمانية) (١ ملك)	١٣٩٥ ـ ١٤٣٧ = ٤٢
٨	سلالة هابسبرغ (ألمانية) (١٣ ملك)	١٤٣٧ ـ ١٤٣٩= ٢+ ١٤٥٢ ـ ١٤٥٧= ٥+ ١٦٨٦ ـ ١٩٤٤= ٢٥٨= ٢٦٥
٩	سلالة جاكيلون (لتوانيا) (٣ ملك)	١٤٣٩ ـ ١٤٤٤= ٥+ ١٤٩٠ ـ ١٥٢٦= ٣٦= ٤١
١٠	سلالة هونيادي (رومانية) (٢ ملك)	١٤٤٤ ـ ١٤٥٢ = ٨ + ١٤٥٧ ـ ١٤٩٠= ٣٣= ٤١
١١	سلالة زابوليائي (مجرية) (١ ملك)	١٥٢٦ ـ ١٥٤٠= ١٤ تابعا للسلطان سليمان القانوني
١٢	السلالة العثمانية (تركية) (١٠ سلطان)	١٥٤٠ ـ ١٦٨٦ = ١٤٦

٥ ـ الأوغوز OGUZ

ستتطرق بالبحث إلى الأوغوز في أوربا الشرقية عند بحثنا للسلاجقة.

٦ ـ البجنك

منشأ البجنك

ينتسب البجنك إلى زمرة الأوغوز من الأتراك ويشكلون قبيلة واحدة من الاثنتي عشرة قبيلة المكونة لجناح أوج أوق (السهام الثلاثة) من الأغوز. ونظراً لتجنيد خمسة آلاف جندي منهم في عهد الكوك تورك فإن عددهم كان ما يقارب خمسين ألف نسمة تقريباً. وقد تكاثر عددهم فيما بعد وانضمت إليهم كتل تركية أخرى، فتضاعف عددهم حتى بلغ الملايين. وفي عام ٧٥١ أخرج القارلوق الأتراك هؤلاء من إقليم بحيرة بالقاش الذي كانوا يعيشون فيه فرحلوا إلى شمال شرق بحيرة آرال. وقد اضطر البجنك الذين زحفوا إلى السواحل الشمالية الشرقية لبحر الخزر بعد ذلك إلى الهجرة منها تحت ضغط الأوغوز إلى سواحل نهر ايتيل (اورال) وسكنوا بعد أن اجتازوا النهر في جنوب نهر قاما أحد فروع نهر يايق (الفولجا) في حوض نهر سامار من ايتيل وذلك في عام ٨٨٩. إلا أنهم لم يستطيعوا البقاء هنا طويلاً فارتحلوا إلى سواحل نهر تن (الدون).

قويت شوكة البجنك بعد أن سكنوا إقليم اتلكوز بين نهري الدون والدونتز. فسيطروا على شمال بحر آزاق وعبروا أنهر الدنيبر وبوغ والدنيستر وبروت إلى أن وصلوا جبال كاربات. عمل البجنك على تأسيس اتحاد قوي يضم القبائل التركية في عام ٩٥٠ بعد أن كانوا خاضعين لدولة الخزر ثم أسسوا دولتهم العظمى في أوربا الشرقية بين نهر أورال وجبال كاربات نحو عام ١٠٠٠.

البجنك في أدوارهم العظمى

واجه البجنك الذين تسببوا في هجرة المجريين إلى المجر الحالية، الروس الذين كانوا من فصيلة الأقوام الاسكندنافية آنذاك قبل انصهارهم في البوتقة السلافية. فقد أباد البجنك الجيش الروسي الذي كان يقوده الأمير سفياتوسلاف في ربيع عام ٩٧٢ في سواحل الدنيبر. تحالف الروس بعد اعتناقهم للمسيحية مع البيزنطيين في عام ٩٨٥. إلا أن البجنك كانوا في هذه الآونة قد اضطروا إلى الرحيل إلى غرب البحر الأسود تحت وطأة ازدياد ضغط الأوغوز والكومان عليهم.

عبر البجنك نهر الدانوب لأول مرة في عام ١٠٢٠ واتبع البيزنطيون آنذاك نفس سياسة البلغار والمجريين في اتخاذ البجنك درعاً واقياً لهم ضد أعدائهم. إلا أن هجمات البجنك أصبحت تشكل خطورة فائقة بالنسبة للبيزنطيين ابتداء من عام ١٠٣٥. فقد هجم هؤلاء ثلاث مرات على أقاليم البيزنطيين في عام ١٠٣٦ وأعادوا الكرة في عام ١٠٤٨ إلا أن قسماً منهم استقر في أنحاء سليستره في عام ١٠٤٩ وأصبحوا رعايا مسيحيين للإمبراطورية الرومانية. أما القسم الأكبر من البجنك فقد دحروا الجيش البيزنطي في معركة بياكنه ونهبوا تراقيا كما حاصروا مدينة أدرنة، إلا أن الحصار لم يستمر بسبب وفاة حاكمهم سلجه خان فانسحبوا من المنطقة عائدين إلى ديارهم.

وقد وصل البجنك في عام ١٠٥٠ إلى سواحل البسفور واندحر الجيش البيزنطي أمامهم في معركة جرت عام ١٠٥٣ وعقدت على أثرها معاهدة طال أمدها ثلاثين عاما. وقد نقض البجنك الهدنة عندما ترامى إليهم نبأ إغارة السلاجقة على البيزنطيين فعادوا يواصلون غاراتهم.

دحر البجنك خصومهم الأوغوز في مورا وسلانيك في عام ١٠٦٤ فاضطر هؤلاء تحت وطأة المجاعة والأوباء وضربات البجنك إلى الالتجاء إلى البيزنطيين والاستقرار في استانبول ومقدونيا والأناضول في حين بقي

قسم منهم في دوبروجه. والجدير بالذكر أن من يسمون بزمرة كاكاوز الآن ينتسبون إلى هذا الفرع.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن المرتزقة من البجنك في جيش البيزنطيين انضموا مع زملائهم من الأغوز إلى جيش السلطان آلب ـ أرسلان السلجوقي في معركة مالازكيرت التي دارت رحاها عام ١٠٧١ فساعدوا بذلك على تحقيق النصر النهائي للجيش التركي. وبعد ذلك لم يستطيع البيزنطيون الصمود أمام الضربات اللاحقة التي انزلها البجنك بهم في البلقان، فقد حاصر هؤلاء مدينة أدرنة في عام ١٠٧٨ بعد ثمانية وعشرين عاماً من حصارهم الأول، إلا أنهم لم يفلحوا ثانية في فتح المدينة. ولم يستطع الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس الذي قارع البجنك طيلة عشرة أعوام (١٠٨١ ـ ١٠٩١) أن يحصل على نتيجة تذكر.

ساعد البجنك في إشعال فتيل الاضطرابات لدى نشوب تمرد أنصار مذهب بوغوميل في عام ١٠٨٦ والذي أحدث الكثير من الشقاق بين صفوف الإمبراطورية البيزنطية. كما ساعد هؤلاء ملك المجر سولومون عند اجتياحه البلقان ضد البيزنطيين و أغاروا على لوله بورغاز في عام ١٠٨٧ ولكن البيزنطيين تصدروا لهم وردوهم على أعقابهم. إلا أن هذا لم يمنع هؤلاء من إبادة جيش بيزنطي في حزيران من عام ١٠٨٧ بالقرب من سليسترة.

نهب البجنك تراقيا مجدداً في عامي ١٠٨٨ و ١٠٨٩ ولما كان البيزنطيون مهددين آنذاك في نفس الوقت من قبل الحاكم التركي السلطان قليج أرسلان الأول وتابعه حاكم أزمير جاقا قد عمد هؤلاء إلى طلب النجدة من الأوربيين ونظمت على أثر ذلك الحملة الصليبية الأولى.

انقراض البجنك

اتفق البجنك وجاقا بك على الانقضاض على استانبول في نيسان من عام ١٠٩١. إلا أن البيزنطيين استفادوا من تأخر الأخير وأجهزوا على جيش

البجنك بالتعاون مع الكومان ألد أعداء هؤلاء وذلك في معركة جرت في لبونيوم على ساحل مريج في ٢٩ نيسان ١٠٩١. ولم يستطع البجنك لم شعثهم بعد هذه الهزيمة، إلا أن كتلاً صغيرة من البجنك أغارت على الأقاليم البيزنطية في البلقان ست مرات في الأعوام ١١٢٢ ـ ١١٥٢ ـ ١١٥٤ ـ ١١٦١ ـ ١١٧١ ـ ١١٩٧. وانقرض البجنك نهائياً بعد القرن الثاني عشر كدولة ذات سيادة.

لم يستقر البجنك في بقعة معينة بالرغم من سيطرتهم على أوربا الشرقية طيلة ثلاثة قرون ويرجع هذا إلى عدم وجود خاقان تركي من النسل الخاقاني التركي على رأسهم طبقاً للتقاليد التركية المرعية.

استعمل البجنك القباء الكوك تورك في أوربا بعد انفصالهم من الكوك تورك، ولا زالت هناك أسماء تركية مختلفة من عهد البجنك في أوكرانيا والمجر ورومانيا والبلقان والأناضول حتى يومنا هذا.

الجدول ١٤: البجنك

١	كيلتر اوغلو دوراق خان	١٠٤٠ ـ ١٠٤٨ = ٨	٣	سلجه خان	١٠٤٩ ـ ١٠٥٠ = ١
٢	بالجار اوغلوكه كن خان	١٠٤٨ ـ ١٠٤٩ = ١	٤	جلكو خان	١٠٥٠ ـ ١٠٩١ = ٤١

٧ ـ الكومان والقبجاق ـ Kuman - Kipcak

سنأتي على ذكر الكومان والقبجاق في فصل التون عند بحثنا لموضوع المغول.

٨ ـ البلغار ـ Bulgar

أ ـ بلغار الفولجا (٧٧٧٠ ـ ١٤٠٠)

سنتطرق بالبحث إلى بلغار الفولجا في مطلع الفصل الخاص بالتون أوردي.

هجرة البلغار إلى سواحل الدانوب

كان بلغار الدانوب يعيشون جنباً إلى جنب مع أتراك الفولجا إلا أنهم اضطروا تحت تأثير ضغط الخزر إلى الهجرة مع قبائل الكوتريغور والاوتريغور (كما جاء في المصادر الرومانية وأسمائها التركية الحقيقية الكوتورغور والاوتورغور) ومتحدين معها بفضل قيادة كوبرات (قورت) خان في عام ٥٨٤ إلى سهل المجر تحت اسم البلغار وقد أخضع كوبرات (قورت) خان من أحفاد ايرنك بن آتيلا البلغار الساكنين بين نهري تورلا (الدينستر) أوزو (الدنيبر) فامتدت رقعة دولة الأوار التي حلت محل هون أوربا إلى سواحل الدنيبر شرقاً. وقد حكم أبناء كوبرات خان الثلاثة قبائل البلغار الثلاث، فقد كان ابنه الأكبر بايان (باتا بايان) خان خاضعاً لدولة الخزر. أما ابنه الثاني قوتراغ خان فقد هاجر إلى الشمال ولم شعث بلغار الفولجا. والمعتقد أن حكم بلغار الفولجا ينتسبون إليه. أما الابن الثالث آسباروخ (اسبريه) خان فقد تولى قيادة بلغار الدانوب. وقد استقرت كتلة البلغار التي كان يقودها بايان خان في قفقاسيا الشمالية خاضعة للخزر وظهرت إلى الوجود بذلك زمرة قاره ـ بلغار (البلغار السود).

أما البلغار الخاضعون لاسبريه خان فقد اجتازوا شمال الدانوب واستقروا هناك بمساعدة الإمبراطورية البيزنطية تحت ضغط الخزر المتزايد عليهم. وقد وضع بلغار الدانوب في عام ٦٥٩ أسس الإمبراطورية في دلتا الدانوب وما جاوره من المناطق ولم يعرهم البيزنطيون الذين كانوا مشغولين بالصراع مع العرب أهمية كبرى. وكان من تأثير ذلك أن الجيش البيزنطي الذي سار على البلغار في عام ٦٧٩ مني بخسارة فادحة أمامهم وسيطروا البلغار نتيجة لذلك على النصف الشمالي من بلغاريا الحالية أي المساحات الواقعة بين جبال البلقان ونهر الدانوب.

الإمبراطورية البلغارية والبيزنطيون

نافس أتراك البلغار الدولة المسيحية الكبرى (الإمبراطورية البيزنطية) على سيادة منطقة البلقان. وقد التجأ الإمبراطور جوستنيان الثاني بعد عزله إلى خاقان الخزر ثم استضافه ترفل ابن اسبريه حاكم البلغار وساعده على الرجوع إلى بيزنطيا وارتقاء العرش مجدداً. وقويت شوكة الأتراك وبلغت درجة مكنتهم من التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الإمبراطورية العظمى. وقد اعترف الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث بموجب معاهدة عام ٧١٦ بدولة البلغار وحدودها وتلقى البيزنطيون عون البلغار في إبعاد الجيوش العربية عن استانبول بعد حصارها في ٧١٧ ـ ٧١٨.

أعقب ترفل خان على العرش ابنه توفيرم خان فابنه سفر خان ثم انتقل الحكم في عام ٧٣٩ إلى سلالة كورميسوش من سلالة أوكيل. وقد أعقب قورومش (كورميوش) خان ابنه فيناخ خان وبعد ذلك انتقل العرش إلى تلتز خان من سلطة أوكن الثالثة فابن أخته سابين فأخيه أومور خان (السلالة الرابعة). أما السلالة الخامسة فقد جاءت إلى الحكم بارتقاء توقتي خان للعرش في ٧٦٤ الذي وضع أسس حكم سلالته الذي دام ثمانية ومائتي عام مع شقيقه بايان. وقد خلف توقتي خان، باغان خان ثم تلريغ خان فابنه قاردم خان فابنه قوروم خان.

وعند انقراض دولة الأوار في سهل المجر وما جاوره تبع الأتراك دولة البلغار فأضفوا عليها الكثير من القوة إزاء البيزنطيون. وقد توجس البيزنطيون خيفة من ازدياد قوة البلغار فسير الإمبراطور نيكفور الأول جيشاً جراراً عليهم إلا أن البلغار أبادوا هذا الجيش عن بكرة أبيه في معركة دارت رحاها في مدخل مضيق فربيشكي في عام ٨١١ ونال قوروم خان شهرة واسعة. وقد زحف قوروم خان بعد هذا النصر بجيشه إلى استانبول فحاصرها إلا أنه لم يفلح بسبب وفاته المفاجئة في ١٣ نيسان ٨٠٣.

وبعد وفاة هذا الحاكم خلفه ابنه أومورتاغ خان فعقد الصلح مع

البيزنطيين وأصبحت الدولة تضم في عهده الأقاليم الواقعة في شرق تيسا وجنوب ماروس أي بانات وترانسلفانيا الجنوبية وافلاك (رومانيا الجنوبية) ودوبروجه وبلغاريا الحالية برمتها. وكانت تمتد غرباً إلى نهر مورافا وصربيا وإلى مقدونيا في الجنوب الغربي. وبذلك أصبحت أكبر دول أوربا بعد الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية العربية في الأندلس. وقد أسس أومورتاغ خان بعد معاهدة الصلح التي عقدها مع البيزنطيين والتي كان أمدها ثلاثين عاماً علاقات وثيقة مع حكام أوربا حتى فرنسا. وكانت العاصمة مدينة بليسكا بالقرب من قرية أبابا الحالية بجوار شومنو ونقلت في ٨٠٩ إلى صوفيا.

البلغار يصبحون سلافيين

خلف أومورتاغ خان على العرش ابنه مالامير (بالامير) خان وفي عهده بدأ تطبع البلغار بالطابع السلافي وأعقب هذا ابنه بريسيان خان وانتشر التبشير المسيحي على عهده في حين كان الحكام البلغار قبل هذا التاريخ يحاربون المسيحية حتى أن مالامير خان قتل أخاه الذي أراد اعتناق المسيحية. بدأت الدولة التي لم تغذ بعناصر تركية جديدة في الانصهار في بوتقة النفوذ السلافي المتكاثر.

أعقب بريسيان خان ابنه بوغوريس (بوريس في السلافية) خان الذي نبذ دين أجداده الشاماني واعتنق المسيحية في عام ٨٦٥. وقد أدى قبوله للمذهب الأرثوذكسي إلى الاعتراف بسلطة بطريرك استانبول الدينية وسمى نفسه ميخائيل. وأدخل رعاياه في المسيحية، وبذلك أصبح المذهب الارثوذكسي سائداً في البلقان. ولم يستطع المذهب الكاثوليكي ولا الثقافة اللاتينية أن تصمد أمام الأرثوذكسية والثقافة البيزنطية لدى البلغار.

وترجم قسيس سلانيكي يسمى قسطنطين (كيريلوس) وشقيقه مثوديوس الإنجيل إلى اللهجة المقدونية السلافية ووضع أسس ألفباء لا زالت تستعمل

من قبل الروس والأوكرانيين والروس البيض، والبلغار والصرب والمقدونيين (السلاف الأرثوذكس). أما الكاثوليك (الكروات والسلوفين والسلوفاك و الجيك و والسواب و والبولونيون) فكانوا يستعملون الألفباء اللاتينية. وأسست أسقفية تابعة للبطريركية البيزنطية في بلغاريا.

وعلى هذه الصورة أصبحت دولة البلغار التركية حتى عام ٨٦٥ دولة مسيحية وأصبح بلغار الدانوب قوماً سلافياً. وتم التطبع في قرن واحد حتى حل عام ١٠٠٠ حيث نسي البلغار لغتهم التركية وظهر إلى الوجود قوم بلغاري جديد.

وقد أعقب بوريس الأول الذي تخلى عن العرش في عام ٨٨٩ وتوفي بعد ثمانية عشر عاماً في ٩٠٧ ابناه فالاديمير خان الأول وسيمون خان الأول. وقد تخلى سيمون في عام ٩٢٣ عن لقب خان التركي وتلقب بعنوان تشار السلافي (القيصر). ويعتبر حكم سيمون الأول العصر الذهبي للإمبراطورية البلغارية وقد حاصر هذا مدينة استانبول في عام ٩١٣ للمرة الثانية وأباد الجيش البيزنطي في ٢٠ آب ٩١٧ قرب بورغار آهيول. وقد امتدت الدولة في عهده إلى بحر اليونان غرباً وانضمت مقدونيا وابير والصرب إلى بلغاريا. كما ضمت إلى الدولة مدن مهمة مثل بلغراد ونيس. إلا أن البلغار أخفقوا في الوصول إلى بحر إيجه في الجنوب. إذ كانت سواحل هذا البحر في أيدي البيزنطيين. وقد تقلد سيمون الأول التاج الذي أرسله البابا وأظهر ارتياحاً لذلك وحاصر استانبول في عام ٩٢٣ إلا أنه لم يفلح في محاولته هذه أيضاً.

وقد بدأ عصر الانحطاط في الأعوام الأخيرة من حكم سيمون الأول. إذ كانت الأقوام التركية في الشمال، المجر والبجنك يهددون البلغار كما كان أمراء الصرب والكروات في الغرب يقارعونهم بالإضافة إلى محاولات البيزنطيين الرامية إلى تدمير بنية الدولة البلغارية.

وقد أعقب سيمون الأول ابنه القيصر بيتر الأول. وكان ابنه بايان قد سمى نفسه باسم بنيامين المسيحي كما كان ابنه الثالث على رأس إمارة

ترنوفا وأوهري. أما ابنته فقد تزوجت بالإمبراطور البيزنطي قسطنطين بورفيروجنتس السابع (٩١٣ ـ ٩٥٩). كما تزوج بيتر الأول بالأميرة البيزنطية ماريا. وقد خلفه ابنه بوريس الثاني فابنه صاموئيل بعد مقتل أبيه وعمه الأمير رومان في عام ٩٧٨ وانقرضت الدولة بعد ذلك.

البيزنطيون يجهزون على دولة البلغار

خضع البلغار للبيزنطيين في عام ٩٧١. وبالرغم من أن البلغار قد أعلنوا استقلالهم ثانية في عام ٩٧٦، فإن الإمبراطورية البيزنطية القوية كانت قادرة آنذاك على دحر القوى المتمردة. والإمبراطور باسيليوس الثاني مشهور بحروبه الكاسحة ضد البلغار حتى أنه لقب بلغاروكتونوس أي مدمر البلغار. وقد خلف القيصر صاموئيل ابنه جبرائيل رودومير رومانوس الذي قتل بعد عامين من حكمه فأعقبه ابن عمه ايوان (آسين) فالديسلاف ابن الأمير مويس. إلا أن دولة البلغار انقرضت بعد عامين بتاريخ ١٠١٨ وأصبحت بلغاريا مقاطعة بيزنطية طيلة سبعة وستين ومائة عام حتى عام ١١٥٨.

إلا أن البيزنطيين لم يهدأوا بالاً فقد بدأ أتراك البجنك بمقارعتهم في البلقان. وقد تحالف باسيليوس الثاني في عام ١٠١٧ مع الملك المجري المسيحي الأول القديس استيفان ضد البجنك. وقد عومل البلغار معاملة سيئة وحدثت مجازر بشعة بينهم. أسس البلغار مجدداً دولة خاصة بهم استمرت خمسة وتسعين عاماً (١١٨٥ ـ ١٢٨٠) حكم في عاصمتها ترنوفا تسعة حكام من سلالة آسن البلغارية السلافية. والحاكم الأول لهذه السلالة هو بطرس الثاني حفيد القيصر سيمون الثامن. وقد حكم الدولة بوريل الذي كان ينتسب إلى السلالة من ناحية أمه احد عشر عاماً. وقد تزوجت ابنة بوريل في عام ١٢١٠ بإمبراطور استانبول اللاتيني هنري الأول. كما تزوجت شقيقه ايوان الثاني بملك الصرب ستيفان الثاني. وقطع البلغار كل صلة لهم مع الأتراك.

وقد فر آخر ملوك السلالة التركية السلافية آسين الثالث تحت ضغط

الأقوام الوافدة من الشمال إلى استانبول في عام ١٢٨٠ وأصبح ترتري من القبجاق الأتراك بذلك ملكاً لبلغاريا. وقد اعتنق هذا الحاكم الذي حكم اثني عشر عاماً المسيحية وكان خاضعاً لحكم آلتون ـ أوردي. وخلفه ابنه سفيتوسلاف وقد تزوجت شقيقة الأخير في عام ١٣٠٠ بأمير ألتون أوردي، جاخان (ابن نوغاي المشهور) ودامت سيادة آلتون أوردي على المملكة ثلاثة وأربعين عاماً.

وبعد هذا التاريخ اعتلى ابن سفيتو سلاف العرش وأعقبه بعد عام واحد ميخائيل شيشمان إلا أنه اندحر في عام ١٣٣٠ في معركة كوستنديل أمام ملك الصرب ستيفان دوشان الكبير فقتل وأعقبه ابن عمه ايوان ألكسندر فابنه شيشمان الثاني وألحقت بلغاريا في ١٧ تموز ١٣٩٣ (بلغاريا الشمالية) بالإمبراطورية العثمانية من قبل السلطان يلدرم بايزيد وبقيت حتى عام ١٩٠٨ ولاية عثمانية. وقد قتل الحاكم الأخير الملك شيشمان الثاني على يد الأتراك وتوفي ولي عهده الأمير ستراسيمير واسلم الأمير ألكسندر وتقلد مناصب عديدة في الإدارة العثمانية إلى أن توفي في عام ١٤١٠.

وقد تأسست في عام ١٨٧٨ الإمارة البلغارية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وتولى الحكم أميران من سلالتي باتنبرغ وساشن ـ كوبرغ اوند غوته الألمانيتين. وانفصلت بلغاريا عن تركيا في عام ١٩٠٨ وبعد الحرب العالمية الثانية أقصى الملك الثالث لسلالة ساشن ـ كوبرغ اوند غوته وأبعد إلى خارج البلاد.

حضارة بلغار الدانوب

تعلمت الأقوام السلافية أسس تشكيل الدولة من بلغار الدانوب الذين أسسوا إمبراطورية بلغارية أصبحت سلافية في القرن العاشر، وكانت من نتائجها سيادة الثقافة السلافية الأرثوذكسية في البلقان.

وتشتهر استحكامات البلغار الحربية التي كانت تمتد مسافة مئات

الكيلو مترات وخنادقهم التي كانت في سعة عشرة أمتار وعرض ثلاثة أمتار. وقد تسمر الجيش البيزنطي أمام هذه الاستحكامات في بسارابيا ودوبروجه وبلغاريا.

وتظهر في آثارهم العمرانية حروف هي من بقايا ألفباء الكوك تورك وأختام تركية. كما كان البلغار يستعملون تقويم الاثني عشر حيواناً التركي. واللهجة التركية التي كانوا يتكلمون بها تشبه لهجة الجواش الأتراك. وتظهر المعتقدات التركية في إحدى الكتابات البلغارية التي يأتي فيها على لسان ترفل خان: الحاكم الذي أرسله الإله ليحكم البلغار. كما تشير وثيقة أخرى إلى فتح أدرنة من قبل قورومش خان.

وكان يلي الخان في مجتمع البلغار النبلاء الذين كانوا يسمون بويلار (بويار)، وكانوا يتقلدون مناصب حساسة في إدارة الدولة. كما كان البلغار يستعملون كسائر القبائل التركية الأعلام المصنوعة من ذيول الخيل والتي كانت ترفع فوق الرماح. واكتشفت في الحفريات التي جرت في بليسكا آثار عمرانية واستحكامات وقلاع ترجع للبلغار. وكانت جدران القلاع مبنية من الصخور الكبيرة بقياس ١,٥ × ٠,٦ متر. كما وضعت تماثيل أسود على أبواب القلاع. وكانت مساحة كل قلعة نصف كيلو متر يتوسطها قصر الملك (قاعة كبرى مساحتها ٣١ × ١٢ = ٣٧٢ متر مربع، وباحة واسعة مساحتها ٢٢ × ٢٢ = ٤٤٤ متر مربع). أما ارتفاع الجدران فكان ٢,٦ متر وعرضها ٢,٢ متر. وساحة القصر بأكمله ٥٦ × ٢٥,٥ = ١,٤٢٨ متر مربع.

الجدول ١٦: بلغار الدانوب (بلغاريا)

آ ـ سلالة دولو DULO (584- 739 = 155)					
١	كوبرات (قورت) خان	٥٨٤ ـ ٦٤٢ = ٥٨	٤	ترفل خان	٧٠١ ـ ٧١٨ = ١٧
٢	بايان (باتا بايان) خان	٦٤٢ ـ ٦٥٩ = ١٧	٥	توفيرم خان	٧١٨ ـ ٧٢٤ = ٦
٣	آسبروخ (أسبريخ) خان	٦٥٩ ـ ٧٠١ = ٤٢ أول إمبراطور بلغاري	٦	سفر خان	٧٢٤ ـ ٧٣٩ = ١٥
ب ـ سلالة أوكيل UKIL (739 - 761 = 22)					
٧	قورمش خان	٧٣٩ ـ ٧٥٦ = ١٧	٨	فينخ خان	٧٥٦ ـ ٧٦١ = ٥
ج ـ سلالة أوكن UGEN					
٩	تلتز خان	٧٦١ ـ ٧٦٤ = ٣			
د ـ السلالة الإمبراطورية (٧٦٤ ـ ٧٦٦ = ٢)					
١٠	سابين خان	٧٦٤ ـ ٧٦٦ = ٢			
هـ ـ السلالة الإمبراطورية (٧٦٤ ـ ٩٧٢ = ٢٠٨)					
١١	توقتي خان	٧٦٤ ـ ٧٦٧ = ٣	١٩	بوغوريس الأول ميخائيل بوغوريس خان	٨٥٢ ـ ٨٨٩ = ٣٧ مسيحي آرثوذكسي: ٨٦٥ (وفاته ٩٠٧)
١٢	باغان خان	٧٦٧ ـ ٧٦٨ = ١	٢٠	فلاديمير خان	٨٨٩ ـ ٨٩٣ = ٤
١٣	تلبريغ خان	٧٦٨ ـ ٧٧٧ = ١١	٢١	سيمون خان الأول (الكبير)	٨٩٣ ـ ٩٢٧ = ٣٤ (٩٣٤ : القيصر)
١٤	قاردم خان	٧٧٧ ـ ٨٠٣ = ٢٦	٢٢	القيصر بيتر الأول	٩٢٧ ـ ٩٦٩ = ٤٢
١٥	قوروم خان	٨٠٣ ـ ٨١٤ = ١١	٢٣	القيصر بوريس الثاني	٩٦٩ ـ ٩٧٢ = ٣ (مقتله: ٩٧٨)
١٦	أومورتاغ خان	٨١٤ ـ ٨٣١ = ١٧	٢٤	القيصر صاموئيل	٩٧٢ ـ ١٠١٤ = ٤٢

١٧	مالامير (بالامير) خان	٨٣١ ـ ٨٣٦ = ٥	٢٥	القيصر جبرائيل رودومير رامانوس	١٠١٤ ـ ١٠١٦ = ٢
١٨	بريسيان خان	٨٣٦ ـ ٨٥٢ = ١٦	٢٦	القيصر أيوان (آسين) فلاديسكاف	١٠١٦ ـ ١٠١٨ = ٢

و ـ أباطرة البيزنطيين (١٠١٨ ـ ١١٨٥ = ١٦٧) (١٩ إمبراطور)

ز ـ سلالة آسين) (95 = 1280 -1185) ASEN من السلالة الخامسة)

٤٦	الملك بيتر الثاني	١١٨٥ ـ ١١٩٠ = ٥	٥١	الملك كاليمان الأول	١٢٤١ ـ ١٢٤٦ = ٥
٤٧	الملك آسين الأول	١١٩٠ ـ ١١٩٥ = ٥	٥٢	الملك ميخائيل	١٢٤٦ ـ ١٢٥٧ = ١١
٤٨	الملك كالويان	١١٩٥ ـ ١٢٠٧ = ١٢	٥٣	الملك كاليمان الثاني	١٢٥٧ ـ ١٢٥٨ = ١
٤٩	الملك بوريل	١٢٠٧ ـ ١٢١٨ = ١١	٥٤	الملك آسين الثالث	١٢٥٨ ـ ١٢٨٠ = ٢٢
٥٠	الملك آسين الثاني	١٢١٨ ـ ١٢٤١ = ٢٣			

ح ـ سلالة كومان ـ قبجاق (43 = 1323 -1280) KUMAN - KIPCAK

٥٥	الملك ترتري	١٢٨٠ ـ ١٢٩٢ = ١٢	٥٦	الملك سفيتو سلاف	١٢٩٢ ـ ١٣٢٢ = ٣٠

ط ـ السلالة الملكية (١٣٢٣ ـ ١٣٩٣ = ٧٠)

٥٧	الملك شيشمان الأول	١٣٢٣ ـ ١٣٣١ = ٧	٥٨	الملك شيشمان الثاني	١٣٦٥ ـ ١٣٩٣ = ٢٨
٥٧ ـ أ	أيوان ألكسندر	١٣٣٠ ـ ١٣٦٥ = ٣٥			

ي ـ العثمانيون (١٣٩٣ ـ ١٩٠٨ = ٥١٥) (٣٣ سلطان)

ك ـ سلالة هاسن ـ باتنبرغ (ألمانية) HASSEN - BATTENBERG (1879- 1886 = 7)

٩٢ ـ الأمير الكسندر (١٨٧٩ ـ ١٨٨٦ = ٧) (خاضعاً للسلطان عبد الحميد الثاني) (١٨٥٧ ـ ١٨٩٣ = ٣٦) (والي روميلي الشرقية من ١٨٨٥)

ل ـ سلالة ساشن ـ كوبرغ ـ اوند ـ كوته (ألمانية) (١٨٨٦ ـ ١٩٤٦ = ٦٠)

٩٣	الأمير (الملك: ١٩٠٨) فرديناند (تابعاً لتركيا ١٩٠٨)	١٨٨٦ ـ ١٩١٨ = ٣٢ حياته ١٨٦١ ـ ١٩٤٨ = ٨٧				
٩٤	الملك بوريس الثالث	١٩١٨ ـ ١٩٤٣ = ٢٥				
٩٥	الملك سيمون الثاني	١٩٤٣ ـ ١٩٤٦ = ٣				

(السلالات الخمس الأوائل تركية، السلالة السابعة أصبحت سلافية والثامنة تركية والتاسعة بلغارية سلافية)

(الدين شاماني حتى عام ٨٦٥ أرثوذكسي حتى عام ١٣٩٣، والسلالتان الأخيرتان بروتستانتية أصلاً اعتنقت الأرثوذكسية)

(المبحث الثامن)

السلاجقة (١٠٤٠ ـ ١٣٠٨)

١ ـ الأوغوز ومملكة أوغوز السلاجقة (٩٩٠ ـ ١٠٤٠)

ـ منشأ الأوغوز الذين يشكلون القسم الأكبر من الأتراك وجميع أتراك تركيا اليوم ـ

الأوغوز من أهم الفروع التركية واشهرها وقد ارتقوا إلى المرتبة الأولى من حكم الأتراك بظهور السلاجقة على مسرح التاريخ. وأتراك الأوغوز هم الذين فتحوا الأناضول وأسسوا دولة تركيا. فأتراك تركيا هم جميعاً من الأوغوز. ويأتي ذكر الأوغوز في وثيقة مكتوبة بحروف الكوك تورك قبل قرنين من كتابات اورخون. وهو نصب شيد إثر وفاة الأمير الشاب أوز ـ يكن آلب ـ توران. وكان الأوغوز يعيشون في شمال آسيا إلى الشمال من بقاع الكوك تورك. وقد عثر على النصب المذكور في سواحل نهر بارلق.

كما تتحدث كتابات أورخون عن الأوغوز. ويظهر من هذه الكتابات إن الأوغوز كانوا أهم قوم في الاتحاد التركي بعد الكوك تورك. وقد كان الأوغوز يعيشون في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن أي في القرون المعاصرة لكتابات أورخون على ساحل نهر سلنغه والذي يتفرع عنه نهر أورخون. بذلك يكون الأوغوز متجاورين مع الكوك تورك وكان على رأس

الأوغوز في أواخر القرن السابع باز قاغان. وكان هؤلاء يحاولون الاستحواذ على السلطة في الدولة التركية الكبرى. وقد اتخذوا موقف المعارضة إزاء الكوك تورك الآخرين وقد أسقط الكوك تورك بالفعل من قبل دوقوز أوغوز ـ اون اويغور وانتقل عرش الدولة الكبرى إلى الأوغوز والاويغور. وقد اضطر قوتلوغ قاغان إلى الإجهاز على باز قاغان إلا أن المعارضة اشتدت على عهد قاباغان وبيلكه قاغان.

ازدادت أهمية الأوغوز بعد انتقال السلطة إليهم بالاشتراك مع الأويغور إلا أنهم لم يكتفوا بذلك بل عملوا على إبعاد الأويغور من الحكم وعمدوا إلى التمرد على حكم موينجور قاغان. وقد ساعد القرغيز الأتراك المتخلفون حضارياً عن بقية القبائل التركية الأويغور في دفع الأوغوز بعيداً إلى مغولستان الحالية في أواسط القرن التاسع. وانسحب الأويغور إلى تركستان الشرقية في الجنوب أما القسم الأكبر من الأوغوز فقد رحلوا إلى بحر الأسرار وسواحل ارال في الغرب وكان القاراخانيون يفصلون بينهم. ولم تكن هذه البقاع خالية من عنصر الأوغوز قبل تسرب هؤلاء فقد كان البجنك من فروع الأوغوز يعيشون هنا. إلا أن البجنك لم يثبتوا هنا وشدوا الرحال إلى أوربا الشرقية وقد هاجر مئات الألوف من الأوغوز الذين تزايد عددهم زيادة هائلة إلى شمال البحر الأسود وسكنوا أوكرانيا الحالية وتسربوا إلى البلقان. ويعتبر الغاغاوز الساكنون حاليّاً في دوبروجه وبسارابيا من أحفاد هؤلاء الأوغوز كما رحل عدة ملايين من الأوغوز إلى الجنوب قبل الهجرة إلى سواحل بحيرة ارال واستقاموا نحو العرب وفتحوا الأناضول مؤسسين دولة تركيا. واستقر عدد متزايد منهم في شمال ما وراء النهر.

الأوغوز والفروع التركية الأخرى

كان الوضع الجغرافي للعالم التركي في أواخر القرن التاسع والنصف الأول من القرن العاشر يتلخص فيما يلي:

١ ـ **بلاد الأوغوز:**

كان الأوغوز يعيشون بين الخزر وارال وشرق ارال والسواحل الشمالية لبحر الأسرار والمناطق الممتدة جنوباً إلى البلاد الإسلامية. كانت هذه المناطق تحت حكم السامانيين الفرس كما كان القاراخانيون يتحينون الفرص للتوطن في مقاطعات السامانيين. كان مئات الألوف من الأتراك تحت حكم السامانيين وقد أسلم الكثيرون منهم. أما صحراء قزل قوم فكانت تحت سيادة الاوغوز.

٢ ـ **بلاد القارلوق:**

تقع إلى الشرق من بلاد الاوغوز. أهم قبيلة للقارلوق هي الجيغيل. وكان القاراخانيون الممثلون للدولة التركية الكبرى يستندون إلى دعم القارلوق.

٣ ـ **بلاد الكيماك:**

تقع إلى شمال بلاد الأوغوز وتشمل شمال غرب قازاخستان الحالية.

كان البجنك المنفصلون عن بقية الأوغوز يعيشون إلى الغرب منهم في جنوب جبال أورال وسواحل نهر أورال.

٤ ـ **بلاد الأويغور:**

تقع إلى الشرق من بلاد القارلوق في تركستان الشرقية. كان حكام الأويغور المهاجرون من مغولستان يقطنون فيها.

٥ ـ **بلاد القرغيز:**

تقع في شمال الأويغور في مغولستان الحالية. وقد قدموا من الشمال وأخرجوا الأوغوز والايغور من هذه البقاع.

٦ ـ بلاد الخزر:

تشمل أوكرانيا الحالية وشمالي قفقاسيا ممتدة إلى مساحات شاسعة في الغرب والشرق والشمال. يفيد أغلبية المؤرخين إن الأوغوز كانوا تحت سيادة الخزر حتى عام ٩٦٥.

الأوغوز في أوربا الشرقية

ارتحلت بعض قبائل الأوغوز الساكنة بين بحر الخزر وبحيرة ارال إلى أوربا بعد أن عبرت نهري ايتيل (الفولجا) ويايق (اورال) وتسربوا إلى البلقان مؤثرين على تاريخ أوربا الشرقية في القرن الحادي عشر.

ويتبين من هذا قسماً من الأوغوز قد ظهروا في البلقان قبل الأتراك العثمانيين (وهم من الأوغوز أيضاً) بقرون عديدة وتشير المصادر البيزنطية إلى هذه القبائل تحت اسم أوز (uz) كما تذكر المصادر الروسية أخبارهم تحت اسم تورك)Tork ;جمعه (Torki أي الأتراك. وقد عاش هؤلاء لفترة من الزمن في شمال الخزر بين نهري ايتيل ويايق. ثم عبروا يايق إلى أوكرانيا الحالية. وتقدر المصادر البيزنطية عدد الأوغوز الذين اجتازوا نهر الدانوب بستمائة ألف شخص وقد وصل هؤلاء إلى اليونان ونهبوا المقاطعات البيزنطية. وان كان هؤلاء الأوغوز قد اجتازوا الدانوب في عام ١٠٦٥ فإنهم واجهوا بعد فترة من الزمن الزمر التركية من البجنك والبلغار القاطنين في مناطق البلقان وتشتتوا بفعل هؤلاء والتجأوا إلى الإمبراطورية البيزنطية. وقد منح البيزنطيون للأوغوز الذين لم يلتحقوا بالبجنك والبلغار أراض في مقدونيا وجندوا قسماً منهم في القسطنطينية ثم ساقوهم إلى مقاطعات الأناضول. وكانت هناك وحدات من الأوغوز والبجنك في الجيش البيزنطي في معركة مالازغيرت التي دارت رحاها في عام ١٠٧١ والمعروف أن هذه الوحدات قد التحقت بالجيش السلجوقي معجلة في هزيمة البيزنطيين. أما الأوغوز الذين التحقوا بخدمة البيزنطيين فقد اعتنقوا المسيحية على مر الزمن.

بلاد الأوغوز في القرن العاشر

كانت مملكة الأوغوز تتبع دولة الخزر في القرن العاشر. إلا أنها كانت ترتبط بعلاقات وروابط مع القاراخانيين أيضاً. وقد انتزعوا عرش الدولة التركية الكبرى من القاراخانيين على نحو ما رأينا آنفاً. كان بحر قزوين يشكل الحدود الغربية لمملكة الأوغوز (ويذكر أن قسماً من هذا البحر يعود لقارة آسيا بينما تقع سواحله الشمالية الغربية في أوربا). أما الحدود الشمالية الشرقية فكانت تتوقف عند نهر أمبا الذي يصب في قزوين ولا تصل أراضي المملكة إلى نهر اورال (يايق) كما كانت حدودها تنحدر من الشمال الغربي إلى الشمال حتى بحيرة جالقار الواقعة شمال ارال واصلة إلى صاري صو في الشمال الشرقي وتتوقف في قاراداغ في الشرق. كما كانت تضم حوالي نصف نهر الأسرار ابتداء من ارال بالإضافة إلى معظم أنحاء نهر ارال باستثناء سواحله الجنوبية.

كانت صحاري قزل قوم وقارا قوم بيد الأوغوز. وهذه المناطق تضم في يومنا هذا مقاطعات تركمنستان باستثناء قارا قالباقستان ومرو التابعة لخراسان وباستثناء خرزم أي دلتا نهر آمو. ولتعذر الإقامة في الصحاري فقد كان الأوغوز يعيشون بكثافة فائقة في المنطقة المحصورة بين ارال والخزر والتي كانوا يطلقون عليها اسم (أوست ـ يورد) إلا أنهم كانوا ينطلقون إلى بقاع أخرى كلما سنحت الفرصة ويتحينون الظروف السياسية للانطلاق إلى آفاق أخرى. ويقع إلى الغرب من أوست يورد شبه جزيرة مانغيشلاق الواقعة بين خليجي قزوين (خليج قارابوغاز في الجنوب وخليج أولى قولتوق في الشمال). كان شبه جزيرة مانغيشلاق خاوياً قبل قدوم الأوغوز في القرن العاشر فقد كان الفرس يسمون هذه المناطق سياه ـ كوه، أي (الجبل الأسود) وكان الجغرافيون العرب يسمون هذه المناطق بصحراء الغز (الأوغوز).

كانت عاصمة مملكة الأوغوز مدينة يني كنت (المدينة الجديدة)

الواقعة في شمالي شرق آرال. أما أهم مدنها فكانت سابران (سفران)، صوغناك (صاغاك)، قاراجوق (أورتار، فاراب كما يسميها العرب وفيها ولد الفارابي)، أوكسوز، سوت كنت، جارداري، ومن قصباتها التون تبه، توكاي تبه، جابلاق تبه، ميرتبه، جوان تبه، قاراسبان تبه، جوي تبه، شورناك تبه، صادقاته تبه، ايكان، ايشكان، بايركام، كاوغاناتا.

وكانت المناطق الواقعة بين السواحل الشمالية لنهر الأسرار والسفوح الجنوبية لجبال قاراداغ آهلة بمدن الاوغوز. وكان الأوغوز يختلطون مع القارلوق في الجنوب وقد اعتنق قسم قليل من هؤلاء الدين الإسلامي. كما كان هناك قسم من الفرس يعيشون بين هذه الأقوام.

كانت مساحة مملكة الأوغوز تبلغ حوالي المليون كيلومتر مربع. إلا إن نصف هذه المساحة كان يتكون من صحراء قزل قوم في الشمال وصحراء قارا قوم في الجنوب.

الأوغوز والمسلمون

كان الأوغوز يجاورون بقاع المسلمين مثلهم في ذلك مثل القاراخانيين. إلا إن القاراخانيين كانوا أشد بأساً لارتكازهم على مدن هامة وقيادتهم من قبل سلالة الذئب الأغبر والكوك تورك. كان الموقف على ما ذكرنا في أوائل القرن العاشر وسنرى إسلام السلاجقة في عام ٩١٥ على نحو ما سيتقدم. وقد انتشر الإسلام بصورة واسعة بين الأوغوز بعد هذا التاريخ ولاسيما بعد إعلان القاراخانيين الدين الإسلامي ديناً رسمياً للدولة التركية الكبرى. وقد تم هذا الإعلان في أوائل القرن الحادي عشر فما حل الربع الثاني من هذا القرن حتى صار الأوغوز جميعاً مسلمين. وقد أطلق المسلمون على الأوغوز المسلمين اسم (التركمان) أي الأتراك المسلمين.

إلا أن إطلاق هذا الاسم أصبح معتاداً بالنسبة إلى الأوغوز كافة اعتبارا من القرن الحادي عشر وقد أطلق فيما بعد على الرحالة من

الاوغوز. في حين استمر أتراك المدن يسمون بالاوغوز. وأخيراً عدل نهائيّاً عن استعمال كلمة الأوغوز وذكر الأوغوز المتمدنون باسم الأتراك والاوغوز الرحالة باسم التركمان. ولازالت هذه التسميات بنفس مدلولاتها معروفة في تركيا وبين الأتراك خارج تركيا وفي أوربا. وهكذا فقد حل اسم التركمان محل الاوغوز. وإحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمس عشرة (سابقاً) هي جمهورية تركمانستان وينتسب أهلها إلى أتراك الاوغوز.

حضارة الأوغوز وثقافتهم

كان نهر أرتك يشكل الحدود الجنوبية الغربية لبلاد الاوغوز. وقد كان هؤلاء يجتازون النهر وينهبون المقاطعات الإيرانية وكان الفرس في جنوب العالم التركي. وان كان الأوغوز تابعين للخزر نسبيّاً فإنهم لم يكونوا قد قطعوا اتصالهم بالدولة التركية الكبرى. ويمكن القول بأنهم تبعوا القاراخانيين بعد سقوط إمبراطورية الخزر في عام ٩٦٥. وقد ظل الأوغوز حتى عام ١٠٤٠ يمثلون إحدى شعب الدولة الكبرى التي يتزعمها القاراخانيون.

كان مركز المرأة في مجتمع الأوغوز هامّاً. فقد كانت تقاسم الرجل أعباء المجتمع. وكان الرجل في مجتمع الأوغوز يحلق لحيته وشاربيه ويطيل شعره. ولم يكن الرجل يرتدي ملابس سوداء ويعتبرها علامة نحس وشؤم، وكانوا متعلقين باللون الأبيض. وكانوا يجمعون التراب على قبورهم على شكل قبب.

وكان الأوغوز يسمون مراسيم الحكام (طوغراغ) بينما كان الأتراك الشرقيين يسمونها (يارلق)، ومن المعلوم إن العثمانيين وهم من الأوغوز كانوا يسمون التوقيع الذي يذيل الخليفة به المرسوم بـ (طغرا).

وتفيد الحفريات إن مملكة الأوغوز كانت تضم الملايين. وقد ازداد عدد السكان ووصل إلى حد لا مثيل له في القرن الحادي عشر. بينما

كانت هناك عشرة مدن فقط في القرن السابع على عهد الكوك تورك في منطقة أورتار في بلاد الأوغوز فقد ارتفع هذا العدد في القرن الحادي عشر إلى أربع وعشرين مدينة، أما في القرن الثالث عشر فقد بقيت أربع مدن فقط. إذ رحل الأوغوز إلى الأناضول ومناطق الشرق الأدنى وأحدث غزو القاراخطاي وجنكيز المغولي أثراً سيئاً في المدن التركية وانخفض عدد منازل المسافرين من ثلاثة عشر في القرن الحادي عشر إلى اثنين في القرن الثالث عشر. فقد نقل الأوغوز الأتراك السكان والتجارة إلى الأناضول.

وقد عثر الروس على مدن الأوغوز نتيجة للحفريات التي قاموا بها. وقد تبين أن قلعة أورتار كانت على بقعة مساحتها ٤٠٠× ٣٠٠ = ١٢٠,٠٠٠ متر مربع. ومن المعروف أن اورتار كانت تحت الإدارة العربية وتابعة لبغداد. في ٨١٣ ـ ٨١٨. أما أسوار مدينة التون تبه الواقعة على بعد سبعة كيلو مترات من اورتار فقد كانت تضم مساحة ٩٥٠ × ٥٠ = ٤٧٥,٠٠٠ متر مربع. بينما كانت أسوار توكاي تبه الواقعة إلى جنوب شرق أورتار وعلى بعد ثلاثة عشر كيلو متر تضم بقعة مساحتها ٣٨٠ × ٢٨٠ = ١٠٦,٤٠٠ متر مربع.

وكانت هناك على بعد عشرة كيلومترات إلى الغرب من أورتار مدينة غابلاق تبه ومدينة بيجاقجي تبه على بعد ٤ كم إلى الجنوب منها. وكانت هناك شبكة من القنوات التي تروي سهل اورتار الشاسع. وقد دهش علماء الآثار الروس الذين عثروا على آثار هذه الشبكة. فقد وصفها البروفيسور اغاييف بأنها «عظيمة». ويظهر من كثرة المدن في بلاد الأوغوز وتقاربها إلى درجة كبيرة ارتفاع عدد السكان إلى حد الملايين (ولا يغرب عن البال أن نفوس إنجلترا كان مليوناً فقط في نفس تلك الفترة).

ويفيد علماء الآثار الروس أن مساحة قلعة مدينة سوت كنت كانت ٩٠٠ × ٨٠٠ = ٧٢٠,٠٠٠ متر مربع. إما سوت كنت الثانية كما يسميها هؤلاء العلماء فقد كانت مساحتها ٢٤٠ × ٢٠٠ = ٤٨,٠٠٠ متر مربع. وإذا

ما تذكرنا بأن السكان كانوا يعيشون خارج أسوار المدن أيضاً ولا يقتصرون على السكنى وراء الأسوار إلا في وقت الحروب فإننا ندرك مدى كثافة السكان في ذلك العهد. وقد كانت هذه الكثافة هي العامل الأساسي في فتح آسيا الصغرى وتأسيس تركيا.

كما اكتشف العلماء الروس مدينة بايرقوم التي كانت على بعد ستة وعشرين كم إلى الشمال من سوت كنت. وكانت مساحة قلعتها ٣٠٠ × ٢٠٠ = ٦٠,٠٠٠ متر مربع. كما اكتشفت مدينة آق تبه على بعد خمسة وعشرين كم من سوت كنت ومساحتها ٣٦٠ × ٢٦٠ = ٩٣,٦٠٠ كم مربع. كما كانت هناك على ساحل نهر الأسرار أيضاً مدينة اوكسوز وإلى شمالها الغربي بمسافة خمسة وعشرين كم مدينة كاوغاناته وعلى بعد عشرة كم إلى الشمال منها مدينة ارتقاته. والى القرب منها مدينة بوزوق تبه وكل هذه هي مدن القرن العاشر والتي اكتشفت مؤخراً من قبل العلماء الروس.

وكانت هناك إلى الجنوب من مدينة سوت كنت وعلى ساحل نهر الأسرار مدينة جارداري والتي كانت مساحة قلعتها الخارجية ٣١٠ × ٢٤٠ = ٧٤,٤٠٠ متر مربع. ومساحة قلعتها الداخلية ١٤٠ × ١٢٠ = ١٦,٨٠٠متر مربع. وهناك مدينة أخرى كانت تسمى آق تبه وتقع على بعد ستة عشر كيلو متر من جارداری وعلى ساحل النهر.

كما كانت سفوح قاراداغ الجنوبية عامرة بمدن الاوغوز. واشهرها مدينة صغناق. وكانت أسوارها تحيط بمساحة مقدارها ٦٥٠ × ٤٠٠ = ٢٦٠,٠٠٠ متر مربع. والى جنوبها الشرقي مدينة ساوران التي كانت هي الأخرى من اشهر مدن الاوغوز. وكانت مساحتها ٨٠٠ × ٥٥٠ = ٤٤٠,٠٠٠ متر مربع. وهي مدينة شيدت في عهد الكوك تورك وتوسعت في عهد الاوغوز. ولازالت أسوار وأبراج المدينة وأبوابها الخارجية صامدة في وجه الزمن. وعلى مقربة من ساوران كانت تكمن مدن ميرتبه واشكان على بعد خمسة وعشرين كم شمال مدينة (يسي) الحالية (تركستان) وعلى بعد

ثمانية كم من ساوران كانت تقع مدينة شورناق تبه وإلى قربها مدينة صادقاته تبه. كما كانت مدينة يسي والتي تسمى حاليّاً (تركستان) من أهم مناطق تجمع الاوغوز. وعلى بعد ثمانية كيلومترات من جنوبها كانت مدينة جوي تبه وكانت قنوات الري وشبكات المياه منها منظمة ومنسقة بشكل بديع. وكانت هناك بالقرب من مدينة يسي مدينة ايكان وقاراسبان تبه وكانت مساحة الأخيرة ٨٥٠ × ٦٠٠ = ٥١٠,٠٠٠ متر مربع أي أكثر من نصف كيلو متر مربع. وبالإضافة إلى كل هذه كانت مدينة جوان تبه في نفس المنطقة.

أما مدينة سايرام فقد كانت مركز تجمع الأوغوز في الحدود المتاخمة لمناطق المسلمين. وقد استطاع السامانيون (المسلمون) أن يحتلوا هذه المدينة لفترة من الزمن. وكانت هناك بين مدينتي سايرام وتاراز مدن أخرى هي بولاق قوال وتورتقول تبه وثلاث مدن أخرى. كما كانت هناك على السفوح الجنوبية الغربية لجبال قاراداغ مدينة جيم كنت (أوليا ـ اتا) وعلى السفوح الجنوبية الشرقية مدينة جامبول. وهاتان المدينتان هما من أشهر مدن تركستان حالياً. والى الجنوب كانت تبدأ حدود بلاد الفرس. وقد كان القاراخانيون والغزنويون يتحينون الفرص شأنهم في ذلك شأن الأوغوز للانقضاض على هذه البلاد.

ملاحظة: ـ أستقيت المعلومات المتعلقة بمدن الأوغوز من كتاب الأستاذ بهاء الدين اوكل والمنشور من قبل مؤسسة التاريخ التركي والذي مر ذكره فيما سبق.

القواعد الدولية لدى الأوغوز

كان الحاكم الذي يرأس دولة الأوغوز يسمى (يابكو). وقد كان هذا اللقب الذي يعني (الإمبراطور) يطلق في عهد الهون والتابغاج على الخاقان الأكبر في الدولة التركية الكبرى. ولما ابتكرت بعد ذلك ألقاب القاغان

والخاقان أخذت كلمة يابكو تعني الملك فقط. إلا إن بعض الزمر التركية استعملت بدلاً منها لقب (خان). واستعمال الأوغوز للقب يابكو له دلالة كبيرة تؤيد مذهب بعض المؤرخين أمثال زكي وليدي طوغان في أن الهون كانوا من الأوغوز.

ويأتي بعد اليابكو في المنزلة (سو ـ باشي) وسو كانت تعني بالتركية الجندي (وسوله مك كانت تعني سوق الجيش) وسوباشي يعني القائد العام. وهذه الرتبة كانت وراثية كما أسلفنا في مناسبات أخرى. وكانت قيادة الجيوش آنذاك في يد السلاجقة الذين فتحوا الأناضول فيما بعد وأسسوا دولة تركيا.

ويلي في المنزلة بعد القائد العام كول أركين واينال (ينال) وتارخان وهي رتب عسكرية كبيرة. كما كان هناك على رأس كل فرع من فروع الأوغوز الأربعة والعشرين التي سنبحث عنها فيما بعد من يسمى (بك). وكانت هذه الرتبة وراثية أيضاً يتوارثها الأبناء والإخوة والبكوات كانوا من طبقة النبلاء المتنفذين.

وكان جيش الأوغوز الخيال يشكل قوة لا يستهان بها. وقد اجتاز الأوغوز مرات عديدة انهر أمبا وأورال وحتى الفولجا إلى أوربا واجتاحوا منطقة الخزر. كما حاربوا البجنك إحدى فروع الأوغوز والجيغيل إحدى الزمر التركية. كما توفي يابكو الأوغوز مرة في إحدى حروب الأوغوز مع القارلوق.

فروع الأوغوز الأربعة والعشرون

ينقسم الأوغوز إلى أربعة وعشرين فرعاً كما ينقسم كل فرع إلى شعب. ويسمى الاثنا عشر فرعاً منهم (بوزوق) والاثنا عشر الأخرى (أوج أوق)

وتنتسب هذه الفروع إلى أبناء أوغوز خان الستة: كون، آي، يلدز، كوك، داغ، دينيز

كان الأوغوز يعيشون على شكل الفروع الستة المار ذكرها على ساحل نهر ينيساي كم وذلك قبل القرن السابع. ثم لكل من الأبناء الستة أربعة أبناء وقد تفرع من هؤلاء القبائل المختلفة وأصبح عدد فروع الأوغوز بذلك أربعة وعشرين فرعاً. واوغوز خان الذي يمر ذكره في ملحمة أوغوز خان هو مته بعينه. ويؤمن الترك بانتساب الأربعة والعشرين فرعاً الأوغوز إلى مته. وقد كانت زمره بوزوق هي الحاكمة قبل العهد الإسلامي إلا أن السلالات المنتسبة إلى زمرة أوج أوق هي التي بدأت بالحكم بعد الإسلام. ويجدر بالذكر أن شعار زمره بوزق المتكونة من اثني عشر فرعاً كان القوس وشعار زمره أوج أوق كان السهم. كما كان لكل فرع ختم خاص يختمون به أسلحتهم وحيواناتهم. ويشاهد ختم مدافع العثمانيين ونقودهم أيام حكم السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر بختم فرع قايي الذي ينتسب إليه العثمانيون. وكانت فروع الأوغوز الأربعة والعشرون معروفة. فقد كان الأرمن يعرفون تكوين العرق الفاتح من أربعة وعشرين فرعاً عند دخول الأوغوز للأناضول لتأسيس دولة تركيا كما يظهر ذلك فيما كتبه المؤرخ الأرمني واهرام الاورفه لي.

وفروع الأوغوز المار ذكرها هي مايلي:

البوزاوق:

وينتسبون إلى أبناء أوغوز خان (كون خان، آي خان، يلدز خان)

قايي، البيات، الكايو، قارا ايو، يازر، دودورغا، دوكر، يابالي، اوشار، بغديل، قزيق، قارقن.

أوج أوق:

وينتسبون إلى أبناء أوغوز خان (كوك خان، داغ خان، دنيز خان)

قنيق، بايندر، بجنك، جاولدور، جبني، سالغور، ايمور، الايونتلي، يوره كير، ايغيدير، بوغدوز، يوا.

ولم يكن تعداد هذه الفروع متساوياً أو متقارباً. فقسم منها يعد بمئات الآلاف وكان كل فرع ينقسم إلى شعب وأجزاء صغيرة أخرى. والفروع التي فتحت الأناضول هي قايي، قنيق، اوشار، البيات، جبني، سالغور، يازر، ايمور، بايندر، قزيق، بغديل، دود ورغا، جاولدور.

وقد قدمت الفروع العشرة الأخرى إلى الأناضول إلا أن تأثيرها كان نسبيّاً في تتريك الأناضول وفي إسكانها نظرا لقلة عدد نفوسها. ولا زالت هناك في تركيا أسماء كثيرة اشتقت من أسماء هذه الفروع.

وينتسب السلاجقة إلى فرع قنيق بينما ينتسب العثمانيون إلى فرع قايى وكان هؤلاء سادة هذين الفرعين. وإذا ما نظرنا في ترتيب فروع الأوغوز من حيث المنزلة يأتي فرع قنيق في المرتبة الأولى وقايى في المرتبة الثانية. وقد ألغي هذا التمييز والتصنيف بعد اعتناق الإسلام، إلا أن آثار هذا التمييز استمر حتى يومنا هذا. وقد كانت سلالة (الخروف الأبيض) وهي من السلالات الحاكمة التركية في إيران من فرع بايندر. كما كانت سلالة الاوشار من فرع الاوشار وسلالة القاجار من فرع يوا. أما بالنسبة لإمارات الأناضول فقد كان القارامانيون من الاوشار والجانداريون من قايى، وذو القادر من البيات، الرمضانيين من يوره كير. والقاضي برهان الدين من سالور. وقد كان الآق قويون (الخروف الأبيض) مثل القارامانيين يعلنون انتسابهم إلى مته الكبير (اوغوز خان). وكان شقيق مؤسس الإمارة القارامانية يسمى اوغوز.

كما كان العثمانيون يعتبرون أنفسهم أحفاد مته وابتدعوا شجرة نسب تربط الغازي عثمان باوغوز خان. وقد سمى السلطان محمد الفاتح أحد أحفاده أوغوز خان وسمى الثاني باسم قورقوت من ولاة الأوغوز المشهورين. ولم يكتف المؤرخون العثمانيون في القرن الخامس عشر ببيان انتزاع العثمانيين عرش الدولة التركية الكبرى من السلاجقة بل أضافوا إلى ذلك كون السلاجقة وارثي القاراخانيين ورسموا بذلك صورة واضحة للحالة

الجغرافية والشروط الوراثية للدولة التركية الكبرى.

انتشار الأوغوز الجغرافي

لا نرى موجباً لتكرار ما بيناه سابقاً حول انتشار الأوغوز عند بحثنا للمناطق التي يعيش فيها الأتراك. وقد قلنا إن الأوغوز كانوا من أكبر الزمر التركية وقد وصلت الدولة التركية الكبرى إلى أرقى مراحلها في عهد السلاجقة كما أسست السلالة العثمانية أهم المؤسسات العالمية السياسية وهي الدولة التركية العثمانية. كان الأوغوز الذين وصلوا إلى أبواب الأناضول في القرن الحادي عشر مسلمين برمتهم إذ لم يبق بينهم من يدين بالشامانية. وقد أدى نزوح الأوغوز إلى الأناضول والمناطق القريبة منها مثل العراق وإيران وسوريا وقفقاسيا إلى فراغ آسيا من عنصر الأوغوز وبقي منهم قسم في جنوب شرق الخزر بامتداد خراسان أي في تركمنستان الحالية ويسمى الأوغوز أو التركمان نتيجة لذلك بأتراك الغرب.

السلاجقة، يابكو الأوغوز ٩٩٠ ـ ١٠٤٠

لا نعلم أسماء الحكام الذين كانوا يسمون بلقب يابكو والذين كانوا على راس الأوغوز منذ وجودهم في (اوست ـ يورد) وشمال نهر الأسرار واستيطانهم في هذه البقاع التي تقدر مساحتها بمليون كم مربع وحتى عام ٩٩٠ وقد يتم العثور مستقبلاً على وثائق تكشف النقاب عما خفي في هذا الموضوع.

وكان السلاجقة سادة فرع قنيق من الأوغوز في مرتبة (سو ـ باشي) أي القيادة العسكرية للإمارة التابعة للدولة التركية الكبرى. وليست لدينا معلومات تاريخية موثوق بها حول الذين جاءوا إلى هذا المنصب قبل دوقاق بك والد سلجوق بك. ويروى إن والد دوقاق بك هو ارطغرل (ارتك) بك، ووالد هذا لقمان بك، ووالد هذا طوقسورمش ـ ايلجي ووالد الأخير هو قاراقوجي خوجا. وقد استقيت هذه الشجرة من الأوغوز ـ نامه.

قتل قائد الجيش ورئيس عشيرة قنيق دوقاق بك في عام ٩٠٣ فخلفه ابنه سلجوق بك. وقد ولد هذا العام ٨٨٥ وتوفي عام ١٠٠٠ عن خمسة عشر ومائة عام. وكان قد استلم قيادة الجيوش خلفاً لأبيه عام ٩١٠.

ويروى انه اختلف مع اليابكو في عام ٩١٥ فرحل إلى مدينة جند مع مائة خيال و١٥٠٠ جمل ٥٠٠٠٠ رأس من الماشية وأسلم هناك كما عمل على إسلام عشيرة قنيق التي لحقت به في مدينة جند. ويظهر من هذا إن فرع قنيق كان اسبق الزمر التركية في اعتناق الدين الإسلامي، وقد دام الخلاف بين سلجوق بك وعدة يابكو توالوا على العرش طيلة القرن العاشر وأسلم جميع الأوغوز المنضمين لدولة الأوغوز في النصف الثاني من القرن العاشر لان القاراخانيين الذين كانوا يمثلون الدولة التركية الكبرى كانوا قد أعلنوا الإسلام ديناً رسميّاً للدولة التركية الكبرى ونبذوا الدين الشاماني بصورة نهائية.

أبناء سلجوق بك

خلف سلجوق بك خمسة أبناء وهم:

أولاً: ـ سو ـ باشي ميكائيل بك. تسلم القيادة العامة للجيش بعد سلجوق بك. وتوفي عام ٩٩٨ في حياة أبيه وله نجلان اشتهرا في التاريخ:

١ ـ ابنه الأكبر جاغري بك (٩٩٠ ـ ١٠٦٠ = ٧٠) واسمه الإسلامي داود وكنيته أبو سليمان، ولقبه الغازي وعنوانه ملك الملوك. وتوفي في سراخس في مرو له أربع بنات وثمانية أبناء هم:

أ ـ	ملك سليمان	طالب بالعرش بعد وفاة عمه طغرل بك في ١٠٦٣ وكان له ابنان: ـ ملك محمد، ملك طوغان ـ طغرل.
ب ـ	ملك كاروت	اسمه الكامل ملك عماد الدولة قارة أرسلان كاورت. وهو مؤسس فرع سلاجقة كرمان. وحكم اثنين وثلاثين عاماً من ١٠٤١ وحتى ٤ نيسان ١٠٧٣ في فارس وكرمان أي في جنوب إيران. ودفن في بارداسير. وكان قد تزوج من أرملة شقيقة السلطان آلب أرسلان سفرية خاتون في أواخر عام ١٠٧٢.
ج ـ	السلطان آلب أرسلان	ارتقى عرش الدولة التركية الكبرى إمبراطوراً ثانياً من السلالة السلجوقية بعد عمه طغرل بك. عاش ثلاثة وأربعين عاماً وتسعة أيام من ٢٠/ ٠١/ ١٠٢٩ وحتى ٢٥/ ١٠/ ١٠٧٢ وحكم تسعة أعوام وشهراً واثني عشر يوماً من ٠٧/ ٠٩/ ١٠٦٣ وحتى ٢٥/ ١٠/ ١٠٧٢. زوجته سفريه خاتون. وقد خلفه ابنه الأكبر السلطان ملك شاه. وقد تفرع من السلطان آلب أرسلان فروع السلاجقة الكبار وسلاجقة خراسان وسلاجقة إيران. وقد لقي آلب أرسلان مصرعه بعد عام واحد من انتصاره الكبير في معركة مالازغيرت.

د -	ملك ياقوتي	تزوجت ابنته زبيدة خاتون بابن عمها السلطان ملك شاه وقد أنجبا السلطان بركياروق. وكان ابنه ملك قطب الدولة والدين إسماعيل والياً عامّاً على أذربيجان وقد ألحقت ولاية أران في عام ١٠٨٤ بولايته. وقد أصبح ابن الملك إسماعيل ملك مودود والياً عامّاً لولاية اران خلفاً لأبيه حتى وفاته في عام ١١٠٣ وقد خلف ابنة واحدة أما شقيقته فقد تزوجت بالسلطان محمد تابار.
هـ -	ملك عثمان	كان والياً عامّاً على توهاريستان. وقد تلقب بعنوان الملك المؤيد ركن الدين.
و -	أرسلان اورغون	كان والياً عامّاً على خوارزم وخراسان.
ز -	ملك إلياس	كان والياً عامّاً على توهاريستان.
ح -	ملك بهرام شاه	

٢ ـ والابن الأصغر لميكائيل هون الخاقان الأكبر الأول للدولة التركية الكبرى من سلالة السلاجقة طغرل بك. (٩٩٥ ـ ١٠٦٣/٠٩/٠٧ = ٦٨) حكم ثلاثة وعشرين عاماً وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً (١٠٤٠/٠٥/٢٣ ـ ١٠٦٣/٠٩/٠٤) كخاقان الدولة التركية الكبرى. واسمه الكامل ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد يمين أمير المؤمنين. ومحمد هو اسمه الإسلامي. وقد لقبه الخليفة بلقب سلطان المشرق والمغرب، السلطان الأعظم والسلطان المعظم. وقد دفن في مدينة ري (طهران الحالية) وزوجته الرابعة والأخيرة هي ابنة الخليفة القائم. ولم يخلف أطفالاً فخلفه ابن شقيقه الأكبر جاغري بك، السلطان ألب ارسلان.

ثانياً: ـ أمير إسرائيل أرسلان يابكو :

وهو السلجوقي الأول الذي أطاح بسلالة يابكو الأوغوز واعتلى عرش هذه الإمارة في عام ٩٩٠ وحكم خمسة وثلاثين عاماً حتى عام ١٠٢٥ حيث اعتقل من قبل السلطان محمود الغزنوي الذي خشي توسع نفوذه واقتيد إلى قلعة كالينجار في الهند حيث توفي في عام ١٠٣٢. وقد أفلح السلطان محمود الغزنوي بهذا في تفريق شمل السلاجقة الذين نصبوا ابن أخيه يوسف بك حاكماً. وقد حاول أبناء أخيه جاغرى بك إنقاذ أرسلان يابكو من الأسر بتهديد السلطان مسعود ابن السلطان محمود عدة مرات إلا أنهما لم يتوصلا إلى نتيجة ما. تلقب إسرائيل بك باللقب القومي (يابكو) وباللقب الإسلامي (الأمير) ويعزى هذا إلى سعة معتقداته السياسية وشمولها وقد حذا أحفاده حذوه.

وكان الأمير إسرائيل أرسلان قد تزوج عام ١٠٠٣ بأميرة سامانية هي ابنة إبراهيم إسماعيل المنتصر وخلف ابنين هما

١ ـ الملك شهاب الدين قوتا لمش بك: توفي في شباط من عام ١٠٦٤ ودفن في ري (طهران) وقد خلف ستة أبناء: ـ

أ	الملك (ثم السلطان) ركن الدين ناصر الدولة أبو الفوارس الغازي سليمان شاه الأول	انتحر بالقرب من مدينة حلب في ٥ حزيران ١٠٨٦ وهو فاتح الأناضول ومؤسس دولة تركيا. وقد ولي على تركيا في عام ١٠٧٧ من قبل خاقان الدولة التركية الكبرى السلطان ملك شاه الذي أطلق عليه عنوان (السلطان) وتتفرع منه سلالة سلاجقة الأناضول ـ بلاد الروم التي خلفت السلالة الكبرى والتي حكمت حتى عام ١٣٠٨ والسلطان قليج أرسلان الأول هو ابن سليمان شاه.

ب ـ	الملك منصور	اتخذ مدينة كوتاهية مركزاً له وبقي في الأناضول من عام ١٠٧٣ وحتى عام ١٠٧٧ وقد قتل الملك منصور الذي زار إمبراطور البيزنطيين في استانبول عام ١٠٧٦ بصورة رسمية في عام ١٠٩٠.
ج ـ	الملك دولت	
د ـ	الملك آلب ـ ليليغ	
هـ ـ	الملك داود	توفي عام ١٠٩٥.
و ـ	الملك.......	

٢ ـ الملك رسول ـ تيكين توفي عام ١٠٦٥

ثالثاً: ـ فخر الملك موسى يابكو:

هو اليابكو الثالث بعد شقيقه الأكبر إسرائيل أرسلان يابكو وابنه يوسف اينانج يابكو. اعتلى العرش إثر وفاة ابنه الأكبر وتنازل عن العرش بعد أربعة أعوام أي في عام ١٠٣٢ لابن أخيه ارتاش يابكو. وقد ولي على هرات (خراسان الشرقية) وسيستان بعد اعتلاء ابن أخيه طغرل بك لعرش الدولة التركية الكبرى في عام ١٠٤٠ وظل على ذلك حتى وفاته وله ثلاثة أبناء:

١	يوسف بك (اينانج)	الابن الأكبر حكم ثلاثة أعوام (١٠٢٥ ـ ١٠٢٨) على عرش السلاجقة الأوغوز أعقبه والده وقد نصب إثر اعتقال عمه إسرائيل أرسلان يابكو من قبل الغزنويين
٢	الملك أبو الفتح قاره أرسلان بوروبك	توفي عام ١٠٦٨.
٣	الملك أبوعلي حسن بك	استشهد عام ١٠٤٨ وله ابن يسمى علي.

رابعاً: ـ يوسف ينال بك :

توفي عام ٩٩٤ قبل والده. وهو أول من توفي من أبناء سلجوق بك وقد تزوج شقيقه ميكائيل بك بأرملته التي أنجبت إبراهيم ينال، والخاقان الأول السلجوقي للدولة التركية الكبرى طغرل بك السلجوقي. وقد خلف يوسف ينال ثلاثة أبناء:

١ ـ الأمير ارتاش يابكو:

تولى سلطة اليابكو في عام ١٠٣٢ خلفا لعمه موسى يابكو. وحكم ثمانية أعوام حتى عام ١٠٤٠. وتولى السلاجقة في هذا التاريخ عرش الدولة الكبرى فأصبح ابن عمه طغرل بك الخاقان الأول. وقد ولي الأمير ارتاش بعد ذلك على هرات (خراسان الشرقية) وانتقلت الولاية بعد وفاته إلى عمه موسى يابكو وقد توفي فخر الملك الأمير ارتاش يابكو في عام ١٠٤٨ عن ثلاثة أبناء:

الملك أحمد، الملك محمد وقد قتل الاثنان في ٢٣ حزيران من عام ١٠٥٩ في مدينة ري (طهران) والملك دولت شاه هو ابن الملك محمد، مسعود ينال توفي عام ١٠٧٠ وابنه الملك فروخ زاده.

٢ ـ سيف الدولة الملك إبراهيم ينال :

وهو أخ طغرل بك غير الشقيق. وقد قتل مع ابني أخيه الملك أحمد والملك محمد في ري (٢٣ حزيران ١٠٥٩) وقد ولي على خراسان الغربية (١٠٤٠ ـ ١٠٤٩) ثم على أذربيجان (١٠٤٩ ـ ١٠٥٩) وقد نازع طغرل بك على العرش إلا أنه قتل مع أبني أخيه كما أسلفنا.

٣ ـ الملك ارصغن :

توفي عام ١٠٨٠ في استانبول. وكان قد أسر مانويل كومينوس في

مدينة سيواس في عام ١٠٧٠ إلا انه رحل إلى بيزنطيا وعاش في استانبول. وابنه طوغان أرسلان وابن هذا سلجوق، وابن هذا محمد، وابني الأخير شاهنشاه وسلجوق شاه.

خامساً: ـ يونس بك وهو الابن الأصغر لسلجوق بك وقد توفي إبان شبابه. وقد زار ابنه قورتجي في عام ١٠٧٠ أي قبل عام واحد من معركة مالازغيرت إمبراطور البيزنطيين في استانبول. وقد تزوج السلطان ألب أرسلان بابنه قورتجي.

٢ ـ السلاجقة والغزنويون والقاراخانيون

موقف السلاجقة بعد سيطرتهم على عرش دولة الأوغوز (٩٩٠)

ارتفع السلاجقة عام ٩٩٠ من مركز (سوباشي) أي القيادة العامة للجيوش إلى مرتبة (يابكو) أي الحكام أو الملك لدولة الاوغوز. وبذلك تبدلت أوضاعهم إزاء الدولة التركية الكبرى بقيادة القاراخانيين وإزاء اكبر إمبراطوريات العالم آنذاك وهي الإمبراطورية التركية الغزنوية من عام ١٠٠٠ وحتى عام ١٠٤٠. تقاسم القاراخانيون والغزنويون أشلاء دولة السامانيين الفرس في عام ٩٩٩ وحلت الدولتان التركيتان محل دولة الفرس في إيران وما وراء النهر. ودالت بذلك هذه الدولة (عاصمتها بخارى) التي دامت خمسة وعشرين ومائة عام في ٢٣ تشرين الأول ٩٩٩.

وقد التجأ الأخ الأصغر للحاكمين السامانيين الآخرين، الحاكم التاسع منصور الثاني والحاكم العاشر عبد الملك الثاني وابن نوح الثاني أبو إبراهيم إسماعيل المنتصر إلى السلاجقة، ونال تأييد يابكو الأوغوز إسرائيل أرسلان بك السلجوقي في مقارعته للقاراخانيين والغزنويين كما زوج ابنته كما أسلفنا بيابكو الأوغوز السلجوقي.

وقد عمل السلاجقة على مهاجمة القاراخانيين بحوالي سبعمائة خيال ساماني التفوا حول المنتصر. ولما كانت دولة الأوغوز تتبع القاراخانيين

نظرياً فان هذا العمل كان يشكل عصياناً مبيتاً. وكان هناك الكثير من الأوغوز المسلمين والأتراك الآخرين في الجيش الساماني وقد التحق قسم من هؤلاء بالقاراخانيين والغزنويين بعد انقراض الدولة السامانية والقسم الآخر بالسلاجقة.

السلاجقة يعملون على السيطرة على الدولة التركية الكبرى وانتزاعها من القاراخانيين والغزنويين الأتراك

استطاع القاراخانيون أن يفتحوا طريق الشرق الأدنى للأتراك بعد قضائهم على الدولة السامانية الفارسية. ولم يكن هذا وليد حملة واحدة بل استولوا في عام ٩٩٢ على مدينة بخارى أكبر مدن العالم آنذاك وعاصمة السامانيين الفرس إلا أنهم اضطروا للانسحاب منها وقد حاولوا إعادة الكرة دون جدوى في عام ٩٩٧.

وأخيراً استطاع القاراخانيون أن يدخلوا مدينة بخارى في ٢٣ كانون الأول ٩٩٩ وألحقوا ما وراء النهر بالدولة التركية الكبرى. واصطحبوا أفراد الأسرة السامانية الحاكمة إلى أوزكنت، ولما كان الغزنويون تابعين للدولة السامانية فقد أدى هذا الأمر بالتالي إلى استقلال محمود الغزنوي.

كان القاراخانيون أقوى من الغزنويين في هذه الفترة إلا أن انتصارات الغزنويين وفتح الهند من قبلهم مع ما رافق هذا الفتح من شهرة جمة أدى إلى أن يسيطر محمود الغزنوي على سياسة الشرقين الأدنى والأوسط. وقد جاءت معاهدة نيسان ١٠٠١ لتضع نهر آمو حدّاً فاصلاً بين الدولتين التركيتين وتجعل من السلطان محمود صهراً لخاقان القاراخانيين.

فر الأمير الفارسي المنتصر من أسر القاراخانيين والتجأ إلى السلاجقة عاقداً العزم على مقارعة القاراخانيين والغزنويين وقد أفلح المنتصر في السيطرة على مدينة بخارى ردحاً من الزمن في عام ١٠٠٠ وقد استقبلته الأغلبية الفارسية بالترحيب إلا أن الأمير لقي مصرعه في عام ١٠٠٥

بالقرب من مدينة مرو. وكان الغزنويون في هذه الفترة يعترفون بسيادة القاراخانيين إلا أن عبور هؤلاء إلى جنوب نهر آمو ومطالبتهم بخراسان وهي من أغنى المناطق المتخلفة عن حكم الفرس أثار توترا بين الإمبراطوريتين. فقد سك الخاقان القاراخاني النقود في طوس (مشهد) في عام ١٠٠٦ وأمر بتلاوة اسمه في الخطب. ولم يبق السلطان محمود الغزنوي مكتوف اليدين أمام هذه المحاولات وسار بجيشه على القاراخانيين واضطر هؤلاء للانسحاب إلى شمال النهر. وقد أحرز الغزنويون نصراً ساحقاً في معركة قاتار (قرب بلح) في ٤ كانون الثاني من عام ١٠٠٨ وأخفق القاراخانيون بذلك من السيطرة على خراسان والتسرب إلى الشرق الأدنى.

استقبل السلطان محمود في عام ١٠٠٩ في غزنة سفراء القاراخانيين وعرض عليهم قسماً من الغنائم التي تبهر الأبصار والتي استولى عليها في غزوته السادسة للهند، ولم يكتف السلطان محمود بخراسان فضم خوارزم إلى إمبراطوريته في عام ١٠١٥ ووصلت الحدود الشمالية بذلك إلى خط عرض ٤٤ درجة. وكانت خوارزم تجاور من جنوبها الشرقي القاراخانيين، وتقع إلى الشمال منها بحيرة ارال ويجاورها بلاد الاوغوز.

وقد سبب هذا في تألب أرسلان يابكو السلجوقي الذي كان يتحين الفرص لقطع علاقته بالقاراخانيين، على الغزنويين إلا أن السلاجقة لم يكونوا آنذاك في حال يؤهلهم لمقارعة الغزنويين. فعمل السلاجقة على كسب الوقت انتظاراً لما سيحدث.

وقد أحدث النظام اللامركزي الذي اتبعه القاراخانيون وذلك بحكم المقاطعات من قبل حكام مستقلين يتبعون الخاقان الأكبر وهنا في حكمهم واستفاد الغزنويون والاوغوز من هذا فاستمر السلطان محمود الغزنوي في فتوحاته نحو الجنوب بحيث غدا اكبر أقسام الهند ضمن إمبراطوريته.

عبر السلطان محمود الجسر الكبير القائم على نهر آمو في عام ١٠١٩

ليجتمع بخاقان القاراخانيين فوطئت أقدامه أرض ما وراء النهر. وقد اجتاز القاراخانيون في عام ١٠٢٠ نهر آمو إلى الجنوب مجدداً إلا أنهم أزيحوا من هذه المناطق قرب بلخ من قبل السلطان محمود. كما استغل القاراخانيون فرصة وجود السلطان محمود في الهند ليهجموا بقواتهم الكبيرة وبشكل مفاجئ وليستولوا على خراسان وغزنه.

وفي نفس الفترة قدم أرسلان يابكو إلى بخارى متفقاً مع تيكين إلا أن الصلح عقد بين القاراخانيين والغزنويين في عام ١٠٢٥ واجتمع الخاقان التركي الأكبر قادر خان والسلطان محمود بالقرب من سمرقند. وقد أوضح الخاقان الأكبر للحاكم الغزنوي الكبير خطر السلاجقة الأوغوز ومحاولاتهم الرامية إلى انتزاع عرش الدولة التركية الكبرى. فواجه السلاجقة بذلك خطر الإجهاز عليهم من قبل الإمبراطوريتين الكبيرتين. وقد توجس السلطان محمود خيفة من أن يزحف السلاجقة على خراسان أثناء وجوده في الهند. ودعي ملك الأوغوز أرسلان يابكو إسرائيل بك السلجوقي إلى زيارته إلا أنه اعتقله مشينة واقتاده إلى جنوب نهر الغنج في الهند. وقد أدى هذا الفعل المخالف للأعراف الدولية إلى تولد حقد دفين أوغر صدور السلاجقة نحو الغزنويين وان كان قوتالمش وجاغري بك وطغرل بك قد طالبوا إعادة الحاكم المعتقل مراراً فإنهم لم يفلحوا في ذلك.

قام السلطان محمود بعد ذلك بأشهر غزواته للهند وهي الغزوة السادسة عشرة التي فتح فيها كوجرات (شتاء١٠٢٤ ـ ١٠٢٥) كما قام في أوائل عام ١٠٢٧ بغزوته الأخيرة السابعة عشرة وعاد بعد هذا التاريخ إلى الشرق.

بدأ الأوغوز بمهاجمة خراسان مستغلين كون بلادهم بعيدة عن أن يصلها الغزنويون. وقد استنجد الوالي الغزنوي أرسلان جاذب بالسلطان فقدم هذا إلى طوس (مشهد) وفرق شمل الأوغوز في عام ١٠٢٨ وانسحب السلاجقة إلى الشمال إلا أنهم تيقنوا بأن الصراع الناشب بينهم وبين

الغزنويين هو صراع حياة أو موت يتيح لهم انتصارهم فيه أن يجهزوا على سيادة القاراخانيين أيضاً.

كان الأوغوز قد استحوذوا على الأقسام الشمالية الغربية من خراسان. وقد نزل السلطان محمود الذي سئم حرب العصابات المتعب إلى الشرق فدخل مدينة ري (طهران) في أيار (مايو) من عام ١٠٢٩ واستولى على عراق العجم (ري، أصفهان، همدان، قزوين). وجاءت وفاة السلطان محمود الغزنوي والإمبراطورية في أوج قوتها وعظمتها ليتزايد أمل السلاجقة في القضاء على هذه الإمبراطورية. وقد كانت هذه الفكرة تختمر في عقلي جاغري بك وطغرل بك وتشكل أملاً في قلوب الأوغوز فلم يكن أحد ليتصور بأن إمارة صغيرة تستطيع القضاء على هذه الإمبراطورية الشاسعة وتمتد نحو البحر الأبيض.

وقد كان الأمر مشابهاً بالنسبة للقاراخانيين فيما كان أرسلان يابكو أسيراً ومنفيّاً في الهند فقد اعتقل القاراخانيون في عام ١٠٢٨ يوسف ايناتج يابكو الذي خلف الحاكم المعتقل وقتلوه.

عقد الشقيقان جاغري وطغرل العزم على جعل الدولة التركية الكبرى إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف وعملاً من أجل مبدأيهما كما عمل من قبلهما الشقيقان كول تيكين وبيلكه خان وقد أفلحا في ذلك.

٣ ـ داندانكان (٢٣ أيار (مايو) ١٠٤٠)

فتح نيسابور (١٠٣٨)

كان لوفاة السلطان محمود الغزنوي واتباع القاراخانيين لنفس أسلوب الحكم في الدولة التركية الكبرى القاضي باشتراك أفراد السلالة الحاكمة جميعاً في الحكم أبعد الأثر في فسح المجال أمام السلاجقة لتحقيق مآربهم.

وقد كان الود مفقوداً بين القاراخانيين والغزنويين فبينما كان هؤلاء تحت تأثير الثقافة الفارسية فقد كان القاراخانيون يمثلون الثقافة التركية

البحتة كما أن انتسابهم إلى سلالة (الذئب الأغبر) المتفرعة من الكوك تورك كان له الأثر في تقليلهم من شان الغزنويين. ويجدر بنا أن نضيف بأن القاراخانيين كانوا يحسدون سطوة الغزنويين وشهرتهم التي رافقت فتح الهند. إلا أن الصينيين كانوا يعتبرون القاراخانيين الدولة التركية الحقيقية وقد استمر النزاع التقليدي التركي ـ الصيني بينهم وبين القاراخانيين. وقد بعث الصينيون الذين توجسوا خيفة من امتداد الحدود الشرقية للدولة التركية إلى داخل إقليم قان صو رسلاً إلى الغزنويين يدعونهم إلى التحالف ضد القاراخانيين. إلا أن السلطان محمود الذي كان مشغولاً بفتوحاته في الهند لم يأبه بذلك. ومع ذلك فقد كان السلطان يبيت انتزاع ما وراء النهر من القاراخانيين الذين كانوا قد استولوا عليها بعد انقراض الدولة السامانية الفارسية. وإن كان السلطان قد دخل سمرقند في عام ١٠٢٥ واستولى ابنه السلطان مسعود في عام ١٠٣٢ على بخارى فقد كانت هذه الفتوحات وقتية. وقد كان نهر آمو حدّاً فاصلاً بين الدولتين فلا القاراخانيون استولوا على خراسان ولا استطاع الغزنويون أن يستولوا على ما وراء النهر.

كان السلاجقة في غمرة هذه الظروف يبيتون العزم على الاستيلاء على خراسان اعتقاداً منهم بأن خراسان تشكل بداية الطريق إلى بلاد الفرس والشرق. و بدأت محاولات الأوغوز الرامية إلى الاستيلاء على خراسان في عام ١٠٣١ عندما توفي السلطان محمود وخلفه ابناه السلطان محمد والسلطان مسعود وقد دب النزاع بينهما فاستفاد السلاجقة من هذا الأمر، فقد استولوا على مدينة هرات أول الأمر، إلا أن الغزنويين استرجعوا المدينة إثر معركة (فواره). وبدأ بذلك الصراع فدخلت جيوش الأوغوز في عام ١٠٣٣ إلى خراسان ودحر جاغري بك الجيش الغزنوي في عام ١٠٣٥ ولم يعلق السلطان مسعود أهمية لذلك واستمر على الفتوحات التي بدأ بها والده في الهند.

تلاحمت القوتان المتمثلتان في جاغري بك وشقيقه الأصغر طغرل

بك وقد أودع جاغري بك الذي كان يبلغ من العمر خمسين عاماً (في عام ١٠٤٠) إدارة البلاد إلى أخيه الذي كان يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً نظراً لدهائه السياسي وبالرغم من عدم إنجابه لأبناء. ويجدر بالإشارة إلى أن هذه الحادثة كانت مشابهة تماماً للخطة التي اتبعها بيلكه خان وشقيقه كول تيكين المتميز بالتفوق العسكري الفذ في عهد الكوك تورك. فقد تجول جاغري بك في عام ١٠١٦ ـ ١٠٢١ في قفقاسيا الجنوبية وتجول حوالي خمسة أعوام مع نفر من خيالة الأوغوز على الحدود الشرقية للبيزنطيين وعاد إلى بلاده مكتسباً خبرة عسكرية فائقة وقاد جيوشه متخلصاً لعدة مرات من مطاردات الغزنويين الشديدة.

وما إن حل عام ١٠٣٧ حتى استولى جاغري بك على مدينة مرو من أكبر مدن خراسان فأمر بقراءة الخطبة باسمه بعنوان ملك الملوك. كما وقعت مدينة بلح في نفس العام بيد السلاجقة وفتحت هرات في حزيران من عام ١٠٣٨ وأخيراً تم فتح نيسابور في آب من عام ١٠٣٨ وقد أمر طغرل بك بقراءة الخطبة باسمه بعنوان السلطان وتعتبر هذه الحادثة حادثة قانونية هامة إذ لم يكن أحد قد تقلد هذا اللقب ماعدا السلطان محمود وابنيه فقد كان الخليفة العباسي في بغداد يعتبر السلطان الشرعي.

النصر في انداناكان فتح أبواب المياه المفتوحة أمام الأتراك

استولى السلاجقة على خراسان برمتها بعد فتح نيسابور، وجهر طغرل بك بعدم المبالاة بالغزنويين بتقلده لقب السلطان. وقد انتبه السلطان مسعود أخيراً إلى الخطر المحدق به فترك فتوحاته في الهند وعاد إلى خراسان فاستعاد بلح وأجبر السلاجقة على الانسحاب في معركة علي ـ آباد، فقد فضل جاغري بك الانسحاب إزاء تفوق الجيش الغزنوي الهائل قبل أن تلحق به الهزيمة. وكان هناك فارق كبير بين القائدين، فالسلطان مسعود كان شابّاً مغروراً ينظر إلى السلاجقة نظرته إلى حفنة من العصاة والمتمردين.

سار السلطان مسعود في شهر أيار (مايو) من عام ١٠٣٩ بجيشه على الأوغوز مجدداً فاستنجد جاغري بالعائلة السلجوقية بأسرها. فلبى نداءه أخوه السلطان طغرل إمبراطور السلاجقة من نيسابور وعمه موسى يابكو حاكم الأوغوز السابق من مرو، واتحدت قوات الأوغوز في سراخس وقرر السلاجقة شن حرب العصابات نظراً لتفوق خصومهم العددي. إلا أن الجيش الغزنوي لم يكن قد اعتاد مثل هذه الحروب فلحقت به أضرار عديدة ولما طلب السلاجقة الصلح قبل السلطان مسعود هذا العرض بامتنان وقرر العودة إلى غزنة. إلا أن السلاجقة أخذوا يقتنصون الوحدات العائدة فغضب السلطان مسعود وقرر الانتهاء نهائياً من أمر الأوغوز وإبادتهم بينما كان السلاجقة يواصلون الاستيلاء على المدن التي لم يستولوا عليها بعد في خراسان. كما كانت بعض المدن تدعو الأوغوز بنفسها مثل سراخس ونيسا وباورد بعدما رأت استتباب الأمن والنظام في المدن التي دخلها الاوغوز. أما الغزنويون فكانوا يواصلون بدورهم استرجاع ما يمكنهم من هذه المدن وقد جاءت الضربة الشديدة عندما دخل السلطان مسعود نيسابور وأخرج منها السلطان طغرل بك. وعندما سمع بتقدم السلاجقة من خراسان الشمالية إلى خراسان الوسطى ترك في نيسابور قوة لا يستهان بها وهي التي استخدمت في فتح الهند. وتقدم إلى سراخس في ١٥ أيار (مايو) ١٠٤٠ إلا أن السلاجقة كانوا قد انسحبوا منها وواصل السلطان تقدمه نحو مدينة مرو فاسترجعها.

كان الوضع محرجاً بالنسبة للسلاجقة. فقد كان من رأي طغرل بك نفسه في المجلس الحربي الاستعاضة عن زج الأوغوز في حرب شعواء مع أكبر جيش في العالم بإخلاء خراسان والتقدم من إيران الشمالية إلى أذربيجان وحدود الأناضول والقتال ضد البيزنطيين. إلا أن جاغري بك عارض هذا الرأي بشدة فأعلن اعتقاده بأن النصر سيكون للسلاجقة في معركة فاصلة قادمة، وانتهى الاجتماع بالاتفاق على ضرورة إبادة الجيش الغزنوي.

التقى الجيشان في دانداناكان بالقرب من مرو في ٢٣ أيار (مايو) ١٠٤٠ إلا أن بطولة السلطان مسعود لم تمنع الهزيمة عن جيشه الذي اندحر أمام الدهاء العسكري لطغرل ـ جاغري. ولم يظهر القادة الغزنويون أي مجهود يذكر بسبب امتعاضهم من إدارة السلطان ومقابل ذلك كان السلاجقة مدفوعين بأمل الإمبراطورية الكبرى ومتعلقين بقيادتهم تعلقاً لا مثيل له. وإزاء هذا قرر السلطان مسعود الرجوع إلى غزنة وقتل بعد سبعة أشهر من هذه الفاجعة.

استولى السلاجقة على خزائن الغزنويين ومخيماتهم وقويت شوكتهم فبايعتهم القبائل المختلفة دون قتال. وتحقق الحلم الذي كان يراود السلاجقة منذ أعوام طوال ذلك الحلم الذي لم يكن أحد ليصدق بتحققه، فلم يكن أحد ليتصور بأن جيشاً قليل العدد والعدة كالجيش السلجوقي يقهر أكبر جيش في العالم آنذاك والمتمثل بالجيش الغزنوي.

ومعركة دانداناكان لها أكبر الأهمية في التاريخ التركي بعد حادثتي فتح استانبول ومعركة مالازكيرت وقد فتحت هذه المعركة أبواب المياه الدافئة أمام الأتراك.

٤ ـ السلطان طغرل بك (١٠٤٠ ـ ١٠٦٣)
انتقال الدولة التركية الكبرى إلى السلاجقة

انتقلت السيادة على الدولة التركية الكبرى من القاراخانيين إلى السلاجقة بعد معركة دانداناكان، بينما خرج الغزنويون تماماً من مسرح السياسة في الشرق إذ تحولت هي والإمبراطورية القاراخانية إلى مجرد دولتين صغيرتين من دول الشرق الأوسط في حين ارتفع السلاجقة إلى مصاف الإمبراطورية.

وقد كانت الدولة لدى السلاجقة شأنهم في ذلك شأن السلالات التركية الأخرى ملكاً مشتركاً للسلالة الحاكمة إذ كان الأمراء الذين يلقبون

بألقاب مختلفة مثل الملك أو السلطان ينفردون في حكم المقاطعات بإشراف السلطان الأعظم. وقد تمادى بعض هؤلاء إلى حد تأسيس سلالات مستقلة مثل سلاجقة الأناضول والعراق وكرمان والشام (سوريا) وارضروم. كما يستفاد من التاريخ السلجوقي أن هؤلاء اتبعوا نفس السياسة التركية التقليدية بتقسيم الحكم إلى قسمين (شرقي وغربي في أغلب الأحيان) وليس أدل على ذلك من حكم طغرل بك وجاغري بك فقد كانت عاصمة طغرل نيسابور بينما كانت عاصمة جاغري في مرو.

وقد كان السلاجقة مثل الكوك تورك أباطرة الدنيا دون نزاع. فقد كان لقب (السلطان) يدل على حكمهم للمسلمين و (شاهنشاه) على حكمهم للفرس و (الخاقان) للترك وكان لقب الشاهنشاه عنواناً فارسيًّا قديماً لم يجرؤ أحد على استعماله بعد سقوط الدولة الفارسية على يد العرب.

أصبحت الأغلبية الساحقة من سكان ما وراء النهر في عهد القاراخانيين من الأتراك. بينما تجمع الفرس في القرن الحادي عشر في بامير وبداخشان وجنوب جبال الاي أي في تاجيكستان الحالية مع أقليات صغيرة في المدن الكبرى مثل بخارى. و كان الدور على خراسان التي لم تصبح تركية بحتة حتى ذلك العهد إلا أن الأتراك أصبحوا يشكلون الأكثرية في عهد السلاجقة ثم في عهد المغول والتيموريين وفي مقابل ذلك فقدت بلاد الأوغوز أغلب سكانها إذ هاجر الملايين من الأوغوز إلى الأناضول وأذربيجان وخراسان وإيران والعراق وسوريا وأقاليم أخرى. وكانت العاصمة الأولى للسلاجقة في عهد إمبراطوريتهم نيسابور ثم انتقلت إلى مدينة ري (طهران) بعد فتحها.

الأتراك يفتحون الشرق الأدنى

استولى جاغري بك بعد عدة أشهر من معركة دانداناكان على مدينة بلح التي لم يستطيع السلطان مودود الغزنوي إنقاذها وبذلك أصبح نهر هري

رود وجبال بابا وهندوكوش حدّاً فاصلاً بين الإمبراطوريتين، وانقطع اتصال الغزنويين بخراسان وتركستان نهائيّاً. ثم فتح جاغري بك توهارستان. وأباد الأمير ألب أرسلان ابن جاغري بك في عام ١٠٤٤ جيشاً غزنويّاً فولاه والده على بلح وأمره بحماية الولايات الشرقية إزاء الغزنويين.

وقد انضمت خوارزم في عام ١٠٤٥ إلى الإدارة السلجوقية وعقدت معاهدة تحالف بين السلاجقة والقاراخانيين ضد الغزنويين. إلا أن القاراخانيين هاجموا خراسان في عام ١٠٤٧ فردهم ألب أرسلان على أعقابهم خاسرين واعترف القاراخانيون بموجب معاهدة الصلح المعقودة إثر هذه الهزيمة بتفوق السلاجقة.

كان ابن جاغري بك وشقيق ألب أرسلان، كاورت بك يوالي فتوحاته في كرمان أي الأقسام الجنوبية الشرقية من إيران وتم على يده فتح جميع المقاطعات الممتدة حتى الحدود المتاخمة لبلوشستان (باكستان الغربية حاليّاً) ووصل الأتراك إلى خليج البصرة والخليج العربي. وإذا ما اعتبر بحر قزوين بحراً داخليّاً فقد كان هذا الأمر يشكل حادثة هامة تتمثل في وصول الأتراك الأوغوز إلى المياه المكشوفة لأول مرة. ويظهر سير الحوادث أنهم كانوا قد أزمعوا إلى الوصول إلى البحر الأحمر والبحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط كما تم ذلك فعلاً فيما بعد.

أما ياقوتي بك الابن الآخر لجاري بك فقد فتح سيستان (المقاطعة الواقعة بين خراسان وكرمان) في عام ١٠٥٤ وأردفها بعد عام بمقاطعة مكران (المقاطعة الواقعة بين كرمان وبلوشستان).

وفي هذه الفترة ظهر الغزنويون مجدداً في المناطق القريبة من البحر والحقوا بالسلاجقة بعض الأضرار إلا أن ألب أرسلان انقض على جيش الغزنويين وأسر قادته وإثر ذلك عقدت المعاهدة التي اعترف الغزنويون بموجبها بجبال هندوكوش حدوداً. ويجدر بالذكر أن نصوص هذه المعاهدة التي كان أمدها خمسين عاماً كانت قد كتبت من قبل المؤرخ المعروف أبي الفضل البيهقي.

وقد توفي جاغري بك في عام ١٠٦٠ عن سبعين عاماً في سراخس ونقل جثمانه إلى مرو حيث دفن فيها. وكان نجله ألب أرسلان عند وفاته والياً عامّاً عن أبيه على خراسان وكاورت بك على كرمان وياقوتي بك على أذربيجان. وقد تحدثنا فيما سبق عن هؤلاء القادة. أما بنات جاغري بك فقد كانت إحدى بناته زوجة قوتالمش بك مؤسس فرع سلاجقة الأناضول والثاني (خديجة أرسلان خاتون) زوجة الخليفة القائم والثالثة زوجة سلطان القاراخانيين والرابعة زوجة أحد حكام البويهيين. وقد تزوجت زوجته أم ابنه سليمان بك بطغرل بك وسعت إلى إعلان ابنها سليمان سلطاناً بعد وفاة طغرل الذي لم ينجب أبناء وهذا هو السبب الذي حدا بالسلطان ألب أرسلان إلى محاربة أخيه سليمان بعد وفاة والده.

وقد فتح جاغري بك الذي يعد من أشهر شخصيات التاريخ التركي العسكرية وأحد أبطال العالم المرموقين مع أخيه طغرل بك المرحلة الثانية للتاريخ الإسلامي. وقد عمد السلاجقة الذين حكموا العالم الإسلامي بعد الأمويين والعباسيين إلى إحلال ألأتراك محل العرب والفرس في إدارة العالم الإسلامي. ويجمع المؤرخون أن جاغري بك كان كشقيقه طغرل بك عادلاً مستقيماً جريئاً ورحيماً في حياته السياسية ويفيدون بأن هذه الصفات انتقلت إلى ألب أرسلان أيضاً من والده. وقد ترسخت فكرة الجهاد لدى الأتراك تحت قيادة السلاجقة الذين اقتنعوا بهذه الفكرة واعتبروها مطابقة لدورهم التاريخي العالمي. وقد ذهب السلاجقة إلى حد اعتبار حكامهم قد بعثوا من قبل الله لتحقيق هذه الأهداف السامية.

السلاجقة يبسطون حمايتهم على الخليفة

بينما كان جاغري بك يوالي فتوحاته بمساعدة أنجاله كان شقيقه الخاقان الأكبر طغرل بك يواصل بدهائه السياسي تنظيم أمور الدولة. وكان الخليفة العباسي آنذاك ألعوبة بيد القادة البويهيين كما كانت الخلافة ضعيفة تلعب بها الأهواء.

وفي عام ١٠٥٥ اتخذ السلطان طغرل بك أمر تعمير طريق الحج وإعادة صرح النظام بحجة الدخول إلى العراق برفقة جيوشه الجرارة. فعمد البويهيون إلى محاولة استغلال نفوذ الخليفة القائم الديني للحيلولة دون دخول الأتراك إلا أن الخليفة الذي كان مدركاً لحراجة الموقف وعالماً باتصال قائدة البساسيري بالفاطميين في مصر أمر بقراءة الخطبة في بغداد باسم السلطان طغرل وبذلك فقد تنازل الخليفة القائم في ١٥ كانون الأول ١٠٥٥ عن سلطته الدنيوية واكتفى بزعامته الروحية واعترف بالوضع الجديد بتلاوة اسم طغرل بك بجانب اسمه في خطبة الجمعة، وبعد عشرة أيام دخل السلطان طغرل إلى بغداد واستقبل بحفاوة بالغة من قبل الشعب. واعتقل أرسلان البساسيري وتزوج الخليفة بعد أربعة أشهر بابنة جاغري بك خديجة أرسلان خاتون مصاهراً السلطان.

وبعد خروج طغرل من بغداد فر البساسيري من السجن وجمع أعوانه ثم دخل إلى بغداد معتقداً بحتمية هزيمة السلطان طغرل أمام إبراهيم ينال الملك السلجوقي المتمرد. وأمر البساسيري بتلاوة الخطبة باسم الخليفة الفاطمي واعتقل الخليفة القائم الذي حاول مقاومة العصيان مع نفر من أتباعه وسيق إلى خارج بغداد حيث سجن. وأجبر البساسيري الخليفة على توقيع وثيقة التنازل عن الخلافة لصالح الخليفة الفاطمي فأرسل الوثيقة مع ما اغتصبه من كنوز القصر إلى القاهرة.

وفي هذه الأثناء كان السلطان طغرل قد قمع تمرد إبراهيم ينال وذلك في ١٤ كانون الأول ١٠٥٩ ورجع إلى بغداد وعندما علم البساسيري بعودته أسرع الى ترك العاصمة. إلا أنه اعتقل من قبل السلاجقة وقتل ودخل السلطان إلى بغداد في غمرة فرحة الشعب للمرة الثانية. وعندما أظهر السلطان رغبته في الزواج من ابنة الخليفة ارتعب الخليفة من ذلك ظنّاً منه أن السلاجقة سينصبون من الأمير الذي ينجب نتيجة لهذا الزواج خليفة للمسلمين. إلا أن السلطان طغرل لم يكن يفكر بهذا الأمر وكان يضمر

نيات حسنة تجاه الخلافة العباسية بالإضافة إلى أنه كان محروماً من إنجاب الأطفال. وقد توجس الخليفة من أمر تحقق بعد ٤٥٦ عاماً عندما انتقلت الخلافة إلى السلطان ياوز سليم العثماني بعد أربعة قرون ونصف قرن من بقاء العرب تحت الحكم التركي.

تزوج السلطان طغرل بك بابنة الخليفة قبل وفاته بمدة قصيرة وعمر حاضرة بغداد ثم غادرها إلى طهران بعد أن عين الموظفين المعنيين بإشاعة الأمن والاستقرار.

إبراهيم ينال يتمرد ضد طغرل بك

دخلت أذربيجان بأكبر مدنها مثل تبريز وغنجه تحت الحكم السلجوقي في عام ١٠٥٤ وامتدت حدود الدولة إلى جبال القفقاس وشرق الأناضول. وكان من أهم الأحداث الداخلية التي واجهها السلطان طغرل بعد ذلك تمرد ابن عمه وأخيه غير الشقيق إبراهيم ينال. كان إبراهيم ينال على رأس جيش تركي كبير عندما دخل همدان في ١٧ تشرين الثاني ١٠٥٨ وكان برفقته ابنا أخيه أرتاش بك، أحمد، ومحمد.

وقد فكر السلطان طغرل بحنكته السياسية إلى أن أي تفوق يظهره ينال سيكون له الأثر في نشوب حرب أهلية كاسحة ولذلك لم يكتف بالوحدات الموجودة لديه فأمر أبناء أخيه ألب أرسلان في خراسان، وكاورت بك في كرمان، وياقوتي بك في شرق الأناضول للانضمام إليه بقواتهم وبذلك فقد أنزل بالجيش المتمرد ضربة قاسية كان من نتيجتها أن أسر ينال وأحمد ومحمد، ونظراً للتقاليد التركية القديمة التي تقضي بتقديس أمراء السلالة الحاكمة وعدم جواز إراقة دمائهم فقد خنقوا بأقواس سهامهم.

لم يكن الغزنويون والقاراخانيون يعترفون بالسيادة السلجوقية إلا في المعاهدات التي كانت تبقى حبراً على ورق في هذه الفترة نظراً لعدم وصول الإمبراطورية إلى أوجها كما بلغته في عهد ألب أرسلان وابنه

ملكشاه. وبالرغم من ذلك فقد كانت دولة طغرل أقوى دول العالم وأكبرها دون نقاش إذ كانت تضم إيران، والعراق، وأذربيجان، وأرمينيا، أفغانستان، الواقعة شمال جبال بابا وهندوكوش، وتركمنستان وقارا قالباقستان وأوست يورد وصحراء قزل قوم بحيث كانت مساحتها تبلغ حوالي ٣,٦٠٠,٠٠٠ كم مربع. وكانت هذه البلاد تضم أكبر وأغنى مدن العالم آنذاك كما كانت أهميتها الاستراتيجية فائقة تسيطر على الشرق الأوسط وتركستان والهند من الشرق وبلدان البحر المتوسط من الغرب.

نورد فيما يلي مقطعاً من رسالة كتبها الأديب العربي ابن حسول المتوفى عام ١٠٥٨ بشان الأتراك نظراً لأهميتها المتمثلة في الإشارة إلى الشعور السائد تجاه الأتراك في عهد السلطان طغرل بك:

«أذكر جانباً من صفات الأتراك كما هم دون تعصب أو تحيز، دون إضافة أو نقص. وغرضي من ذلك الحقيقة وحدها إذ لست طامعاً في شيء ولا محاولاً الحصول على شيء. ليست هناك أمة بين الأمم توازي الأتراك في شجاعتهم وبأسهم واندفاعهم لتحقيق أهدافهم الكبرى، فقد خلقهم الله أسوداً كاسرة. والتركي إذا أسر فلا يرضى إلا أن يوازي من أسره ويماثله في المأكل والمشرب والملبس وفي استعمال الخيل. فالتركي لا يستخدم شأن الهنود أو الروم أو الأرمن أو غيرهم في كنس الأرض والعناية بالخيل وغيرها من الأعمال العادية. ويتميز الأتراك بأنهم خلقوا لقيادة المجتمعات. فقد خلقوا بالفطرة للقيادة والأمر وإدارة الأقوام. ولنضرب على ذلك مثلاً العراق أو مصر وهي أبعد البلدان عن الوطن الأم للأتراك وتجهل التركية تماماً ولنمعن النظر في كيفية سيطرة حفنة من الأتراك الذين دخلوا هذه البلدان على الحكم فيها.

واليوم فإن سلطان الدنيا وقائد الدين الإسلامي هو السلطان الأعظم طغرل بك. فليساعده الرب ويؤيده بنصر من عنده ويخذل أعداءه. فقد وجد الأتراك في طغرل بك حاكماً نشر العدل في مشرق الأرض ومغربها.

لقد وهبه الله دولة لم يهبها لغيره من السلاطين، فإطاعة الخاقان التركي اليوم فرض على كل مسلم فلندعُ له بالخير ليل نهار لينصر الله به ديننا الحنيف».

٥ ـ السلطان ألب أرسلان (١٠٦٣ ـ ١٠٧٢)

السلطان ألب أرسلان الخاقان الأكبر الثاني للسلاجقة

كان ألب أرسلان قائداً مشهوراً امتاز بتفوقه في المعارك الحربية وكان يبلغ الرابعة والثلاثين من العمر عند وفاة عمه طغرل وكان حاكماً لهم مقاطعات الإمبراطورية وهي خراسان التي تبلغ مساحتها ٥٠٠,٠٠٠ كم مربع ويسكنها سكان من الكثافة بمكان. كان ألب أرسلان في الأعوام الأخيرة من حياة والده الحاكم الحقيقي للمقاطعات الشرقية وقد أبقاه عمه في منصبه بعد وفاة والده.

تمت مراسيم اعتلاء السلطان ألب أرسلان على العرش في ٢٧ نيسان ١٠٦٤ أي بعد وفاة عمه بسبعة أشهر وعشرين يوماً فقد قمع تمرد أخيه الأمير سليمان ثم سار على ابن عم أبيه ملك قوتالمش الذي كان يطالب بالعرش وكان هذا ابن أرسلان يابكو، يابكو السلاجقة الأول والذي اعتقل من قبل السلطان محمود الغزنوي ونفي إلى كالينجار في الهند حيث توفي. وقد اشتهر قوتالمش بغزواته في شرق الأناضول وادعى بأحقيته في العرش وكانت قوات إبراهيم ينال الذي تمرد على طغرل في عام ١٠٥٩ وقتل قد التحقت بقوات قوتالمش، وبذلك فقد بلغ عدد فرسان قوتالمش سبعين ألفاً.

وكان لقوتالمش مؤيدون في أذربيجان وأران وأرمينيا وبلاد الفرس وعندما سار هذا بقواته على طهران، عاصمة الإمبراطورية أمر السلطان ألب أرسلان قواته بالسير الإجباري من نيسابور مركز خراسان فوصل إلى طهران فأرسل الرسل إلى عمه داعياً إياه إلى السلم ومحاربة الأعداء، إلا إن

قوتالمش لم يعره أذناً صاغية. وإزاء ذلك هجم السلطان ألب أرسلان بقواته وألحق بالقوات المتمردة خسائر فادحة وقتل قوتالمش أثناء فراره. وقد أعلن السلطان العفو عن الجيش المتمرد وأمر بنقل رفاة قوتالمش إلى طهران حيث دفن إلى جانب طغرل بك. وأطلق السلطان سراح ملك رسول تيكين شقيق قوتالمش.

لم يكن قوتالمش رجل حرب فحسب بل كان عالماً أريباً وقد أنشأ أنجاله الخمسة على تربية عسكرية فذة فكان يصطحبهم إلى الحروب بحيث شبوا محاربين شجعاناً. وبعد هذه الحادثة طلب السلطان ألب أرسلان من عم والده والابن الوحيد لسلجوق بك الباقي على قيد الحياة وهو موسى يابكو أن لا يستعمل لقب يابكو وذلك للتخلص من هذه الصفة نهائياً.

السلطان ألب أرسلان يفتح كرجستان (جورجيا) في ١٠٦٤

دخل السلطان في ١٠٦٤ إلى كرجستان، المملكة المسيحية فألحقها بالإمبراطورية التركية وبذلك أصبحت قفقاسيا الجنوبية برمتها داخلة ضمن الإمبراطورية التركية الكبرى وانقطعت علاقة البيزنطيين بشرق البحر الأسود. وفي نفس الفترة فتح السلطان مدينة قارس.

ولم يعتبر قاره أرسلان كاورت بحادثتي سليمان وقوتالمش نعمل على انتزاع العرش إلا أنه فوجئ بقدوم ألب أرسلان إلى كرمان فطلب الصفح ولم يرفض السلطان طلبه فصفح عنه وأبقاه في ولاية كرمان.

السلطان ألب أرسلان يدخل إلى آسيا الوسطى

قدم السلطان ألب أرسلان إلى مرو في عام ١٠٦٥ وزوج ابنيه ملك شاه وأرسلان شاه بأميرتين من الغزنويين والقاراخانيين وفي عام ١٠٦٧ دخل السلطان إلى خزرم وتجول في شمال وشرق بحيرة أرال فأتم ضم جميع مقاطعات الأوغوز إلى الدولة التركية الكبرى. ثم أرسل قوات احتياطية كبيرة إلى جيشه الغربي مبلغاً إياه بقرب قدومه إلى بيزنطيا.

السلطان ألب أرسلان يصل إلى حدود البيزنطيين في ١٠٦٨

عبر السلطان نهر أراس إلى الشمال فدخل كرجستان وبدأ بحركاته التي كانت مقدمة لفتح الأناضول فحقق نصر مالازكيرت وأمر سليمان شاه ابن قوتالمش بفتح الأناضول، وسنأتي على تفاصيل هذا الموضوع في الفصول القادمة.

رجع السلطان في عام ١٠٧٢ إلى ما وراء النهر وقتل من قبل أحد قادة قلاع القاراخانيين الذي تسلل إلى مضجعه نتيجة لدسيسة محكمة. وكان عمره يبلغ حين وفاته ثلاثة وأربعين عاماً وتسعة أشهر وستة أيام. وقد دام حكمه تسعة أعوام وشهراً واحداً وثمانية عشر يوماً.

وقد توج نصر ملازكرت جميع أعماله فأتم بهذا النصر نصر أبيه وعمه في داندانا كان. وكان رجل دولة وحرب نشأ منذ نعومة أظفاره بتربية عسكرية وسجايا قويمة. وقد ورث صفات أبيه وعمه الخيرة فكان يصفح عن الأسرى والمتمردين ويعاملهم معاملة حسنة ويبتعد عن إراقة الدماء خارج الحرب، وقد أحبه رعاياه. وكان وزيره الوحيد نظام الملك الذي أصبح فيما بعد وزيراً لابنه ملك شاه. ونظام الملك من أشهر وزراء التاريخ الإسلامي.

كانت العاصمة الأولى للإمبراطورية في عهد السلاجقة مدينة نيسابور ثم انتقلت إلى ري. ثم نقلها ملك شاه إلى أصفهان ونقلها السلطان سنجر ابن ملك شاه إلى مرو في الشمال الشرقي مرة أخرى.

الجدول ١٧: السلاجقة: ـ

١ ـ السلاجقة الكبار ١٠٤٠ ـ ١١٥٧ = ١١٦ عاماً وأحد عشر شهراً وسبعة أيام

١ ـ السلطان محمد طغرل	١٠٤٠/٠٥/٢٣ ـ ١٠٦٣/٠٩/٠٤
٢ ـ السلطان محمد ألب أرسلان	١٠٦٣/٠٩/٠٤ ـ ١٠٧٢/١٠/٢٥

٣ ـ السلطان جلال الدولة ملك شاه ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢
٤ ـ السلطان محمود ١٠٩٢ ـ ١٠٩٣
٥ ـ السلطان ركن الدين بركياروق ١٠٩٣ ـ ١١٠٤
٦ ـ السلطان ملك شاه الثاني ١١٠٤ ـ ١١٠٥
٧ ـ السلطان محمد طابار ١١٠٥ ـ ١١١٨
٨ ـ السلطان معز الدين سنجر ١١١٨ ـ ١١٥٧

٢ ـ سلاجقة العراق ٠٥/٠٤/١١١٨ ـ ٢٥/٠٣/١١٩٤ = ٧٥ عام، ١١ شهر، ٢٠ يوماً

١ ـ السلطان محمود ١١١٨ ـ ١١٣١
٦ ـ السلطان محمد ١١٥٣ ـ ١١٥٩
٢ ـ السلطان داوود ١١٣١ ـ ١١٣٢
٧ ـ السلطان سليمان شاه ١١٥٩ ـ ١١٦١
٣ ـ السلطان طغرل الأول ١١٣٢ ـ ١١٣٤
٨ ـ السلطان أرسلان شاه ١١٦١ ـ ١١٧٧
٤ ـ السلطان مسعود ١١٣٤ ـ ١١٥١
٩ ـ السلطان طغرل الثاني ١١٧٧ ـ ١١٩٤
٥ ـ السلطان ملك شاه ١١٥١ ـ ١١٥٣

٣ ـ سلاجقة كرمان ١٠٤١ ـ ١١٨٧ = ١٤٤ ملك قارة أرسلان كاورت

١٠٤١ ـ ١٠٧٣
٧ ـ ملك شاه ١١٤٢ ـ ١١٥٦
٢ ـ كرمان شاه ١٠٧٣ ـ ١٠٧٤
٨ ـ طغرل شاه ١١٥٦ ـ ١١٦٩
٣ ـ سلطان شاه ١٠٧٤ ـ ١٠٨٥
٩ ـ بهرام شاه ١١٦٩ ـ ١١٨٧
٤ ـ توران شاه الأول ١٠٨٥ ـ ١٠٩٧
١٠ ـ أرسلان شاه الثاني ١١٦٩ ـ ١١٨٧

٥ ـ إيران شاه ١٠٩٧ ـ ١١٠١
١١ ـ توران شاه الثاني ١١٦٩ ـ ١١٨٢
٦ ـ أرسلان شاه الأول ١١٠١ ـ ١١٤٢
١٢ ـ محمد شاه ١١٨٣ ـ ١١٨٧
٤ ـ سلاجقة سوريا ١٠٧٨ ـ ١١١٤ = ٣٦
١ ـ السلطان طوتوش ١٠٧٨ ـ ١٠٩٥
٣ ـ السلطان دوقاق ١٠٩٨ ـ ١١١٣
٢ ـ السلطان رضوان ١٠٩٥ ـ ١٠٩٨
٤ ـ السلطان ألب ارسلان ١١١٣ ـ ١١١٤
٥ ـ سلاجقة الأناضول ١٠٧٧ ـ ١٣٠٨ = ٢٣١ سيأتي ذكرهم في الفصول القادمة
٦ ـ قادة الأوغوز ـ ٩٩٠؟
١ ـ كراكوجي خوجا بك أواخر القرن الثامن
أرطغرل (أرتك) بك
٢ ـ طوقسورمش ايلجي بك ٤ ـ دوقاق
٩٠٣ ٣ ـ لقمان بك
٥ ـ سلجوق بك ٩١٠ ـ ٩٩٠ = ٨٠
٧ ـ يابكو الأوغوز (الملوك) ٩٩٠؟ ـ ١٠٤٠ = ٥٠؟
١ ـ أمير إسرائيل أرسلان يابكو ٩٩٠ ـ ١٠٢٥ = ٣٥
٣ ـ فخر الملك موسى يابكو ١٠٢٨ ـ ١٠٣٢ = ٤
٢ ـ يوسف اينانج يابكو ١٠٢٥ ـ ١٠٢٨ = ٣
٤ ـ أمير فخر الملك أرتاش يابكو ١٠٣٢ ـ ١٠٤٠ = ٨

القســـم الثاني

الأناضـول وتركيـا

(المبحث الأول)

أسس دولة تركيا ١٠٦٧ ـ ١١٥٧

١ ـ الموقع الجغرافي و الطبيعي لتركيا

تقع تركيا وامتدادها تراقيا في منطقة المناخ المعتدل الواقعة في نصف الكرة الأرضية الشمالي. وكانت الأناضول والتي كانت تسمى في العصور القديمة بآسيا الصغرى وأناتوليا بمعناها الضيق تقع بين جبال طوروس ونهر الفرات. أما بمعناها الواسع فتمتد بين بحيرتي وان وأورميه. وتحد شبه جزيرة الأناضول البحر من الشمال والجنوب والغرب. أما جزيرة قبرص وجزر آسيا (رودوس، صاقز، ميديللي. . . . الخ) فهي امتداد طبيعي للأناضول وكذلك تراقيا في الشمال الغربي بعد عبور البسفور والبحر الداخلي والمضائق.

وتشبه الأناضول وتراقيا بهذا التحديد شكل مستطيل. إذ تقع اينجه بورون الواقعة بالقرب من سينوب في الشمال في خط مواز لخط ٤٢ درجة بينما تقع هاتاي في الجنوب موازية لخط ٣٦ درجة وتفصل بينهما ست درجات. أما المسافة الغربية ـ الشرقية فتقع تقريباً على ٢٦ ـ ٤٥ درجة وبذلك تكون الأناضول ـ تراقيا تقطع ١٩ درجة في استقامة الغرب ـ الشرق. وعرض هذه البقاع ١٦٠٠ كم وطولها ٦٥٠ كم.

جبال تركيا

تركيا منطقة جبلية. وسلاسل جبالها توازي البحر الأسود في الشمال والبحر الأبيض المتوسط في الجنوب أما في الوسط فيقع سهل الأناضول وطبيعة الأناضول الغربية وتراقيا سهلية منبسطة نسبياً.

وتشكل جبال طوروس الموازية للبحر الأبيض المتوسط في الجنوب امتداداً طبيعياً لجبال إيران إلى الغرب. وتقع بين بحيرة بي شهر غرباً وبحيرة وإن شرقاً. وتنقسم جبال طوروس إلى ثلاثة أقسام وهي طوروس الغربية وطوروس الوسطى وطوروس الشرقية أو الجنوبية الغربية. وطوروس الغربية متعرجة تبدأ من بحيرة بي شهر وتمتد حتى طاش ألي وارتفاعها إلى الجنوب الغربي من بي شهر يبلغ ٢٩٨٠ متراً. أما طوروس الوسطى التي تبدأ من طاش ألي فتمتد على شكل أربع سلاسل نحو الشمال الشرقي ويقع فيها الممر الضيق المعروف كولك الذي يربط الأناضول الوسطى وجوقور أوا. وترتفع إلى الشمال من هذا الممر في جبال مددسز إلى حد ٣٥٨٥ متراً. أما طوروس الشرقية فتبدأ بجبال أمانوس الواقعة شرق خليج الاسكندرونة وتمتد حتى بحيرة وان حيث تتصل بجبال حقاري. وارتفاعها على مقربة من هذه الجبال يتراوح بين ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ متراً.

أما الجبال الموازية للبحر الأسود من الغرب إلى الشرق فتبدأ بجبال بولو وتستمر بجبال اسفنديار (كوره)، جانيك، كيراسون، كوموشخانه وريزه. وترتفع في جبال قاجقار في أقصى الشرق إلى ٣٩٣٧ متراً في حين يبلغ ارتفاع قمة فرجنيك في جبال طاطوس ٣٧١١ متراً. ويقع ممر زيغانة الشهير بين جبال زيغانة وطرابزون. وتقع إلى شرقها جبال جاقركول والتي يبلغ ارتفاعها ٣٠٦٣ متراً والى الغرب جبال كيره سون حيث يبلغ ارتفاع قممها ٣٢٠٠ مترا. وتفقد الجبال ارتفاعها بالتقدم نحو الغرب. حيث تنخفض إلى ارتفاع ٢٥٣٠ متراً في جبال ايلغاز و ٢٠١٥ متراً في جبال ايشيق و ٢٣٧٨ متراً في جبال آلا داغ.

تقع جبال الأناضول وسهل الأناضول الشرقي بين جبال البحر الأسود الشرقية وجبال طوروس الشرقية. وتقع هنا قمم يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ متر، إذ يبلغ ارتفاع جبال كشيش في شرق ارزنجان ٣٥٣٧ متراً وجبال ألا داغ في شمال شرق بحيرة وان ٣٥١٩ متراً وجبال تندورك ٣٥٤٢ متراً وجبال كوجك أغري ٣٩٢٥ متراً وجبال بيوك أغري ٥١٦٥ متراً وهي أعلى جبال تركيا. ويذكر أن أعلى جبل في أوربا هو جبل مونت بلانك ويبلغ ارتفاعه ٤٨١٠ أمتار أي أن جبال بيوك أغري هي أعلى منها بمقدار ٣٥٥ متراً. أما جبال سبحان في شمال بحيرة وان فيبلغ ارتفاعها ٤٤٣٤ متراً. وجبال اسبريز في الجنوب الشرقي للبحيرة ٣٥٣٧ متراً وجبال منكنه ٣٥٥٠ متراً. وتقع إلى أقصى الجنوب جبال جيلو والتي يبلغ ارتفاعها ٤١٦٨ متراً في قمة رشكو وإلى شمالها الشرقي جبال مور والتي يبلغ ارتفاعها ٣٨١٠ أمتار.

أما ارتفاع جبال ارجياس الواقعة جنوب مدينة قيصري في الأناضول الوسطى فيبلغ ٣٩١٦ متراً. وارتفاع جبال أولوداغ في جنوب مدينة بورصه في الشمال الغربي يبلغ ٢٥٤٣ متراً. وهناك جبال يتراوح ارتفاعها في حدود الألف والألفي متر في الأناضول الغربية مثل جبال اكري كوز بين مدينتي باليكسير وكوتاهيه (٢١٨١ م) وجبال اق داغ إلى جنوبها الغربي (٢٠٨٩ م) وإلى جنوبها جبال شيخانه (٢١٢١ م) والى جنوبها الشرقي جبال مراد (٢٣١٢ م) وجبال ايدن إلى الشمال من مدينة ايدن وإلى الشمال منها جبال بوزداغ الموازية لها (٢١٥٧ م) وجبال قازداغي إلى الجنوب من شبه جزيرة جناق قلعة (١٧٦٧ م).

أما في تراقيا فيبلغ ارتفاع جبال استرانجه الموازية للبحر الأسود (١٠٣١ متراً في قمة ماهية) وليست هناك قمم أخرى تتجاوز الألف متر غير ما ذكر.

الأنهـــار

يعتبر نهر قزل ايرماق الذي يصب شمالاً في البحر الأسود من أطول أنهر تركيا إذ يبلغ طوله ١١٥١ كيلو متراً ويقسم الأناضول إلى قسمين. ينبع هذا النهر من جبال قزل داغ في شرق الأناضول ويصب في البحر عند خليج بافرا، ومن أهم فروعه نهر دليجة.

أما نهر يشيل ايرماق فيقع إلى الشرق من قزل ايرماق (٤١٦ كم) وينبع من جبال كوسه ويصب في البحر الأسود في سهل جارشمبه. وينبع فرع كلكيت من جبال كوموشخانه ويمتد نحو الشرق.

أما في الشرق فينبع نهر جوروخ (٣٦٨ كم) من جبال مسجد، ويصب في البحر الأسود في جنوب باطوم. ويقع قسم ضئيل منه خارج حدود تركيا في جورجيا. أما أهم نهر في منطقة البحر الأسود الغربية فهو نهر سقارية (٧٩٠ كم).

وينبع من المناطق المجاورة لجبال أميرداغ ويصب في البحر في سهل ادابازاري. ومن أهم فروعه بورصوق. كما يقع نهرا فيليوس وبارتن الصغيران في المنطقة المحصورة بين سقارية وقزل ايرماق. ومن الأنهر التي تصب في البحر الأبيض نهر سيحان (٥١٦ كم) وجيحان (٤٧٤ كم) ويرويان منطقة جوقور اوا (السهل المنخفض) وينبع سيحان من جبال تاختالي ومن فروعه كوك صو في الشرق وينيجه في الغرب وجاقيت في الجنوب. وينبع جيحان من شرق منابع سيحان ويصب في خليج الاسكندرونة.

أما فرع كوك صو والذي يصب في البحر الأبيض في سهل طاش ألي فيعتبر من أهم الأنهر التي تصب في البحر بعد نهري سيحان وجيحان. وإلى جانب هذه توجد أنهر صغيرة موازية لبعضها وتصب في البحر الأبيض فأهمها كوبري واق صو وقوجا ودالامان.

وأهم نهر يصب في بحر إيجة هو نهر مندرس الكبير (٤٩٦ كم) وينبع من الجبال الواقعة بين بحيرتي بوردور واكريدير ويلتقي في الشمال بفرع باناز. ويجري إلى الشمال من هذا النهر نهر آخر موازٍ له وهو مندرس الصغير ويصب في خليج قوش اداسي. أما نهر كديز الواقع إلى الشمال منه فيصب في خليج إزمير وإلى شماله بنهر باقير الذي يصب في خليج جاندارلي.

أما أهم الأنهر التي تصب في بحر مرمره فهي نهرا قوجا باش وكونن ويصبان في خليج اردك ونهر صوصورلو. ويلتقي النهر الأخير من الشرق بفرع نيلوفر ومن الجنوب بفرع سيماو. ولنهر قوجا جاي الذي يصب في بحيرة مانياس ونهر كيرماستي الذي يصب في بحيرة آبوليونت وفرع آترانوس أهمية محلية.

ويصب نهر مريج (٤٩٠ كم) في خليج انز ببحر إيجه ويفصل بين تراقيا الشرقية وتراقيا الغربية التابعة لليونان مشكلاً خط الحدود بين تركيا واليونان ويصب فيه من الشرق فرع أركنه الذي يقسم تراقيا الشرقية إلى نصفين. كما يصب فيه من الجنوب فرعاً جورلو وهايرابولو ومن الشمال بابا اسكي واينه جه. ويتفرع من مريج في أدرنه فرعاً تونجا واردا. ويدخل تونجا من الشمال إلى الأراضي البلغارية أما آردا فيدخل إلى تراقيا الشرقية ثم إلى اليونان فبلغاريا.

أما أهم الأنهر في الجنوب الشرقي وشرق الأناضول فهي أنهر الفرات ودجلة والعاصي. ويجري قسم ضئيل منها في الأراضي التركية. ونهر العاصي (٣٨٠ كم) ينبع في سوريا ويصب في البحر الأبيض في هاتاي. وينبع نهر دجلة (١٩٠٠ كم) من الأراضي المتاخمة لبحيرة الخزر ثم يدخل الأراضي العراقية ويصب فيه فروع عديدة في الأراضي التركية وهي ابتداء من الشمال والغرب ونحو الشرق انبار، باتمان، غارزان، بوتان، قزل صو والخابور. ويجري قسم من الفرع الأخير في العراق. أما

الفرات الذي يبلغ طوله (٢٨٠٠ كم) فينبع من جبال جوروخ وقارغابازاري في شمال شرق الأناضول ويطلق عليه قاراصو ويتفرع منه طوز صويي (النهر المالح) نحو الشرق كما يتفرع منه جالتو صو باسم الفرات الغربي نحو الغرب. أما نهر مراد صو فيصب فيه من الشمال ونحو الشرق مونزور (وبري صو النابع منه)، كوزل. ومن الجنوب بانشان وقاراصو. ومنبع مراد صو هو جبال الاداغ القريبة من أذربيجان في الأناضول الشرقية. أما نهر الفرات الذي يستمر في انحداره نحو الجنوب فيصب فيه من الشرق توخماصو وكاخته وكوك صو ونيزيب.

وينبع نهر الزاب في الجنوب الشرقي للأناضول من جبال منكنه ويدخل الأراضي العراقية حيث يلتقي بنهر دجلة أما أهم أنهر شرق الأناضول والتي تصب في بحيرة وان الكبرى فهي نهر خوشاب وإلى شماله نهر مارميت (قاره صو).

وأهم نهر في الشمال الشرقي من الأناضول هو نهر أراس وطوله ٩٢٠ كم ويصب في بحر الخزر. وأراس مع فرعه الكبير اربا جاي ويشكل خط الحدود بين تركيا وأرمينيا. ويعتبر زنغيمار جاي الذي يصب في بحيرة باليق في الجنوب فرعاً من فروع الأراس. وينبع نهر أراس من جبال بنكول ويصب فيه في الشمال نهر قارص. أما فرع كورا والذي يطلق عليه اسم قورو جاي فيدخل إلى الأناضول من أراضي جورجيا.

البحيـــرات

تعد بحيرة وان الواقعة في شرق الأناضول من أكبر بحيرات تركيا (٣٧٦٤ كم مربع)، وهي على ارتفاع ١٧٢٠ متراً عن سطح البحر ومحاطة بجبال وعرة. وتقع إلى الشرق منها بحيرة أرجك (١٠٠ كم مربع) والتي ترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٨٩٠ متراً. كما تقع بحيرة جالدير بالقرب من قارص في أقصى الشمال الشرقي (١٢٠ كم مربع) وهي على ارتفاع

١٩٥٩ متراً عن سطح البحر. وتلي هذه في الأهمية بحيرة الخزر في جنوب شرق خاربوط (٧٠ كم مربع) وهي على ارتفاع ١١٣٥ متراً عن سطح البحر.

أما في الأناضول الوسطى فتقع بحيرة طوز (الملح) والتي تعتبر الثانية بين بحيرات تركيا من حيث السعة (١٦٢٠ كم مربع) وهي على ارتفاع ٨٩٩ متراً عن سطح البحر. وتقع إلى جنوبها الغربي حوض البحيرات والتي تجتمع فيها بحيرات عديدة مثل بك شهر (٦٥١ كم مربع) وأكريدير (٥١٧ كم مربع). كما تقع إلى جنوب غرب الأخيرة بوردور (١٧٦ كم مربع) وبحيرة اجى كول (١٥٧ كم مربع) والى شمال هذه بحيرة اق شهر (١٠٥ كم مربع) وابر (١٠٤ كم مربع) والى جنوب شرق بحيرة اق شهر تقع بحيرة جاوشجي أو ايلغين (٥١ كم مربع) كما تقع بحيرة سوغلا إلى جنوب شرق بحيرة بك شهر وسعتها ١٢٥ كم مربع. وتقع بحيرة كستل ٤٢ كم مربع إلى شمال جبال بك وبحيرة سوكوت ٤٣ كم مربع في جنوبها الغربي.

أما حوض البحيرات الثالث في تركيا فيقع في منطقة مرمرة الجنوبية. وأكبر بحيرة منها هي بحيرة ازنيق (٣٠٨ كم مربع) وهي على ارتفاع ٨٠ متراً عن سطح البحر. ويليها بحيرة مانياس (١٧٨ كم مربع) في جنوب خليج باندرمه وهي على ارتفاع ٢٠ متراً فقط عن سطح البحر. وتقع إلى الشرق منها بحيرة أبوليونت (أولوباد) (١٥٦ كم مربع) على ارتفاع ١٠ أمتار عن سطح البحر. أما في أقصى الشرق فتقع بحيرة صابانجة ٤٢ كم مربع كامتداد لخليج ازميت. وهناك بحيرة ترقوس في شمال شرق تراقيا وليست على أهمية بالغة.

أما البحيرات المنفردة فأهمها بحيرة اميك (١٠٠ كم مربع) في سهل (امانوسلر) في جنوب شرق المدينة المسماة بنفس الاسم والواقعة شمال نهر العاصي في هاتاي. وهي على ارتفاع ١٤٠ متراً عن سطح البحر. وهناك بحيرة مرمرة (٤٤ كم مربع) في شمال نهر كديز في الأناضول الغربية

وبحيرة كويجكز (٥٢ كم مربع) في جنوب شرق مغلة في أقصى جنوب غرب الأناضول.

المنـــاخ

يتحكم في الأناضول مناخ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ومناخ السهول. وتقع الأناضول الجنوبية والغربية وسواحل إيجة ومرمرة ضمن مناخ منطقة البحر الأبيض. وينقسم هذا المناخ إلى ثلاثة أنواع نوع الأناضول الجنوبي وايجه ومرمرة. أما في شمال غرب تراقيا فيبدأ المناخ بالتحول إلى المناخ البري. أما في شمال الأناضول فيظهر مناخ البحر الأسود جليّاً. ويظهر أثر المناخ البري في أواسط الأناضول وشرقها وهو على أربعة أقسام: الأناضول الوسطى والشرقية والجنوب الشرقي والوسط الغربي.

ومعدل سقوط الأمطار في الأناضول بصورة عامة يبلغ متراً واحداً. ويرتفع هذا المعدل إلى أكثر من مترين في شمال شرق البحر الأسود وسواحل البحر الأبيض. ويبدأ بالتناقص مع التوغل إلى وسط الأناضول فينخفض إلى ٣٠ سنتيمتراً بالقرب من بحيرة الملح ويستمر بالانخفاض في الأقسام الوسطى والجنوبية من جنوب شرق الأناضول وشرق بحيرة وان. ويبدأ بالارتفاع والتقدم إلى الشمال الغربي من تراقيا ومعدل سقوط الأمطار في تراقيا بصورة عامة هو ٧٥ سم. وتكثر الأمطار الربيعية في أواسط الأناضول في حين تكثر أمطار الخريف في منطقة البحر الأسود. أما في أقصى الشمال الشرقي فتكثر الأمطار الصيفية.

وأبرد شهر في السنة في الأناضول بصورة عامة هو كانون الثاني (يناير) وأكثر الأشهر حرارة هو شهر تموز (يوليو) فتنخفض درجة الحرارة إلى ٤٣ تحت الصفر في قاره كوسه في شهر كانون الثاني وهي حالة استثنائية فإن أقل درجات الحرارة هي ١٥ تحت الصفر بصورة عامة. كما

يصادف أن تسجل درجات الحرارة ١٠ درجة مئوية في سواحل البحر الأبيض في الجنوب. ويندر أن تنخفض درجة الحرارة عن ٥ درجة مئوية في سواحل البحر الأسود وسواحل إيجة ومرمرة. إلا أن درجات الحرارة تنخفض إلى ٢٠ درجة تحت الصفر في بعض السنوات في منطقة تراقيا. أما معدل درجة الحرارة في وسط الأناضول بصورة عامة في شهر كانون الثاني فهو الصفر.

أما درجات الحرارة العظمى في شهر تموز (يوليو) فترتفع إلى ٣٠ درجة مئوية في المناطق المحصورة بين نهري دجلة والفرات ويندر أن تتجاوز هذا الحد. أما معدل درجات الحرارة العظمى في منطقتي البحر الأبيض وإيجة في نفس الشهر فيتراوح بين ٢٥ ـ ٣٠ درجة مئوية. وقد ترتفع إلى أكثر من ٣٠ درجة أحيانا. وتسجل قمم الجبال ومناطق البحيرات ١٠ درجة مئوية في أواسط شهر تموز وهي أحوال نادرة.

طبيعة التربة والنبات

يظهر للعيان التطور الراجع إلى مختلف الأزمنة الجيولوجية في الأناضول. ومثال ذلك النمو الراجع إلى العصور الأولى (بالوزويك) وتطور الزمن الرابع (ديلويوم) في تراقيا. كما نصادف الصخور البركانية مثل الجرانيت في معظم مناطق الأناضول.

وقد اندثرت الغابات في الأناضول بشكل مطرد منذ أقدم العصور ويظهر هذا الاندثار بشكل أوسع في سائر بقاع العالم وتنحصر الغابات اليوم في مناطق محددة وأشدها كثافة هي مناطق سواحل البحر الأسود وسفوح جبال طوروس. أما أواسط الأناضول فهي مناطق السهول الطبيعية. وتكثر نباتات منطقة البحر الأبيض في سواحل البحر الأبيض المتوسط وايجه ومرمره مثل الحمضيات والزيتون. أما قمم الجبال فتمتاز بنباتات الألب.

المزايا الاقتصادية الطبيعية للأناضول

تعتبر الأناضول من المناطق التي تسهل فيها الزراعة وتربية الحيوان لكثرة المراعي وقد كانت موطناً لتربية الحيوان على مر العصور. كما تعتبر التربة مناسبة لمختلف أنواع الزراعة وخاصة الحنطة والشعير. وقد أنتجت أواسط الأناضول مقادير هائلة من الحبوب عندما كانت تروى بصورة منتظمة، وقد جهزت الأناضول الشرق بمختلف المواد منذ آلاف السنين.

وهذه المنطقة غنية بالمعادن الموجودة في باطن الأرض فقد استخرجت أنواع المعادن فيها كما استعمل الحديد لأول مرة في تاريخ العالم في الأناضول من قبل الحيثيين الذين أحدثوا انقلاباً في فن الحرب باكتشاف هذه المادة.

الأهمية السياسية لجغرافية الأناضول

لم تفقد الأناضول أهميتها الجغرافية طوال عصور التاريخ. فقد تأسست الحضارات الأولى في الأناضول والعراق ومصر. والأناضول وتراقيا بموقعها الجغرافي الممتاز في زاوية البحار يوحيان بأهمية بارزة وهذا الموقع جعل من الأناضول مهد الحضارات الأولى. فالأناضول ـ تراقيا ممر بين البحر الأبيض والبحر الأسود وبين الشرق والبلقان وبين آسيا وأوربا. وتزداد الأهمية بالتقدم نحو منطقة مرمرة فالمضائق كانت تشكل النقطة الرئيسية التي تحاول الدول الرامية إلى السيطرة على العالم، أن تسيطر عليها. ولا تماثل أية مدينة أخرى في العالم مدينة استانبول في موقعها في المضيق بين آسيا وأوربا. وقد قال عنها نابليون بأنها المدينة التي تصلح لأن تكون عاصمة إمبراطورية العالم.

كما ليس هناك مضيق على وجه البسيطة مثل البسفور فهو على صغره ذو أهمية بالغة. وشبه جزيرتي قوجا إلى وجتالجه إضافة الى شبه جزيرتي جناق قلعه وغليبولي هي نقطة تلاقي قارتي آسيا وأوربا. وتتحكم أمروز

وبوزجا ادا وليمني في مدخل مضيق جناق قلعه وبذلك فيظهر البسفور على شكل بحر داخلي. وقد عمل الأباطرة الذين حكموا استانبول والمضائق على جعل البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط بحرين داخليين فليس من الممكن السيطرة على بقاع أوربا وآسيا بالدرجة التي تتم بها من استانبول.

وأهم مراكز السكن في الأناضول على مر العصور هي مناطق البسفور وإيجة بالدرجة الأولى، وفيها المراكز التاريخية المهمة مثل استانبول وازنيق وأزمير وبورصه وأفس وبرغامه وفوجا وأدرنه.

وقد كانت مراكز تجمع السكان في الأناضول على سواحل الأنهر والهضاب العالية. وأكثر مناطق الأناضول تعلو سطح البحر. فمثلاً مدينة أنقرة تعلو سطح البحر بمقدار ٨٥١ متراً وأرضروم ١٩٥٠ متراً وسيواس ١٢٧٥ متراً وقيصري ١٠٤٨ متراً وملاطية ٩١٥ متراً ودياربكر ٦٥٠ متراً وغازي عنتاب ٨٠٠ متر وقونيه ١٠٢٧ متراً وإسكي شهر ٧٩٢ متراً. أما المدن المتاخمة للسواحل فهي أقل ارتفاعاً عن سطح البحر (أدنه ٢٠ متراً، بورصه ١٥٠ متراً، مغنيسا ٥٠ متراً، ادرنه ٤١ متراً).

٢ ـ الأتراك والأناضول قبل ملازكيرت

الأتراك المسلمون في خدمة الخلافة الإسلامية العباسية

قدم الأتراك من السقا والهون إلى الأناضول قبل ظهور الإسلام في فترات متفاوتة وبشكل متقطع. كما عمل الأتراك مع العرب بعد ظهور الإسلام وتأسيس الخلافة على فتح البلاد الواقعة بين شرق الفرات وجبال طوروس.

تأسست في عهد الأمويين في الأناضول الشمالي الشرقي عدا سواحل البحر الأسود وقفقاسيا الجنوبية مقاطعة أرمنية. وأسست ولايتان في العهد العباسي في طرسوس ومالاطية كانتا تسميان بولايات الثغور لوقوعها على الحدود. وقد عمل الأمويون والعباسيون على الاستيلاء على بعض مناطق

الأناضول حتى البسفور وإيجة والبحر الأسود، إلا أن هذه المحاولات لم تتعد أكثر من صفة الغزو كما لم تأت محاصرة الآستانة بأية نتيجة.

وقد جلب العباسيون وحدات من الأتراك المحاربين من خراسان للخدمة في الجيش الإسلامي فدخلت هذه الوحدات إلى طرسوس وميسيس واينزاربا وادنه وماراش وحادث وملاطية وديار بكر وسلوان واخلاط وملازكيرت وأرضروم التي كانت تشكل مدن الحدود فارتفعت نسبة السكان الأتراك في هذه المقاطعات وكان على رأس هذه القوات قادة أتراك بارزون مثل افشين، ايتاه، ومنغوجور، عمر الفرغاني، حارث السمرقندي، بوغا، وواصف اشتهروا بحروبهم ضد البيزنطيين. وقد تم تسريح الجنود العرب بصورة تامة في أواسط القرن التاسع واستعيض عنهم بالأتراك وبالفرس بالدرجة الثانية في جيش العباسيين كما استخدم الخليفة الأتراك في حرسه الخاص. وقد حاز القادة الأتراك على سلطات واسعة في ولايات الثغور. ونورد مثالاً على ذلك بسر الافشيني وأحمد قايي أوغلو وخاقان ومؤنس ورستم بن بوردو وأبو ثابت التركي وأحمد طوغان حيث أغاروا على مقاطعات بيزنطية كثيرة واحتلوها بصورة مؤقتة.

ازداد عدد الأتراك في الأناضول واضطر البيزنطيون إزاء ذلك وللتردي الحاصل في ميزان القوى إلى استقدام وحدات تركية من الذين اعتنقوا المسيحية من البلقان مثل البجنك والكومان للحفاظ على حدود الإمبراطورية البيزنطية.

وذهب الأتراك فيما بعد إلى أبعد من ذلك فقد أغار سيما أمير طرسوس على جزيرة آغري بوز في بحر إيجه إلا أن قواته أبيدت من قبل البيزنطيين واستشهد الأمير التركي في هذه المعركة إلا أن الأتراك لم يتثنوا عن هذا العزم فقد استطاع الأمراء الأتراك النيل من قوات البيزنطيين في عهد الإمبراطور ليون حتى إن أمير طرسوس، دميان أباد أسطولاً بيزنطياً بالقرب من جزيرة سيسام في عام ٩١١. كما استولت الدولة الحفصية

المسلمة في كريت على سلانيك ومقدونيا إلا أن قواتها أخرجت من هذه المناطق من قبل البيزنطيين.

كما استعاد البيزنطيون أرضروم وحواليها من المسلمين ووقعت ملاطية بيد البيزنطيين بعد دفاع مستميت، وقد جهز سيف الدولة الحمداني جيشاً جراراً على البيزنطيين إلا انه لم يستطع الاستيلاء على مناطق جديدة بالرغم من بعض الانتصارات التي أحرزها. وقد استرجع البيزنطيون في عهدهم الذهبي هذا مدينة معرش وسيس وسوروج كما أحرق الأميرال باسيليوس أسطول المسلمين في قاعدته طرسوس وحافظ البيزنطيون على تفوقهم حتى قدوم السلاجقة.

واستولى البيزنطيون في زحفهم الكبير على حمص وبعلبك وبيروت واضطر المسلمون إلى بذل الغالي والنفيس في سبيل تطهير هذه الأراضي منهم إلا إن الفتوحات البيزنطية استمرت في مناطق بحيرة وان فاستولى هؤلاء في عام ٩٣٣ على ارجيس ومالازكيرت وفي ١٠٣٠ على أورفه وإثر ذلك أعلن الأرمن والجورجيون (الكرج) انفصالهم عن المسلمين واعترفوا بسيادة البيزنطيين. ومع إطلالة القرن الحادي عشر لم يبق للمسلمين من مقاطعات الأناضول إلا ديار بكر وبتليس وسعرد وماردين وحكارى، أي الأقسام الجنوبية الشرقية من الأناضول فقط. كما اضطر المروانيون في ديار بكر والمسافريون في أذربيجان إلى دفع الجزية للبيزنطيين.

و يظهر مما تقدم وضع المسلمين إزاء البيزنطيين في الفترة التي بدأ فيها الأوغوز بالتدخل في مجرى الأمور في الشرق الأدنى. وبعبارة موجزة فقد تم اندثار الأتراك القاطنين في ولايات الثغور ككيان معين وهم الذين كانوا يملكون قوة خيالة تقدر بمائة ألف فارس فلقي الألوف من الأتراك حتفهم هنا وهم يبحثون عن لقب الغازي أو الشهيد. وإن كان المسلمون قد فتحوا إسبانيا وتركستان والسند إلا أنهم لم يفلحوا في فتح الأناضول وهو أقرب المناطق إليهم وعجزوا تجاه قوة البيزنطيين.

التقسيمات الإدارية في الأناضول قبل الفتح السلجوقي

كان الأناضول مقسماً إلى هذه المقاطعات الإدارية قبل الفتح:

انا توليك	مركزها قونيه	تضم قونيه وأسبارطه وبوردور وأمنيون وكوتاهية وحواليها
أرمنياك	مركزها أماسيا	تضم أماسيا وسامسون وسينوب وجوروم وحواليها
تراكزيان	مركزها أفس	تضم أيدن ومانيسا وأوشاق ودينزلي وحواليها
أوبتيموس	مركزها أزميت	تضم قوجا الي وسقارية وحواليها
أوبسيكيون	مركزها أزنيك	تضم بورصه واسكي شهر وباليكسير وجناق قلعة وبيله جك وحواليها
بوكالاريان	مركزها أنقره	تضم أنقره وبولو وحواليها
بافلاغونيا	مركزها جانقري	تضم جانقري وقسطموني وحواليها
خالديا	مركزها طرابزون	تضم طرابزون وريزه وحواليها
مزوبوتاميا	مركزها أرزنجان	تضم أرزنجان وتونجلي والعزيز وحواليها
كولونيا	مركزهاشبين قاره حصار	تضم كوموشخانه واوردو وكيره سون وحواليها
سباست	مركزها سيواس	تضم طوقاد ويوزغاد ونيكده وقير شهر ونو شهر وحواليها
ليكاندوس	مركزها مالاطيه	تضم مالاطيه وادي يمان وحواليها
سلكيا	مركزها طرسوس	تضم أدنه وأيجل وحواليها
كيبريتوين	مركزها انطالية	تضم انطالية وموغله وحواليها

سامي	مركزها أزمير	تضم المناطق المجاورة لمدينة أزمير وجزر ميديللي وساقز وسيام
قبرص	مركزها بافوس	
خارسيان	مركزها قيصري	تضم قيصري وحواليها
سورية	مركزها أنطاكية	تضم هطاي ومعرش وعنتاب وأورفه وحواليها
واسبوراغان	مركزها وسطان	تضم بنكول وموش ووان وأغري وحواليها
آني	مركزها آني	تضم قارص وجوروخ وحواليها
أيبريا	مركزها تفليس	تضم جورجيا وأرمينيا

الأوغوز في الأناضول

احتك الأوغوز بالبيزنطيين قبل ولوجهم خراسان وذلك بواسطة الحملات التي جهزوها من ما وراء النهر وأوست يورد مستكشفين هذه المنطقة العتيدة. ومن ذلك إن جاغري بك زحف على رأس جيش كبير في عهد السلطان محمود الغزنوي إلى أذربيجان وأغار في عام ١٠١٥ ـ ١٠١٦ على الإمارة الأرمنية في شرق الأناضول حيث اضطر ملك الأرمن في قارص (آني) إلى الالتجاء إلى البيزنطيين الذين منحوه مقاطعة سيواس.

كما أغار الأوغوز في عام ١٠١٨ ـ ١٠٢١ على أراضي الدولة الشدادية المسلمة في أذربيجان التي كانت تحت النفوذ البيزنطي.

وبعد أن أتم جاغري بك هذه الغارات التي كانت بمثابة جس للنبض واستكشاف ساعد فيما بعد ابنه آلب أرسلان في هجومه المشهور وعاد بسرعة البرق متخطياً أراضي الدولة الغزنوية عائداً إلى أوست يورد. ولم يستطع أرسلان جاذب والي خراسان تطبيق أوامر السلطان محمود الغزنوي للتصدي لقوات الأوغوز مرة أخرى. فقد كان الأوغوز الساكنون في خراسان يساندون السلاجقة سرّاً وعلناً.

أغار الأوغوز من ١٠٣٠ ـ ١٠٣٨، ١٠٤٢ ـ ١٠٤٣، ١٠٤٥ ـ ١٠٤٦ على قفقاسيا الجنوبية وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا. وبعد ذلك عين طغرل بك، قوتالمش بك لقيادة جيوش الأتراك ضد البيزنطيين مهيئاً بذلك لفتح ابنه سليمان شاه للأناضول فيما بعد.

غارات قوتالمش بك السلجوقي على الأناضول

حاصر قوتالمش بك الذي كان قد أغار على الشمال عبر نهر اراس في عام ١٠٤٧ مدينه كنجه إلا انه لم يستول عليها. وبعد مدة عين إبراهيم ينال من أمراء السلاجقة من قبل طغرل بك والياً على أذربيجان وبدا هذا بمساعدة قوتالمش في غاراته على الأناضول. وانطلاقاً من آمال طغرل بك في فتح الأناضول أمر الأميرين بتوحيد جيوشهما وتمشيط أراضي البيزنطيين بشكل متناسق.

وقد سار الأميران على أرضروم التي كانت تضم مائتي ألف نسمة ويدافع عنها ستة وعشرون ألف مقاتل بقيادة الجنرال ليباريت بمساعدة الجنرال كاتا كالون والجنرال اراون. وقد شتت الأتراك جيش البيزنطيين في هذه المعركة واضطر الأعداء إلى الالتجاء إلى قلعتها الحصينة. وسميت هذه المعركة بمعركة الباسين لوقوعها في سهل الباسين وكانت أول نذير بفتح الأناضول من قبل الأتراك. وقد عاد الأميران بغنائم وأسرى كثيرين. فرجع إبراهيم ينال بالغنائم إلى السلطان طغرل بك في مدينة ري وبقي قوتالمش بك في حدود الأناضول.

وقد أرسل الإمبراطور البيزنطي رسلاً إلى طغرل بك مع فدية كبيرة نظير إطلاق سراح قائده الجنرال ليباريت الذي كان قد أسر في هذه المعركة إلا أن طغرل بك لم يقبل الفدية غير أنه أطلق سرح الجنرال الأسير نزولاً عند رجاء الإمبراطور البيزنطي. وقد سمح الإمبراطور البيزنطي لقاء ذلك بتعمير الجامع الإسلامي الموجود في استانبول والذي بدأ بقراءة

الخطبة فيه باسم السلطان طغرل بك، وقد احتج السفير الفاطمي في استانبول على تلاوة الخطبة باسم طغرل إلى جانب اسم الخليفة العباسي إلا أن ذلك لم يثمر شيئاً.

بدا البيزنطيون إثر هذا بحشد قوات كبيرة في شرق الأناضول تحسباً للطوارئ. وقد بدأت المجابهة فيما بعد حيث قاد طغرل بلك شخصياً في عام ١٠٤٥ جيوشه فاستولى على بايبورد ومدن أخرى ثم وقف إزاء قلعة مالازكيرت المستحكمة. ونتيجة لذلك تخطى طغرل بك سواحل بحيرة وان وطفق راجعاً وفي عام ١٠٥٥ اصطحب طغرل بك قوتالمش إلى بغداد وأسند إليه الإجهاز على الفاطميين وقد استولى قوتالمش على البلاد المؤيدة للفاطميين ثم رجع إلى الأناضول. وكان ياقوتي بك (شقيق ألب أرسلان) من أبناء جاغري بك قد أرسل في نفس الفترة مع الجيش الذي كان يقوده إلى حدود الأناضول. وقد سار ياقوتي بك في عام ١٠٥٧ على بعض مقاطعات الأناضول فأباد جيشاً بيزنطياً تأهب لمجابهته وهزم الأمير نيكافوروس بريانوس الذي زحف بجيش كبير على قيصري من قبل الأتراك.

وفي نفس الفترة استولى طغرل بك على جزيرة ابن عمر شمال الموصل وسار إلى مقاطعات المروانيين المعادين للسلاجقة والخاضعين للبيزنطيين. ولم يستطع طغرل بك الإشراف شخصياً على غارات الأناضول أكثر مما فعل لانشغاله بالأمور الداخلية فقد رجع السلطان في عام ١٠٥٧ إلى خوزستان حيث قمع تمرد الأمير رسول تيكين شقيق قوتالمش والحق المقاطعات التركية المتبقية في إيران بالإمبراطورية في عام ١٠٥٨.

كان قوتالمش بك قد أحرز سطوة لا تطال في عام ١٠٦١ ولاسيما بعد التحاق قوات إبراهيم ينال به بعد مصرع الأخير. وكان يملك جيشاً متمرسا خبيراً بأصول الحرب كما كانت أذربيجان وعراق العجم تحت حكمه المباشر، وقد بدأ قوتالمش بالتصرف حسب هواه وكان يتحين

الفرص للمطالبة بالعرش على أساس أن والده كان يابكو الأوغوز فيما سبق.

وقد بدأ قوتالمش بك في عام ١٠٦١ بالجهر بالسلطنة واستمر على ادعائه بعد ارتقاء آلب أرسلان للعرش في عام ١٠٦٣. وقد أسندت إدارة غزوات الأناضول في هذه الفترة إلى ياقوتي بك شقيق آلب أرسلان والذي أغار على قلعة آني بالقرب من مدينة قارص والباسين وبحيرة وان. وبدأ الأتراك بالتقدم غربا من نهري الفرات ومراد وحتى التقاء النهرين مستولين على مدن ارزنجان وكماخ ووادي جوروخ ووادي كلكيت ومدينة شبين قاره حصار. واستولى على مدينة ملاطية في عام ١٠٥٨ بالرغم من استشهاد دينار بك أحد القادة الأتراك.

وبعد تخريب الأناضول الشرقية زحف الجيش التركي بقيادة ياقوتي بك على الجنوب الشرقي للأناضول حيث حاصر مدينة أورفه ثم سار على سيواس حيث استولى عليها.

وفي عام ١٠٦١ جهز الإمبراطور قسطنطين دوكاس جيشاً كبيراً فسار به على شرق الأناضول واستعاد قسماً من المدن التي وقعت بيد الأتراك إلا أن الجيش البيزنطي هزم أمام الجيش التركي في عام ١٠٦٣ ولقي والي اورفه العام تاوادانوس مصرعه في هذه المعركة.

وإضافة إلى كل ما سبق فقد أعلن المروانيون في ديار بكر والذين كانوا قد أعلنوا مبايعتهم للسلطان طغرل بك بعد فتحه مدينة ري في عام ١٠٤٣ انضمامهم للدولة التركية الكبرى في عام ١٠٦٣. وفي هذا العام أيضاً انشغل البيزنطيون بأمور جديدة في أوربا مما ساعد الأتراك في غاراتهم على الأناضول. فقد استولى النورمانيون على مقاطعات البيزنطيين في جنوب إيطاليا. وبدا البجنك والأوغوز بإقلاق راحة البيزنطيين في البلقان.

السلطان ألب أرسلان والأناضول

تأهب قوتالمش بك الذي لم يعترف بالسلطان ألب أرسلان لمحاصرة مدينة ري، عاصمة الدولة التركية الكبرى وفي نفس الوقت أعلن عميد الملك وزير طغرل بك الملك سليمان شقيق ألب أرسلان الأكبر سلطاناً. وقد تخلص ألب أرسلان من هذه المشاكل توّاً. فقتل قوتالمش بك وأسر ابناه سليمان شاه ومنصور بك وشقيقه رسول تيكين إلا أن السلطان صفح عنهم ولم يكتف بذلك بل ولاهم على جيوشهم فأرسلهم إلى الأناضول.

قدم السلطان ألب أرسلان إلى حدود الأناضول في عام ١٠٦٤ ففتح شقيقه ملك ياقوتي بناء على أوامره مدينة وان والقلاع المجاورة لبحيرة وان. وبينما كان ألب أرسلان في الشرق الأوسط في عام ١٠٦٥ حاصرت القوات التركية مدينة أورفه مجدداً وزحفت على المناطق المجاورة لمدينتي أنطاكية وحلب وقد التحق بهذه القوات ابن تامغاج خان خاقان القاراخانيين بعد انشقاقه عن أبيه.

أفشين وبطولاته في الأناضول

سار القائد التركي الكبير كوموش تكين وبرفقته أبرز القادة مثل أفشين وأحمد شاه على رأس الجيش التركي في عام ١٠٦٦ إلى وادي مراد ودجلة وحتى مدينة نيزيب. وأباد جيشاً بيزنطيّاً قوامه مائة ألف مقاتل بقيادة الجنرال أروانتانوس في حصن منصور (ادى يمان) وأسر قائده. وهزم أفشين بك جيشاً بيزنطيّاً أكبر في عام ١٠٦٧ في ملاطية. وتقدم إثر ذلك إلى مدينة قيصري فاستولى عليها. ثم اجتاز أفشين جبال طوروس فهجم على كيلكيا ووصل إلى جوار حلب. وقد كانت غزوات أفشين تعد مقدمه لفتح الأناضول.

فتح ألب أرسلان في عام ١٠٦٨ مدينة تفليس ثم سار إلى قارص

فأرسل طلائع قواته إلى المناطق المحيطة بطرابزون وفي نفس الفترة أسلم قسم من الجورجيين.

وإزاء هذه التطورات الخطيرة سير الإمبراطور البيزنطي جيشاً كبيراً إلى الأناضول يضم بالإضافة إلى البيزنطيين الكثير من الأوغوز والبجنك والنورمان والفرنك والألمان والإسكندنافيين وقد ترامى إلى سمعه استيلاء أفشين على نيكسار فسار إلى سيواس فأرغم الجيش التركي على التراجع ثم تقدم إلى معرش. ولما أبيدت طلائع قواته من قبل اينال تقدم شخصيّاً إلى حلب حيث اجبر حاكمها العربي على دفع الجزية ووصل إلى كيلكيا عن طريق الإسكندرونة.

واستغل أفشين انشغال الإمبراطور في الجنوب فأغار على معظم مناطق الأناضول بصورة جريئة إلى أن وصل إلى سواحل سقارية وقد استشاط الإمبراطور البيزنطي غضباً لدى سماعه لهذه الأنباء إلا أنه لم يستطيع الحيلولة دون رجوع القوات التركية فعاد إلى استانبول.

كان أبرز قادة قوات الهجوم التركي بقيادة أفشين بك بكجي أوغلو هم أحمد شاه وأواق أوغلو تسز وشقيقه جاولي وارسلان طاش وتوركمن وديملاج أوغلو محمد وصاندوق وتاوتاو أوغلو وتارانك أوغلو وكانت هذه القوات تحت إدارة سليمان شاه وشقيقه منصور وياقوتي بك في أذربيجان.

لم يستطع الإمبراطور البيزنطي الشاب رومانوس ديوجينيس والذي جيء به إلى العرش الحيلولة دون مطامع الأتراك في الأناضول وإخراجهم من هذه البلاد ولم يتمكن من فعل شيء تجاه الأتراك في حملته الأولى. وفي عام ١٠٦٩ تقدم جيشه مجدداً إلى الأناضول ودخل خربوط وترامى إلى سمعه آنذاك محاصرة الأتراك لمدينة ملاطية. ولم يكن الإمبراطور قد آفاق من هول صدمة اندحار جيشه هناك حين سمع بتكرر محاولة أفشين في تجواب الأناضول طولاً وعرضاً. وكان هذا قد وصل إلى قونيه فبيت العزم على قطع خط الرجعة على الأتراك فتقدم إلى سيواس. ولما سمع الأتراك

بذلك في طريق قيصري انحرفوا بسيرهم لئلا يجابهوا البيزنطيين. وبذلك خاب أمل ديوجينيس في الانقضاض على الأتراك مرة أخرى. اندحر الأمير مانويل كومينوس القائد العام لقوات الأناضول البيزنطية في عام ١٠٧٠ أمام الأتراك في سواحل قزل ايرماق ووقع في الأسر. فاستغل أفشين بك هذه الفرصة فسار من قيصري حتى دنيزلي للمرة الثالثة في غاراته الجريئة. ويروى أن الأتراك وصلوا لأول مرة إلى سواحل مرمرة وإيجة في هذا الهجوم وألقوا النظرات الأولى على هذه البحار.

وفي صيف عام ١٠٧٠ قدم السلطان ألب أرسلان إلى الأناضول وفتح قلعة مالازكيرت المستحكمة ثم سار باتجاه الجنوب الشرقي فوصل إلى آميد (ديار بكر).

جاء خاقان الدولة التركية الكبرى إلى أورفه وحاصر هذه القلعة البيزنطية للمرة الرابعة. ولما أدرك صعوبة الفتح واستغراق ذلك لوقت كثير مما يخالف مبادئه العسكرية تقدم إلى حلب حيث قدم له الأمير العربي فروض الطاعة وبعد ذلك سار السلطان إلى الشمال فاجتاز الفرات ودجلة وقدم أخلاط عن طريق ديار بكر ـ بتليس. وفي نفس الفترة كان الإمبراطور رومانوس ديوجينيس قد نزل إلى الأناضول يبحث عن الجيوش التركية. كانت النهاية تقترب وحققت الأقدار الحلم الكبير الذي سار الأتراك وراءه طيلة ألف سنة.

٣ ـ ملازكيرت ٢٦ آب (أغسطس) ١٠٧١

لم ترهب حروب الإمبراطور الأتراك. فقد كان عنصر المباغتة بيدهم على الدوام إذ كانوا يغيرون على المناطق التي يخرج منها الإمبراطور. وإزاء ذلك عزم الإمبراطور الروماني على إبادة الجيش التركي والإغارة على مراكز الأتراك فخرج بجيشه من استانبول في ١٣ آذار ١٠٧١. وقد كانت آمال الإمبراطور تتجاوز ذلك إلى نية الاستيلاء على الأراضي التي كانت

للبيزنطيين قبل ظهور الإسلام مثل سوريا وفلسطين ومصر وحتى العراق وإيران التي لم تكن يوماً ما في متناول البيزنطيين. وقد تمادى الإمبراطور في غيه إلى درجة أن عين ولاة لهذه البلاد.

كان السلاجقة في هذه الفترة يظاهرون الخليفة العباسي ضد الفاطميين في مصر وقد أخضعوا الإمارات العربية في سوريا وشمال العراق إلى حكمهم وأعادوا تلاوة الخطبة في الحجاز باسم الخليفة العباسي، وكان إنهاء النفوذ الفاطمي في مكة والمدينة المنورة ضربة ماحقة للقاهرة.

وقد انتهز السلطان ألب أرسلان فرصة إسكاته لمعارضة هذه الزمر فأغار على الأناضول الشرقية واستولى على قلعة ملازكيرت المستحكمة. واستقبل السلطان التركي سفراء البيزنطيين في حلب التي وفد إليها. وفي نفس الفترة أرسل إليه أفشين بتقريره الذي يفيد إتمام تخريب مخازن المؤن والقواعد العسكرية الرئيسية البيزنطية في الأناضول وإمكانية القضاء على الجيش البيزنطي الفعلي بهجوم كاسح. وقد عمد السلطان فور تسلمه لهذا التقرير إلى السير إلى الأناضول الشرقية لمجابهة قوات الإمبراطور البيزنطي.

كان الإمبراطور يسير بجيشه الجرار نحو الشرق تحمل لوازم جيشه الحربية ثلاثة آلاف عربة وعشرات الألوف من الحيوانات. وكان من ضمن أسلحة الجيش البيزنطي أكبر سلاح في ذلك العهد وهو المنجنيق الذي يقضي استعماله استخدام ١٢٠٠ شخص. وكان الإمبراطور عازماً على كسب المعركة بأقصى سرعة والتقدم نحو إيران.

اجتمع المجلس الحربي البيزنطي في سيواس عندما توافدت أنباء خروج السلطان ألب أرسلان من حلب. وقد أوصى القادة الذين خبروا حروب الأتراك أمثال نيكيفوروس برينيوس وجوزيف تراخيانيتوس الإمبراطور بالحيطة. وقد طعم الجيش البيزنطي بعناصر جديدة توافدت للالتحاق به مثل الفرنك و النورمان و السلاف و الكرجيين والإنجاز

والأرمن وحتى البجنك والأوز وغيرهم من الأتراك غير المسلمين الذين استخدموا في الجيش نظير أجرة. يضاف إلى ذلك إن قوات البيزنطيين التي تعد مائتي ألف مقاتل لم تكن بشكل وحدات منسقة مركزية كما لم يكن الإمبراطور ديوجينيس سليل أسرة عريقة فلم يكن يحظى بالاحترام اللازم من قبل البيزنطيين.

أمر السلطان ألب أرسلان الذي ترامى إلى سمعه قرب دخول الجيش البيزنطي إلى إيران السير الإلزامي غير مبال بخسائر الجيش التركي ولاسيما عند عبوره لنهر الفرات. وسرح السلطان المسنين من الجنود واصطحب الشباب نحو الشمال الشرقي. فأرسل وزيره نظام الملك إلى همدان لتنظيم أمور الإمبراطورية التركية في حالة اندحار القوات التركية أمام البيزنطيين، كما اخرج وحدة من الفرسان لجمع آخر المعلومات عن القوات المعادية. وقد دحرت هذه الوحدة طلائع القوات البيزنطية وعاد قائدها الجنرال برينيوس جريحاً إلى قاعدة قوات الإمبراطور. وأرسل صليباً مزركشاً استولى عليه في هذه المناوشة إلى بغداد كعلامة للنصر.

وما إن انبلج فجر يوم ٢٦ آب (أغسطس) حتى رأى الجيشان تقلص المسافة بينهما الى بضعة كيلو مترات. وكانت هذه المنطقة تبعد مسافة خمسة وأربعين كيلو متراً إلى الشمال من بحيرة وان وبالقرب من نهر مراد على ارتفاع ألف وخمسمائة متر عن سطح البحر. وكانت بالقرب من هذه الساحة قلعة ملازكيرت الشامخة. وكان بين صفوف الجيش التركي أمراء مثل سليمان شاه قوتالمش وقادة بارزون مثل أرتوق بك. وقد بقي عدد القوات التركية خمسين ألفاً بعد أن ابعد العاجزون والمسنون وهم على شكل وحدات منسقة ومنظمة تظهر الطاعة المطلقة للسلطان التركي. كما كان الأتراك متلهفين للسيطرة على هذه البلاد التي عزموا على أن يستوطنوها متمرسين في الحرب وفنون القتال.

وكان السلطان التركي قد اختار يوم الجمعة للقتال فرفع من معنويات

جنوده باختيار هذا اليوم المقدس للجهاد. كما كان الخليفة العباسي قد عمم نص دعاء بناء على طلب من الخاقان التركي ليتلى في جميع جوامع المسلمين ضمن خطبة الجمعة.

رفض الإمبراطور البيزنطي عروض الصلح التي حملها إليه سفراء الأتراك برئاسة صاو تكين وحمل ذلك على خشية الأتراك ورهبتهم وخاطب السفير التركي قائلاً: قولوا لسلطانكم إنني سأتفاوض معه بشأن الصلح في ري. فسيمضي جيشي الشتاء في أصفهان وسأروي جيادي في همدان.

ولم يتحمل صاو تكين المعروف بذكائه الخارق بالإضافة إلى شخصيته القوية هذا القول فأجاب الإمبراطور بعبارة كانت بليغة جدّاً إذ قال: أنا لا أشك بأن خيولكم ستمضي الشتاء في همدان إلا أنني لا أعلم أين ستقضون انتم الشتاء.

وخطب ألب أرسلان في الجيش عند مطلع الفجر فأوصى بأن يدفن في نفس المكان الذي يقع فيه إن استشهد وأن يتجمع القوم حول ابنه ملك شاه بنفس النظام فأوقد نار الحماس في نفوس مقاتليه. وبعد صلاة الجمعة أخرج ألب أرسلان قوسه وجعبة سهامه وتقلد سيفه ورمحه كأي محارب آخر. وفي نفس الأثناء كانت تراتيل البيزنطيين ترتفع إلى عنان السماء والرهبان يباركون المحاربين. كما كان رجال الدين الإسلامي يجوبون الصفوف مرتلين آيات الذكر الحكيم.

كان الإمبراطور البيزنطي في قلب الهجوم وكان أليستا في الميسرة ونيكيفوروس برينيوس في الميمنة والأمير أندرونيكوس على رأس قوات الاحتياط.

وبعد ساعتين من انتصاف النهار اقترب الجيشان من بعضهما وهنا خرج المرتزقة من البجنك والأوز من صفوف البيزنطيين وانضموا إلى بني قومهم الأتراك. وقبل رؤساؤهم الأرض بين يدي السلطان التركي وزودوه

بمعلومات قيمة عن الجيش البيزنطي. وقد أحبطت هذه الحادثة شيئاً من معنويات الجيش البيزنطي.

بدأ القتال بهجوم من قبل الفرسان الأتراك رشقاً بالسهام. واحتفظت القوات المعادية بنظامها إزاء هذا الهجوم الكاسح وآنذاك أمر السلطان التركي قواته بانسحاب خادع ثبت أثناءه وحدات معينة في أجنحة الميدان. وقد اعتقد الإمبراطور البيزنطي أن الأتراك انسحبوا بعد استنفاد قوات هجومهم فاقتفى أثر القوات المنسحبة وابتعد بذلك عن المعسكر الرئيسي، وفي نفس الفترة بدأت قوات الأتراك المرابطة في الكمائن بإبادة الوحدات البيزنطية المتفرقة. ولما أدرك الإمبراطور تفرق قواته وتعذر إيصال الأوامر أمر بالتجمع والانسحاب إلا أن الوقت كان متأخراً جدّاً. فقد حاصرت القوات التركية القوات المعادية وأخطأ الأمير اندرونيكوس فهم أوامر الإمبراطور فاعتقد أن قوات الجيش قد اندحرت فانسحب من ساحة الحرب وأنزل ذلك ضربة ماحقة بمعنويات الجيش المحارب. وإزاء هذه المهارة الفائقة في فنون الحرب والقتال لمح البيزنطيون برغبتهم في الاستسلام ولم يستطع الإمبراطور الشجاع أن يفعل شيئاً لوحده فأسر جريحاً مع نفر من حاشيته.

وقد أدرك الأتراك بعد رؤيتهم لبكاء الأسرى وارتمائهم على أقدام الأسير أنه الإمبراطور ديوجينيس فاقتيد إلى السلطان الذي استقبله بإجلال واحترام فأجلسه إلى جانبه معاملاً إياه معاملة الند للند. وقد أوضح السلطان للإمبراطور أخطاءه في السوق مما اندحر نتيجة لها وانتقد رفضه لعروض الصلح ثم سأله عن المعاملة التي يتوقعها فأجاب الإمبراطور ديوجينيس باعتقاده الجازم بأنه سيقتل أو انه سيقيد بالسلاسل ويطاف به في المدن التركية وكون أمله ضعيفاً في الصفح والحرية. وإذ ذلك قال له السلطان التركي بأن أضعف آماله هي التي ستتحقق فأطلق سراحه ووقع معه معاهدة للصلح تخلى البيزنطيون بموجبها عن أورفه وأنطاكية للأتراك

وتعهدوا بدفع تعويضات حرب بالغة. وأخيراً أمر السلطان بإرسال الإمبراطور وحاشيته معززاً مكرماً إلى استانبول.

٤ ـ فتح الأناضول من قبل سليمان شاه قوتالمش

ما بعد ملازكيرت

يجمع المؤرخون على أن معركة ملازكيرت هي نقطة تحول في التاريخ العالمي فقد مهد هذا النصر فتح الأناضول أمام الأتراك. فلم يكن أي من الانتصارات التي أحرزها الأتراك يماثل ذلك في تأثيره على مستقبلهم. فليس أهم من انتصار ملازكيرت في التاريخ التركي عدا فتح القسطنطينية.

أمر السلطان ألب أرسلان سليمان شاه قوتالمش بمواصلة الفتح حتى مرمرة إزاء نقض البيزنطيين للمعاهدة المعقودة بينهم وبين الأتراك. وقد أحدث النصر المذكور سروراً فائقاً في الأقطار الإسلامية ونظمت مئات القصائد في مدح بطل هذا النصر السلطان ألب أرسلان. كما أحدث مصرع هذا السلطان حزناً عميقاً لدى المسلمين فأبنه الخليفة ببيان مؤثر أظهر المدى الذي وصلته الإمبراطورية التركية، إذ لم يسبق للخليفة أن أبن ورثى أي حاكم آخر. وقد ظل اسم السلطان ألب أرسلان مدار الأحاديث لحقبة طويلة من الزمن فأطنب في مدحه المؤرخون والأدباء وليس أدل على ذلك من تبجيل جلال الدين الرومي وتعظيمه إياه.

سليمان شاه قوتالمش في الأناضول

دخل سليمان شاه إلى الأناضول كقائد عام للجيوش التركية ونصب من أمراء السلالات التي حكمت فيما بعد على شكل إمارات منفردة مثل ارتوق وتوتوق ودانشمند وصالتوق قادة لمفارز الهجوم فأتم بذلك فتح الأناضول بسرعة البرق وبزمن لم يستغرق أكثر من عدة سنين. فقد عبر الأتراك في هذه الحملة نهر قزل ارماق إلى الغرب فأرسل الإمبراطور

الجديد ميخائيل دوكاس، الأميرين ايساكيوس كومنينوس وشقيقه الكسيس كومنينوس على رأس جيش بيزنطي كبير إلى الأناضول للتصدي للأتراك، إلا أن هذا الجيش دحر من قبل الأتراك بالقرب من مدينة قيصري وأسر قائده العام وهكذا فقد دخل مبدأ الخلفاء الأمويين والعباسيين لفتح الأناضول في طور التحقيق على يد الأتراك.

أطلق سليمان شاه سراح الأمير إيساكيوس لقاء فدية نجاة باهظة وتعرض هذا لهجوم كاسح آخر من قبل مفارز الهجوم التركية بالقرب من ازميت فاضطر إلى الهرب والتقى بأخيه الكسيس فنجيا بجلدهما بالهرب إلى القسطنطينية.

فتح سليمان شاه أواسط الأناضول في هذه الفترة بصحبة جميع إخوانه واتجه نحو الغرب. وفي عام ١٠٧٣ دحر أرتون بك جيشاً بيزنطياً في الطريق المؤدي إلى ازميت ثم عدل وجهة سيره إلى أمسيا ففتح وادي نهر يشيل ارمق. أما سليمان شاه فقد اتجه نحو الجنوب ففتح أنطاكية بعد معركة حامية مع الجيش البيزنطي بقيادة الأمير قسطنطين شقيق الإمبراطور ووالي أنطاكية العام الأمير ايساكيوس كومنينوس فأطلق سراح الأمير للمرة الثانية من قبل سليمان شاه لقاء فدية باهظة أخرى. وبينما كان ارتوق بك يفتح حوض يشيل ارماق وكلكيت كان منكوجك بك يفتح المناطق المحيطة بمدينة أرزنجان كما فتح أبو القاسم بك مناطق أرضروم وجورروخ إلا أن قلعتي أرضروم وقارص صمدتا ردحاً من الزمن وتوالى على حكمها الأتراك والبيزنطيون. أما الملك منصور قوتالمش فقد نقل مقره إلى كوتاهية ثم تقدم نحو إيجة. كما كان اتسز بك يواصل فتوحاته الهامة على سواحل سوريا فقد فتح ميناء عكا شمال فلسطين في عام ١٠٧٤.

كان الحجاز قد التحق بحكم الخاقان التركي منذ عهد ألب أرسلان إذ انتقل حكم المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة من الفاطميين إلى الأتراك، وبدأ بتلاوة الخطبة باسم الخاقان التركي والخليفة العباسي الذي كان في حمايته.

فرض سليمان شاه الجزية على أنطاكية في عام ١٠٧٦ وسيطر على شمالي سوريا. وفي نفس العام كان ارتوق بك قد اجتاز الأناضول إلى البلاد العربية ففتح الإحساء والكويت والبحرين ونجد كما كانت عمان تتبع سلاجقة كرمان وبذلك دخلت معظم أنحاء الجزيرة العربية في الحكم التركي. وإزاء حدة طبع ارتوق بك وانفراده في الأمور فقد عزل من قبل القائد العام سليمان شاه وشكا أمره إلى الخاقان الأكبر السلطان ملك شاه ابن السلطان ألب أرسلان فأمره هذا بفتح المناطق الشرقية من بلاد العرب ومنحت مقاطعات يشيل ارماق وكلكيت إلى دانشمند بك.

وفي عام ١٠٨٤ فتح دانشمند بك ملاطية و دحر فلول البيزنطيين حتى مشارف قيصري. وفي هذا التاريخ كان معظم مناطق الأناضول قد فتحت فقد استولى كوموش تكين في عام ١٠٧٧ على اورفه وعنتاب كما فتح سليمان شاه مدينة قونية شخصيّاً واستولى على المناطق الغربية والجنوبية الغربية للأناضول وحتى بحر إيجة. ثم فتح سليمان شاه وشقيقه الملك منصور اسكدار فوصلا إلى مضيق البسفور وألقيا نظرة على درة الدنيا من الساحل الآخر.

وبعد كل هذا أراد الملك منصور إبعاد شقيقه سليمان شاه وقطع علاقته بالسلطان ملك شاه وتأسيس دولة تركية مستقلة فأبلغ سليمان شاه هذا الأمر إلى السلطان ملك شاه الذي أمره بالقضاء على محاولة منصور. وفي هذه الأثناء كان الملك منصور يزور استانبول بدعوة من الإمبراطور رامياً إلى تحقيق فكرته بعقد الصلح مع البيزنطيين. وإزاء ذلك أرسل الخاقان ملك شاه جيشاً قويّاً بقيادة بورصوق بك لتقوية جيوش سليمان شاه فبرز سليمان شاه وبصحبته بورصوق بك للملك منصور، وحين ذلك أظهر الجيشان التركيان عدم الرغبة في إراقة دماء الإخوة واتفق نتيجة لذلك على مبارزة الملك منصور مع بورصوق بك بصورة انفرادية ولقي منصور مصرعه في هذه المبارزة ونجت وحدة الأناضول بذلك من خطر محدق.

كان السلطان ملك شاه يحب عمه سليمان شاه لانتصاراته الباهرة في الأناضول وولائه للإمبراطورية الكبرى وقد سرّ كثيراً لذهابه إلى القضاء على شقيقه في سبيل وحدة الإمبراطورية وعدم إراقة دماء الإخوة. ونتيجة لكل ذلك وقع السلطان ملك شاه في عام ١٠٧٧ على مرسوم يقضي بتنصيب سليمان شاه حاكماً على الأناضول وبذلك تأسست دولة تركيا بعاصمتها ازنيق.

٥ ـ تأسيس دولة تركيا في عام ١٠٧٧

حاكم تركيا الأول فاتح الأناضول ومؤسس دولة تركيا ناصر الدولة أبو الفوارس الغازي السلطان سليمان شاه الأول قوتالمش السلجوقي (١٠٧٧ ـ ١٠٨٦)

أطلق الخليفة العباسي الذي كان يعتبر الزعيم الروحي للمسلمين لقب السلطان على سليمان شاه فاعترف بذلك بحكمه. كما تلقب سليمان شاه الأول إضافة إلى ألقاب السلطان وشاه بالغازي لفتحه الأناضول. إلا أن القادة المؤيدين لشقيقه منصور بك وعلى رأسهم أفشين ومحمد بك ديلماج أوغلو ارتحلوا إلى سوريا والتحقوا بخدمة ملكها طوتوش.

وقد اختار سليمان شاه مدينة ازنيق في عام ١٠٨٠ عاصمة له وهي مدينة تقع في جنوب شرق بحر مرمرة وإلى الجنوب من خليج ازميت وشرق بحيرة ازنيق. وكان اختيار هذه المدينة التي تقرب من أوربا والبيزنطيين يعني عزم الأتراك على عبور المضائق. وقد أبيد جيش بيزنطي أرسل إلى الأناضول للوقوف إزاء هذا الأمر من قبل سليمان شاه وبدأ الحاكم التركي بالتدخل في الشؤون الداخلية للإمبراطورية البيزنطية مثل تأييد بعض مرشحي الإمبراطورية ورفض ترشيح البعض الآخر.

بدأت تسمية الأناضول بتركيا في عام ١٠٨٥ في أوربا. فقد أطل الأتراك على سواحل البحر الأبيض والبحر الأسود وبحر إيجة في عام

١٠٧٩ وفترت مقاومة البيزنطيين في ايونيا (ازمير) وقاريا (مغله).

فتح سليمان شاه سواحل مرمرة الجنوبية في عام ١٠٨٠ ثم استولى على شبه جزيرة قوجا ألي واسكدار وقاضي كوي وقصد في نفس العام إلى سواحل المضيق فأسس مركزاً جمركيّاً هناك يستوفي الضرائب عن السفن العابرة. وبذلك انتهى تحكم البيزنطيين في المضائق وتسلم الأتراك مفاتيح البحر المتوسط.

وفي عام ١٠٨٠ سير ملك شاه جيشاً كبيراً بقيادة أحمد بك على البيزنطيين الذين استولوا على قارص وأرضروم مستفيدين من انشغال سليمان شاه في الأناضول الغربي فطردهم منها وأسكن الأتراك فيها. وقد تأسست مملكة صالتوق في الأناضول الشمالية الشرقية بعاصمتها أرضروم تابعة للسلطان التركي. كما فتحت مناطق أخرى في جورجيا من قبل الأتراك وسقطت سواحل البحر الأسود على يدهم عدا ميناء طرابزون الذي استعاده البيزنطيون على يد تيودور كابراس. أما ملك جورجيا فقد خشي القضاء على دولته فتوجه إلى أصفهان حيث التمس من السلطان ملك شاه الإبقاء على دولته فوافق هذا شريطة تلبيته للأوامر التي توجه إليه للتحرك في أي وقت كان إلى الجهة التي يعينها السلطان ودفع الضرائب وتجنيد رعيته.

أما أذربيجان فكانت برمتها في هذا الحين تحت حكم الملك إسماعيل ابن ياقوتي بك وهو ابن عم السلطان ملك شاه كما كان هذا الأمير يشرف في نفس الوقت على أمور قفقاسيا.

استولى سليمان شاه على شبه جزيرة قابي داغي وعلى السواحل الآسيوية من مضيق جناق قلعة وبذلك أصبحت السواحل الآسيوية لكلا المضيقين في يد الأتراك ووقعت البلقان واستانبول تحت التهديد التركي. وبعد مفاوضات طويلة أبعد الإمبراطور الجديد الكسيس كومنيوس الأتراك من السواحل الآسيوية للمضيق وعين مال تبه ـ قارطال حدّاً فاصلاً بين الدولتين. إلا أن عزم الأتراك على اجتياز المضائق كان واضحاً فاستلزم

ذلك اتحاد جميع الدول الأوربية إزاء الخطر التركي وظهرت بذلك بوادر الحملة الصليبية.

كانت سوريا ولبنان وفلسطين وحتى شبه جزيرة سيناء قد فتحت في ذلك الحين ووصل أبرز قادة الأتراك مثل طوتوش وأتسز وأرتوق إلى خليج السويس فأبعد الفاطميون بذلك من آسيا وانحصروا في إفريقيا.

وبينما كانت آخر قلاع البيزنطيين الحصن المنصور (ادى يامان) تسقط في عام ١٠٨٢ كان سليمان شاه يفتح ميناء طرسوس الهام. وما إن حل عام ١٠٨٣ حتى كانت أهم المدن مثل قيلقيا وجقور اوا وأدنه وميسيس وعين زربا في حوزة الأتراك باستثناء معرش التي كانت تبدي بعض المقاومة.

كان سليمان شاه بالرغم من هذه الانتصارات الباهرة يعامل البيزنطيين بشيء من الود. وكان الكسيس كومينوس وسليمان شاه يستعملان أغرب الوسائل الدبلوماسية لإقناع أحدهما الآخر. وقد تمادى سليمان شاه في ذلك إلى حد وضعه وحدة تركية مسلحة تحت إمرة الإمبراطور البيزنطي لمساعدته في طرد النورمان من ألبانيا. كما كانت وحدة تركية قوامها سبعة آلاف جندي بقيادة ياغمور بك تدحر النورمان في تسليا فتحكم بذلك نفوذ البيزنطيين في البلقان. ويجمع المؤرخون البيزنطيون على أن الأناضول أصبحت برمتها في حوزة الأتراك في عام ١٠٨٣.

سليمان شاه يفتح أنطاكية ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٠٨٤

وجب بعد كل ما تقدم حماية الحدود الجنوبية للأناضول وكان الاستيلاء على أنطاكية في مقدمة العوامل التي تساعد على هذه الحماية. ترك سليمان شاه قائده العام أبو القاسم في ازنيق وتقدم تحت ستار كثيف من الكتمان والحيطة إلى الجنوب الشرقي معسكراً في النهار في مناطق بعيدة عن الأنظار ومتقدماً ليلاً خشية استنجاد أنطاكية بالبيزنطيين ومخافة

تأثيره على أعمال طوتوش الحاكم السلجوقي في سوريا. فقد كان الاستيلاء على أنطاكية يسهل مهمة غزو سوريا.

باغت سليمان شاه القائد البيزنطي فلاريتوس في أنطاكية ووقعت القلعة الحصينة في يد الأتراك مساء يوم ١٣ كانون الأول ١٠٨٤ فذاع صيت سليمان شاه على شهرته الواسعة.

أعلن سليمان شاه العفو العام في المدينة وحرر الأسرى وجعل من الكنيسة التي اجتمع فيها حواريو السيد المسيح جامعاً حيث أذن مائة وعشرون مؤذناً لصلاة الجمعة، وسقطت في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٠٨٥ القلعة الداخلية التي كانت مستمرة على المقاومة فمنع سليمان شاه النهب وضرب على يد العابثين وأعلن انه سيعاقب بشدة كل من تسول له نفسه الاعتداء على الفتيات المسيحيات ومنع حتى الزواج بهن، كما أذن للمسيحيين ببناء كنيستين جديدتين عوضاً عن الكنيسة التي حولت إلى جامع وبذلك كسب ود السكان ورضاهم.

عمد سليمان شاه بعد ذلك إلى فتح الاسكندرونة وعنتاب ثم أبلغ فتوحاته الأخيرة إلى السلطان ملك شاه الخاقان الأكبر وقام بولداجي بك من قاده سليمان شاه بفتح معرش القلعة الأخيرة للبيزنطيين في الأناضول والبستان وكوكسون وبسني فتمت بذلك الوحدة التركية في الأناضول.

وكانت الفتوحات التركية في الجنوب الشرقي مستمرة أيضاً فقد استولى جبوق بك على قلاع خربوط واكين وبالو وكنج وعربكير وجميشكزك كما الحق تونج ألي وبنكول والعزيز إلى تركيا. وفي عام ١٠٩٢ استدعى جبوق بك من قبل السلطان ملك شاه وأمر بفتح اليمن وإتمام فتح البلاد العربية. وعين محمد بك ابن جبوق بك والياً على المناطق التي فتحها والده واتخذ خربوط عاصمة لحكمه. ويعتقد أن جبوق بك قد فتح هذه المناطق بواسطة عشيرة الكرميان التي أسست فيما بعد أمارة الكرميان بمركزها في كوتاهية. وإلى جانب كل هذه الفتوحات فقد

فتح قاره تكين بك في عام ١٠٨٤ ميناء سينوب فأصبحت بذلك سواحل البحر الأسود تحت النفوذ التركي. كما فتح خال سليمان شاه في عام ١٠٨٥ مدينة ملاطية. أما جاقا بك فقد فتح ازمير وبنى أسطولاً ضخماً في خليج ازمير مؤسساً بذلك القوة البحرية الأولى للدولة التركية.

الشخصية السياسية للدولة التركية

أتم سليمان شاه الذي يطلق عليه جميع المؤرخين اسم فاتح الأناضول، فتح جميع مناطق الأناضول التي أطلق عليها منذ ذلك التاريخ اسم تركيا فحقق وحدتها. وإن كانت هذه الوحدة قد تصدعت بعد وفاة سليمان شاه فإن أحفاده عمدوا إلى تحقيق هذه الوحدة مرة أخرى. ومع كل هذا فيجب أن لا يغرب عن البال أن تركيا كانت واحدة من المقاطعات الاثنتي عشرة التي كانت تحويها الدولة التركية الكبرى. وقد جرت العادة في صلاة الجمعة على تلاوة اسم الخليفة ثم الخاقان التركي الأكبر ثم حاكم تركيا في الخطبة. ولما كانت تركيا أرض الجهاد والنصر فقد كان الخاقان الأكبر يمدها بالمال كما يعمل على إسكان مئات الألوف من الأتراك فيها سنوياً.

وكما كانت تركيا من ضمن الدولة التركية الكبرى فقد كانت هناك دويلات صغيرة تتبع دولة تركيا فقد أسس القادة الذين أسدوا خدمات جليلة لفتح الأناضول إمارات وراثية في المناطق التي فتحوها وكان هؤلاء القادة يسمون أول الأمر بالأمراء والأمراء الكبار ثم أطلق عليهم لقب الملوك. وكان الخط السياسي لدولة تركيا في نهاية القرن الحادي عشر على ما يلي:

١	إمارة أبي القاسم بك ومركزها أرضروم سميت فيما بعد بإمارة صالتوق. وكانت تضم أرضروم وقارص وجوروخ وريزه وحواليها.
٢	إمارة أبناء منكوج ومركزها أرزنجان وكانت تضم أرزنجان وكوموشخانه وكيره سون وطرابزون.
٣	إمارة أبناء دانشمند ومركزها سيواس وكانت تضم سيواس وطوقات وأماسيا وجوروم وصامسون واوردو.
٤	الإمارة التي كانت تضم قسطموني وسينوب وجانقيري وزونغولداق ويحكمها قاراتكين بك.
٥	إمارة بولداجي بك في حوالي معرش.
٦	إمارة قيلقيا ومركزها طرسوس وكانت تضم أدنه وايجل.
٧	إمارة مركزها أنطاكية وتضم هاتاي وعنتاب والمناطق الشمالية من حلب.
٨	إمارة جاقا بك في ازمير وكانت تضم المناطق المتاخمة لمدينة ازمير.
٩	إمارة مركزها افس كانت تضم ايدين وموغلا.
١٠	الإمارة التي كانت تحت الحكم المباشر لسليمان شاه وتضم قونيه وعشاق وكوتاهية وافيون والمناطق المجاورة لها
١١	إمارة قيصري وتضم قيصري وقير شهر ونو شهر ونيكدة ويوزغاد.
١٢	إمارة أنقرة وتضم أنقرة وإسكي شهر.
١٣	إمارة لاديك بالقرب من دنيزلي.
١٤	إمارة آل شهر في أراضي مغنيسا.
١٥	إمارة انطالية.
١٦	إمارة بوردور وإسبارطه.
١٧	إمارة ازنيق تحت حكم السلطان المباشر وكانت مركز الدولة وتضم بورصة وبيله جك وبولو وسقارية وقوجا الي

١٨	إمارة جناق قلعة وباليكسر.
١٩	إمارة درسيم ومركزها خربوط وكانت تحت حكم محمد بك بن جبوق بك وكانت تضم العزيز وتونج أيلي وملاطية وادي يمان وبنكول.

كان على رأس بعض هذه الإمارات أمراء من السلاجقة وقد عمرت منها إمارات دانشمند وصالتوق ومنكوج تحت حكم نفس السلالات، أما الإمارات الأخرى والتي لم تسترد من قبل البيزنطيين فقد أديرت مباشرة من قبل الدولة التركية ونخص بالذكر منها الإمارة العاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة التي مر ذكرها فيما سبق مع قسم من الإمارات المتبقية وقد سمي جميع أمراء تركيا بعد سليمان شاه بلقب الملك. وكانت الولايات الحالية التالية تدار من قبل الدولة التركية الكبرى مباشرة: أورفه، ديار بكر، ماردين، سعرت، حكارى، وان، اغرى، موش، بتليس.

أما الدولة المروانية العربية في منطقة ديار بكر فقد كانت خاضعة للدولة التركية الكبرى.

الأناضول تصبح وطناً تركياً

كانت المناصب والألقاب تتوارث أباً عن جد في المجتمع التركي شان سائر المجتمعات في القرون الوسطى وكان هناك تشابه بين المناصب وبين المجتمعين التركي والأوربي فالرئيس يقابله البارون والأمير يقابله الكونت وأمير الفروع يقابله المركيز والأمير الكبير يقابله الدوق والملك يقابله الملك والسلطان يقابله الإمبراطور.

أصبحت الأناضول وطناً تركياً نتيجة الهجرة التركية المتزايدة إليها وقد عمل السلاجقة ثم العثمانيون على اتباع سياسة حكيمة في الإسكان ففرقوا فروع الأوغوز المختلفة وأقسام العشائر الواحدة في الولايات المختلفة وأسكنوا بينهم فروعاً أخرى من الأوغوز.

إلا أنه من الحقائق المسلم بها أن البعض من سكان الأناضول كانوا من أصل تركي وقد اعتنق هؤلاء أولاً الديانة الإسلامية. وكان هناك الكثيرون من الأتراك ممن سكنوا الأناضول قبل الأوغوز مثل البلغار والخزر والبجنك والأوز والكومان كما تدفقت موجات أخرى من الترك إلى الأناضول أثناء الحروب الصليبية ومثال ذلك أن الخاقان الأكبر أرسل خمسين ألفاً من المقاتلين إلى تركيا في عام ١١١٣ ووضعهم تحت أمره قادتها.

وبعد غزو المغول للشرق بدأت الموجات الثانية للأتراك تتدفق على الأناضول وكانت من الكثرة بحيث حققت للعنصر التركي الأغلبية في الأناضول إزاء المسيحيين، وإن تسربت إليه موجات من الفرس هرباً من المغول فإن هؤلاء اندمجوا مع الأتراك وانصهروا بينهم. واستمرت الهجرة التركية إلى تركيا في عهد العثمانيين حتى أننا نرى ملامح هذه الهجرة حتى في القرن العشرين. وازدادت كثافة السكان في تركيا بحيث خرج قسم من الأتراك إلى المناطق المجاورة باتجاه سوريا والعراق وأحياناً نحو إيران وقفقاسيا وحتى فلسطين ومصر والجزائر وتونس. واتجهت في العهد العثماني نحو البلقان وتشكلت جاليات تركية كثيفة في المجر أيضاً في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

واستمرت أقليات قومية في العيش في تركيا وعلى رأسها العنصر اليوناني والأرمن حتى تأسيس الجمهورية حيث رحل قسم كبير من هذه الأقليات وسكن محلهم الأتراك الوافدون من البلقان بحيث انحصرت الأقلية غير المسلمة في العهد الجمهوري في استانبول وحدها.

ويستفاد من الدراسات التاريخية الحديثة إن زمرة بوزوق المتكونة من اثني عشر فرعاً سكنت شمال الأناضول بينما سكنت زمرة أوج أوق المتكونة من اثني عشر فرعاً آخر الجنوب. ومن أكبر قبائل الأوغوز التي سكنت تركيا هم القنيق وعلى رأسهم السلاجقة وهي في المرتبة الأولى من

حيث الأصالة وأتى بعدهم القايى وعلى رأسهم العثمانيون ثم الأوشار والبايندر. ولما كانت كل قبيلة تتكلم لهجتها الخاصة بها فقد تشكلت في تركيا اللهجات التركمانية (الأوغوز) في الأناضول. ومن المعتقد أن لهجة قنيق وقايى هي أساس اللهجة التركية الحالية. ويسكن القنيق على الأخص حوالي نهر قزل أرماق وهكذا تكونت لهجة استانبول الكلاسيكية.

وإن كانت هناك زمر تركية أخرى من غير الأوغوز قد وفدت إلى تركيا فإن أهميتها ضئيلة ومن هذه الزمر القارلوق والحالاج والجيغيل والكانغلي والأويغور والقبجاق.

ومن المؤكد أن الجيش التركي في الأناضول في عهد سليمان شاه كان قوامه مائة وخمسين ألف مقاتل وقد شكلوا مع عوائلهم ومع بقية المهاجرين كثافة كبيرة من السكان تقدر بمليون أو مليونين. واستمر عدد السكان بالازدياد منذ القرن الثاني عشر. والأوغوز (التركمان) سكنوا السهول لكونهم من قبائل السهول إلا أن ازدياد عددهم اضطر البعض منهم إلى السكن في مناطق جبلية.

وفاة فاتح الأناضول المفجعة ٥ حزيران (يونيو) ١٠٨٦

أمر الخاقان التركي الكبير بطلب من سليمان شاه القائد الداهية أرتوق بك بمغادرة الأناضول والاهتمام بفتح البلاد العربية فعمل هذا على فتح المناطق المحيطة بعمان فألحقها بالإمبراطورية التركية ثم قدم إلى القدس. وكان في القدس حينذاك (١٠٨٥) دورمش بك والي آتسز بك من القادة الأتراك الكبار والذي فتح سوريا بصحبة السلطان طوتوش.

وفي٢٠ حزيران (يونيو) ١٠٨٥ تغلب سليمان شاه على شرف الدولة ابن مسلم حاكم الموصل وحلب في معركة دارت رحاها بالقرب من أنطاكية وفتح هذه المدينة فكان هذا النصر وما تبعه من اشتهار وذيوع حيث أثره في ازدياد شعور الحقد والكراهية لدى أرتوق بك تجاه فاتح الأناضول، وخشي استيلاء سليمان شاه على سوريا وطرده إياه منها كما

كان السلطان طوتوش شقيق السلطان ملكشاه الرامي إلى تأسيس دولة في سوريا يتوجس خيفة من سليمان شاه وانتصاراته المتوالية. فاصطحب أرتوق بك على رأس جيش كبير إلى حلب حيث عمل على عرقلة التدابير الرامية إلى الاستيلاء على سوريا الشمالية.

وفي حرب دموية جرت بالقرب من حلب في ٥ حزيران (يونيو) ١٠٨٦ بين المتخاصمين بادر سليمان شاه كعادته بالهجوم إلا أن الجيش المقابل لم يكن جيشاً بيزنطياً يهاب الهجوم المباغت. فلم يؤخذ السلطان طوتوش ولم يندحر وقام أرتوق بك بهجوم مقابل دحر به جيش الأناضول ولم يستطع سليمان شاه فاتح الأناضول والذي كانت حياته متواصلة من الانتصارات تحمل الهزيمة فانتحر ويقال إنه قتل وهو يقاتل. والتحق قسم كبير من جيش سليمان شاه بالسلطان طوتوش وفي ١٢ تموز (يوليو) عاد طوتوش إلى حلب.

تأثر السلطان ملكشاه وغضب جدّاً لمقتل سليمان شاه وتحرك من أصفهان في أيلول من عام ١٠٨٦ لمعاقبة طوتوش وشاءت الأقدار أن يقع تصادم بين الابنين العظيمين للسلطان ألب أرسلان إلا أن طوتوش قال عندما رأى جيش أخيه الأكبر على مشارف حلب: «لا أستطيع أن أفعل ما يمس شرف أخي الأكبر ومجده فأكون أنا المستصغر حتماً حتى ولو غلبته على أمره». ، فسحب جيشه إلى دمشق في الجنوب. ولم يقتف السلطان ملكشاه أثر شقيقه بعد أن رأى حكمة أخيه وسرّ من طاعته لعدم رغبته في إراقة دماء الأشقاء.

٦ ـ الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٦ ـ ١٠٩٩

ما بعد وفاة سليمان شاه

كان أبناء سليمان شاه صغار السن لدى وفاة أبيهم فاهتمّ السلطان ملكشاه بتربيتهم واستدعاهم إلى قصره في أصفهان مقر الدولة التركية الكبرى فأشرف على دراستهم. وبقيت بذلك دولة تركيا تحت إدارة شقيق

سليمان شاه، الملك داود مدة ستة أعوام وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من وفاة سليمان شاه، ٥ حزيران (يونيو) ١٠٨٦ وحتى وفاة ملكشاه في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٠٩٢ وبذلك يعتبر الملك داود الحاكم الثاني لدولة تركيا.

وبعد وفاة ملكشاه استأذن الابن الأكبر لسليمان شاه، قليج أرسلان من السلطان بركياروق وغادر أصفهان مصطحباً أخاه الأصغر إلى ازنيق واعتلى العرش حاكماً ثالثاً لتركيا.

كان أبو القاسم بك من قادة سليمان شاه يدير أمور دولة تركيا نظراً لصغر سن الملك داود وقد أنشأ أسطولاً سرعان ما أحرق من قبل البيزنطيين كما زار عاصمة الإمبراطورية البيزنطية حيث أكرم وعومل معاملة الحكام وككل نواب الحكام كان أبو القاسم طامعاً في العرش حتى أنه طلب من السلطان ملكشاه توليته على عرش تركيا. وقد استشاط السلطان غضباً من طلب هذا فاستدعاه فوراً إلى أصفهان وهناك بقي أياماً عديدة دون أن يسمح له بمقابلة السلطان. ولم يكتف السلطان بذلك فأمر بوزان بك أن يخنق أبو القاسم بشريط سهمه عند عودتهما إلى الأناضول تحسباً للطوارئ ومنعاً من إراقة دماء الأشقاء في المستقبل فنفذ بوزان بك أوامر السلطان وعين أبو الغازي بك شقيق أبو القاسم نائباً للحاكم. وفي خضم هذه الظروف قدم السلطان قليج أرسلان الأول من إيران إلى ازنيق وسط حفاوة بالغة من قبل الشعب

جاقا بك يثبت دعائم الحكم التركي في بحر إيجة

قفز جاقا بك والى ازمير في هذه الفترة إلى الصفوف الأولى من مسرح السياسة في البلاد واظهر قدرة فائقة مستغلاً إدارة البلاد نيابة عن الملك داود الصغير. فقد بنى أربعين سفينة فأسس بذلك أسطولاً ضخماً فتح بواسطته جزر ساقز وميديللي ورودوس وسيسام في بحر إيجة. وإزاء

نواقيس الخطر هذه عمد الإمبراطور الكسيوس إلى محاولة استرجاع الجزر الآسيوية من يد الأتراك إلا أنه لم يفلح في ذلك. وهزم الأسطول البيزنطي بقيادة الأميرال نيكيتاس كاستامونيتاس من قبل الأسطول التركي. وإزاء ذلك نظمت حملة أخرى بقيادة الأميرال قسطنطينوس دالاسينوس مستمدة العون من وحدات الفلاندر الوافدة من بلجيكا وإن استطاع هذا الأسطول استرداد جزيرة ساقز فإنه لم يستطع استرجاع ميديللي.

وكان جاقا بك ينوي الاستيلاء على شبه جزيرة كليبولي والسيطرة على مضيق جناق قلعه وتشديد الخناق بذلك على البيزنطيين فأرسل بعضاً من الجواسيس إلى الوحدات التركية غير المسلمة العاملة تحت لواء البيزنطيين يحثهم على ترك خدمة البيزنطيين. كما كان يفاوض البجنك من الأوغوز غير المسلمين لنفس الغرض. وقد دحر البجنك في عام ١٠٨٧ بالقرب من سليستره قوات الإمبراطور الكسيوس ووصلوا في أواخر عام ١٠٩٠ إلى القرب من جكمجة.

وإزاء بوادر انحلال الإمبراطورية البيزنطية ألح الإمبراطور الكسيوس في طلب نجدة الصليبيين من أوربا وكانت أوربا تدرك استحالة الوقوف بوجه الأتراك في حالة سقوط الإمبراطورية البيزنطية أقوى دول أوربا والمسيحية برمتها.

وفي هذه الفترة أنقذ دهاء الإمبراطور الكسيوس السياسي صرح الإمبراطورية فقد اتفق مع أتراك الكومان الوافدين إلى البلقان ومنحهم مقاطعات واسعة فيها. فأباد جيش البيزنطيين ـ الكومان المشترك في ٢٩ نيسان ١٠٩١ في موقع ليبنيوم بالقرب من أمور بك على الساحل الأيسر لنهر مريج جيش البجنك وقتل فرسان الكومان الذين كانوا يعدون أربعين ألفاً أشقاءهم من البجنك وبذلك فقد أنقذت الإمبراطورية البيزنطية مرة أخرى كما استعيدت الأناضول الغربية بحيث اضطر الأتراك وعلى مر قرنين من الزمن الى التضحية بمئات الألوف من الشهداء لفتح هذه الأراضي

مجدداً. ولما كان جاقا بك طامعاً في الحكم وحتى في عرش الإمبراطورية البيزنطية فقد قتل في عام ١٠٩٣ من قبل صهره السلطان قليج أرسلان الأول.

بداية الحروب الصليبية

وصل الأتراك إلى سواحل مرمرة بعد عشر سنوات من معركة ملازكيرت وأسسوا دولة تركيا التي اتخذوا ازنيق عاصمة لها. وكانت الفتوحات التركية مستمرة كما كان الأتراك يتدفقون على شكل موجات عارمة إلى الأناضول.

توجست أوربا خيفة من استيطان الأتراك للأناضول وأيقنت أن دولة البيزنطيين أكبر دول أوربا قاطبة واقعة في يد الأتراك لا محالة وأن الأتراك سيتسربون إلى أوربا بعد قضائهم على الإمبراطورية البيزنطية. وبذلك فقد كان من الضروري الحد من حركة الأتراك وطردهم من سوريا وفلسطين إذا أمكن ذلك وكان هذا الأمر يحتم اتحاد الدول الأوربية كافة إذ لم يكن بمقدور أية دولة أوربية القيام بهذه المحاولة بمفردها.

وإزاء هذه النوايا أصبح الأتراك أمام مسؤولية كبرى وهي حماية العالم الإسلامي. أما العامل الثاني للحروب الصليبية فهو العامل الاقتصادي فقد أصاب القحط أوربا في القرن الحادي عشر وكان الذهب وبقية المعادن الثمينة في يد الأتراك والأقوام الشرقية الأخرى وكان المسلمون مسيطرين على طرق التجارة العالمية كما كان الأتراك في شرق أوربا يسدون على الأقوام الأوربية سبل العالم في حين كانت هذه الأقوام مضطرة إلى تامين الموارد الأولية من بلاد الشرق. ولما كان شراء هذه المواد متوقفا على دفع قيمتها بالذهب أدركنا مدى الأزمة التي كانت أوربا تعيشها بفقدان المعدن الثمين وافتقارها إليه.

لم تكن هناك أية مدينة في أوربا يربو عدد نفوسها على مائة ألف

نسمة باستثناء استانبول ذات المليون نسمة كما كان تعداد المدن التي يسكنها عشرون ألفاً من السكان لا يزيد على عشرين مدينة.

أما في الشرق فكانت هناك مدن عديدة يربو عدد سكانها على المليون نسمة والعديد من المدن التي يسكنها مائة ألف نسمة ونظراً لعدم تأسس اقتصاد المدن في أوربا وعدم ظهور الطبقة البرجوازية فلم تكن هناك طبقة متوسطة بينما كانت الطبقات مقتصرة على النبلاء والطبقة الفقيرة فقط. وكانت الزراعة بدائية وأدواتها خشبية كما كان نظام الري فاسداً وكان دخل أكبر الدول الأوربية مثل فرنسا وألمانيا لا يوازي دخل أصغر إمارة تركية، كما لم يكن هناك أكثر من سبع دول في أوربا يزيد عدد نفوسها على المليون نسمة وهي ألمانيا وفرنسا وإنكلترا والمجر وبولندا وصقلية والإمبراطورية الرومانية. ولم يبلغ عدد سكان أية دولة من هذه الدول عشرة ملايين في حين كان عدد نفوس الإمبراطورية التركية مائة مليون والصين ستين مليوناً.

الحروب الصليبية الأولى

تجمعت كتل أوربية كبيرة بتحريض من البابا لاسترداد القدس من أيدي المسلمين واستغلال خيرات الشرق فاجتمع مالا يقل عن خمسين ألف فرنسي حول بيار لارميت الفرنسي المعدم وسار هذا الحشد وراء آمال كبيرة في الإثراء والغنى والتحق بهم خمسون ألفا آخرين في ألمانيا وسارت قافلة المعدمين هذه تلتحق بها جموع غفيرة في المجر ودول البلقان. وقد توجست الإمبراطورية البيزنطية الغنية خيفة من جيش المعدمين هذا فسارعت الى إخراجهم إلى أراضي الأناضول من يالاوه وأدخلتهم بذلك في أراضي الدولة التركية. وقد قام هؤلاء بقتل وسلب كل من يصادفهم دون تمييز بين مسلم أو مسيحي وسار الجيش الفوضوي إلى مدينة ازنيق عاصمة تركيا راميا الاستيلاء عليها. إلا أن السلطان قليج أرسلان اعترض طريقة في أيلول (سبتمبر) من عام ١٠٩٦ ولم ينج من هذا الجيش الجرار إلا من وقع في الأسر.

إلا أن هذا الجيش كان يعقبه جيش كبير آخر على رأسه أبرز فرسان أوربا ونبلائها مثل كودفري وبويلون ويضم كل قادر على حمل السلاح في القارة الأوربية وقد بلغ تعداده ستمائة ألف رجل عند وصوله إلى القرب من أراضي الإمبراطورية البيزنطية، منهم من تلقى تدريباً عسكرياً منتظماً ومنهم الكثيرون من المرتزقة. وقد أرعب هذا الجيش الذي كان من المفروض فيه أنه قادم لإنقاذ الدولة البيزنطية، الإمبراطور الكسيوس كومينوس والذي كان يميل إلى العيش بسلام مع الأتراك لتحقيقه بعض المكاسب في البلقان متلافياً خسائره في الأناضول فعمد إلى عقد اتفاقية عاجلة مع قادة الجيش الصليبي فأخرجهم بموجبها إلى أراضي الأناضول وكانت الاتفاقية تنص على إلحاق الأراضي المغتصبة من الأتراك في الأناضول إلى الدولة البيزنطية وحرية التصرف فيما عداها.

السلطان قيلج أرسلان يدفن نصف مليون صليبي في أراضي الأناضول

حاصر الصليبيون في شهر أيار (مايو) من عام ١٠٩٧ مدينة ازنيق عاصمة تركيا. وقد قررت الحامية التركية في المدينة إزاء هذا الأمر تسليم المدينة إلى البيزنطيين الذين كانت تعتبرهم أكثر تمدناً من الأوربيين، ودعت البيزنطيين إلى مفاوضات عاجلة بهذا الشأن. إلا أن الحامية سمعت بمقدم جيش السلطان قليج أرسلان إلى مشارف المدينة فعدلت عن رأيها وقررت المقاومة ضد الجيش الذي يبلغ قوامه ستمائة ألف جندي مستمدة العزم من مقدم السلطان التركي. وقد جرت معركة حامية الوطيس بين الجيش التركي والجيش الصليبي الذي كان يفوقه في العدد بعشرة أضعاف على الأقل ومني الطرفان بخسائر فادحة فأدرك السلطان قليج أرسلان صعوبة التوصل إلى نصر نهائي إزاء التفوق العددي الهائل للجيش المعادى فقرر الانسحاب والبدء بحملة من حروب العصابات.

وبانسحاب السلطان قليج أرسلان تم تسليم أول عاصمة للدولة

التركية إلى البيزنطيين وقد لقي الأسرى الأتراك معاملة حسنة من قبل الإمبراطور الكسيس كومينوس ووافق على افتدائهم بالمال كما أظهر الاحترام الفائق تجاه زوجة السلطان قليج أرسلان التي كانت بين الأسرى فأكرمها في قصر الإمبراطورية في أستانبول مبيناً لها كونها حرة في الالتحاق بزوجها الحاكم التركي متى ما شاءت. وكانت سياسة اللين هذه من جانب البيزنطيين تجاه الأتراك متولدة من كراهية البيزنطيين للجموع الكاثوليكية اللاتينية الزاحفة.

سار الصليبيون في أراضي الأناضول باتجاه مدينة إسكي شهر وفي ٣٠ حزيران (يونيو) ١٠٩٧ تصدى لهم السلطان قليج أرسلان بجيشه حيث ألحق بهم خسائر فادحة وأسرع في الانسحاب. وبعد ذلك بدأت مناوشات حرب العصابات بين الأتراك والصليبيين في سهول الأناضول. وقد تمكن السلطان قليج أرسلان بمعونة أبرز قادته متل دانشمند غازي من إنزال ضربات فادحة بالجيش الصليبي وإبادة وحداته المنفصلة أينما صادفها. كما كان الجيش التركي يشتبك مع الجيش البيزنطي في نفس الوقت. وإذا ما علمنا أن الجيش التركي كان يتكون من مائة وخمسين ألف جندي أدركنا خطورة الأمر وصعوبة الوقوف بهذا العدد أمام قوات أوربا المتحدة برمتها، وقد استغل الإمبراطور الكسيس كومينوس الفرصة السانحة فاسترجع قسماً من غرب الأناضول ومن ضمنه مدينة ازمير. وقد وقع الأتراك بذلك في شريط ضيق في سهل الأناضول المركزي يدافعون تحت وطأة أقسى الظروف عن أرض الوطن. يضاف إلى كل ما تقدم أن سادة الأرمن في جبال طوروس استغلوا الظروف المواتية فأسسوا دولة أرمنية في كيلكيا.

انخفض عدد جنود الجيش الصليبي عند مغادرته لأراضي الأناضول تأهباً لمحاصرة أنطاكية إلى مائة ألف رجل. فقد استطاع السلطان قليج أرسلان بفضل حرب العصابات الخاطفة من إبادة نصف مليون صليبي في أراضي الأناضول.

الصليبيون في أنطاكية ٢١ تشرين الأول ١٠٩٧

ضحى الصليبيون بنصف مليون رجل كما سبق ذكره لاجتياز أراضي الأناضول فحاصروا بما تبقى منهم قلعة أنطاكية الهامة. ولم تكن هذه المدينة من ضمن مقاطعات تركيا بل كانت تتبع الدولة التركية الكبرى مباشرة بعد وفاة سليمان شاه وكانت تدار من قبل ياغي باصان بك منذ عهد السلطان ملكشاه.

بدا حصار أنطاكية في ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٠٩٧ واستمر أكثر من سبعة أشهر إلا أن الصليبيين لم يتمكنوا من اقتحامها عنوة إلا بعد إرشادهم من قبل مسيحي في داخل المدينة خان أهل المدينة وقاد الصليبيين إلى الطرق المؤدية إليها، فسقطت بذلك المدينة في أيديهم في ٢ حزيران (يونيو) ١٠٩٨ وإزاء ذلك أمر الخاقان التركي الأكبر والي الموصل كربوغا بك بإنقاذ المدينة فحاصر هذا الصليبيين داخل القلعة. وعندما أدرك الصليبيون أن المدينة ستقع في يد الأتراك ثانية أطلقوا إشاعات مفادها العثور على السهم الذي أطلق في حينه على السيد المسيح فأحدثت هذه المعجزة المفتعلة فعل السحر في معنويات الجيش الصليبي المرهق فقام بهجوم مضاد مباغت في ٢٨ حزيران شتت به القوات التركية. وتأسست في أنطاكية الإمارة الصليبية الثانية التي أعقبت إمارة أورفة الصليبية.

الصليبيون في القدس

وصل الصليبيون بعد ثلاث سنوات من بدء تحركهم إلى القدس، هدفهم الرئيسي. إلا أن قوام الجيش الذي بدأ بالسير وهو يضم ستمائة ألف رجل كان قد انخفض إلى أربعين ألفاً فقط. وكانت القدس آنذاك تحت حكم الفاطميين وبعد مقاومة تكاد لا تذكر وقعت المدينة المقدسة في يد الجيش الصليبي. وقام الصليبيون بإبادة سبعين ألفاً من المسلمين واليهود في المدينة ولم يسلم من القتل حتى النسوة والأطفال الذين التجأوا إلى المساجد.

وإثر ذلك تأسست دولة لاتينية كاثوليكية اتخذت مركزاً لها مدينة القدس التي كانت قد بقيت تحت الحكم الإسلامي مدة ٤٦٧ عاماً. وتبعت جميع الدويلات الصليبية هذه الدولة. وتم بذلك السيطرة من قبل الأوربيين على هذه المدينة التي كانت ولا تزال ثالثة مدينة مقدسة لدى المسلمين بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة. ولم يكن الأتراك ليسمحوا بوجود الأوربيين في هذه المناطق المقدسة وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط فعملوا على إخراجهم منها وتطهير جميع هذه الأراضي منهم وكانت الحملة الصليبية بذلك قد وقفت بوجه التاريخ ردحا من الزمن بحيث تأخر فتح استانبول ثلاثة قرون ونصف قرن حيث اتحدت الأناضول بكاملها فيما بعد تحت الحكم التركي.

٧ ـ السلطان قليج أرسلان الأول ١٠٩٢ ـ ١١٠٧

تركيا في عهد السلطان قليج أرسلان

عمد السلطان قليج أرسلان بعد انحسار الموجات الصليبية عن الأناضول إلى تقوية كيان الدولة الذي تصدع بفعل الحروب الطاحنة مع الصليبيين ومحاولات البيزنطيين الرامية إلى الاستيلاء على معظم المناطق التي فتحت. وقد تم إحلال مئات الألوف من الأتراك الوافدين من تركستان محل الخسائر الكبيرة في الأرواح والتي مني بها الأتراك في تلك الظروف الحرجة.

كانت الدولة البيزنطية قد استولت على سواحل البحر الأبيض وإيجة واستعادت أجزاء كبيرة من سواحل البحر الأسود محاولة منها في إبعاد الأتراك عن المياه المفتوحة. وفي نفس الوقت كان أمراء الدانشمند والمنكوج والصالتوق قد اكتسبوا القوة والقدرة التي مكنتهم من تحقيق استقلالهم والانفراد بالحكم في إماراتهم مع الاعتراف بسلطة السلطان قليج أرسلان بصورة اسمية.

اتخذت مدينة قونية عاصمة ثانية لدولة تركيا وكانت قونية تلاقي الصعوبات في أسماع صوتها إلى سيواس وأرزنجان وأرضروم عواصم تلك الإمارات. وكانت أقوى هذه الإمارات إمارة دانشمند وعلى رأسها أحمد دانشمند غازي خال سليمان شاه. وإن كانت هذه الإمارات قد التفت حول السلطان قليج أرسلان أثناء الحروب الصليبية فإنها غيرت من موقفها بعد انتهاء تلك الحروب.

شخصية السلطان قليج أرسلان

يقول الأديب الصليبي غليوم دي تاير في وصف السلطان إنه «شجاع، عالم، خبير في إدارة الدولة ومجرب حكيم».

لم يلق أي زعيم أو قائد ما لاقاه السلطان قليج أرسلان في حياته السياسية فقد جابه قوات صليبية تفوق قواته بعشرة أضعاف فلم يفقد عزمه ولا أمله وحارب بكل بسالة مما استحق به احترام الأعداء له. عرف السلطان قليج أرسلان تدبير الأمور في أحرج مواقفها يضاف إلى ذلك أنه كان يحارب البيزنطيين في نفس الوقت. وكان من المقدر أن تكون تركيا ولاية بيزنطية كما كانت قبل أعوام من حكمه وكان من الممكن أن تسقط دولة تركيا ويساق الأتراك إلى ما وراء الفرات وجبال طوروس. إلا أن السلطان التركي الشاب حارب وناضل بكل بسالة وفي خضم أقسى الشروط فقد خاطب قادته الذين وجلوا عندما رأوا الجيش الصليبي الذي كان يضم أكثر من نصف مليون جندي في مشارف إسكي شهر قائلاً: أنتم ترون هذا الخضم المتلاطم من الأعداء في السهول والجبال والهضاب. إلا أنكم لو استمعتم إلي جيداً ونفذتم ما سآمركم به فسننقذ جيشنا وننقذ وطننا.

ويدل هذا القول على مدى صلابة هذا القائد الشجاع الذي أباد ما يقارب الثلاثمائة ألف من أعدائه في موقعة واحدة بالقرب من اماسية وتعتبر هذه المعركة من أعظم المعارك المظفرة في التاريخ التركي.

عامل السلطان التركي رعاياه المسيحيين معاملة حسنة طوال الحروب الطاحنة ولم يميز بينهم وإزاء ذلك لم يفكر الرعايا المسيحيون بالتمرد عليه أثناء مرور الصليبيين مما يظهر مدى ارتياحهم للحكم التركي.

وقد أورد المؤرخ ماثيوس الأورفه لي والمعاصر للسلطان قليج أرسلان الأول ما يلي:

«إن وجود حاكمنا الطيب هو خير ضمانة لنا نحن المسيحيين».، كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين والذي اشترك شخصياً في الحروب الصليبية في وصف الأتراك: «من يستطيع أن يصور بطولة الأتراك وقابليتهم العسكرية الفذة؟ فلو كانوا مسيحيين لما استطاع أحد أن يرقى إلى قدرتهم أو جسارتهم أو فنونهم الحربية».

وفاة السلطان قليج أرسلان الأول تموز ١١٠٧

دخل السلطان قليج أرسلان في آذار (مارس) من عام ١١٠٧ إلى الموصل ونصب من ابنه ملكشاه البالغ أحد عشر عاماً ملكاً عليها ثم سار إلى الشمال الغربي. وقد توفي غرقاً عند عبوره نهر الخابور في شهر تموز فنقل جثمانه إلى سلوان حيث دفن هناك.

ولما كان خلفه ملكشاه صغيراً في السن فقد استدعي من قبل السلطان التركي الأكبر محمد طابار ـ ابن السلطان ملكشاه ـ إلى عاصمة الدولة التركية الكبرى حيث بقي عامين تلقى فيهما التدريب والتربية مثل أبيه ثم سلمه الخاقان مرسوم التولي على دولة تركيا فأرسله إلى قونية. وقد حكمت تركيا في هذه الفترة باسمه من قبل أوصياء. وقد توفي السلطان ملكشاه في عام ١١١٦ عن عشرين عاماً بعد حكم دام سبعة أعوام فخلفه شقيقه السلطان مسعود الحاكم الخامس لدولة تركيا.

٨ ـ السلطان مسعود الأول ١١١٦ ـ ١١٥٥

الحروب الصليبية الثانية ١١٤٧ ـ ١١٤٩

حكم السلطان مسعود مدة تسعة وثلاثين عاماً قضاها بالكفاح من أجل تقوية بنية دولة تركيا حيث عمل على إخضاع الإمارات التركية للإدارة المركزية واستمرت في عهده مجابهة الأتراك للصليبيين والبيزنطيين.

وقد نصب السلطان مسعود في أعوامه الأخيرة ابنه الكبير قليج أرسلان البالغ من العمر أربعين عاماً سلطاناً فحال بذلك دون اقتتال الإخوة من بعده نظراً للظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة. وقد توفي السلطان مسعود عن سبعة وخمسين عاماً في قونية بعد أن استتب الأمن والاستقرار في دولته.

الحروب الصليبية الثانية

سارت الحملة الصليبية الثانية بقيادة كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا. وقد وصل كونراد الثالث على رأس خمسة وسبعين ألفاً من الجنود إلى سهل قونية فتصدى له السلطان مسعود الأول بقواته القليلة العدد واستطاع بفضل مهارته الحربية من إبادة الجيش الصليبي حيث فر الإمبراطور الألماني مع خمسة آلاف ممن نجوا من أيدي الأتراك ملتجئاً إلى ازنيق.

وفي هذه الآونة وصل لويس السابع ملك فرنسا على رأس مائة وخمسين ألف رجل إلى ازنيق حيث انضم إلى إمبراطور ألمانيا. فأدرك السلطان التركي خطورة مجابهة هذه القوات فاستدرجهم إلى جبال طوروس حيث انقض عليهم واضطر الصليبيون الذين منوا بخسائر فادحة إلى الالتجاء إلى إنطالية.

(المبحث الثاني)

عصر الإمبراطورية الأولى في تركيا ١١٥٧ ـ ١٢٤٣

١ ـ السلطان قليج أرسلان الثاني ١١٥٥ ـ ١١٩٢

تعتبر الفترة الواقعة بين عامي ١١٥٧ ـ ١٢٤٣ عصر الإمبراطورية الأولى في تركيا والتي سبقت الإمبراطورية العثمانية ويقع هذا العصر بين وفاة السلطان سنجر في ٢٩ نيسان (ابريل) ١١٥٧ ووقوع كارثة كوسه داغ في تموز (يوليو) ١٢٤٣ أي ما يقارب ستة وثمانين عاماً. وتعتبر هذه المدة التي تقارب القرن دور العظمة لدولة تركيا إذ يعتبر حكام الأناضول السلاجقة في هذه الفترة سلاطين الدولة التركية الكبرى. فقد انتقل عرش الدولة التركية الكبرى بعد وفاة السلطان سنجر آخر أبناء السلطان ملكشاه إلى الغرب أي إلى حكام تركيا. وبالرغم من أن سلاجقة العراق ادعوا بانتقال العرش إليهم فان سلاجقة الأناضول كانوا أقوى وأكبر شأناً من إخوتهم في العراق كما أن الخوارزمية سرعان ما حلوا محل سلاجقة العراق. ومن ناحية أخرى فقد فقدت تركيا أهميتها كأقوى دولة في العالم والتي توصلت إليها في عهد علاء الدين كيقباد بعد كارثة كوسه داغ ودخلت تركيا تدريجيا تحت النفوذ المغولي. ثم فقدت استقلالها وخضعت للالخانيين وتفرقت بعد ذلك إلى دويلات عديدة إلى أن توحدت مرة أخرى تحت ظل إمبراطورية ثانية وهي الإمبراطورية العثمانية.

وفاتحة هذا الدور القصير والبالغ في الأهمية يبدأ بالسلطان قليج أرسلان الثاني الذي أحبط آمال البيزنطيين في استعادة الأناضول بصورة نهائية وابعد خطر الصليبيين عن تركيا وربط الإمارات الصغرى بالإدارة المركزية فأسدى بذلك خدمات جلي لدولة تركيا التي بدأت ترفل بالنعيم بعد هذا التاريخ.

استقل السلطان قليج أرسلان الذي ارتقى العرش في عام ١١٥٥ خلفاً لأبيه بعد وفاة الخاقان التركي الأكبر السلطان سنجر في عام ١١٥٧ بصورة تامة وانتهى بذلك ارتباط الحكام الأتراك اسمياً بالخاقان الأكبر. لم يخلف أحد السلطان سنجر بعد وفاته وتخلى السلاجقة عن آسيا الوسطى وتركستان وبقيت هنالك ثلاث دول سلجوقية في تركيا وكرمان (جنوب شرق إيران) والمناطق المحصورة بين خليج البصرة وبحر الخزر. كما أسس قادة السلاجقة والذين يسمون بالاتابكية دولاً صغيرة كانت في الغالب تتبع دولة تركيا أو سلاجقة العراق.

استولى السلطان قليج أرسلان في عام ١١٥٧ على عنتاب فضمن بذلك الحدود السورية. ثم توجه نحو البيزنطيين الذين كانوا مسيطرين على منطقة مرمرة والسواحل الغربية للأناضول وسواحل البحر الأسود فدحر قوات الإمبراطور مانويل كومنينوس بالقرب من مدينة إسكي شهر.

وبعد هذا النصر فكر السلطان قليج أرسلان في عقد الصلح مع البيزنطيين ليستطيع التفرغ إلى تقوية أسس دولته وزار استانبول ليطلع على خفايا السياسة البيزنطية حيث استقبل بحفاوة منقطعة النظير وقد أكرمه الإمبراطور البيزنطي ومن جملة ما يذكر أن الطعام كان يقدم إليه في القصر الذي حل فيه مرتين في اليوم في أواني ذهبية ولا تسترجع هذه الأواني طيلة الثلاثة أشهر التي قضاها في ضيافة الإمبراطور البيزنطي. وكان القصد من ذلك إظهار ثراء الإمبراطورية البيزنطية للسلطان التركي وإثنائه عن عزمه على محاربتها. ولم يؤد هذا الأمر إلى أكثر من هدنة وقتية بين القوتين

المتخاصمتين تعين بعدها على الأتراك مجابهة آمال البيزنطيين ومطامعهم التوسعية في الأناضول.

تخلص السلطان قليج أرسلان في عام ١١٧٤ من منافس قوي بعد وفاة نور الدين محمود الزنكي الاتابكي حاكم سوريا والموصل التركي الكبير. وقد عمد السلطان إثر ذلك إلى إنهاء حكم إمارة دانشمند وربطها بالدولة التركية مباشرة في عام ١١٧٥ كخطوة أولى لتحقيق الوحدة التركية.

أبناء السلطان قليج أرسلان الثاني

توفي السلطان قليج أرسلان الثاني في شهر آب (أغسطس) من عام ١١٩٢ في الطريق الواقع بين مدينتي قونية واقصراي عن سبعة وسبعين عاماً وكان قد نصب أبناءه الأحد عشر على الولايات التركية قبل سبعة أعوام من وفاته، فولى ابنه الكبير قطب الدين ملكشاه على سيواس وركن الدين سليمان شاه على طوقاد ومحيي الدين مسعود على أنقرة ونور الدين محمود سلطان شاه على قيصري ومغيث الدين طغرل شاه على البستان ومعز الدين قيصر شاه على ملاطية وناصر الدين بركياروق شاه على نيكسار ونظام الدين أرغون شاه على أماسية وسنجر شاه على أركلي وأرسلان شاه على نيكده وابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو على أولوبورلي وما حواليها.

شخصية السلطان قليج أرسلان الثاني

يورد المؤرخ المشهور الراهب غريغور والمعاصر للسلطان قليج أرسلان الثاني في كتابه مقارنة بين الإمبراطور ما نويل كومنينوس أعظم أباطرة البيزنطيين والسلطان قليج أرسلان ويقرر تفوق السلطان التركي على الإمبراطور بقوله انه «أعقل من الإمبراطور وأكثر حيطة». ولا أدل على ذلك من قيادته للجيش شخصياً بعد تجاوزه للسبعين من عمره وقد ذكرت المصادر العربية المعاصرة عنه أنه عظيم مهيب الجانب، عادل، له نظرة

ثاقبة في الأمور السياسية. كما تذكر المصادر الأرمنية المعاصرة له عنه بأنه «حكيم عظيم لا يتخلى عن العدل أبداً».

كان السلطان قليج أرسلان قد تزود بثقافة عالية شأن آبائه منذ ولايته للعهد وكان متديناً صادقاً بعيداً عن الرياء والتطرف يعامل رعاياه المسيحيين سواسية مع المسلمين. وإن كانت المساواة الدينية طبيعة واعتيادية في يومنا هذا فقد كان هذا الآمر مقتصراً على الأتراك في القرون الوسطى. ويستدل على هذا الأمر من شهادة جميع المؤرخين المسيحيين المعاصرين للسلطان التركي الكبير. وإن كان الأتراك يشكلون أغلبية ضئيلة تجاه المسيحيين في الأناضول في ذلك الوقت أدركنا مدى ارتياح المسيحيين للحكم التركي بواقع أنهم لم يحاولوا إسناد الإمبراطورية البيزنطية ضد الأتراك. وقد أظهر السلطان التركي لباقة وأدباً حينما خاطب البطريرك السرياني في ملاطية بعد النصر الذي أحرزه في موقعة ميريوكافالون قائلاً له بأنه إنما أحرز هذا النصر نتيجة لابتهالات البطريرك ودعواته المخلصة.

هاجر مئات الألوف من الأتراك في عهد السلطان قليج أرسلان الثاني من تركستان إلى الأناضول معززين نفوس الأتراك في هذه المنطقة. وإزاء تسامح السلطان الديني تجاه المسيحيين فإنه لم ينس بأن التعلق بأهداب العقيدة الإسلامية كان من أبرز عوامل استيطان الأتراك للأناضول واتخاذهم إياها وطناً. ويظهر السلطان قليج أرسلان الثاني في هذا العصر أيضاً بميزة أخرى وهي توجيهه أهمية بالغة إلى شؤون البناء والتعمير فقد بني في عهده المئات من الجوامع والمدارس والمنازل والأسواق.

والسلطان قليج أرسلان الثاني هو أول حكام تركيا الذين تقلدوا لقب السلطان المعظم والذي كان يطلق على الخاقان التركي الأكبر. وكان اسمه الكامل هو عز الدين أبو الفتح قليج أرسلان.

ترك قليج أرسلان دولة قوية زاهرة كالتي تركها سليمان شاه وقد ارتفعت تركيا في عهده إلى مصاف الإمبراطوريات حيث تمت الوحدة

الداخلية واستقرت القومية التركية في أراضي الأناضول.

٢ ـ ميريوكافالون، أيلول (سبتمبر)١١٧٦

فكر الإمبراطور مانويل إزاء تفاقم الخطر التركي على إمبراطوريته في تجهيز حملة قومية على قوات قليج أرسلان الثاني ورفض عرض الصلح الذي تقدم به السلطان التركي. وقد أدرك القادة البيزنطيون استحالة القضاء على القوات التركية الخيالة واستحالة القضاء على المقاومة التركية حتى في حالة هزيمتهم في معركة واحدة. إلا أن الإمبراطور استمر في تنفيذ ما عزم عليه واستقدم أبعد الوحدات العسكرية للالتحاق بالجيش كما ضم جيشه الكثيرين من المجريين والإيطاليين والفرنسيين والعربيين وأتراك البجنك.

أرسل قليج أرسلان الثاني قواته القناصة لتخريب الأماكن المعمورة في طريق العدو وأحدث تخريباً في الطرق فأمر بالانقضاض على أكداس البيزنطيين. والتقى الجيشان الكبيران في شمال بحيرة اكريدير. وكان قوام الجيش التركي في هذه المعركة التي أنزلت أقصى ضربة للبيزنطيين بعد معركة ملازكيرت ستين ألفاً. حوصر الجيش البيزنطي في وقت لا يتوقعه على سفوح الجبال في منطقة ميريوكافالون فأبيد عن بكرة أبيه من قبل الجيش التركي. ووافق السلطان على مرور الإمبراطور إلى استانبول بحرية لقاء دفعه جزية كبيرة. واستولى الأتراك على حمولة خمسة آلاف عربة من الأسلحة والعتاد والأرزاق. كما غنمت مجوهرات الإمبراطور وحاشيته. واضطر الإمبراطور إلى دفع مائة ألف قطعة ذهبية ومائة ألف فضية وخيول مطهمة لاستعادة حريته والعودة إلى استانبول.

أهمية ميريوكافالون في التاريخ التركي

أثبتت موقعة ميريوكافالون التي أتت بعد مائة وخمسة أعوام بعد ملازكيرت للعالم اجمع كون الأناضول وطناً تركيّاً. وتداعت آمال البيزنطيين في استعادة أواسط الأناضول من يد الأتراك ونظموا سياستهم

على أساس محاولة التشبث بالسواحل، وهكذا قطفت ثمار ما زرعه سليمان شاه وقليج أرسلان الأول ومسعود الأول بعد كفاح طويل ومرير.

ولما كانت الدولة البيزنطية أقوى الدول الأوروبية والمسيحية كما كان الإمبراطور مانويل كومنينوس من أعظم الأباطرة البيزنطيين فقد أعرب ملك إنجلترا وإمبراطور ألمانيا عن دهشتهم لنتيجة ميريوكافالون. وقد حمل رسل قليج أرسلان الثاني تفاصيل الموقعة إلى الحكام الأوربيين.

كما أمر الخليفة العباسي بإقامة الأفراح بهذه المناسبة وبتلاوة الدعاء للشهداء الأتراك الذين سقطوا صرعى في هذه المعركة. كما أرسل السلطان التركي رسلاً إلى فردريك بارباروسا إمبراطور ألمانيا وإلى صلاح الدين الأيوبي مظهراً تفوقاً رائعاً بعد هذا النصر الكبير. وبذلك كانت الدولة التركية تخطو أول خطواتها في سبيل إحراز الأولوية على دول العالم.

٣ ـ الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩ ـ ١١٩٢

تعتبر الحملة الصليبية الثالثة أشهر الحروب الصليبية بالرغم من عدم توصلها إلى أهدافها بصورة تامة مثل الحملة الأولى والوحيدة في مثل هذه النتائج. ويعزى سبب شهرة هذه الحملة إلى قيادتها من قبل أبرز قادة أوربا وهم فردريك باربا روسا إمبراطور ألمانيا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أغوستا ملك فرنسا، وتصدى الحاكم المشهور صلاح الدين الأيوبي لهم.

هزم صلاح الدين الأيوبي الذي كان قد أنهى الحكم الفاطمي في مصر والذي استمر قرنين الصليبيين عام ١١٨٧ في حطين بالقرب من بحيرة طبرية في شمال فلسطين. وإزاء عجز الصليبيين عن الدفاع عن القدس دخلها صلاح الدين الأيوبي مفتتحاً عهداً جديداً في التاريخ الإسلامي. وقد عزم الأوربيون على استعادة القدس التي ضحوا من أجلها بالملايين من أبنائهم بأي ثمن فنظمت الحملة الصليبية الثالثة وقام أبرز ملوك أوربا في

ذلك العهد بتنظيم وقيادة تلك الحملة.

خرج فردريك بارباروسا إمبراطور ألمانيا من بافاريا والتقى برسل الأتراك في أدرنه الذين أخطروه بعدم التعرض لأراضي الأناضول إلا أن الإمبراطور لم يعر لهم أذناً صاغية فسار بقواته التي يتراوح عددها بين مائتي ألف وستمائة ألف جندي وعبر مضيق جناق قلعه إلى الأراضي البيزنطية الساحلية. ولتجنب المرور في الأراضي التركية خوفاً من ميريوكافالون ثانية انحدر نحو الجنوب توخيا لعدم الالتقاء بالقوات التركية وبعد مسيرة طويلة بدل وجهة سيره إلى الجنوب الشرقي فوطأ الأراضي التركية بالقرب من اولوبورلي. وإزاء ذلك نشبت الحرب بين تركيا وألمانيا.

عمد السلطان قليج أرسلان الثاني إدراكاً منه لخطورة الوضع إلى حرب العصابات فانقض على الوحدات الألمانية أينما كانت وعلى أكداسها. وقد اثر ذلك على هذه القوات التي لم تستطيع قطع المسافة بين أولوبورلي واق شهر إلا في شهر كامل، كما أصيب أثناء ذلك دوق سواب بجروح بالغة وكان الإمبراطور الألماني يتمسك بعدم إعلانه الحرب على الأتراك ويزعم انه سيمر إلى فلسطين عن طريق سوريا عند مقابلته لسفراء الأتراك.

وعند اقتراب الصليبيين من قونية تصدى الجيش التركي بقيادة ملكشاه الابن الأكبر للسلطان قليج أرسلان الثاني للصليبيين ثم انسحب إلى قونية واحتمى سكان قونية بقلعتها الشامخة عند دخول الصليبيين للمدينة كما كان قليج أرسلان فيها. ولم يرغب الإمبراطور الألماني إطالة بقائه في المدينة ومجابهة الأتراك فغادرها على عجل وترك الأراضي التركية في قارامان حيث كانت تبتدئ أراضي الدولة الأرمنية.

وقبل أن تصل القوات الصليبية إلى سواحل البحر المتوسط مات الإمبراطور بربا روسا غرقاً في النهر واستمر الجيش الصليبي في سيره إلى سيلفكه ثم سار بمحاذاة الساحل إلى سوريا متوجها إلى فلسطين.

خاتمة الحروب الصليبية

وصل ملكا إنكلترا وفرنسا بطريق البحر الأبيض المتوسط إلى فلسطين. ركب ريتشارد قلب الأسد وقواته البحر في مرسيليا وعبر مضيقي بونيفا شيو ومسينا إلى رودوس ثم قبرص حيث طرد حاكمها البيزنطي ونصب غوي من سلالة لوسيغنان الفرنسية ملكا عليها (كان ريتشارد ينتمي إلى أصل فرنسي). وكان غوي يعرف الكثير عن الأتراك فقد وقع أسيراً في يد صلاح الدين الأيوبي. وكانت زوجته آخر ملكات القدس.

خرج ريتشارد وفيليب أغوستا إلى البر في عكا، فاستوليا على هذه القلعة الهامة واشتبكا مع قوات صلاح الدين الأيوبي أملاً في استرداد القدس والتحقت بهما القوات الألمانية القادمة من سوريا. أدرك أغوستا ومن ورائه قلب الأسد عبث محاولتهم نتيجة تجارب مريرة وقاسية فرجعا إلى وطنهما وبقيت القدس بذلك إسلامية.

٤ ـ السلطان كيخسرو الأول والسلطان سليمان شاه الثاني١١٩٢ ـ ١٢١١

اعتلى السلطان غياث الدين كيخسرو الأول أصغر أبناء قليج أرسلان الثاني العرش بعد وفاة أبيه فحكم أربعة أعوام ثم خلفه شقيقه السلطان ركن الدين سليمان شاه الثاني فحكم ثمانية أعوام حتى مطلع عام ١٢٠٤. وبعد ذلك أجلس ابنه السلطان عز الدين قليج أرسلان الثالث على العرش إلا أنه قتل بعد عام من قبل عمه كيخسرو الذي اعتلى العرش ثانية فحكم ستة أعوام وشهرين إلى أن استشهد في حربه مع البيزنطيين في نيسان (ابريل) من عام ١٢١١. وحكم بعد ذلك أبناءه كيكاوس وكيقباد الذي يعتبر حكمها ذروة عهد الإمبراطورية الأولى.

كان سليمان شاه الثاني قد ترك لأخيه دولة قوية واتبع سياسة حكيمة لربط ملوك الأرتوق الحاكمين في جنوب شرق الأناضول والأيوبيين إلى

قونية، وقد استمر كيخسرو على نفس السياسة فأظهر هؤلاء الملوك ولاءهم لدولة تركيا. ونتيجة لولاء الأرتوق في ماردين وخربوط والأيوبيين في سميساط وحلب أصبح شمال سوريا تحت نفوذ الدولة التركية وتولدت منافسة شديدة بين سلاطين السلاجقة والأيوبيين.

وإزاء طرد اللاتين للبيزنطيين من أستانبول في عام ١٢٠٤ نتيجة حملة صليبية رابعة التجأت الإمبراطورية إلى أزنيق فأخذت تدير حوض مرمرة ومنطقة إيجة وسواحل البحر الأبيض المتوسط منها إلا أن سواحل البحر الأسود خضعت لدولة بيزنطية أخرى فقد اتخذ الكومنينوسيون طرابزون مقرّاً فحكموا سواحل البحر الأسود منافسين أباطرة ازنيق.

وإزاء هذه التطورات استطاع الأتراك فتح بعض مناطق البحر الأسود، فقد فتح سليمان شاه الثاني صامسون التي سرعان ما استعيدت من قبل إمبراطورية طرابزون. فعمد الأتراك إلى انشاء ميناء صامسون الإسلامي بالقرب منها كخطوة أولى للانفتاح نحو البحر الأسود ونتيجة لضغط الأتراك ربطت صامسون الأصلية مصيرها بازنيق.

وقد هزم الكسيوس كومنينوس إمبراطور طرابزون المتحالف مع مملكة جورجيا من قبل كيخسرو فتحطمت مطامع البيزنطيين في إبعاد الأتراك عن سواحل البحر الأسود.

وبعد ذلك اشتد الضغط على سواحل البحر الأبيض فحاصر الأتراك ميناء انطالية إلا أن القوات البيزنطية الموجودة فيها تلقت العون من دولة قبرص اللاتينية التي كانت تخشى انفتاح الأتراك على البحر الأبيض. ولما اشتد الحصار سلم البيزنطيون المدينة إلى كيخسرو فدخلها في آذار (مارس) في عام ١٢٠٧ وسكنها التجار الأتراك وعقدت معاهدة تجارية بين تركيا وجمهورية إيطاليا في البندقية كما بنى أسطول تركي على جناح السرعة.

وبعد ذلك هاجمت القوات التركية الدولة الأرمنية فدحرتها وأسرت

ابن ملكها ليون الثاني وخضع الأرمن للنفوذ التركي. وللحيلولة دون تهديد تركيا من قبل السلطان الأيوبي عادل في مصر فقد سار كيخسرو إلى الجنوب الشرقي وأظهر حكام حلب والموصل واربيل ولاءهم للدولة التركية وإمبراطورها.

وقد عمدت الإمبراطورية البيزنطية في ازنيق التي كانت تدفع الجزية إلى الإمبراطورية التركية بعد أن اشتد ساعدها إلى رفض دفع الضريبة واتباع سياسة استرداد الأراضي، وفي هذه الأثناء التجأ الكسيوس الثالث إلى السلطان كيخسرو بعد انتزاع العرش منه من قبل صهره ثيودورس لاسكاريس. فأرسل السلطان إليه يخطره بلزوم إعادة العرش إلى صاحبه الشرعي وقد رفض طلبه بطبيعة الحال فسار السلطان بجيشه مصطحباً معه الكسيوس الثالث نحو وادي مندرس ودخل الأراضي البيزنطية. وإزاء ذلك جمع لاسكاريس قواته وتأهب لملاقاة السلطان التركي.

التقى الجيشان بالقرب من مدينة آلا شهر (اسمها القديم فيلادلفيا) فدحر الجيش البيزنطي من قبل الأتراك إلا أن السلطان التركي استشهد نتيجة طعنة تلقاها من أحد الجرحى البيزنطيين عند تفقده لساحة المعركة. ويجدر بالذكر أن السلطان مراد الثاني صرع بنفس الطريقة تماماً عام ١٣٨٩ بعد معركة قوصوه الأولى. إلا أن الخاتمة لم تكن مثل خاتمة قوصوة التي أبيد فيها جيش الأعداء برمته. فقد عاد لاسكاريس لدى سماعه بمصرع السلطان فجمع قواته المتبقية وهجم على الأتراك المنتعشين بفرحة النصر فأوقع بهم خسائر فادحة. واضطر الجيش التركي إلى الانسحاب إلى الأراضي التركية وأسر الكسيوس الثالث مع القائد التركي الكبير سيف الدين آي ـ أبا.

٥ ـ السلطان عز الدين كيكاوس الأول ١٢١٠ ـ ١٢١٩

اعتلى السلطان عز الدين كيكاوس العرش بعد استشهاد والده في نيسان (ابريل) من عام ١٢١١ وبعد أن نازع شقيقه الملك كيقباد عليه وقد

حكم تسعة أعوام وثمانية أشهر حتى شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٢١٩.

استمر السلطان كيكاوس على سياسة والده ففتح ميناءي اره كلي واماصرة وعدة مدن أخرى على ساحل البحر الأسود ثم انقض على مملكة الأرمن فأسر نبلاءها وغنم في تلك المعركة غنائم كثيرة. وقد أعلن ملك الأرمن في عام ١٢١٨ خضوعه لدولة تركيا فكانت هذه خطوه هامة في سبيل تحقيق وحدة الأناضول، كما تعهدت المملكة بدفع عشرين ألف دينار سنوياً وأموال عينية وتجهيز خمسمائة فارس في أي وقت يطلبه السلطان للالتحاق بالجيش. وتبعت إمبراطورية طرابزون دولة تركيا في عهده أيضاً كما عقد الصلح مع دولة ازنيق.

توفي السلطان كيكاوس في ويران شهر بالقرب من ملاطية ودفن في دار الشفاء التي أنشأها في سيواس وليس في قونية كسائر سلاطين السلاجقة بناء على وصيته.

فتح سينوب وإخضاع طرابزون

من أهم الفتوحات التي تمت في عهد السلطان كيكاوس فتح سينوب أهم موانى البحر الأسود التجارية. وقد تم فتحها في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٢١٤ فأصبحت قاعدة للأسطول التركي في البحر الأسود. وكان لهذا الفتح أثره البالغ في بسط السيطرة التركية على البحر الأسود.

وقد وقع الإمبراطور الكسيوس أسيراً في يد الأتراك إبان فتح سينوب وأعلنت إمبراطورية طرابزون خضوعها لدولة تركيا وتعهدها بدفع عشرة آلاف دينار سنوياً بالإضافة إلى خمسمائة فرس وألفي ثور وعشرة آلاف رأس من الغنم وخمسين حملاً من الأموال مع ربط الوحدات المسلحة بالجيش التركي بشرط أن لا تتجاوز الألف محارب. وقد سكن الآلاف من الأتراك مدينة سينوب فوراً وسيطروا على تجارة البحر الأسود.

كما ارتبطت مملكة حلب الأيوبية في أوائل عام ١٢١٦ بدولة تركيا بروابط أوثق وبشروط أكثر جدية.

شخصية السلطان كيكاوس

جعل السلطان كيكاوس من تركيا دولة قوية مقتدرة سائراً على خطى والده وقد أخضع إمبراطورية طرابزون للدولة التركية وأسس الأسطول التركي في البحر الأسود وترك لشقيقه دولة قوية وعظيمة. كما أسس هذا السلطان في عام ١٢١٧ في سيواس معهداً للطب ومستشفى ملحقاً به. ولم يفعل شيئاً ضد شقيقه كيقباد الذي نازعه على العرش بل نصب منه وليّاً للعهد لإدراكه قابلية الأخير السياسية والعسكرية الفذة. وكان هذا السلطان الكبير يلقب بالسلطان الغالب والسلطان القاهر.

٦ ـ السلطان الكبير علاء الدين كيقباد

١٢١٩ ـ ١٢٣٧ سنواته الأولى

كان السلطان علاء الدين كيقباد في الثامنة والعشرين من عمره عند جلوسه على العرش وهو من أعظم حكام الإمبراطورية الأولى في تركيا. وقد حكم سبعة عشر عاماً وخمسة أشهر من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٢١٩ وحتى ٣٠ أيار (مايو) ١٢٣٧ وتوفي وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

كان المغول في أولى سنوات حكمه قد أسقطوا الدولة التركية الشرقية أي دولة الخوارزمية واقتربوا من الشرق الأدنى. وقد اهتم السلطان بهذا الأمر رغم بعد هذا الخطر عن دولته فعمر أسوار المدن والقلاع الكبيرة. فأرسل بناء على طلب الخليفة وحدة عسكرية كاملة من خمسة آلاف محارب إلى الموصل ثم التفت إلى العلائية درة البحر المتوسط.

حوصرت العلائية من قبل الأسطول التركي والجيش البري الذي كان

يضم مائة منجنيق. وإزاء ذلك استسلمت القلعة وسميت بالعلائية تيمناً باسم السلطان (اسمها القديم كالونوروس) وتسمى حالياً (ألانيا). وبذلك دخل خليج انطالية في حدود النفوذ التركي. عمرت هذه المدينة بعد فتحها في كانون الثاني (يناير) من عام ١٢٢٣ وقد اعتاد السلطان علاء الدين تمضية الشتاء في هذه المدينة بعدئذ.

حـــرب القـــرم

نتيجة خضوع منطقة البحر الأسود للنفوذ التركي جهزت حملة عسكرية بقيادة حسام الدين بك جوبان اوغلو أمير قسطموني على القرم. وغادر الأسطول التركي ميناء سينوب وخرجت القوات التركية إلى البر في القرم فدخلت أوكرانيا وسارت نحو الشمال فأظهر أتراك القبجاق وسادة الروس ولاءهم للسلطان التركي فأرسل موظفون وتجار أتراك إلى مدينة صوغداق. كما أنشأ السلطان علاء الدين في هذه المدينة جامعاً. وعاد الأسطول حاملاً غنائم كثيرة وثمينة.

حـــرب كيلكيا

ارتبطت مملكة الأرمن بعد حرب كيليكا التي جرت في عام ١٢٢٦ بالإمبراطورية التركية بروابط أوثق. فقد استولى ارتوكوش بك على انامور وسار بمحاذاة سواحل البحر الأبيض نحو كوكصو. كما دخل جاولي بك إلى أراضي المملكة الأرمنية من الشمال واستولى على المناطق الساحلية الممتدة حتى سيلفكه وكوكصو. وعين قمر الدين بك والياً عليها. وقد استولى الأتراك تباعاً على المناطق الساحلية فدفعوا بالبيزنطيين إلى الغرب والأرمن إلى الشرق. وكان الأرمن قد تحالفوا مع اللاتينيين (أمارة إنطاكية) إلا أنهم غلبوا على أمرهم وطلبوا الصلح بعد أن شدد عليهم الخناق من ناحية معرش. وبموجب المعاهدة المعقودة ضوعفت الضرائب المفروضة عليهم وضربت النقود الأرمنية باسم السلطان التركي فأنشئ جامع كبير في

سيس أكبر مدن الأرمن وتعهدت دولة كيلكيا بتجهيز ألف فارس وخمسمائة محارب عندما يشاء السلطان التركي.

التطورات في الشرق

تزوج السلطان علاء الدين بابنة السلطان الأيوبي عادل وأقيمت الأفراح بهذه المناسبة ودعي إليها الكثيرون من مصر وسوريا والعراق وتمت بذلك القرابة الصهرية بين السلاجقة والأيوبيين.

وفي هذه الفترة اخرج المنكوج من أرزنجان وشبين قره حصار فأرسل إليها ولاة من الإدارة المركزية وانقرض بذلك أبناء منكوج وعين ولي العهد الملك كيخسرو والياً على أرزنجان بأشراف الاتابك القائد ارتوكوش لصغر سن الأمير.

معركـة طرابزون

كانت المناطق التركية على سواحل البحر الأسود تنحصر بين أره كلي وأونيه وتصب فيها أنهر فيليوس وقزل ارماق ويشيل ارماق في البحر. ولم يبق سوى صامسون المسيحية في يد المسيحيين مع إتباعها تركيا وإلى جانبها صامسون التركية وقد جهزت حملة عسكرية على طرابزون بعد حملة أرزنجان. وقد انسحب البيزنطيون إلى قلعة المدينة المحاصرة من قبل الجيش التركي بقيادة ارتوكوش بك. وكانت القلعة على وشك السقوط والجنود الأتراك يتسلقون أبراجها عندما هبت عاصفة هوجاء بقي الأمر بعدها دون نتيجة وبذلك تأخر فتح طرابزون قرنين ونصف قرن. وقد عد سكان طرابزون هذا الأمر معجزة سماوية فأنشأوا كنيسة جديدة عرفاناً بالجميل.

وكانت من نتائج هذه الحملة إن ارتبطت دولة طرابزون بشروط قاسية بدولة تركيا وتعهد الإمبراطور البيزنطي بتجهيز ألف محارب للالتحاق

بالقوات التركية عندما يطلب منه السلطان ذلك كما تقرر مضاعفة الضريبة المدفوعة للأتراك.

مجابهة فرعي الدولة الكبرى

اشتدت الأزمة بعد حرب طرابزون في عام ١٢٢٨ بقدوم الخاقان جلال الدين الخوارزمي الخاقان التركي الشرقي إلى حدود الأناضول بعد استيلاء المغول على تركستان وكانت مناطق شاسعة مثل إيران وقفقاسيا لا تزال تحت حكم الخوارزمية. كان علاء الدين كيقباد يؤيد سياسة اتحاد الإمبراطوريات الإسلامية الثلاث، تركيا والخوارزمية والأيوبيين ضد المغول. كما كتب جلال الدين الخوارزمي إلى علاء الدين كيقباد خاقان الأتراك الغربي بما يفيد وجوب اتحاد القوم التركي، إلا أن نظرته السياسية كانت تعوق مثل هذا التحالف فقد دخل الأناضول واستولى على أخلاط المركز الثقافي الكبير ونهبها فأحدث هذا الأمر أثره السيىء، إلا أن السلطان علاء الدين إدراكاً منه بخطورة المغول أخطر الخاقان الشرقي للمرة الأخيرة محذراً إياه وعرض تزويج ولي عهده الملك كيخسرو بابنة الخوارزمي لتحقيق التآلف بين القوتين التركيتين مبيناً له أن دخوله تركيا سيسبب له المتاعب والكوارث.

ولكن الخوارزمي لم يأبه لهذا التحذير فسار السلطان علاء الدين بجيشه إلى شرق الأناضول والتقى جيشاً تركيّاً وتركستان في ١٠ آب (أغسطس) ١٢٣٠ بالقرب من أرزنجان في معركة دارت فيها الدوائر على الخاقان التركي الشرقي جلال الدين الخوارزمي وأدرك هذا صعوبة البقاء في أراضي تركيا فانسحب إلى أذربيجان.

السلطان علاء الدين في أرضروم

أسر السلطان علاء الدين بعد ذلك ابن عمه ملك أرضروم ركن الدين جهان شاه الذي تحالف مع الخوارزمي في تمرده ضد السلطان وعين والياً

آخر على الولاية وبذلك انتهى فرع سلاجقة أرضروم، وهو الاسم الذي يطلقه بعض المؤرخون على حكم جهان شاه ووالده مغيث الدين طوغرول شاه.

أدرك جلال الدين الخوارزمي عدم تبصره فطلب العون من تركيا ومصر ومن الخليفة إلا أن فقدان الثقة به أدى إلى عدم تلبية هذا الطلب. ونتيجة لذلك دحر المغول الخوارزمي الأخير بسهولة واستولوا على إيران وتحقق أكبر مخاوف كيقباد فقد تجاور مع المغول.

اتبع علاء الدين كيقباد سياسة دبلوماسية مع المغول وأخذ هؤلاء بنظر الاعتبار اندحار الخوارزمي الذي شغلهم طيلة سنوات عديدة بسهولة من قبل قوات تركيا بقيادة كيقباد ووفرة مصادر تركيا وثرائها فعمدوا إلى التعايش مع تركيا بسلام.

تركيا ومصـــر

أقلق ثراء تركيا وقوتها الفائقة الإمبراطورية الأيوبية في مصر وزاد من هذا القلق إتباع دولة حلب الأيوبية إلى قونية بدلاً من القاهرة. ولذلك فقد سار الإمبراطور الأيوبي السلطان كامل في عام ١٢٣٤ برفقة ستة عشر ملكاً أيوبياً على رأس جيش جرار نحو طوروس وشرق الفرات يروم انتزاعها من أيدي الأتراك. إلا أن الخاقان التركي الذي تصدى للقوات الغازية بمائة ألف محارب دحر الأيوبيين وحلفاءهم. وبقيت مدينة أخلاط التي كان الأيوبيون يرنون إليها في ظل حكم تركيا كما وصلت القوات التركية إلى بحيرة وان.

وفاة السلطان علاء الدين وشخصيته

تأهب السلطان علاء الدين لفتح سوريا فجمع جيشه في قيصري وتوفي مسموماً في وليمة أقامها في اليوم الثالث من عيد الفطر في سهل مشهد عن خمسة وأربعين عاماً.

أتم السلطان علاء الدين توحيد تركيا وقد أطلق عليه الخليفة لقب السلطان الأعظم وكانت وفاته كارثة كبرى للدولة التركية إلا أن ذكراه بقيت خالدة خلود الدهر بين الأتراك لما كان يتحلى به من صفات قيادية رائعة أسدت للأتراك خدمات لا توصف.

وبعبارة موجزة نستطيع أن نقول إن تركيا توصلت في عهده إلى ما بلغته في عهد السلطان سليمان القانوني السلطان العثماني الكبير.

٧ ـ السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني ١٢٣٧ ـ ١٢٤٦ وكارثة كوسه داغ في تموز (يوليو) ١٢٤٣

خلف السلطان الكبير علاء الدين كيقباد ابنه غياث الدين كيخسرو الثاني فأعقبت شخصية ضعيفة مهزوزة ذلك القائد العظيم. تقلد كيخسرو العرش وعمره لما يزل الثالثة عشر ونصف فحكم تسعة أعوام وتوفي عن اثنين وعشرين عاماً ونيف.

ورث كيخسرو الثاني أعظم دولة في العالم فقد كانت إمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا وملوك الارتوق والأيوبيين يتبعون تركيا كما كانت جيران هذه الدولة يعترفون بتفوقها وعظمتها وكانت هذه الدولة تملك أقوى جيش وأسطول في العالم. إضافة إلى أن مملكة جورجيا والإمبراطورية البيزنطية في ازنيق كانت تعترف بنوع من السيادة لدولة تركيا عليها ولا تفكر باسترجاع أي جزء من أراضيها.

كانت ديار بكر تعود للأيوبيين وتتبع تركيا وانضمت مدينة أميد في أوائل عام ١٢٤١ إلى تركيا وأصبحت تحكم مباشرة من قونية وكان هذا الأمر أبرز عوامل التوفيق في عهد كيخسرو. ونتيجة لذلك تبعت المملكة الأيوبية في سوريا دولة تركيا وتليت الخطبة في دمشق باسم كيخسرو الثاني. وفي هذه الفترة بالذات ظهر للوجود تمرد البابائيين وأحدث ضعفاً في بنية الدولة، مما كسرت شوكتها في مقاومة المغول المستقبلة.

كان المغول يتجنبون الاشتباك مع تركيا التي غلبت الخوارزمية والأيوبيين على أمرهم ولذلك فقد كان دخولهم إلى شرق الأناضول مشوباً بالحذر والحيطة إلا أن هزيمة كوسه داغ قوت من عزائمهم فعين بايجو نويان قائداً للجيش المغولي في إيران خلفا للقائد جورماكون نويان. وضم بايجو الجورجيين والأرمن في قفقاسيا إلى قواته وسار على رأس جيش مغولي ـ تركي كبير إلى أبواب الأناضول يتحين الفرص. وحانت الفرصة بتمرد البابائيين وصغر سن السلطان المتخاذل فحاول جس النبض عندما حاصر أرضروم في شتاء عام ١٢٤٢ واستولى عليها، وإزاء ذلك سارعت سوريا أيضاً إلى الانفصال عن تركيا.

دقت نواقيس الخطر وتوجه السلطان كيخسرو الثاني الذي كان يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً على رأس ثمانين ألف محارب إلى سيواس.

كارثة كوسة داغ ٣ تموز (يوليو) ١٢٤٣

اقترب الجيشان من بعضهما في موقع كوسه داغ الذي يبعد ثمانين كيلو متراً إلى الشرق من سيواس. وقد اقترح القادة الأتراك لما يعرفونه عن شجاعة المغول ومعاقبة الجندي المغولي الذي يترك ساحة المعركة حيّاً بالموت الاستيلاء على مضائق الجبال وانتظار حركة المغول مثلما فعل قليج أرسلان الأول والثاني مراراً. إلا أن السلطان الشاب رفض هذه المقترحات بتحريض من بعض المرائين من رجال القصر فأمر بالهجوم. وما إن اندحرت طلائع القوات حتى ظن السلطان أن الجيش قد اندحر فترك المعسكر هارباً إلى قونية عن طريق طوقاد. وإزاء هذا التصرف المحير من قبل السلطان ترك أعظم جيوش العالم أسلحته ومعداته متفرقاً في كل صوب.

وعندما حل الصباح رأى المغول أمامهم خيام الأتراك التي تعد بالآلاف فتصوروا أن الأتراك قد انسحبوا إلى الجبال ينصبون كميناً إذ لم

يكن العقل ليتصور أن يترك هذا الجيش الجرار ساحة المعركة للأعداء لمجرد اندحار طلائع قواته المستكشفة.

انتظر المغول أياماً عديدة هجوم الأتراك في قلق متزايد ولما لم يجدوا شيئاً دخلوا الخيام التركية فوجدوا الخزينة العسكرية والخيول والتجهيزات العسكرية وفهموا الوضع وقرروا أن الأتراك قد فروا نتيجة خوفهم أو لأي سبب آخر مجهول لديهم. وكان تفرق جيش الأتراك بآلافه الثمانين أمام أربعين ألفاً من محاربي المغول وفتحهم الطريق أمام المغول بهذا الشكل العجيب حادثة تعتبر من كوارث التاريخ التركي وقد توالت النتائج فوقعت تركيا تدريجياً تحت السيطرة المغولية في حين أن إيقاف المغول على الأقل عند جبال طوروس كان من السهولة بمكان. وقد استولى المغول بعد ذلك على سيواس وقيصري وارزنجان فنهبوها على التوالي.

لم يذهب الوزير التركي مهذب الدين على إلى قونية وظل في أماسيا فأنقذ دهاء هذا الوزير دولة تركيا ردحاً من الزمن من كوارث أقسى. فقد فاوض بايجو نويان وأبلغه بأن الأتراك خسروا في كوسه داغ ثلاثة آلاف رجل فقط وان الجيش التركي الذي يقارب مائة ألف محارب لا يزال على أهبة الاستعداد بمهماته وأسلحته الكاملة واستحالة إتباع سكان تركيا لغير السلاجقة فأقنعه وأسبغ عليه الهدايا موهماً إياه بأن تقدمه سيسبب له الكوارث العصيبة.

لم تفقد تركيا شيئاً من أراضيها بعد كوسه داغ فقد انسحب المغول ولكنهم كانوا سيرجعون مرة أخرى ولم تستغل الدولة البيزنطية هذه الكارثة بل قلقت على العكس من ذلك من تفاوض الأتراك مع حكومة استانبول فعمدت إلى تجديد معاهدتها مع تركيا والمعقودة عام ١٢١١.

توفي غياث الدين كيخسرو الثاني في عز شبابه صريع حيوان وحشي. واستمرت تركيا ترفل في حلة من الرفاه ثلاثاً وثلاثين سنة أخرى. إلا أن

دور السلاطين الكبار للسلاجقة كان قد انتهى واشتدت حدة الاضطرابات الداخلية وكان المغول في هذه الفترة قد فتحوا الشرق كله وكان الدور على تركيا. أما العمران والحياة التجارية والاقتصادية فقد استمرت على ازدهارها في حكم كيخسرو الثاني ومن أعقبه.

(المبحث الثالث)

الدول التركية في الأناضول

أولاً ـ الدانشمنديون ١٠٩٥ ـ ١١٧٥

استمر حكم مملكة الدانشمنديين ثمانين عاماً تابعة لسلاجقة الأناضول وكانت تعتبر من أجزاء دولة تركيا. وكانت هذه المملكة تحكم في سيواس وطوقاد وأماسيا. وكان سني توسعها ما بين ١١٢٧ ـ ١١٤٢ أي زهاء خمسة عشر عاماً فحكمت مناطق أنقرة وجانقري وقسطموني وجوروم ويوزغاد. كما حكموا ملاطية مدة ثمانية وأربعين عاماً و قيصري ما يقرب الستة والأربعين عاماً. ارتبطت هذه المملكة في عهد قليج أرسلان الثاني بالعاصمة قونية مباشرة.

أما عاصمة المملكة فكانت نيكسار (١٠٩٥ ـ ١١٢٧ = ٣٢) وملاطية (١١٢٧ ـ ١١٣٥ = ٨) وقيصري (١١٣٥ ـ ١١٤٢ = ٧) وسيواس (١١٤٢ ـ ١١٧١ = ٣٢).

ومؤسس المملكة هو الأمير غازي دانشمند طايلي بك ويذكر اسمه في بعض المصادر على أنه محمد أو أحمد. ودانشمند هو من قادة الفتح التركي في الأناضول وتأسست مملكته في الأراضي التي فتحها ارتوق والذي أخرج من الأناضول لغضب سليمان شاه الكبير عليه. وسليمان شاه الكبير هو ابن أخت الغازي دانشمند. وقد خلف هذا في الحكم ابنه غازي

بك بلقب الأمير ابتداء ثم تقلد لقب الملك. ثم انقسمت المملكة إلى فرعين حكم الملك محمد الابن الأكبر لغازي بك منطقة قيصري - سيواس، والملك عين الدولة الابن الأصغر له في منطقة ملاطية. وقد تزوج الأخير بابنة الملك طغرل أرسلان التي حكمت المملكة نيابة عن ابنها علاء الدين ذي القرنين ابتداء من عام ١١٥٢ ثم اعتلى أبناء علاء الدين الثلاثة تباعاً العرش في ملاطية. وقد انتهى حكم هذا الفرع بسيطرة الدولة المركزية عليها.

أما في الفرع الأصلي فقد خلف الملك نظام الدين ياغي باصان أخاه الملك محمد وتصاهر مع السلطان مسعود الأول. وخلف هذا الملك شمس الدين إسماعيل فالملك عماد الدين ناصر الدين ذنون ابن الملك محمد.

ثانياً - أبناء صالتوق ١٠٨٠ - ١٢٠١

استمر حكم مملكة أبناء صالتوق (الصالدوقيون) ١٢١ عاماً ما بين ١٠٨٠ - ١٢٠١ تابعة لسلاجقة الأناضول. وكانت عاصمة المملكة مدينة أرضروم وتحكم مناطق أرضروم وقارص وجوروخ وكوموشخانه وريزه في أوسع أحوال حكمها إلا أن هذه الحدود تقلصت فيما بعد. ومؤسس المملكة هو أبو القاسم بك الذي كان بمعية سليمان شاه عند فتحه للأناضول ومن المعتقد إن والده كان يسمى بصالتوق بك. وقد خلف أبو القاسم بك في الحكم ابنه الملك علي فابنه الملك عز الدين صالتوق فابنه ناصر الدين محمد فابنه الملك شاه. وقد ارتبطت المملكة نهائيا بقونية في عام ١٢٠١.

ثالثاً - أبناء منكوج ١٠٧١ - ١٢٥٢

بدأت مملكة أبناء منكوج (المنكوجكيون) بالحكم منذ معركة ملازكيرت في عام ١٠٧١ ودامت ١٨١ عاماً لغاية عام ١٢٥٢، وكانت

بدورها تتبع الدولة المركزية لسلاجقة الأناضول. وتوثق هذا الارتباط في عهد قليج أرسلان الثاني. أما العاصمة فكانت في أرزنجان كما كانت تنقل أحيانا إلى كماخ. وقد حكمت هذه المملكة في أوسع أحوالها مناطق أرزنجان وكوموشخانه وكيره سون وديوريغي وتونجلي الشمالية ومؤسسها هو منكوجوك غازي من قادة سليمان شاه أثناء الفتح الكبير.

وقد خلفه في الحكم ابنه الملك إسحاق ثم انقسمت المملكة بعد وفاة الأخير إلى قسمين حكم الأول (أرزنجان ـ كماخ) الملك داود فابنه بهرام شاه فابنه داود الثاني. وقد حكم في هذا الفرع بهرام شاه لمدة ثلاثة وستين عاماً واشتهر في حكمه بحيث أثنى عليه الشاعر المثنوي الفارسي تركي الأصل نظامي كنجوي . وقد حكم ابنه سلجوق شاه في كماخ ومظفر الدين محمد في شبين قره حصار.

أما القسم الثاني (ديوريغي) فقد حكم فيه سليمان الأول الابن الآخر للملك إسحاق وتبعه شاهنشاه فابنه سليمان الثاني ثم ابنه أحمد شاه وأخيراً ملك شاه ابن أحمد شاه.

رابعاً ـ ارتقيه حصن كيفا (السوكمنيون) ١٠٩٨ ـ ١٢٣١

أسس الغازي أرتوق بك الذي اشترك مع سليمان شاه في فتح الأناضول ثم شكي أمره إلى السلطان ملكشاه فأخرج من الأناضول وأعطيت أراضيه إلى الغازي دانشمند. وقد أسس سلالة حكمت في الأناضول زهاء ٣٠٩ عاماً (١٠٩٨ ـ ١٤٠٧) واستمرت هذه السلالة على شكل فروع ثلاثة وهي حصن كيفا، وماردين، وخربوط.

ومؤسس فرع حصن كيفا هو سوكمان (سوكمن) فيسمى لذلك بهذا الاسم أما مؤسس فرع ماردين فهو شقيق سوكمن بك ايلغازي. أما فرع خربوط فقد تفرع من السوكمنيين.

وأرتوق بك هو ابن اكسيك بك وينحدر من فرع قايي من الأوغوز

الذين هم جدود العثمانيين. وقد ولي على القدس لمدة خمسة أعوام (١٠٨٩ ـ ١٠٩١) بعد إخراجه من الأناضول ففتح عمان فألحقها بالدولة التركية الكبرى ثم انضم إلى منافس سليمان شاه طوتوش ابن ألب أرسلان وتسبب في وفاة فاتح الأناضول المفجعة. وهو من أبرز شخصيات تاريخ تركيا المتسمة بالدهاء والقابلية الفذة.

وقد تلقب حكام الارتوق بلقب الملك وقد تبعوا السلاجقة الكبار وأحياناً سلاجقة الأناضول (تركيا) ثم الأيوبيين (القاهرة) فتركيا (قونية) مرة أخرى وبعد ذلك المماليك في القاهرة فالالخانيين (مغول إيران) في ١٢٦٠ ثم المماليك مرة أخرى، ثم التيموريين ثم دولة قره قويونلو (الخروف الأسود) ولم يحصلوا على استقلالهم التام في معظم سني حكمهم تقريبا. استولى ارتوق بك على آميد (ديار بكر) في عام ١١٨٣ واتخذها مركزاً له ثم على سروج في عام ١٠٩٤ وماردين في ١١٠٨ وحلب في ١١١٧.

ومؤسس فرع حصن كيفا (حالياً ناحية حسن كيف التابعة لماردين) هو سوكمان أحد أبناء ارتوق بك الخمسة. وقد تأسس عام ١٠٩٨ واستمر ١٣٣ عاماً. وكان سوكمان قد ولي على القدس من قبل الخاقان التركي الكبير خلفاً لأبيه ثم أسس إمارة حصن كيفا وقد أعقبه على التوالي ابناه إبراهيم وداود، ثم قره أرسلان ابن داود فابن هذا محمد بك فابناه سوكمان الثاني ومحمود ثم مودود ابن محمود. ونقلت العاصمة في عام ١١٨٣ إلى آميد (ديار بكر حاليا) وقد قضي على هذا الفرع من قبل الأيوبيين في عام ١٢٣١.

ولأرتوق بك من أحد أبنائه الآخرين حفيدان هما ياقوتي وعلى بك من قادة الأتراك المشهورين. ومن أبناء أرتوق الآخرين بدر الدولة عبد الجبار بك وابن الأخير هو بدر الدولة سليمان بك الذي أصبح أميراً على حلب (١١٢١ ـ ١١٢٣) والمتوفى عام ١١٢٤ وقد خلف هذا ابن عمه نور الدولة الغازي بلك بك.

وبلك بك من أشهر شخصيات تاريخ تركيا فقد ورث عن جده دهاءه العسكري وكان تابعاً لطغرل أرسلان ابن قليج أرسلان الأول كما أصبح أميراً على حلب فحكم هناك تابعاً للدولة التركية الكبرى حتى استشهاده. وقد لقب بالغازي بعد دحره وأسره لملك القدس بودوين الثاني في موقعه طوروش في ٨ نيسان ١١٢٣.

خامساً - ارتقيه ماردين (الالغازيون) ١١٠٤ - ١٤٠٧

مؤسس فرع ماردين الذي فتح من عام ١١٠٤ حتى عام ١٤٠٧ أي عهد فتور الإمبراطورية العثمانية، هو ايلغازي بك أحد أبناء أرتوق بك. وكان مشرف الخاقان التركي الكبير على الخليفة العباسي في بغداد من عام ١١٠١ إلى أن ولي على ماردين.

وقد خلف ايلغازي بك ابنه تيمور طاش. أما ابناه الآخران فقد ولي شمس الدولة سليمان بك على مايافاريكين ومحمود بك على آميد ردحاً من الزمن. وأعقب تيمور طاش بك ابنه نجم الدين ألبي فابنه ايلغازي الثاني فأعقب هذا ابنه ياولاق أرسلان فابنه الآخر ارتوق أرسلان ثم حكم ابن الأخير غازي الأول فابنه فخر الدين قره أرسلان فأبناؤه داود الأول وغازي الثاني ثم ابنا الأخير على ألبي وصالح شمس الدين فابن الأخير أحمد الأول فابنه صالح محمود ثم داود الثاني شقيق أحمد الأول ثم ابناه مجد الدين عيسى وأحمد الثاني.

سادساً - أرتقية خربوط ١١٨٥ - ١٢٣٣

استمر هذا الفرع ثمانية وأربعين عاماً (١١٨٥ - ١٢٣٣) ومؤسسه هو أبو بكر الأول ابن فخر الدين قره أرسلان من السوكمنيين وشقيق نور الدين محمد. وقد أعقب مؤسس الفرع ابناه أبو بكر الثاني ونظام الدين إبراهيم. فابن أبو بكر الثاني عز الدين أحمد وقد أنهي حكم الأخير من قبل السلطان علاء الدين كيقباد في عام ١٢٣٣ حيث ارتبطت مقاطعته بالعاصمة قونية مباشرة.

سابعاً - الأيوبيون في ميافاريكين ١٢٠٠ - ١٢٥٩

حكمت سلالتان من الأيوبيين في الأناضول. والسلالة الأولى هي هذه التي حكمت ٥٩ عاماً (١٢٠٠ - ١٢٥٩) وخضعت تارة للأيوبيين في مصر وأخرى لتركيا أو المغول أو المماليك.

وأول ملوك هذه السلالة هو نجم الدين أيوب شقيق صلاح الدين الأيوبي وأحد أبناء السلطان الكبير عادل الأول العشرة. وقد أعقبه في الحكم شقيقه مظفر الدين موسى والذي حكم فيما بعد دمشق (١٢٢٩ - ١٢٣٧) ثم بعلبك (١٢٣٠ - ١٢٣٧) وكان إلى ما قبل عام ١٢١٠ والياً على أورفه وتوفي في ٢٧ آب (أغسطس) ١٢٣٧ عن ستة وخمسين عاماً. وكان متزوجاً بالأميرة الكرجيه تامتام خاتون. أما الملك الثالث فكان شقيقهما شهاب الدين غازي وقد خلفه ابنه ناصر الدين محمد. وقضى على هذه الإمارة من قبل المغول في عام ١٢٥٩.

ثامناً - الأيوبيون في حصن كيفا ١٢٣٢ - ١٥٢٤

وأول ملك أيوبي في حصن كيفا من السلالة الأيوبية الثانية التي حكمت في الأناضول هو نجم الدين أيوب ثالث أبناء سلطان مصر الأكبر كامل من أبناء عادل الأول. ولد في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٢٠٧ وتوفي عام ١٢٤٩ عن اثنين وأربعين عاماً. وقد أصبح ملكاً على حصن كيفا (١٢٣٢ - ١٢٣٧) وملكاً على دمشق لأشهر معدودة في ١٢٤٠ ثم ما بين ١٢٤٥ - ١٢٤٩ ثم تقلد عرش السلطنة الكبرى في القاهرة (١٢٤٠ - ١٢٤٩). وزوجته شجرة الدر التي نابت عن ابنها في الحكم عام ١٢٥٠.

وقد خلف نجم الدين أيوب ابنه توران شاه والذي أنيب عنه نواب في الحكم لصغر سنه (١٢٣٧ - ١٢٥٠). ثم أصبح السلطان الأكبر في القاهرة وملك الشام خلفاً لأبيه (١٢٤٩ - ١٢٥٠) إلى أن قتل. وقد تفرعت من هذه السلالة ملوك حصن كيفا فحكم على التوالي ابنه عبد الله فابن هذا

أبو بكر الأول فابن الأخير محمد فابن هذا غازي فابناه أبو بكر الثاني وسليمان الأول فابن الأخير الأكبر أحمد الأول فابن هذا خليل الأول فابناه ناصر وأحمد الثاني، فالملك خلف ابن الأمير محمد بن أحمد الأول فخليل الثاني شقيق أحمد الأول فابنه سليمان الثاني فخليل الثاني مجدداً ثم ابنه حسين فسليمان الثاني مرة أخرى. وقد تبع هذا الفرع تركيا ثم مصر (السلطنة الأيوبية) ثم المماليك ابتداء من ١٢٥٠ ثم الالخانيين فالمماليك مرة أخرى ثم التيموريين ثم دولة قره قويونلو ثم آق قويونلو ثم الصفويين ثم الإمبراطورية العثمانية في عام ١٥١٥.

ولم ينه السلطان ياوز سليم والسلطان سليمان القانوني حكم هذه الإمارة الأيوبية الأخيرة إكراماً لذكرى صلاح الدين الأيوبي وبعد وفاة حاكمها الأخير ارتبطت بتركيا مباشرة.

تاسعا - أتابكية بيتليس (الديلماجيون) ١٠٨٤ - ١١٠٢

ومؤسس هذه الإمارة محمد بك ابن ديلماج من قادة الفتح التركي في الأناضول وقد دامت ثمانية ومائة عام وحكمت بيتليس وتبعت في أغلب الأحوال مملكة ديار بكر. وقد بسطت الإمارة سيطرتها في عام ١١٠٠ على سعرت وأرزني.

وقد حكم بعد وفاة مؤسس الإمارة ابنه يل تكين فابنه توغان أرسلان فأبناؤه الثلاثة قورتي وياقوت أرسلان ودولت شاه وانتهى حكم الإمارة بعد وفاة ابن دولت شاه.

عاشراً - أتابكية أخلاط (أرمن شاه) ١١٠٠ - ١٢٠٧

من الإمارات الصغيرة التابعة لسلاجقة الأناضول والسلاجقة الكبار إمارة أخلاط التي دامت سبعة ومائة عام ومؤسسها هو سوكمان الأول ابن قطب الدين إسماعيل التركي أحد القادة الأتراك بالتبني وقد أعقبه في

الحكم ابناه إبراهيم شاه ايرمن وأحمد شاه ايرمن ثم سوكمان الثاني ثم بك تيمور ايرمن شاه ثم آق سونغور ايرمن شاه ثم قوتلوغ ايرمن شاه ثم محمد ايرمن شاه ثم بالابان ايرمن شاه وألحقت الإمارة في عام ١٢٠٧ بالأيوبيين. وتشبه هذه الإمارة حكم المماليك فقد حكمها قادة اتخذوا أبناءً معنويين من قبل الحكام من المماليك. ويطلق عليها الأيرمن شاه أو شاهات الأيرمن.

أحد عشر ـ أتابكيه ديار بكر (أبناء اينال) ١٠٩٥ ـ ١١٨٣

ومؤسس الإمارة هو الأمير صدر بك والذي خلفه في الحكم شقيقه اينال بك فابنه إبراهيم بك ثم ايل آلدي بك فابنه محمود بك ودخلت الإمارة تحت النفوذ الأيوبي في عام ١١٨٣ ودامت ثمانية وثمانين عاماً.

ثاني عشر ـ الصوتاي ١٣١٢ ـ ١٣٥٠

من إمارات المغول التي حكمت ثمانية وثلاثين عاماً واتخذت آميد مركزاً لها. وقد بسطت سيطرتها عام ١٣٤٣ على الموصل ومؤسسها هو صوتاي نويان والي الالخانيين على ديار بكر وابنه بارمتاي وابن الأخير إبراهيم شاه. وقد تبعت هذه الإمارة الالخانيين والجلائريين.

(المبحث الرابع)

تركيا تحت النفوذ المغولي

١ ـ المغول وجنكيز خان

المغول هم أقرب الأقوام إلى الأتراك لاسيما من الناحية الثقافية. وقد وقفوا مع الأتراك في مواقف عديدة يذكرها التاريخ التركي وطالما تواصلوا إلى حكم الدولة التركية الكبرى. إلا أنهم بقوا في المرحلة الثانية لتخلفهم عن الأتراك من الناحية الحضارية ولقلة عددهم بالنسبة إلى عدد نفوس الأتراك. ولما كانت سلالة أبناء آسينا تركية فلم يملك المغول سلالة إمبراطورية. ولما اخرج الأوغوز والاويغور من مغولستان الحالية في أواسط القرن التاسع من قبل أتراك القرغيز إلى تركستان الشرقية تخلصوا من السيطرة التركية واندمجوا مع القرغيز الأقل منهم ثقافة. ثم انسحب القرغيز إلى الغرب فأصبح الأتراك في حالة أقلية تجاه القبائل المغولية المتركزة في مغولستان. وقد اندمج الأتراك والمغول واختلطوا ببعضهم حتى أن المؤرخين يحيرون في تحديد نسب تلك القبائل مغولية هي أم تركية في نفس المنطقة. إلا أنه يجب أن لا يغرب عن البال أن الأتراك سكنوا وبرزوا في تركستان بعد القرن العاشر ولم تظهر بين الأتراك الساكنين في مغولستان حركة رامية إلى تأسيس دولة ما قط.

جنكيز خان. . . هل هو تركي؟

يدافع المؤرخ الشهير زكي وليدي طوغان بحرارة عن النظرية القائلة بأن جنكيز خان هو من أصل تركي. وكان قد سبقه مؤرخون كثيرون في هذا المضمار ومنهم المؤرخ المشهور كلابروت. واستناداً إلى هذه النظرية فان جنكيز خان هو حفيد أحد خاقانات الكوك تورك الخامس والعشرين من سلالة آسينا التركية. وثبت فعلاً أنه مثل حكام الكوك تورك أشقر عسلي العينين. وينحدر جنكيز من الشاتو الذين حكموا في الصين ويعد هذا دليلاً آخر على كون جنكيز تركيّاً، فقد أجمع المؤرخون أن الشاتو هم فرع من سلالة الكوك تورك. فإن شجرة السلالات التركية والمغولية متعصبة إلى حد كبير في هذا المجال ولا تدع احتمالاً لرأي آخر. هذا ملخص لنظرية طوغان. إلا أن معرفة جنكيز للتركية مثل المغولية لا يستدل منه إطلاقاً كونه تركيّاً فإن التركية لغة ثقافة كبيرة وأكثر القبائل المغولية تتكلم التركية فقد يكون جنكيز قد تعلم التركية شأن آبائه. ولما كان جنكيز يطمع إلى إقامة أمبراطورية كبرى فقد اعتبر نفسه حاكم الترك والمغول، ويقابل هذا إن خاقانات الأتراك كانوا يحكمون المغول أيضاً. كما أغلبية الجيش المغولي كان من الأتراك.

نتيجة لكل ما تقدم نستطيع القول بأن قبيلة قيات التي كان ينتسب إليها جنكيز قد تكون من أصل تركي إلا أنها تطبعت بطابع مغولي. وقد افترق القومان القريبان بعد إسلام الأتراك في القرن الثالث في القرن الثالث عشر فوطأ جنكيز الدول التركية فأقام إمبراطوريته على أنقاضها ولا يبدل من الوضع اندماج أحفاده مع الأتراك

السنوات الأولى من حياة جنكيز

التلفظ المغولي لاسم جنكيز هو جينكيز أو جينكيس. ولد عام ١١٦٧ في قصبة دولون بولداق على ساحل نهر اونون. ووالده يسوكاي بهادر. أما اسمه الحقيقي فهو تيموجين وتلقب باسم جنكيز بعد تنصيبه إمبراطوراً.

كان والد تيموجين من سادة المغول وقد توفي في شبابه فبقي جنكيز

وأشقاؤه تحت رعاية والدتهم المتصفة بالدراية والحكمة. وقد عاش أولى أعوامه في حالة مزرية من الفقر والحاجة حينما كانت الإقطاعيات مسيطرة في مغولستان على أرض غير خصبة. ولم يكن هناك من السيادة الدولية غير إمبراطورية كين في شمال الصين التي كانت تحاول بسط السيطرة إلى حد ما على هذه البقاع. وقد استفاد تيموجين من عراقة أصله ودهائه فجمع حوله بعض القبائل المغولية والتركية واخذ يهدد القبائل التي رفضت الانضمام إليه. ودحر جاموكا خان بعد إن توترت العلاقات بينهما كما هزم حليفه القديم ملك مغول الكرايت اونغ خان وابنه سنكون خان. وبذلك اعترف به خاناً (ملكاً) في عام ١٢٠٣ من قبل جميع القبائل في مغولستان الشرقية. وفي عام ١٢٠٦ دحر النايمان فأبعدهم إلى الجنوب فتمت له السيطرة على مغولستان الغربية وتقلد اسم جنكيز فأصبح إمبراطوراً.

أسبغ جنكيز على دولته قواعد قانونية أضحت فيما بعد تعرف باسمه وشكل مجلساً استشاريّاً من القادة الكبار وسادة القبائل. ثم أخذ يرنو إلى إمبراطورية كين في الصين الشمالية التي كانت تحتفظ لنفسها بالسيادة عليهم. وكان قد شكل وحدات عسكرية تضم كل وحدة عشرة آلاف محارب دربوا تدريباً عالياً.

غزو الصين

حارب جنكيز في عام ١٢٠٥ دولة التانغوت (هسيا) فغلبها على أمرها وألحق بعد سنين هذه الدولة الكبيرة إلى إمبراطوريته. وبعد أن تم له ذلك سار في عام ١٢١١ على إمبراطورية كين (شمال الصين) ولم يترك في مغولستان سوى ألفي محارب. واستولى على بكين عاصمة إمبراطورية كين بعد حروب طاحنة جرت في عام ١٢١٥ فذاع صيته واشتهر في كل حدب وصوب.

وعاد جنكيز بعد عام إلى وطنه مكللاً بالغار وكان من نتيجة ذلك أن أصبح من المقدر على بقاع آسيا الوسطى أن تقع تحت سيادته وكان

الأويغور قد أعلنوا ولاءهم له في عام ١٢٠٩ وكذلك أتراك القارلوق في عام ١٢١١ وبذلك انضمت مقاطعات جونغاريا ويدي صو إلى الإمبراطورية المترامية الأطراف.

جنكيز يسقط الدولة التركية الشرقية

دحر جوجي خان الابن الأكبر لجنكيز في عام ١٢١٦ المركيت واستولى على قرغيزستان وقازاخستان الشرقية الحالية. وبذلك أصبح إمبراطور نايمان التركي كوجلوك خان والخوارزمية أي الدولة التركية الشرقية في مواجهة جنكيز. وكان من المحتم على جنكيز أن يحارب الدولتين التركيتين من أجل سيادة قارة آسيا بقواته التي تضم الكثيرين من الأتراك الشامانيين الرحل. وقد أرسل جنكيز في عام ١٢١٨ إلى سمرقند رسالة يخاطب فيها محمد الخوارزمي بكلمة (ابني). وقد أثار هذا الأمر سخط الخاقان التركي الشرقي الذي كان يعتبر نفسه حاكم أكبر دولة في العالم. ولم يكن الخوارزمية يقبلون بمجرد مناقشة أمر سيطرة دولة أناس رحل على دولة متحضرة مستقرة في حين أن هذا الاعتقاد كان خاطئاً من أساسه فالتاريخ يثبت أن الرحل كانوا هم دوماً الذين انقضوا على الدول المتمدنة المستقرة ودحروها ثم تطبعوا بمدنيتها وأصبحوا معرضين إلى موجة أخرى من الرحل.

وفي عام ١٢١٨ دحر جبه أكبر قادة جنكيز، كوجلوك خان وفتح إمبراطورية النايمان التركية وبعد ذلك سار جنكيز يصحبه أبناؤه الأربعة على رأس جيش يضم مائتي ألف محارب نحو الخوارزمية في تركستان. وبالرغم من جلادة جلال الدين الخوارزمي فقد اندحر الخوارزميون أمام سيل المغول المتدفق واستولى جنكيز خان على تركستان برمتها وبضمنها سمرقند العاصمة، بينما انسحب الخوارزمي إلى إيران. ونزل المغول تقتيلاً في المدن التركية بينما أثار سقوط الدولة التركية الشرقية ذعراً في أرجاء العالم.

وفاة جنكيز خان وشخصيته

بعد أن عاد جنكيز إلى مغولستان تأهب لغزو الصين ثانية. إلا أنه توفي في قانصو في شهر آب (أغسطس) من عام ١٢٢٧ ودفن في مكان ما على جبال برهان ـ خلدون عند منابع نهري أونون وكرولين. واحتفظ بسرية المكان الذي دفن به حسب التقاليد التركية والمغولية القديمة ولا زال مجهولاً.

وجنكيز خان من الشخصيات التاريخية المحدودة فقد ترك إمبراطورية عظمى يحير لها العقل لا بالنسبة لذلك العصر الذي كانت المواصلات فيها شاقة عسيرة بل حتى بالنسبة ليومنا الحاضر. وقد توسعت هذه الإمبراطورية في القرن الثالث عشر بحيث أصبحت فيما بعد تطغى على معظم أرجاء العالم آنذاك.

خلف جنكيز أربعة أبناء فابنه الأكبر جوجي خان توفي قبل والده بسته أشهر وقد أسس أبناؤه وأحفاده في المناطق التي كانت من حصته دولة ألتون أوردي (الجيش الذهبي) أما ابنه الثاني فهو جغتاي خان وقد تأسست في أراضيه دولة الجغتاي. وابنه الثالث هو أوكتاي أما ابنه الأصغر فهو تولى خان. وقد خلف أوكتاي والده أما تولي خان فقد أسست سلالته دول الالخانيين في الشرق ويو ـ أن في الصين.

ومن أبرز معالم إمبراطورية المغول هو قوانين جنكيز التي نظمت استناداً إلى تقاليد الأتراك والمغول وهي من أهم العوامل في الانتصارات التي أحرزت فقد كانت تحوي قواعد أخلاقية شديدة ومتزمتة. أما تشكيلاته العسكرية فهي على بساطتها منظمة ومنسقة وكانت وحداته العسكرية خياله تنقسم إلى عشرات وخمسينات ومئات وألوف وعشرات الألوف. وكانت مدينة قارا قوروم عاصمة جنكيز وهي قريبة من أوتوكن العاصمة القديمة للدولة التركية الكبرى القديمة.

٢ ـ إمبراطورية المغول بعد جنكيز

أصبح أوقتاي الابن الثالث لجنكيز قاغاناً أكبر بعد وفاة أبيه فحكم أربعة عشر عاماً حتى عام ١٢٤١ فأعقبه بعد وفاته ابنه كيوك الذي حكم حتى عام ١٢٥١ عشرة أعوام. وبعد هذا اعتلى منكو ابن تولي الابن الرابع لجنكيز فحكم ثمانية أعوام حتى عام ١٢٥٩ وخلفه شقيقه قوبيلاي خان الذي حكم خمسة و ثلاثين عاماً ونقل العاصمة من قارا قوروم إلى بكين التي كانت تدعى خان بالق.

نازع قوبيلاي خان شقيقه الأصغر أريق بوغا وكايدو حفيد أوقتاي على العرش فهزمهما. وكان في هذه الفترة منكو تيمور على رأس فرع التون أوردي وهولاكو شقيق قوبيلاي وابنه اباقا على رأس فرع الالخانيين ومبارك شاه على رأس فرع جغتاي ويعترفون بسيادة قوبيلاي خان كقاغان أكبر. وبعبارة أخرى فقد كانت قارة آسيا تتبع كلها القصر الإمبراطوري في بكين.

ضم قوبيلاى إلى الإمبراطورية كلا من إمبراطورية سونغ في جنوب الصين، والهند الصينية (بورما وسيام وأنام وتونكين ولاوس وكمبوديا) ومالاي وسومطرة وجاوا إلا أن غزوه لليابان لم يثمر عن نتيجة ما. وبسط سيطرته على آسيا برمتها باستثناء اليابان والهند وشرق أوربا وأوربا الوسطى حتى فينا ودول البلقان حتى تراقيا. وتعد هذه الإمبراطورية أوسع الدول إطلاقا إذ كانت تضم مساحات شاسعة تقع بين المحيط من جهة وألمانيا من جهة أخرى.

وكان قوبيلاي يشرف مباشرة على مساحة تقع بين سيبريا والمحيط البالغة حوالي ٢٤ مليون كم مربع وعدد نفوسها ٣٠٠ مليون نسمة. أما الإمبراطورية بكافة فروعها فكانت تتكون من ٤٤ مليون كم مربع. ولما كانت مساحة الدنيا المأهولة آنذاك تقدر باثنين وستين مليون كم مربع فان هذه الإمبراطورية كانت تشكل ثلثي مساحة العالم آنذاك وتضم أكثر من ثلثي

سكان العالم. فقد كان في عهد قوبيلاي عشرة ملايين نسمة في فرنسا ومليونان في إنجلترا. وقد وصف ماركو بولو قوبيلاي بأنه أكبر وأغنى حاكم في العالم منذ آدم. ولم يبالغ إطلاقاً عندما أظهر إعجابه بالإمبراطورية التي قال عنها بأنها تبسط نفوذها على كوريا والهند الصينية والتبت ومغولستان وآسيا الوسطى وإيران وروسيا والأناضول. أما إمبراطورية تركيا فكانت تتبع أنذاك ايلخان اباقا تابع قوبيلاي. ويظهر من هذا عظمة إمبراطورية المغول.

وبالرغم من كل ما تقدم فان إمبراطورية المغول لا تحتل في التاريخ المكانة التي احتلتها الإمبراطورية العثمانية التركية وإمبراطورتي روما وبريطانيا لأنها اندثرت بسرعة وانقسمت إلى أربع إمبراطوريات اكتسبت ثلاثة منها الطابع التركي إلا أنها لم ترق إلى مصاف الإمبراطوريات الثلاث المذكورة. إلا أن سلالة جنكيز هي من أعظم سلالات التاريخ ولا تزال مستمرة في سيرها، فالالخانيون وأباطرة التون اوردى والقرم وقازان واسترخان وقاسم وشيبان هم أحفاد جنكيز وسلالات كثيرة من الدول التركية تنتسب إلى جنكيز. واختلطت دماء سلالة جنكيز بكل سلالة تركية.

حكم أحفاد قوبيلاي في الصين ومغولستان إلى أن أخرجوا من الصين. وعندما أخرجوا من بكين حكموا في قارا قوروم في شمال شرق آسيا. إلا أن حكام الفروع عدلوا عن إتباع القاغان الكبير في بكين منذ وفاة قوبيلاي وعلى الأخص من أوائل القرن الرابع عشر. فقد اعتنق الالخانيون والجغتاي وألتون أوردي الإسلام وتطبعوا بطابع تركي صميم. وبقيت شعبة قوبيلاي في الصين وحدها غير مسلمة وبعيدة عن الأتراك

شخصية قوبيلاي خان

تلقى قوبيلاي حفيد جنكيز تعليماً عالياً فكان يتقن المغولية والصينية والتركية والتبتية. وكان يهوى الأدب والعلم والفنون الجميلة وكان متسامحاً

تجاه المسلمين والمسيحيين بالرغم من تأييده للبوذية إلى حد ما. فقد ارتقى بعض المسلمين في عهده مناصب حساسة مثل الولاية ورئاسة الوزراء. وجعل من قصر الإمبراطورية في بكين متفوقاً على كل ما سواه من حيث الحاشية والثراء والغنى. وفتح مئات المدارس والطرق كما أسس شبكة للبريد وأخرج للتداول نقوداً ورقية.

٣ - الالخانيون ١٢٥٦ - ١٣٤٤

كان أباطرة أحد فروع إمبراطورية جنكيز الأربعة يسمون (ايلخان) وكان سلاطين الأناضول السلاجقة يتبعون الالخانيين حتى إن أورخان غازي العثماني كان تابعاً لهم.

وأول ايلخان هو هولاكو خان شقيق قوبيلاي قاغان أما الثاني فهو ابنه أباقا والثالث أحمد تكودار شقيق أباقا والرابع أرغون بن أباقا والخامس كيخاتو شقيق أرغون والسادس بايدو ابن توراغاي من أبناء هولاكو والسابع غازان محمود ابن أرغون والثامن شقيقه اولجايتو خدا بنده محمد والتاسع ابنه أبو سعيد بهادر والعاشر معز الدين أربا حفيد أريق بوغا منافس قوبيلاي ومن أشقائه والحادي عشر موسى بن علي بن بايدو والثاني عشر محمد بن يول قوتلوغ بن تيمور بن انبار جي بن منكو تيمور من أبناء هولاكو والثالث عشر توغا تيمور من أحفاد جوجي قاسار شقيق هولاكو والرابع عشر جهان تيمور ابن الافرانغ بن كيخاتو والخامس عشر الإمبراطورة صاتى بك بنت اولجايتو والسادس عشر سليمان بن يوسف شاه بن سوكه ابن يشموت من أبناء هولاكو والسابع عشر أنوشيروان.

وكان الايلخان الثالث أحمد تكودار مسلماً بينما عاد أخلافه إلى اعتناق الشامانية حتى جلوس السابع غازان محمود الذي أسلم بصورة نهائية منهياً الشامانية ويعتبر هذا التاريخ (١٢٩٥) بداية إسلام المغول وتطبعهم

بالطابع التركي وقد أنشأته ابنة قليج أرسلان الرابع وشقيقة كيخسرو والثالث خداوند سلجوق خاتون وعلمته مبادئ الإسلام.

كيان الإمبراطورية الالخانية

كانت الإمبراطورية الالخانية تحكم في أوسع أحوالها إيران وتركيا وإمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا وقفقاسيا وداغستان وأفغانستان وتركمنستان وأوست يورد وخوارزم وبلوشستان والسند وباتونستان والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان. كما كان البيزنطيون يعترفون بتفوقهم.

إلا أن المناطق الأساسية لهم كانت إيران والعراق ولذلك يسمون بمغول إيران أيضاً. وقد أخرجهم المماليك الأتراك من قاطع مصر ـ سورية من أراضيهم قبل اعتناق المغول للإسلام.

وقد بدأت الإمبراطورية بالانقراض بعد وفاة أبو سعيد بهادر في عام ١٣٣٥ فلم يعترف بثمانية أعقبوه في ظرف ثمانية أعوام حتى عام ١٣٤٤ كمتبوعين في تركيا، ففي عام ١٣٣٥ انقسمت تركيا إلى إمارات عديدة وسقطت السلالة السلجوقية. ويقسم تاريخ الايلخانيين إلى فترتين تمتد الأولى من ١٢٥٦ وحتى جلوس غازان ايلخان في عام ١٢٩٥ أي لمدة تسعة وثلاثين عاماً وتستمر الثانية مدة تسعة وثلاثين عاماً آخر.

ويلعب هولاكو دوراً هامّاً في التاريخ الإسلامي بإنهائه الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ فقد بقي الخلفاء العباسيون بعد هذا التاريخ وحتى انتقال الخلافة إلى العثمانيين في عام ١٥١٦ تحت سيطرة المماليك الأتراك في القاهرة محرومين من السلطة الدنيوية. كما هدم هولاكو قلعة الاموت عاصمة دولة الإسماعيليين الباطنية.

وكانت اللغة الرسمية الوحيدة في دولتي جغتاي والتون أوردي في القرن الرابع عشر هي التركية في حين نافست الفارسية اللغة التركية لدى الايلخانيين فبنما كانت التركية لغة الجيش والقصر استعملت الفارسية في

المكاتبات الرسمية. ولاغرو فإن الدول التركية في القرون الوسطى كانت تستعمل في مكاتباتها الرسمية الفارسية على الغالب والعربية في قسم منها. فقد استعمل الغزنويون والسلاجقة وسلاطين الأتراك في الهند الفارسية، في حين أحيا العثمانيون تقاليد القاراخانيين في استعمال التركية وحدها في المعاملات الرسمية. و لا يدعو هذا الأمر للحيرة فقد كانت فرنسا والدول الأوربية الأخرى تستعمل اللاتينية في مكاتباتها الرسمية بدل لغاتها القومية حتى القرن السادس عشر بل كان قسم منها يستعملها حتى بعد هذا التاريخ. أما لغة الدين والعلم إلى حد ما فكانت العربية. وقد أظهر العثمانيون مجهوداً فائقاً في حصر جميع المعاملات بالتركية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

أما النقود فكانت تطبع عليها عبارات تركية فلا أثر لأية عبارة مغولية في نقود الجغتاي مقابل عبارات قليلة من المغولية في نقود التون أوردي بينما أكثريتها الساحقة مكتوبة بالتركية ويرد في أكثرها عبارة (قوتلوغ بولسون) ويقابلها حالياً (قوطلو أولسون) وهي عبارة خاصة بالتهنئة.

وقد سبق التون أوردي ما سواها في اعتناق الإسلام ثم تبعها الايلخانيون ثم الجغتاي. فقد اعتنق بركة إمبراطور التون أوردي وابن جوجي خان الإسلام في أواسط القرن الثالث عشر إذ كان العنصر التركي يشكل الأغلبية الساحقة في هذه الإمبراطورية. وقد اعتنق بركة خان الإسلام على ما يعتقد في عام ١٢٥٠ وكان قد اعتنقه في عام ١٢٥٣ على وجه الثبوت، بينما لم تكن إمبراطورية الايلخانيين قد تأسست بعد في هذا التاريخ، ويظهر هذا الأمر لنا بعض نواحي تاريخ الشرق فقد تحالف أباطرة ألتون أوردي المسلمون مع المماليك الأتراك في سوريا ومصر ضد الايلخانيين. وقد كان للعامل الديني أثره في هذا التحالف إلى جانب العامل الاقتصادي المتولد من المنافسة المتحكمة بين ألتون أوردي والايلخانيين.

وقد أصبحت التركية لغة السلالات الثلاث الايلخانية والجغتاي والتون أوردي إطلاقاً في الربع الأول من القرن الرابع عشر.

المغول والسلام العالمي

خطا المغول في أوائل القرن الرابع عشر وأواخر القرن الثالث عشر خطوات هامة في تحقيق السلام بين كافة الدول ودعوا إلى تحريم الحروب ودعوة الدولة التي تريد الحرب من قبل باقي الدول إلى السلام. وقد أرسلوا رسلاً إلى البابا وفرنسا وإنجلترا يبينون لهم إن الإسلام قد استتب في آسيا ويدعونهم إلى الانخراط في هذه المعاهدة. وقد أجاب حكام أوربا بالدعاء والتمنيات الطيبة. وبذلك فقد أملى المغول بعد الرومان سلاماً جديداً على دول العالم ومن الجدير بالذكر أن العثمانيين قد عمدوا إلى نفس الإجراء الذي اشتدت الدعوة إليه بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية على نطاق واسع.

وكانت نظرة المغول التاريخية عالمية. فقد أشرف الوزير والعالم المغولي رشيد الدين على سبيل المثال على لجنة ألفت كتاب (جامع التواريخ) والذي يعد من أشهر المؤلفات التاريخية القديمة. وقد اشترك في هذه اللجنة مغولي واحد وصينيان وبوذي من كشمير وفرنسي واحد والكثيرون من الفرس والأتراك. ويقول المؤرخ الروسي الكبير بارتولد في معرض التعليق على هذا المؤلف ما يلي:

«يعتبر جامع التاريخ مثلاً فريداً في الأدب العالمي الرامي إلى تقديم تاريخ الأمم على شكل معلومات ووثائق منسقة وجامعة. فقد جمعت المعلومات المتعلقة بجميع الأمم التي تعيش مابين المحيط الهادي والمحيط الأطلسي باشتراك ممثلين عن جميع هذه الأمم. وقد أسدى هذا المؤلف خدمات جلى للأفق التاريخي ووسعت من مداركه.

وقد قال عبد الله كاشاني زميل رشيد الدين في أبحاثه أن تاريخ

العرب والفرس ما هو إلا نهران في بحر تاريخ العالم. في حين يذهب العلماء الأوربيون وحتى في يومنا هذا إلى اعتبار تاريخ العالم من اجتماع تاريخ الرومانيين والجرمان. وقد أدرج تاريخ كل أمة في تاريخ رشيد الدين حسب نظرتها الخاصة ولم يعدل أي شيء منها حتى وإن كان مغايراً لأسس الإسلام أو المفهوم الأدبي لذلك العصر».

نبذة مختصرة من حضارة الايلخانيين

كان أحفاد جنكيز يعتبرون أنفسهم أعرق سلالة في العالم. فقد ضم الايلخان أباقا ابنة الإمبراطور البيزنطي ميكائيل باليولوغوس إلى جواري قصره ولم يعاملها كزوجاته التركيات والمغوليات. ولم تكن ابنة الإمبراطور اندرونيكوس الثاني الأميرة ماريا أكثر من جارية في قصر الايلخان أولجايتو ولم ترق إلى مصاف الزوجات أبداً. وقد اتبع إمبراطور ألتون أوردي أوزبك خان نفس الأمر مع الأميرة البيزنطية وعلاوة على ذلك فلم يسمح بإنجاب الأطفال من هذه الجواري واعتنى بنشأة الأطفال من الزوجات التركيات والمغوليات.

وكانت عاصمة الايلخانيين في أذربيجان الجنوبية دوماً فقد أصبحت مدن تبريز ومراغة وسلطانية عواصم الإمبراطورية وازدهرت في تلك العصور فكان نفوس تبريز يربو على المليون نسمة مثلاً في حين لم تكن في تركيا في ذلك الوقت أية مدينة تماثلها في هذا العدد. وقد كثرت في هذه المدن المعاهد العلمية والثقافية والفنية. واهتم الايلخانيون بالعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافية وعلم الفلك والرياضيات، وألف نصير الدين الطوسي مؤلفاته القيمة بفضل هولاكو.

وعندما انتقل حكم إيران من العرب إلى الأتراك ازدهر الشعر الفارسي فلم ينض الأتراك على الثقافة الفارسية وبسطوا حمايتهم عليها. وقد استمر المغول على نهج الخوارزمية في هذا المنوال فأسبغوا عنايتهم

على الأدب الفارسي الذي ارتقى إلى ذروته في القرن الرابع عشر.

وازدهرت الشركات التجارية بفضل تعاون الأتراك والمغول وكان المغول قد تعلموا أسسها من ألا ويغور وتوسعت هذه الشركات بحيث أصبحت تطغى على التجارة العالمية بعد اشتراك الأتراك المسلمين والفرس والعرب فيها برساميلهم. وازدهرت التجارة إلى حد نشوب الحروب بسببها، ويذكر أن الحرب التي استعر أوارها بين هولاكو وبركه خان التون أوردي في عام ١٢٦٣ كانت بسبب مصادرة هولاكو لأموال هذه الشركات في تبريز وقطعت العلاقات الاقتصادية بين الإمبراطوريتين لهذا السبب. وقد اعتنى باستتباب الأمن والاستقرار اللازم لأعمال هذه الشركات التجارية الكبرى ويصف الراهب السائح المعاصر بلانو كاربيني آسيا في القرن الثالث عشر بقوله:

«ليس في العالم قوم كالتتار في احترامه للآخرين (ويقصد الراهب بالتتار المغول والأتراك مجتمعين)، والتقيد بالأنظمة لدى التتار وإطاعة الكبار مثل يحتذى قد تشبهه طبقة رجال الدين لدينا ليس إلا. ويندر أن يحدث بينهم جدال في الكلام أما العراك والقتل فلا يوجد إطلاقاً. لا تخشى اللصوص في هذه المنطقة ولا حاجة لان تقفل القصور والخزائن. فلو وجد أحد حيواناً سائباً ما احتفظ به لنفسه بل يذهب به إلى الشخص المختص ويسلمه إياه. وسيجده صاحبه هناك متى ما ذهب. ويعيش التتار كأفراد أسرة واحدة ويتقاسمون لقمة عيشهم حتى وإن كانوا في عسر من أمرهم. لا يشتكون من أمر، يتحملون الجوع والبرد على ظهور خيولهم ولم يعرف الحسد طريقاً إلى قلوبهم، ويندر أن يشكو أحدهم الآخر ونساؤهم مخلصات شريفات».

وإن كانت هناك بعض المدن التي خربت من جراء استيلاء المغول مثل سمرقند فإن مدناً أخرى كثيرة أنشأت وتوسعت في هذا العهد. وقد بلغت واردات مدينة تبريز من الضرائب في عام ١٣٤٠ (١,١٥٠,٠٠٠)

دينار. بينما كانت ميزانية فرنسا في عام ١٣١١ لا تصل هذا الحد. وإذا عقدنا المقارنة بين المدن الأوربية فقد كان عدد نفوس لندن في عام ١٣٧٧ يبلغ ٣٧,٠٠٠ نسمة ومدينة يورك ثاني مدن إنجلترا ١١,٠٠٠ نسمة وباريس أكبر مدن أوربا ـ عدا استانبول وغرناطة ـ في عام ١٣٢٨ يبلغ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة بينما كان عدد نفوس تبريز يربو على المليون نسمة كما كانت هناك مدن كثيرة في الصين في عهد قوبيلاي خان يسكنها أكثر من مليون نسمة مثل هانكجوف (١,٦٠٠,٠٠٠) أي ما يقارب نفوس إنجلترا.

وقد ترأس ثلاثة من أبناء جنكيز الأربعة ثلاث سلالات هامة بالإضافة إلى إمبراطورية يو ـ أن. وكان على رأس إمبراطورية الالخانيين ويو ـ أن هولاكو وقوبيلاي ابنا تولى خان بن جنكيز الذي توفي في إحدى الحروب مع الخوارزمية. أما أحفاد أوكتاي الابن الثالث لجنكيز فقد نازعوا قوبيلاي إلا أنهم لم يملكوا إمبراطورية. وقد انخرط قسم كبير من شعب اوكتاي بين أبناء هولاكو في دولة الالخانيين بعد خذلانهم في نزاع الإمبراطورية.

٤ ـ إمبراطورية تركيا في ظل الايلخانيين ١٢٤٣ ـ ١٣٠٨

خلف السلطان عز الدين كيكاوس الثاني السلطان كيخسرو الثاني في حكمه فحكم أربعة عشر عاماً حتى عام ١٢٦١ خلا عاماً واحداً ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧ حكم خلاله شقيقه السلطان قيلج أرسلان الرابع. وقد توفي كيكاوس عام ١٢٧٨ عن أربعين عاماً. وكان في الثامنة من عمره عندما اعتلى العرش وأصبحت عادة جلوس الأطفال على العرش عاملاً أسهم في ضعف تركيا في مقاومتها للمغول.

وقد تبعت سلطنة تركيا إبان عهد كيكاوس الثاني القاغان الأكبر للمغول رسميّاً وقد اعتبر المغول شقيقي كيكاوس، قليج أرسلان الرابع وكيقباد الثاني حكاماً مشتركين في الحكم رامين بذلك إلى إضعاف كيان الدولة وقد وفقوا في ذلك. فبالرغم من اعتراف الآخرين بأخيهما الأكبر

سلطاناً أكبر فانهما لم يتورعا عن تقلد لقب السلطان في حين لم يكن الأمراء السلاجقة حتى ذلك الوقت يلقبون بأكثر من لقب الملك.

عمل جلال الدين قاراطاي وزير ذلك العهد على منع اقتتال الإخوة والحد من مطالب المغول فقد كان مشتركاً يشكو من الضرائب والخراج والهدايا ويمتصون خيرات الأناضول. وقد دام حكم السلاطين الثلاثة المشترك خمسة أعوام ١٢٤٩ ـ ١٢٥٤ وتليت الخطب وضربت السكة باسمهم مشتركاً. إلا أن الحاكم الحقيقي كان كيكاوس الثاني وكانت جهود قاراطاي قد أنقذت تركيا من هاوية السقوط في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. إلا أن قدوم هولاكو إلى الشرق الأدنى مؤسساً الإمبراطورية الايلخانية ومستولياً على بغداد منهياً بذلك الخلافة العباسية التي دامت خمسة قرون كان مما أدهش العالم الإسلامي وأصبحت السيطرة على تركيا من إيران أسهل مما كان عليه قبلاً.

وفي عام ١٢٥٦ دحر المغول الجيش السلجوقي ودخلوا مدينة قونية فهدموا أبراج القلعة إلا أنهم لم يقتلوا ولم ينهبوا واستلم بايجو نويان خراجاً هائلاً وأجلس السلطان قليج أرسلان على العرش ثم انسحب عائداً وبذلك انتهت مدة حكم كيكاوس الثاني فأصبح قليج أرسلان الرابع سلطاناً لمدة عام واحد.

وفي هذه الفترة نزل كيكاوس الثاني ضيفاً على الإمبراطورية البيزنطية في ازنيق واستلم منها جنداً مقابل التخلي لها عن مدينة دينزلي والحق التركمان الموجودين في حدود البيزنطيين إلى جيشه وتوجه نحو قونية فطرد أخاه واعتلى العرش ثانية ودام حكمه الثاني أربعة أعوام. أما قليج أرسلان الرابع فقد ذهب إلى سيواس فأعلن حكمه هناك وبأمر هولاكو حدد نهر قزل ايرماق حدودا فاصلة بين الشقيقين. ولكن كيكاوس الثاني كان يعتبر السلطان الأكبر وفي عام ١٢٥٩ استدعى هولاكو الأخوين أوصاهما بعدم القتال.

ولما كان كيكاوس الثاني غير راغب في الخضوع للمغول إلى هذه الدرجة فقد كان يزمع طردهم من الأناضول إلا أن قوته المادية وشخصيته الضعيفة لم تكن تسمح بتحقيق هذا الهدف. فدحر من قبل المغول وهرب إلى إنطاليه وترك العرش إلى أخيه قليج أرسلان الرابع في عام ١٢٦١ فأبحر إلى استانبول التي كانت قد استرجعت من قبل البيزنطيين. ولما كان الإمبراطور ميكائيل باليولوكوس يقصد قونية في ظروفه الحرجة فقد استضاف السلطان التركي واحتفى به، إلا أن كيكاوس الثاني حاول قلب النظام في ١٢٦٤ بغية الاستيلاء على العرش البيزنطي وأحبطت محاولة الانقلاب من قبل الإمبراطور الذي فرق مؤيديه ونفى السلطان مع عائلته وأصدقائه المقربين إلى قلعة في روميلي. وفي عام ١٢٧٠ أنقذت قوات خاقان التون أوردي السلطان التركي من الأسر وعاملته معاملة حسنة نظراً للمنافسة القائمة بين ألتون أوردي والايلخانيين ومنحته إقطاعية في القرم وقد بقي فيها ثمانية أعوام حتى عام ١٢٧٨ حيث توفي. وبعد وفاته عاد ابنه مسعود الثاني إلى تركيا واعتلى العرش آخر سلطان سلجوقي لدولة تركيا.

السلطان ركن الدين قليج أرسلان الرابع ١٢٦١ ـ ١٢٦٦

حكم قليج أرسلان الرابع الدولة بالاشتراك مع شقيقه كيكاوس الثاني وكيقباد الثاني مدة خمسة أعوام ثم نصب سلطاناً أكبر من قبل بايجو نويان إلى أن طرد من قبل أخيه فحكم أربعة أعوام شرقي نهر قزل ايرماق وحكم مرتين حتى وفاته عام ١٢٦٦ لمدة ستة أعوام. وقد حضر مجلس القاغان الأكبر لدى جلوسه العرش مدعواً فزار بذلك عاصمة المغول التي كانت تدير العالم.

ووزير قليج أرسلان الرابع هو معين الدين سليمان بروانه الذي كان يملي إرادته على السلطان وقد حدث أن استولت إمبراطورية طرابزون البيزنطية على سينوب فأرسل معين الدين سليمان ابنه الذي استرجعها إلا

أنه ظل مسيطراً عليها فتأسست بذلك إمارة أبناء بروانه. ولما اعترض السلطان على هذا الإجراء عمد الوزير إلى خنقه بشريط السهام (طبقاً للتقاليد التركية التي تقدس دم السلالات الحاكمة ولا تسمح بإهراقها) ولما كان ابنه كيخسرو الثالث صغيرا فقد أديرت الدولة من قبل بروانه وازداد النفوذ المغولي.

السلطان غياث الدين كيخسرو الثالث ١٢٦٦ ـ ١٢٨١

كان كيخسرو الثالث في الثانية من عمره عندما توفي أبوه وبقي في الحكم خمسة عشر عاماً وهو في التاسعة عشر من عمره وهو معاصر للسلطان أرطغرل غازي وفي أواخر سني حكمه أصبح عثمان غازي أمير مقاطعة خلفاً لأبيه في عام .١٢٨١ وقد ازداد تدخل المغول في الشؤون الداخلية وأعدم بروانه الذي استدعى سلطان المماليك بايبارس إلى تركيا لوضع حد لتحكم المغول. وانفرد كيخسرو الثالث بالحكم إلا أن المغول نصبوا من مسعود الثاني ابن كيكاوس الثاني سلطاناً بأمر أباقا بن هولاكو الايلخاني. وبعد أن أسلم أحمد إيلخان بعد وفاة أباقا اعترف بسلطنة مسعود الثاني واستدعى كيخسرو الثالث إلى تبريز عاصمة الايلخانيين فبقي فيها سنتين ثم عاد لاسترجاع عرشه في أرزنجان فقتل عام ١٢٨٣ بأمر من الايلخان.

آخر سلاطين السلاجقة في الأناضول

السلطان غياث الدين مسعود الثاني والسلطان علاء الدين كيقباد الثالث

حكم السلطان غياث الدين مسعود الثاني مدة اثنين وعشرين عامّاً من ١٤ تموز (يوليو) ١٢٨١ ـ ١٢٩٧ ثم من عام ١٣٠٢ ـ ١٣٠٨. وحكم السلطان علاء الدين كيقباد الثالث خمسة أعوام بين فترتي حكم الأول. وكيقباد الثالث هو حفيد كيخسرو الثاني.

أصبح مسعود الثاني ملكا على أولوبورلي في مطلع عام ١٣٠١. أما كيقباد الثالث فقد استقبل غازان ايلخان على الحدود السورية عند رجوعه

بعد غزوته الثانية غير الموفقة على سوريا ضد المماليك فاستحق بذلك شكر الايلخان. ونتيجة لذلك صادق غازان ايلخان على سلطنة كيقباد الثالث على تركيا من انطاليه إلى أرضروم ومن سينوب إلى ديار بكر. فجاء كيقباد الثالث إلى خربوط واختار سيواس عاصمة له. وبعد مدة وفد إلى قونية إلا أن عمله هذا أثار سخط غازان ايلخان فاستدعاه إلى أصفهان وبعد أشهر من إقصائه عن العرش قتل بيد أحد أتباعه فارتقى عمه مسعود الثاني الذي كان في همدان عرش دولة تركيا ثانية واختار قيصري عاصمة له وبقي فيها ستة أعوام مرت دون حادثة تذكر.

توفي مسعود الثاني عام ١٣٠٨ في قيصري وبذلك انتهى حكم السلالة السلجوقية التي حكمت الأناضول وبقي آخر أمير من أمراء دولة تركيا غازي جلبي في سينوب كأمير تابع للايلخانيين حتى عام ١٣٥٥ ولم يجلس الايلخانيون لا غازي جلبي ولا غيره من السلاجقة على عرش تركيا.

٥ ـ سقوط السلالة السلجوقية ١٣٠٨

توفي أخر حاكم سلجوقي في قصره بقيصري عام ١٣٠٨ وبذلك أسدل الستار على فصل رائع من تاريخ تركيا حفل بالبطولات والانتصارات التي رافقت أعظم شخصيات التاريخ التركي مثل جاغري بك وطغرل بك وألب أرسلان وملكشاه وسليمان شاه وقليج أرسلان الأول والثاني ومسعود الأول وكيقباد الكبير.

كانت الأناضول في عام ١٣٠٨ بشرقها ووسطها تحت إدارة ولاة الايلخانيين كما كانت إمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا الأرمنية تتبع الايلخانيين. أما معرش وعنتاب وما حواليها فكانت تتبع المماليك في حين كانت السواحل الجنوبية والشرقية لمرمره في يد البيزنطيين. وكانت هناك إمارات تركمانية في غرب الأناضول وايجل وقسطموني.

أزمة الحكـــم

حدث أزمة حادة في الأناضول عام ١٣٠٨ لبقاء العرش شاغراً ممن يشغله. وبالرغم من أن الايلخانيين ورثوا السلاجقة في الحكم إلا أن ولاتهم الذين كانوا يرسلونهم لا يفعلون أكثر من انتزاع أموال الشعب في الأناضول. ولم يكن الشعب في الأناضول لينسى مفاخر السلاجقة وتاريخهم الحافل.

وقد حاول القارامانيون كأقوى إمارة تركمانية في الأناضول تسلم مقاليد الأمور في الأناضول وإخراج الايلخانيين منها وتوحيد الأناضول إلا أن فكرتهم هذه لم تتعد حدود الخيال، فلم يجسروا على تقلد لقب السلطان. وكان الأمر يستلزم امتلاك قوة سلالة فاتحة ويظهر هذا من عقد الأتراك الآمال الكبار على غازي جلبي آخر ولي للعهد في تركيا طوال سنين عديدة.

٦ ـ الايلخانيون يتقلدون تاج إمبراطورية تركيا ١٣٠٨ ـ ١٣٣٥

أصبح أولجايتو ايلخان وابنه ايلخان محمد خدا بندالأجنبي. الدولة التركية الكبرى خلفاً للسلاجقة وبذلك انتهت صفة السيطرة على الإمبراطورية التركية والسيادة عليها وبدأ حكمهم كأباطرة مباشرين لتركيا. إلا أن وجودهم في أذربيجان كان يضفي عليهم صبغة الأجنبي. وفي فترة السبعة عشر عاماً التي اعتلى فيها الايلخان الثاني والحركات التركية الكبرى (١٣٠٨ ـ ١٣٣٥) ازدادت حركات التمرد من قبل الولاة العموميين والأمراء واشتد ساعد بعض الإمارات التركمانية فظهرت إمارة قارامان في الجنوب والعثمانيون في الشمال كقوة لا يستهان بها.

الايلخانيون والأناضول

كانت إمارات الأناضول تتبع الايلخانيين وتدفع لهم الضرائب والهدايا. وكانت إمارة قارامان على صلة بالمماليك وتتحين فرص الايقاع

بالايلخانيين. وكان الشعب في أواسط الأناضول يأمل خيراً من هذا. كانت أواسط الأناضول تدار من قبل ولاة الايلخانيين. وقد رقي إلى هذا المركز منذ عام ١٣٢٧ ارتنا بك إلا أن سلطته كانت لا تتعدى الولاية.

٧ ـ آخر آثار الحكم الايلخاني في الأناضول

انقرضت إمبراطورية الايلخانيين بعد وفاة محمد خدا بنده ايلخان عام ١٣٣٥ الذي لم يخلف أطفالاً. فقد اعتلى أكثر من ايلخان واحد العرش فحكموا مدداً متفاوتة قصيرة واكتسب الولاة والإمارات التركمانية الاستقلال.

وبخلو عرش الدولة الكبرى ممن يشغلها طالب أورخان غازي العثماني به نظراً لجهاده المتواصل ضد الإمبراطورية البيزنطية ولم يكن ينافسه في هذا الادعاء غير أمير قارامان بينما لم تبلغ الإمارات الأخرى شأن العثمانيين في قوتهم العسكرية ودهائهم السياسي وشعبيتهم العارمة. وقد تلقب اورخان غازي بلقب السلطان واثبت ابنه مراد الأول كونه إمبراطورا بالفعل وليس بالقول فقط إلا أن اتحاد الأناضول تحت ظل العثمانيين لم يكن يخطر بالبال آنذاك.

وفي عام ١٣٤٤ تخلصت الأناضول من كل تأثير أجنبي تقريباً فلم تكن سيطرة المماليك تتعدى جبال طوروس والفرات بينما كان الجلائريون في إيران والعراق يحكمون خلفا للايلخانيين ولا يستطيعون بسط سيطرتهم إلا على شرق الأناضول. أما إمبراطورية طرابزون فقد تقلص وجودها واقتصرت على السواحل الشرقية للبحر الأسود بينما كانت الإمبراطورية البيزنطية تتمسك بصعوبة بسواحل مرمره. ويسيطر اللاتينيون على بعض الموانىء فقط. وفي مثل هذه الظروف اشتد ساعد العثمانيين وتهيأوا لبدء دورهم التاريخي الكبير مؤسسين أكبر إمبراطورية في العالم.

(المبحث الخامس)

إمارات الأناضول

١ ـ الوضع السياسي في الأناضول في عام ١٣٠٨

كانت الأناضول مقسمة إلى عدة أقسام عند سقوط دولة السلاجقة وتتحكم في مصيرها الإمارات التركمانية وإمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا الأرمنية اللتين كانتا تحت حماية الايلخانيين، وأراضي الإمبراطورية البيزنطية ومقاطعات اللاتينيين كما كان الكثير من المقاطعات تحكم بإشراف الولاة الايلخانيين.

كما كان هنالك قسم من المناطق التي لم تكن لها أية علاقة بالايلخانيين مثل معرش وعنتاب وهاتاي وأدى يمان التي كانت تحت نفوذ المماليك الأتراك في مصر وسوريا أما أركلي على ساحل البحر الأسود واماسرا وقلعة ازمير وبيغا وصامسون المسيحية التي كانت تتبع الرومانيين ومانيسا والا شهر وقوجا ألي ومنطقة صقارية عدا كيفه واينه كول وكلس وبورسه عدا يني شهر وقضاء لابسكي في جناق قلعه وباندرما في باليكسر واردك ومانياس وصوصورلق وكونن فيها والقسم الآسيوي من أستانبول أي يلوا وشيله وقارتال واسكدار وقاضى كوي وبيقوز واقضية الجزر فكانت تتبع الإمبراطورية البيزنطية، بالإضافة إلى بوزجا ادا في آسيا وامروز في القسم الأوربي أي جزر مضيق جناق قلعة وجزر ليمين وسمنديرك أما جزر

ميديللي وصاقز وسيسام ونيكا ريا فكانت تحت السيطرة الرومانية ورودوس والجزر الأثنتا عشرة تحت سيادة الأوربيين. وكانت هناك مملكة مستقلة في قبرص. أما تراقيا الشرقية والغربية فكانت للبيزنطيين.

٢ ـ الوضع السياسي في الأناضول في عام ١٣٣٥

بدأت أوصال إمبراطورية الايلخانيين بالتفكك بعد وفاة محمد خدا بنده ايلخان في عام ١٣٣٥ فاستقلت الإمارات التركمانية وكان أشهرها إمارة العثمانيين لما لها من جهاد طويل. أما القسم الأكبر من الأراضي التي كانت تحت حكم الايلخانيين المباشر فقد انتقل إلى أرتنا بك الذي استقل في هذه الآونة. وأرتنا من أتراك الاويغوز استقل مابين ١٣٣٥ ـ ١٣٣٨ وتبع المماليك في عام ١٣٣٨ ثم استرجع استقلاله في عام ١٣٤٣ وحكم أرضروم وأرزنجان وطوقاد وأماسيا وصامسون وأنقره ونكيده وقيصري وسيواس وبايبورد وشبين قره حصار ونيكسار ومرزيفون وأقسراي ودارنده ودوه لي قره حصار وما إليها.

وفيما خلا المناطق السابقة فقد بقي شرق وجنوب شرق الأناضول تحت حكم الايلخانيين حتى عام ١٣٣٦ ثم انتقل إلى الجلائريين وكان في أميد (ديار بكر) الاق قويون التابعون لهم.

وحصلت إمبراطورية طرابزون المتكونة من طرابزون وريزه على استقلالها بينها خضعت كيلكيا للمماليك. وقد ترك الايلخانيون أغلب مناطق الشرق الأدنى للمماليك.

الإمـــارات

توسعت إمارة قارامان وحكمت قونية وقير شهر ونوشهر وايجل وشرق انطالية الحالية أما آق شهر فكانت تحت سيطرة الحميديين. بينما كانت جمهورية اخي في أنقرة تحت نفوذ القارامانيين وبدا العثمانيون بتوسيع

نطاقهم فحكموا بورسه واسكي شهر وبيله جك وبولو وصقارية الحالية. وسيطروا على يالاوا وقره مرسل وكولجك.

أما الجرميان فقد فقدوا قسماً من أراضيهم بينما استولى ذوو ايدين على أراض جديدة. وقد امتلكت إمارات منتشه وايدين وصاروخان وقاراسي على أساطيل كبيرة فآخذت تتحكم في بحر إيجة. وقد انتزعت إمارة قاراسي منطقة مرمره الجنوبية من البيزنطيين فتقلص بذلك الوجود البيزنطي في جنوب مرمره وانحصر في شبه جزيرة قوجا ألي.

٣ ـ الوضع السياسي في الأناضول في عام ١٣٤٤

اكتسبت الإمارات التركمانية في الأناضول استقلالها التام بعد سقوط الإمبراطورية الايلخانية وبدأت بتوسيع رقعة أراضيها. فعمد العثمانيون إلى الاستيلاء على ازميت ودحروا البيزنطيين في معركة مالتبه وأخضعوا إمارة قاراسي وأخذوا يهددون جمهورية اخي في انقره وامتدا إلى مناطق نفوذ القارامانيين.

أما القارامانيون فقد فتحوا قسماً من أراضي الإمارات المجاورة مثل أرتنا إلا أنهم لم يرتقوا الى مصاف العثمانيين في القوة والمنعة. وقد انقطعت علاقة البيزنطيين بالأناضول بعد استيلاء العثمانيين على شبه جزيرة قوجا ألي.

منطقة نفوذ المماليك

توسعت رقعة الأراضي الخاضعة للمماليك أو الواقعة تحت حكمهم المباشر في حين كان الجلائريون يحكمون جنوب شرق الأناضول وقارص وآرتوين. وكانت مملكة كيلكيا الأرمنية خاضعة للمماليك وقد تقلصت بحيث بقي نفوذها في منطقة جقور اوا فقط بعد ضربات المماليك المتوالية.

قوة إمارات الأناضول

يفيد المؤرخ العربي الشهير ابن فضل الله العمري في معرض حديثه عن أحوال عام ١٣٣٢ بأن الأمراء الأتراك كانوا يستندون إلى عنصر محارب قوي وقلاع صامدة وجبال شاهقة وهم أقوياء بأسلحتهم وعددهم وتتلى الخطب لديهم وتضرب السكة باسم الايلخان الذي هو من أحفاد هولاكو ويغدقون على نواب الايلخان في الأناضول الهدايا ويحرصون على أن تكون رسائل هؤلاء النواب للايلخان لصالحهم.

ويستنتج المؤرخ نفوس الإمارات التركمانية في عام ١٣٣٢ كما يلي:

العثمانيون ١,٠٣٠,٠٠٠، قاراسي ٢٥٠,٠٠٠ (مجموعها ١,٢٨٠,٠٠٠) القارامانيون ٧٥٠,٠٠٠.

الجرميان ٨٠٠,٠٠٠، أبناء آيدن ٧٠٠,٠٠٠، الجانداريون ٤٢٠,٠٠٠، الحميديون ٣٨٠,٠٠٠ (فرع اسبارطه ٣٠٠,٠٠٠ وفرع انطاليه (تكه) ٨٠,٠٠٠)، الصاروخان ٢٨٠,٠٠٠، المنتشه ١٧٠,٠٠٠، الاينانج (أمارة دينزلي) ١٠٠,٠٠٠، الاشرفيون (أمارة بكشهر) ٧٠,٠٠٠، السلاجقة (أمارة غازي جلبي في سينوب) ٧٠,٠٠٠ والمجموع = ٥,٠٢٠,٠٠٠.

ويقدر عدد نفوس المناطق التي لم تكن تحت حكم الإمارات ما بين ستة وسبعة ملايين نسمة باستثناء استانبول وتراقيا وبذلك نستطيع القول بأن نفوس تركيا في الربع الثاني من القرن الرابع عشر قد بلغ حوالي ١٣ مليوناً على وجه التقريب. وتظهر الوقائع التاريخية هذا الأمر فقد كان عدد نفوس إنجلترا في نفس الفترة حوالي ٢,٥ مليون وفرنسا ١٢,٥ مليون نسمة وبذلك يكون عدد نفوس تركيا مساوياً لنفوس فرنسا أكبر الدول الأوربية وأولها من حيث النفوس. ونضيف هنا أن نفوس تركيا في أواسط القرن الثالث عشر كان أكثر بكثير من هذا إذ يجب أن يكون قد بلغ خمسة عشر أو ستة عشر مليوناً وتناقص هذا العدد بفعل حكم المغول لتركيا فيما بعد.

٤ ـ الإمارات الأولى التابعة للسلاجقة في الأناضول

أمارة بروانه: ـ

دامت هذه ثلاثة وعشرين عاماً (١٢٧٧ ـ ١٣٠٠) وكانت تتبع دولة تركيا بقيادة السلاجقة. وكان مركزها سينوب وتحكم ما حواليها. وكان تأسيسها بعد استرجاعها من إمبراطورية طرابزون الرومانية من قبل الوزير السلجوقي المستبد معين الدين سليمان بروانه وكانت كلمة بروانه تعني وزير القصر. وأرغم السلطان السلجوقي على تمليكه إياها. وقد عين معين الدين ابنه محمد بك نائباً عنه وواليًا عليها. وقد خلف هذا ابنه مسعود. وفي عام ١٣٠٠ أصبح ولي عهد الإمبراطورية التركية الأخير غازي جلبي حاكماً على سينوب وبذلك انتهت إمارة بروانه.

غازي جلبي ١٣٠٠ ـ ١٣٥٥ : ـ

حكم غازي جلبي ابن السلطان مسعود الثاني سينوب وخلفه بعده ابنه إبراهيم بك وبعد ذلك ضم الجانداريون سينوب إليهم. وكان غازي جابي خاضعاً لسلاجقة تركيا حتى عام ١٣٠٨ ثم تبع الايلخانيين حتى عام ١٣٣٥ وبعد ذلك استقل في حكمه مدة عشرين عاماً إلا أن نفوذ الجانداريين كان عظيماً. وقد أصبح ابنه الملك قليج أرسلان في عام ١٣٨٠ ملكاً في إمارة أرتنا.

أبناء صاحب اتا ١٢٦٥ ـ ١٣٣٣: ـ

كان مؤسس هذه الإمارة صاحب اتا فخر الدين علي بن حسين بن أبي بكر وزير تركيا، وبقي في هذا المركز تسعة عشر عاماً (١٢٦٦ ـ ١٢٨٥) وقد استولى على أفيون.

وحكم صاحب اتا المنطقة من أفيون العاصمة بواسطة نوابه الذين كانوا من أبنائه. وتوفي عام ١٢٨٥ في أقسراي. وقد خلفه حفيده شمس

الدين أحمد بك ابن حسن بك وبعد مقتل هذا أعقبه ابناه نصرة الدين أحمد ومظفر الدين دولت. وكانت الإمارة التي انفرد مظفر الدين بحكمها فيما بعد تتبع الايلخانيين. وقد تقلص نفوذ هذه الإمارة تدريجياً إلى أن انضمت إلى إمارة الجرميان.

أبناء جوبان ١٢٠٤ ـ ١٣٢٠: ـ

فتح حسام الدين جوبان بك من أوغوز قبيلة القايي مدينة قسطموني في عام ١٢٠٤ وأصبح قائد الحامية التركية هناك في مواجهة البيزنطيين. وقد توالى أربعة من أحفاده كولاة للسلاجقة حتى عام ١٣٠٨ وأمراء تابعين للايلخانيين حتى عام ١٣٢٠ وقد التحقت الإمارة بعد هذا التاريخ بإمارة الجانداريين.

٥ ـ إمارة أبناء أرتنا والقاضي برهان الدين

أبناء أرتنا ١٣٢٧ ـ ١٣٨٠ : ـ

ورثت مملكة أرتنا معظم أراضي الايلخانيين في الأناضول وقد دامت ثلاثة وخمسين عاماً (١٣٢٧ ـ ١٣٨٠) منها ثمانية أعوام قضاها أرتنا بك والياً عامّاً للايلخانيين في الأناضول واستقل في ١٣٣٥. وتبع المماليك مدة خمسة أعوام ثم استقل ثانية وكانت العاصمة سيواس ثم نقلت إلى قيصري.

وقد حكم في هذه المملكة على التوالي أربعة من نسل أرتنا وتقلدوا لقب السلطان وهم أرتنا ومحمد وعلي ومحمد الثاني. وكان أرتنا بك من أتراك الأويغور وبذلك دخل معه إلى الأناضول كثير من أتراك هذا الفرع.

وكانت إمارة أرتنا في أول عهدها واسعة ثم تقلصت نسبياً إلا أنها كانت تحوي في كل حال أوسع مناطق الأناضول ولكن شعبيتها لم تكن متناسبة مع كبرها. وكانت في أوسع أحوالها تضم أنقرة وقير شهر ونو شهر ويوزغاد وطوقاد وجوروم وأماسيا ونيكده وقيصري وسيواس وأرزنجان

وأرضروم وتونج إلى وصامسون وكوموشخانه وكيره سون الجنوبية وملاطية الشمالية وتقدر مساحة هذه الأراضي بـ ٢١٤,٠٠٠ كم مربع. وكانت في عام ١٣٦٠ تشتمل على ١٤٢,٠٠٠ كم مربع فقط فقد اقتطعت بعض الإمارات قسماً من أراضيها.

القاضي برهان الدين ١٣٨٠ ـ ١٣٩٨: ـ

أطاح القاضي برهان الدين أحمد وزير أبناء أرتنا بالسلطان فأعلن نفسه سلطاناً على الإمارة. وأحمد العالم والشاعر ورجل الدولة هو ابن شمس الدين محمد قاضي قيصري. وله دواوين شعرية ومؤلفات علمية. وقد انتقلت دولته بعد مقتله إلى يلدرم بايزيد العثماني.

٦ ـ القارامانيون ١٢٥٠ ـ ١٤٨٧

تعد الإمارة القارامانية أقوى الإمارات التركمانية وأكبرها بعد العثمانيين. وقد اعتبرت مملكة وليست إمارة. وكانت قونية عاصمة الدولة التركية السابقة في يدهم وقد أرادوا احتلال الدور الذي شغر بانتهاء حكم السلاجقة إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك لعدم ارتقائهم إلى مصاف العثمانيين في شعبيتهم وسطوتهم. وقد وقف هؤلاء ضد العثمانيين في محاولاتهم الرامية إلى توحيد الأناضول ثانية وذهبوا حتى إلى التحالف مع مسيحيي أوربا ضد العثمانيين.

ودامت مملكة قارامان التركمانية سبعة وثلاثين ومائتي عام (١٢٥٠ ـ ١٤٨٧) إلا أن أعوامهم الأخيرة انقضت تحت نفوذ العثمانيين وانزوى القارامانيون في بقعة صغيرة من الأرض بالقرب من إيجل.

وكان القارامانيون يشكلون جزءاً من الدولة التركية السلجوقية حتى عام ١٣٠٨. وعمدوا إلى ثورات داخلية لإنقاذ الحكم السلجوقي من السيطرة الايلخانية وكسبوا في ذلك تأييد المماليك الأتراك. وبقي

القارامانيون فيما بعد يتبعون الايلخانيين كلما اضطرتهم الظروف إلى ذلك حتى عام ١٣٣٥ واستقلوا بعد هذا التاريخ إلا أن المماليك اخذوا يتنفذون في المملكة. وحدث أكثر من تصادم بينهم نتيجة محاولة القارامانيين الرامية إلى الامتداد إلى مناطق نفوذ المماليك.

وقد ألحقت الإمارة القارامانية بالإمبراطورية العثمانية لمدة ثلاثة أعوام (١٣٩٩ ـ ١٤٠٢) وأحيت بعد كارثة أنقره من قبل تيمور بمساحات أوسع من ذي قبل. وفي عام ١٤١٧ خضعوا للعثمانيين ثانية إلا أنهم لم يتوانوا عن التمرد عليهم كلما سنحت لهم الفرصة. وكانت عاصمتهم في بادئ الأمر مدينة أره كلي ثم نقلت إلى ارمناك واستقرت بعد ذلك في مدينة قارامان التي كانت تسمى لاندرة.

وكانت الإمارة واسعة جداً ثم اقتطع العثمانيون جزءاً كبيراً من أراضيها. ومن مآثر القارامانيين أن محمد بك الأول أصدر في ١٣ أيار (مايو) ١٢٧٧ في مدينة قونية باسم السلالة السلجوقية المرسوم القاضي بمنع استعمال أية لغة غير التركية في الديوان والمجالس والدوائر، وبذلك أعلنت التركية لغة رسمية وحلت محل العربية والفارسية التي كانت تستعمل في المكاتبات الرسمية.

أبرز شخصيات القارامانيين :

مؤسس الدولة التي حكمت أره كلي هو نورا صوفي بك وقد خلفه في الحكم ابنه كريم الدين قارامان بك الذي اتخذت السلالة اسمه. وقد نقل العاصمة إلى ارمناك. وكان قد تزوج بابنة السلطان قليج أرسلان الثالث. وقد خلف قارامان بك ثمانية أبناء هم:

١	شمس الدين محمد	٥	زكريا
٢	كون اري	٦	طانو
٣	بدر الدين (مجد الدين) محمود	٧	خليل
٤	قاسم	٨	علي

وقد خلفه ابنه الأول ثم كون ارى ومحمود ثم ياخشي خان بك ابن محمد بك. وقد حكم الأخير أربعة أعوام في قونية فأعقبه أبناء عمه محمود بك، بدر الدين إبراهيم الأول، علاء الدين خليل ميرزا.

وبعد وفاة الأخير استلم إبراهيم الأول مقاليد الأمور ثانية ثم أعقبه ابناه فخر الدين واحمد ثم شمس الدين ثم الحاج صوفي برهان الدين موسى من أبناء محمود بك. وقد نقل موسى العاصمة إلى مدينة موت ثم أعقبه سيف الدين سليمان بك الابن الأصغر لإبراهيم بك. وبعد أن قتل بعد أسره من قبل أبناء أرتنا خلفه علاء الدين علي الأول ابن خليل مرزا المعاصر للغازي أورخان ومراد الأول ويلدرم بايزيد وقد حكم واحداً وأربعين عاماً. وكان قد تزوج بابنه مراد الأول وشقيقة يلدرم السلطانة نفيسة. وفي عام ١٣٩٨ اسر من قبل بايزيد فأعدم.

وبعد موت هذا اعتلى ابنه ناصر الدين (غياث الدين) محمد الثاني العرش وكان قد أمضى ثلاثة أعوام في كنف خاله بايزيد في بورسه عندما ألغى العثمانيون الإمارة. وقد اعتلى العرش ثانية في عام ١٤٠٢. وفي عام ١٤١٨ ترك العرش لشقيقه علاء الدين علي الثاني إلا أنه عاد فاسترجعه في العام التالي وبعد أربعة أعوام قتل في معركة له مع العثمانيين، فخلفه ثانية شقيقه علاء الدين علي الثاني.

وبعد هذا الأمير اعتلى العرش إبراهيم الثاني ابن محمد الثاني الذي حكم أربعين عاماً وقد وقعت الإمارة في أعوامه الأخيرة تحت النفوذ العثماني تماماً. وقد اعتاد العثمانيون توليه الأمراء وأولياء العهد على عرش قارامان في قونية وبذلك اندمجت هذه الإمارة كليا في الإمبراطورية العثمانية.

٧ ـ الجرميان ١٢٦٠ ـ ١٤٢٩

كانت إمارة الجرميان عند بدء نشوئها في القرن الثالث عشر من أقوى الإمارات بعد القارامانيين وقد دامت مائة وثلاثين عاماً من عام ١٢٦٠ إلى عام ١٣٩٠ ثم عادت إلى الحياة في عام ١٤٠٢ بعد معركة أنقرة فاستمرت ستة وعشرين عاماً ونصف العام حتى عام،١٤٢٩ وقد ألحقت في عهد يلدرم بايزيد بالإمبراطورية العثمانية لمدة أثنى عشر عاماً. وقد استقل الجرميان في عام ١٣٣٥ بعد أن كانوا تحت نفوذ الايلخانيين إلى أن تبعوا العثمانيين في عام ١٤١٤، وقد تبعهم أبناء ايدين حتى عام ١٣٢٥ وهم من فرع الأوشار من قبائل الأوغوز وقد قل شأنهم بعد أن برز العثمانيون على مسرح السياسة في الأناضول فتقلص نفوذهم.

وكانت عاصمة الدولة في كوتاهية وبعد أن استولى العثمانيون على كوتاهية وسيماو وطاوشانلي نقلوا العاصمة إلى قولا. والجرميان من أبرز سادة التركمان الذين فتحوا الكثير من الأراضي البيزنطية وسعوا إلى تتريكها.

ومؤسس الإمارة هو كريم الدين علي شير بك ويعتبر ابنه يعقوب بك الأول من قادة الفتح التركي المشهورين. وقد خلف هذا ابنه محمد بك ثم ابنه سليمان شاه بك فأعقب هذا ابنه يعقوب الثاني نصير العثمانيين والذي أوصى قبيل وفاته بالإمارة للعثمانيين وبذلك انضمت هذه الإمارة للإمبراطورية العثمانية.

٨ ـ أبناء قاراسي ١٣٠٣ ـ ١٣٤٥

وهذه الإمارة هي أولى الإمارات التركمانية التي ألحقت بالدولة العثمانية وهم من سلالة دانشمند. وقد دامت هذه الإمارة اثنين وأربعين عاماً وقد عملوا على السيطرة على السواحل الجنوبية من بحر مرمرة. وقد خلف قاراسي بك في الحكم حفيده دميرخان وقد انضمت الإمارة في عهده

إلى الإمبراطورية العثمانية ووفد هو إلى بورسه حيث توفي.

٩ - أبناء آيدين ١٣٠٠ - ١٤٢٥

وأبناء أيدين هم من الأمراء التركمان الذين فتحوا غرب الأناضول وسواحل إيجة. وقد دامت إماراتهم مائة وستة عشر عاماً من ١٣٠٠ وحتى عام ١٣٩٠ ثم من ٢٨ تموز ١٤٠٢ وحتى عام ١٤٢٥. وانضمت في الفترة الواقعة بين هذين التاريخيين إلى الإمبراطورية العثمانية. وكان أبناء أيدين قد تبعوا السلاجقة حتى عام ١٣٠٨ ثم الايلخانيين حتى عام ١٣٣٥ حيث استقلوا وتبعوا الجرميان التابعين للايلخانيين من عام ١٣٠٨ حتى عام ١٣١٢ وفي عام ١٤٠٣ وعادوا فتبعوا العثمانيين.

وكانت العاصمة مدينة أيدين (١٣٠٠ - ١٣٠٧) ثم برغي (١٣٠٧ - ١٣٤٨) ثم آيا سلوغ (١٣٤٨ - ١٣٩٠) ثم ازمير (١٤٠٢ - ١٤٢٥). وكانت الإمارة تحكم في أوسع حدودها مسحة تقدر بحوالي ٢٠,٠٠٠ كم مربع وتضم أيدين وازمير والا شهر وصالحلي وديكيلي وكمال باشا من مانيسا وبولدان من دنيزلي.

وآيدين بك هو ابن محمد بك وقد خلفه ابنه مبارز الدين غازي محمد بك الذي خلفه أبناؤه الثلاثة الغازي بهاء الدين الأول أومور بك (باشا) وخضر بك وعيسى بك. وأومور بك من أشهر شخصيات تاريخ تركيا فأكبرهم فقد فتح ازمير ثانية بعد أن كان البيزنطيون قد استرجعوها وأسس أسطولاً قوياً هاجم به السواحل الأوربية واستولى على كومولجية والجزر الآسيوية واليونان وتوالت غزواته على المناطق الأوربية وعلى بلغاريا ودول البلقان واليونان وقبرص وكريت ومورا. وقد استشهد في عام ١٣٤٨ في معركة جرت لاسترجاع القسم المسيحي من ازمير. وقد أتم ما بدأه سلاطين العثمانيين فيما بعد.

١٠ ـ أبناء صاروخان ١٣٠٠ ـ ١٤١٠

حكم أبناء صاروخان ثمانية وتسعين عاماً من ١٣٠٠ وحتى ١٣٩٠ ومن ٢٨ تموز (يوليو) ١٤٠٢ وحتى ١٤١٠ وكانت عاصمتهم مدينة مانيسا. وقد كانوا ولاة السلاجقة حتى عام ١٣٠٨ ثم تبعوا الايلخانيين حتى عام ١٣٣٥ واستقلوا بعد هذا التاريخ. وقد حكموا ثمانية أعوام أخرى بعد معركة أنقرة تابعين للعثمانيين. ثم أرسل العثمانيين أمراءهم إلى عرش صاروخان وكانت الإمارة تحوي ولاية مانيسا الحالية باستثناء بكلك وصوما والا شهر ومنمن وكمال باشا وفوجا. وأمراء صاروخان هم في الأصل قادة الجرميان الذين فتحوا سواحل ايجه وأسسوا إمارتهم فيها.

وصاروخان بك الذي فتح مدينة مانيسا عام ١٣١٣ هو ابن آلباغي بك الذي فر من بلاد الخوارزمية إثر استيلاء المغول. وقد التحقت الإمارة في عام ١٤١٠ بالإمبراطورية العثمانية نهائيّاً.

ومن أبرز شخصياتهم الغازي سليمان بك ابن صاروخان بك وولي عهده لمدة تسعة وعشرين عاما. وقد اشترك هذا في الأساطيل الحربية التي اشتركت فيها الإمارات التركمانية قاطبة وقادها أومور بك مهاجماً اليونان ومورا وقد اشترك في معركة مقدونيا واستشهد فيها. وقد خلف صاروخان بك الذي توفي حزناً بعد سماعه بنبأ مصرع ابنه إلياس بك ابنه الآخر فأعقب هذا ابنه إسحاق جلبي فابنه خضر شاه بك.

١١ ـ أبناء منتشه ١٣٠٠ ـ ١٤٢٦

وأبناء منتشه من الأمراء الذين لعبوا دوراً هاماً بأسطولهم الضخم في بحر إيجة وقد دامت الإمارة مائة وأربعة وثلاثين عاماً من ١٢٨٠ ـ ١٣٩١ ومن ٢٨ تموز (يوليو) ١٤٠٢ وحتى عام ١٤٢٥. وكانوا ولاة السلاجقة حتى عام ١٣٠٨ وتبعوا الايلخانيين بعد ذلك وحتى عام ١٣٣٥ حيث استقلوا بأمرهم. وقد ألحق يلدرم بايزيد الإمارة إلى الإمبراطورية العثمانية

إلا أنهم استقلوا ثانية بعد معركة أنقرة. وكانت الإمارة تحوي مغله وقاش وفنيقه وبوز دوغان وجينه وطاواس وجام ألي واجى بايامى وجنوب ايدين ودنيزلي.

وقد أعقب منتشه بك في حكمه ابنه مسعود بك فابنه شجاع الدين أورخان بك ثم ابنه إبراهيم بك الذي زوج ابنته بأمير أيدين سليمان شاه بك. وقد خلفه ابنه الأكبر محمد بك الذي نقل العاصمة من بجين إلى بالات وقد أطاح يلدرم بايزيد بحكمه.

وبعد معركة أنقرة اعتلى محمد بك العرش ثانية ثم أعقبه ابنه الياس بك الذي زوج ابنته بأمير ايدين اومور بك الثاني. وقد توفي بعد أن أعلن خضوعه للسلطان محمد جلبي فخلفه ابنه ليث بك. وبانتهاء حكم الأخير انضمت الإمارة نهائياً إلى الإمبراطورية العثمانية.

١٢ ـ أبناء أشرف ١٢٨٠ ـ ١٣٢٦

استمرت هذه الإمارة حوالي ستة وأربعين عاماً ١٢٨٠ (ـ ١٣٢٦) وكانت عاصمتها مدينة بكشهر. وقد تبعت هذه الإمارة كغيرها السلاجقة ثم الايلخانيين وكانت تضم بكشهر وسيد شهر والغين وآق شهر وبولوادين. وقد استولى القارامانيون والحميديون على قسم كبير من أراضيها بعد انقراض الأمارة. ثم ضم العثمانيون هذه المناطق إلى إمبراطوريتهم في عام ١٣٩١.

وكان أشرف بك من أكبر ولاة السلاجقة وكان قد تحالف مع القارامانيين وقد خلفه ابنه محمد بك الذي خلفه عمه سليمان شاه بك. إلا أن الأخير قتل من قبل تيمور طاش والى الايلخانيين العام على الأناضول.

١٣ ـ الحميديون وإمارة تــكه

الحميديون ١٢٨٠ ـ ١٣٩١:

كانت للحميديين إمارتان الأولى في إسبارطة والثانية في تكه (انطاليه) وقد استمرت الأولى ثمانية ومائة عام من ١٢٨٠ ـ ١٣٢٤ ومن ١٣٢٧ ـ ١٣٩١، أما الثانية فقد استمرت ثلاثة وعشرين ومائة عام حتى ١٤٢٣. وقد كانت الإمارة تابعة للسلاجقة حتى عام ١٣٠٨ ثم وقعت تحت النفوذ الايلخاني حتى عام ١٣٢٤ وألحقت لمدة ثلاث سنوات ١٣٢٤ (ـ ١٣٢٧) فخضعت للايلخانيين حتى عام ١٣٣٥ حيث استقلت. واضطر حسين بك في عام ١٣٧٤ إلى التخلي عن آق شهر ويالواج وبكشهر وقره اغاج وسيدي شهر لصالح العثمانيين مقابل ثمانين ألف قطعة ذهبية إزاء إلحاح السلطان مراد الأول فتقلصت بذلك الإمارة وانسحبت إلى غرب بحيرة بكشهر. وفي عام ١٣٩١ الحق السلطان يلدرم بايزيد الإمارة بالإمبراطورية العثمانية. إلا أن تيمورلنك أحيا فرع الحميديين هذه بعد معركة انقرة لمناوأتهم العثمانيين والقارامانيين.

كانت عاصمة الإمارة في أولوبورلي حتى عام ١٣١٠ ونقلت بعد ذلك إلى اكريدير التي سميت باسم فلك آباد. وقد عرفت إسبارطة في العهد العثماني باسم (حميد ايلي).

وبعد وفاة إلياس بك بن حميد بك أسس ابنه يونس بك فرع انطالية (تكه) بينما خلفه ابنه الآخر دندار بك. وبعد مقتل الأخير انقرضت الدولة مدة ثلاثة أعوام ثم تسلم خضر بك وإسحاق بك ابنا دندار بك مقاليد الأمور وأعقبهما في الحكم مصطفى بك بن أخيهما محمد بك الذي كان والياً في كول حصار وبعد هذا اعتلى العرش الياس بك فابنه حسين بك. وبعد عام ١٣٧٤ خضعت الإمارة للعثمانيين. وقد اشترك ابنه مصطفى بك في معركة قوصوه الأولى وانضم إلى خدمة العثمانيين.

تكه ١٣٠٠ ـ ١٤٢٣:

خلف يونس بك ابناه محمود بك وخضر بك ثم ابن الأخير سنان الدين فابنه دادي بك ثم ابن محمود بك فابنه عثمان بك. وقد أنهى السلطان يلدرم بايزيد حكم عثمان بك وانضمت بذلك إمارة تكه إلى الإمبراطورية العثمانية. وبعد معركة أنقرة بقيت انطالية تحت الحكم العثماني وحكم عثمان بك في قورقوت ألي إلى أن قتل عام ١٤٢٣ وانضمت هذه المناطق إلى العثمانيين وبذلك دامت إمارة تكه ثلاثة عشر ومائة عام.

١٤ ـ أبناء اينانج ١٢٧٦ ـ ١٣٦٨

أبناء اينانج هم من سلالة الجرمیان. وإن لم يعرف بالضبط أي أمير جرمياني ينتسب إليه اينانج بك. وقد حكم هؤلاء في دنيزلي الحالية والتي كانت تسمى آنذاك لاديك ولم تتجاوز مساحة الأراضي التي حكموها ٨٠٠٠ كم مربع وقد استمرت الإمارة اثنين وتسعين عاماً بين ١٢٧٦ ـ ١٣٦٨. وكان أمراؤها ولاة السلاجقة أول الأمر ثم تبعوا الجرميان التابعين للايلخانيين ومن المحتمل أن يكونوا قد تبعوا الجرميان إلى النهاية. وأول أمرائهم علي بك وابناه اينانج بك وطوغان باشا وقد حكم بعد الآخير ابنه أرسلان بك فابنه إسحاق بك وفي عام ١٣٦٨ انضمت الإمارة إلى الجرميان.

١٥ ـ الجانداريون ١٢٩١ ـ ١٤٦١

سمي الجانداريون فيما بعد بأبناء اسفنديار نسبة إلى أميرهم الثامن وعرفوا بهذا الاسم دوماً في التاريخ العثماني كما سموا في أعوامهم الأخيرة بأبناء قزل أحمد.

استمرت الإمارة سبعين ومائة عام (١٢٩١ ـ ١٤٦١) وهي مع إمارة

أبناء (ذو القادر) أطول الإمارات التركمانية عمراً بعد إمارة القارامانيين. وقد تبعت السلاجقة حتى عام ١٣٠٨ ثم الايلخانيين حتى عام ١٣٣٥ واستقلت زهاء تسعه وأربعين عاماً حتى خضوعها للعثمانيين في عام ١٣٨٣ في عهد مراد الأول. وبعد عشرة أعوام نشبت معركة أنقرة فاستقلت الإمارة ثانية. إلا أنها عادت فتبعت العثمانيين في عام ١٤١٣ واستمر أمراؤها يحكمون كولاة عثمانيين حتى عام ١٤٦١ حيث انضمت الإمارة رسميا إلى الإمبراطورية العثمانية.

والجانداريون كالعثمانيين من أوغوز قبيلة القايي وقد ارتبطوا بسبب ذلك بالعثمانيين بروابط عائلية وصهرية متينة. وكان مركز الإمارة في قصبة افلاني ثم نقل إلى قسطموني.

الجانداريون قبل اسفنديار بك:

شمس الدين دمير يامان جاندار بك هو ابن الألب (الملك) أرسلان يامان جاندار محمد بك (كلمة جاندار كانت تعني موظفاً عامّاً في عهد السلاجقة) كما يفيد ابن اليازجي في السلجوقنامة. وقد خلف جاندار بك ابنه الأكبر شجاع الدين (بدر الدين) غازي سليمان باشا الأول. وقد زار ابن بطوطة هذا الحاكم في قسطموني عام ١٣٣٣. وقد خلف هذا ابنه تاج الدين (غياث الدين) إبراهيم باشا الأول الذي كان والياً على سينوب حتى عام ١٣٢٢.

أما الحاكم الرابع فهو يعقوب بك شقيق سليمان باشا (فلقب باشا في هذه الإمارة كانت تطلق على الأخ الأكبر وليست رتبة عسكرية شأنها في الحكم العثماني) وقد أعقب هذا ابنه عادل بك وتشعبت السلالة من هذا الأمير.

وعندما أنهى السلطان يلدرم بايزيد حكم هذه الإمارة نصب اسفنديار بك شقيق حاكمها سليمان بك والياً على قسطموني نظراً للقرابة التي كانت تربطه بهم.

أبناء اسفنديار

ينتسب افتخار الدين مبارز الدين اسفنديار بك سلطان زاده إلى العثمانيين من جهة والدته وكان والياً عثمانيّاً مدة عشرة أعوام وتبع تيمورلنك فالعثمانيين التابعين لتيمورلنك في عام ١٤١٣ فحكم بذلك مدة ثمانية وأربعين ولذلك سميت الإمارة فيما بعد باسمه.

استقبل اسفنديار بك تيمور في أرزنجان واشترك معه في معركة أنقرة ضد السلطان يلدرم بايزيد وقد اجتمع بالأمير سليمان العثماني في دور فتور العثمانيين وتمرد ضدهم عام ١٤٢٣ إلا أنه هزم من قبل السلطان مراد الثاني في معركة بولو إلا أن السلطان أبقاه على عرش آبائه.

وقد خلف اسفنديار بك في حكمه ابنه الأكبر تاج الدين إبراهيم بك الثاني الذي تصاهر مع العثمانيين بزواجه من ابنة السلطان محمد جلبي وقد تشعبت سلالة أبناء اسفنديار من هذا الأمير.

قزل أحمد باشا

والحاكم الأخير لإمارة أبناء اسفنديار هو جمال الدين قزل أحمد باشا والي السلطان الفاتح على قسطموني مدة عامين. وقد اشترك مع السلطان الفاتح في حرب طرابزون ومنح رتبة الباشا. وفي عام ١٤٦١ رفض تولية السلطان له على مورا فالتجأ إلى القارامانيين في قونية ثم إلى الآق قويون في تبريز وفي عام ١٤٨١ عاد إلى استانبول بعد وفاة الفاتح وجلوس السلطان بايزيد الثاني على العرش وصفحه عنه.

وابنا قزل أحمد هم ميرزا محمد وموسى اللذان تقلدا مناصب رفيعة في الإدارة العثمانية. كما استمر أبناؤه وأحفاده في خدمة الإمبراطورية العثمانية ووصلوا إلى أعلى المراكز وأرفع المناصب.

١٦ ـ أبناء تاج الدين ١٣٠٨ ـ ١٤٢٥

استمرت هذه الإمارة مائة وسبعة عشر عاماً وتبعت الايلخانيين أول الأمر ثم أبناء أرتنا وبعد عام ١٣٨٠ سيطر عليها القاضي برهان الدين حتى عام ١٣٩٢ ثم حكمها العثمانيون حتى عام ١٤١٥. وكانت عاصمتها نيكسر وكانت تضم من ولاية طوقاد الحالية المناطق المحصورة بين يشيل أرماق وكلكيت.

ومؤسس الإمارة هو دوغان شاه بك الذي خلفه ابنه تاج الدين بك والذي سميت الإمارة باسمه. وبعد مقتل تاج الدين أعقبه ابنه محمود جلبي ثم حسن بك بن ألب أرسلان بك ابن تاج الدين. وبانتهاء حكم هذا الأمير انضمت الإمارة إلى الإمبراطورية العثمانية.

١٧ ـ أبناء قوطلو شاه ١٣٤٠ ـ ١٣٩٣

وهم ولاة أماسيا أو أقطاعيوها. وقد حكموا ثلاثة وخمسين عاماً خضعوا فيها لأبناء آرتنا والقاضي برهان الدين ثم العثمانيين. وقوطلو شاه هو مملوك تاج الدين التون باش بك آخر ولي عهد السلاجقة تركيا وابنه بالتبني. وقد حكم بعده ابنه شاد كلدي بك فابنه أحمد بك. وفي عام ١٣٩٣ انضمت الإمارة إلى الإمبراطورية العثمانية.

١٨ ـ أبناء راحت بك (القرنين الثالث عشر والرابع عشر)

أبناء راحت أسرة بسطت سيطرتها على سيواس وحكمت المدينة باسم السلاجقة فالايلخانيين ثم باسم أبناء آرتنا ووالد راحت بك هو خطاب بك وابنه كمال الدين أحمد بك.

١٩ ـ جمهورية أخي في أنقرة ١٢٩٠ ـ ١٣٥٤

تأسست في أنقرة وما حواليها جمهورية أخي الصوفية والتي تشبه إلى حد ما جمهوريات الإقطاعيين الإيطالية في القرون الوسطى وقد استمرت

هذه الجمهورية أربعة وستين عاماً وتبعت بادئ ذي بدء السلاجقة ثم الايلخانيين ثم أبناء آرتنا وأخيراً القارامانيين. وفي عام ١٣٥٤ فتح الغازي سليمان باشا العثماني (ولي العهد وفاتح روم إيلي) أنقرة فألحقها بالعثمانيين.

ومن الصدف الغريبة أن تتأسس في أنقرة هذه الجمهورية لتكون هذه المدينة بعد خمسمائة وسبعين عاماً مركزاً لجمهورية تركية ثانية وهي الجمهورية التركية الحالية. ونظراً لكون النظام الجمهوري قبل أتاتورك غريباً على الأتراك فإن جمهورية أخي تستحق العناية. وبالرغم من النظام الجمهوري السائد فيها فقد توالى على حكم أنقرة حكام ينتسبون إلى نفس العائلة. ولابد أن عائلة أخي شمس الدين يوسف أفندي قد تنفذت في المدينة. ومن المعتقد أن ابنه حسين أفندي ثم ابنه محمد أفندي فابنه حسين الثاني قد ترأسوا الجمهورية.

٢٠ ـ أبناء ذو القادر ١٣٣٧ ـ ١٥٢٢

من السلالات الهامة التي لعبت دوراً هامضاً في تاريخ الأناضول في أواخر القرون الوسطى هي سلالة أبناء ذو القادر. وقد استمرت تحكم مائة وخمسة وثمانين عاماً (١٣٣٧ ـ ١٥٢٢) وكانت لها مع العثمانيين صلات وروابط متينة شأن الاسفندياريين والقارامانيين.

وبالنظر لوضعها الجغرافي فقد تنازعت الإمارة عوامل الخضوع للعثمانيين تارة وللمماليك تارة أخرى. فقد تبعت المماليك اثنين وستين عاماً حتى ١٣٩٩ ثم سيطر عليها العثمانيون مدة تناهز مائة وستة عشر عاماً حتى عام ١٥١٥. أما السنوات السبع الأخيرة فقد مرت وأمراء ذو القادر يتولون الولاية عن العثمانيين في تلك المنطقة.

وكانت عاصمة الإمارة ألبستان وبعد تدمير المدينة من قبل الإمبراطور التركي الإيراني الشاه إسماعيل الصفوي في عام ١٥٠٧ نقلت العاصمة إلى

مدينة معرش. وقد تعاظم أمر هذه الإمارة في فترات من الزمن فقد استولت على قيصري في عام ١٤١٩ وعلى ديار بكر حتى أنهم استرجعوا عنتاب في عام ١٥١٥ من المماليك. كما دخلت خربوط (العزيز الحالية) تحت نفوذها ثلاثة وتسعين عاماً (١٣٦٢ ـ ١٤٥٥). وكانت الإمارة في أوسع أحوالها تضم معرش وقيصري والعزيز وعنتاب وملاطية وادي يمان الحالية إلا أن مناطق نفوذهم الدائمة كانت تكمن في المناطق المجاورة لولاية معرش. وقد كانت مساحة الأراضي التي تحكمها في أوسع أحوالها تبلغ حوالي ٧٠,٠٠٠ كم مربع.

أهم شخصيات الإمارة

مؤسس الإمارة هو زين الدين قاراجه أحمد بك وهو ابن حسن ذو القادر بك وحفيد خليل بك التركماني. وقد قتل عن ثلاثة وثمانين عاماً في ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٣٥٣ في القاهرة. وهو معاصر للغازي أورخان العثماني. وقد خلفه ابناه غرث الدين خليل وشابان سولي بك. وقتل خليل بك وهو في السادسة والتسعين من عمره. أما سولي بك فقد تزوج بابنة القاضي برهان الدين وبعد وفاة سولي بك حكم الإمارة نصر الدين محمد بك ابن خليل بك مدة خمسة وأربعين عاماً وخلف هذا ابنه سليمان بك الذي قتل عام ١٤٥٤ وأعقبه أربعة من أبنائه هم الملك أرسلان والشاه بوداق وشهسوار وعلاء الدولة بوزقورت بك. وبعد وفاة الأخير حكم علي بك ابن شهسوار بك. وقد أطلق عليه لقب الباشا من قبل العثمانيين وكان قائد الحامية العثمانية في معرش وقد قتل في عام ١٥٢٢ مع أبنائه الثلاثة. وبموته انتهى حكم أبناء ذو القادر.

٢١ ـ الرمضانية ١٣٥٨ ـ ١٦٠٨

الرمضانية إمارة تأسست في أواخر عهد نشوء الإمارات على أنقاض مملكة كيلكيا الأرمنية، وقد تأسست الإمارة بفعل رمضان بك من سادة

قبيلة يوره كير من الأوغوز الأتراك وقد حكمت حتى عام ١٣٨٣ في ألبستان ثم تخلت عنها لصالح أبناء ذو القادر فاتخذت من أدنه مركزاً لها. وبالرغم من أنها استمرت مائتين وستة وخمسين عاماً (١٣٥٢ ـ ١٦٠٨) فإن الاثنين والتسعين عاماً الأخيرة مرت وحكام هذه الإمارة في موقع الولاية للعثمانيين.

خضعت سيس واياس وطرسوس إلى الرمضانية في عام ١٤١٥ إلا أن القارامانيين استعادوا طرسوس في عام ١٤١٧ واسترجعها الرمضانية ثانية في عام ١٤٥٧. وكانت الإمارة في أوسع أحوالها تحوي ولاية أدنه الحالية وشرق ولاية مرسين وشمال معرش.

وقد أعقب رمضان بك في حكم الإمارة ابناه صارم الدين إبراهيم الأول وشهاب الدين احمد. وقد استولى الأخير على أدنه واتخذها مركزاً للإمارة. وقد أعقب هذا على التوالي أبناؤه صارم الدين إبراهيم الثاني وعز الدين حمزة ومحمد الأول.

وقد أعقبه ايلوك بك الذي يعتقد بأنه ابن محمد الأول ثم دوندار بك الذي يحتمل أن يكون ابن الأخير. وقد خلف هذا عمر بك ابن إبراهيم بك. وقد اسر هذا من قبل العثمانيين في عام ١٤٨٥ وتوفي في استانبول فخلفه ابنا أخيه غرث الدين خليل ومحمود ابنا داود بك. وبعد حكم سليم بك ابن عمر بك الذي خلف هذا أرسل إلى أدنه والياً عثمانيّاً واستمرت السلالة من أبناء شقيقه خليل بك.

خلف محمود بك ابنا شقيقه خليل، قباد، وبيري محمد، أما أبناء محمود، داود وقورقوت ومحمود بك فقد التحقوا بخدمة العثمانيين. وقد ترك قباد باشا منصبه لأخيه بيري محمد بينما تقلد هو مناصب عثمانية في البصرة وحلب ووان. وقد خلف بيري محمد باشا ابنه الأصغر درويش بك فأعقب هذا بعد ستة أشهر ابنه الأكبر إبراهيم الثالث. وقد خلف هذا ابنه محمد الثاني فابنه بير منصور وبعد وفاة هذا عدل العثمانيون عن تعيين الولاة على أدنه من سلالة الرمضانية.

٢٢ ـ الإقطاعيون الأكراد

حكام الجزيرة ١٢٠٠ ـ ١٥٩٦:

من أشهر إقطاعيين الأكراد في الأناضول حكام جزيرة ابن عمر وحكام حكارى وعلى الأخص أبناء شرف خان. ولم يكن هؤلاء مثل الإمارات التركمانية في الأناضول ليرقوا إلى مصاف الملوك والدول بل حكموا على شكل إقطاعيات متواضعة دامت قرونا عديدة وحكموا العشائر الكردية. وبالنظر لوعورة المناطق التي يحكمون فيها فقد اكتفت الدول التي تحكم هذه المناطق بجباية الضرائب وتجنيد أبنائها فلم تتدخل في شؤونها الداخلية.

ومعلوماتنا حول الأكراد قليلة وهي تستند على الأكثر على الشرفنامة. وقد حكم رؤساء العشائر الكردية في جزيرة ابن عمر في جبل جودي (٢٠٨٩ م) وفينيك وحكموا من قبل اتابكية الموصل والايلخانيين والجلائريين والتيموريين والقاره قويون والاق قويون والصفويين وابتداء من عام ١٥١٥ من قبل العثمانيين، وكانت هذه المنطقة تضم الجزيرة الحالية وشرناق واروخ (وهي أقضية تابعة لولايتي ماردين وسعرد حالياً).

ومؤسس الإمارة هو سليمان وأبناؤه الحاج بدر وعبد العزيز وعبدول. وقد ترأس الحاج بدر عشائر جودي (الجزيرة) بينما ترأس عبد العزيز عشائر فينيك. وقد خلف الحاج بدر حفيده محمد الأول ثم ابنه شمس الدين الأول فأبناؤه بدر ومحمد الثاني وأحمد الأول وأبناء بدر الثاني شمس الدين الثاني وإبراهيم وأحمد الثاني ابن إبراهيم فابنه محمد الثالث فابنه أحمد الثالث.

أما عبد العزيز فقد خلفه أبناؤه سيف الدين ومجد الدين فابن هذا عيسى فابنه بدر الدين فابنه عبدول الأول فابنه عز الدين الأول الذي أعلن خضوعه لتيمور عام ١٣٩٤ فابنه عبدول الثاني فابنه عز الدين الثاني الذي انقاد إلى أوزون حسن (حسن الطويل)، فأبناؤه شرف الأول وبدر الأول

وكلك محمد فابن الأخير شرف الثاني وعلي وبدر الثاني ابن علي ثم عزيز ابن محمد ثم محمد الثالث ابن عبدول وشرف الثالث. وأبناء عبدول ناصر وسيف الدين وعلي وعزالدين وعبدول.

أبناء شرف خان ١٢٢٠ ـ ١٦٧٠ :

من أشهر سادة الأكراد أبناء شرف خان الذين حكموا خمسمائة وخمسين عاماً. وقد تبعت هذه العائلة الايلخانيين والجلائريين والتيموريين والقارة قويون والاق قويون والصفويين ثم العثمانيين بعد عام ١٥١٤ واتخذت بيتليس مركزاً لها فحكمت حواليها والتجأت إلى الجبال بعد إخراجها منها.

ومن ساداتهم ضياء الدين وعز الدين إضافة الى ملك اشرف وشقيقه مجد الدين وهما ابنا ضياء الدين. وقد خلف مجد الدين عز الدين ابن ملك اشرف ثم أخوه غير الشقيق مير أبو بكر، والأمير شيخ شرف والمير ضياء الدين. والحاج شرف الثاني الذي أعلن خضوعه لتيمورلنك في عام ١٣٩٤ والأمير شمس الدين ولي والأمير شرف الثالث والأمير شمس الدين الثاني وإبراهيم الأول والحاج محمد وإبراهيم الثاني.

ومن ساداتهم شرف خان الخامس مؤلف الشرفنامة وهو ابن شمس الدين الثالث. وقد خلف هذا شمس الدين الرابع فابنه عبدال خان.

أمراء حكاري ١٤٥٠ ـ ١٦٠٠:

استمر إقطاعيو حكاري مائة وخمسين عاماً تحت إدارة الاق قويون فالصفويين فالعثمانيين. وقد اتخذوا وان و وسطان مركزاً وتمركزوا أخيراً في جولة مرك. وفي أعوامهم الأخيرة انسحبوا من منطقة وان نهائيّاً إلى حكاري وكانوا في أوسع أحوالهم يحكمون مساحة تكاد تبلغ ٣٠,٠٠٠ كم مربع ثم تقلص نفوذهم بحيث أصبحوا يحكمون مجرد ثمانية آلاف كم مربع.

وأول هؤلاء الإقطاعيين هو أسد الدين كلاني ابن عماد الدين وقد هاجر في عام ١٤٦٧ إلى القاهرة فخلفه ابنه عز الدين شير فابنه زاهد بك فابناه ملك وسيد محمد. وقد جعل يعقوب ابن سيد محمد من وسطان مركزاً. وخلف هذا زينل ابن ملك ثم زكريا الذي حكم في جوله مرك وأشقاؤه هم بهاء الدين وبايندر وبايزيد وبوداق ورستم.

(المبحث السادس)

دول السلاجقة والأتابكية

١ ـ سلاجقة العراق ١١١٧ ـ ١١٩٤

تأسست سلطنة سلاجقة العراق في ١٨ نيسان (ابريل) ١١١٨ إثر وفاة السلطان محمد طابار. وانقرضت في ٢٥ آذار (مارس) ١١٩٤ فتكون بذلك قد استمرت ستة وسبعين عاماً. وقد تعاقب على حكمها في هذه المدة تسعة سلاطين أولهم السلطان محمود الابن الأكبر للسلطان محمد طابار ثم ابنه الأكبر السلطان داود ثم شقيق السلطان محمود السلطان طغرل الأول ثم شقيقه السلطان مسعود ثم شقيق السلطان داود السلطان ملكشاه ثم شقيقه السلطان محمد ثم السلطان سليمان شاه من أبناء السلطان طابار ثم السلطان أرسلان شاه ابن طغرل الأول وأخيراً السلطان طغرل الثاني ابن أرسلان شاه.

وقد تبع سلاجقة العراق السلطان سنجر حتى عام ١١٥٧ واستقلوا بعد وفاته وحاولوا الحلول محل السلاجقة الكبار. إلا أنهم لم يستطيعوا المحافظة على مقاطعاتهم ووقع السلاطين الأواخر تحت نفوذ آل ايل دنيز الاتابكية. وقد حل الخوارزمية محل سلاجقة العراق وآل ايل دنيز. وكان مركزهم همدان.

٢ ـ سلاجقة سوريا ١٠٩٤ ـ ١١١٧

استمرت سلطنة سلاجقة سوريا ستة وثلاثين عاماً (١٠٧٨ ـ ١١١٤) وتأسست من قبل السلطان طوتوش ابن السلطان ألب أرسلان وشقيق السلطان ملكشاه. وقد حكم من بعده ابناه السلطان رضوان والسلطان دوقاق ثم السلطان ألب أرسلان ابن السلطان رضوان. وكانت عاصمتهم مدينة دمشق. وقد حكم هؤلاء سوريا وفلسطين والأردن ولبنان تابعين للسلاجقة الكبار. وقد حل محلهم آل بوري من أتابكية السلاجقة.

٣ ـ سلاجقة كرمان ١٠٤١ ـ ١١٨٧

استمرت هذه السلطنة ستة وأربعين ومائة عاماً وتعاقب على حكمها اثنا عشر سلطاناً وكانت عاصمتهم كرمان وقد حكموا جنوب إيران. وأنهي حكمهم من قبل الأوغوز الذين حاربوا السلطان سنجر وتوافدوا على إيران. وقد تبعت السلطنة السلاجقة الكبار أول الأمر ثم سلاجقة العراق فالخوارزمية. ومؤسسها قره أرسلان كاورت الأخ الأكبر للسلطان ألب أرسلان والذي طالب بالعرش بعد وفاة ألب أرسلان إلا أنه هزم وقتل فخلفه أبناؤه السلطان كرمان شاه والسلطان سلطان شاه والسلطان توران شاه فابن الأخير السلطان إيران شاه ثم السلطان أرسلان شاه الأول ابن السلطان كرمان شاه فابنه السلطان ملكشاه فابنه السلطان طغرل شاه فأبناؤه السلطان بهرام شاه والسلطان أرسلان شاه الثاني والسلطان توران شاه الثاني ثم السلطان محمد شاه ابن السلطان بهرام شاه.

٤ ـ الاتابكيــة

اتابكية أذربيجان (آل ايل دنيز) (١١٤٩ ـ ١٢٢٥)

حكم أتابكية سلاجقة العراق آل ايل دنيز تسعة وسبعين عاماً من ١١٤٩ وحتى عام ١٢٢٥، وقد تبعوا سلاجقة العراق حتى عام ١١٨٧ ثم الخوارزمية. وأول أتابكية أذربيجان الذين حكموا قفقاسيا الجنوبية

وداغستان وغرب إيران هو شمس الدين ايل دنيز. وقد خلفه ابنه محمد بهلواني جهان وقزل أرسلان عثمان ثم نصرت الدين أبو بكر ومظفر الدين أوزبك ابنا محمد. وقد قضى الخوارزمية على آل ايل دنيز.

اتابكية الموصل: الزنكيون
١١٢٧ ـ ١٢٣٣ وسلالة لولو ١٢٣٣ = ـ ١٢٦٢

فرع الموصل:

الاتابك لقب كان يطلق على معلمي أمراء السلاجقة العسكريين. فقد كان الأمراء السلجوقيون يرسلون عند بلوغهم للعمر الذي يبدأون فيه بالدرس والتحصيل إلى الولايات البعيدة كملوك عليها يصطحبهم أتابك يدير شؤون الولاية فعلياً ويدرب الأمير على شؤون الإدارة والحكم. وكان الأتابك يبقى بمعية الأمير بعد أن يكبر بمثابة أب ثانٍ يشرف على أموره. وكان منصب الاتابك يتوارث أحياناً أباً عن جدّ. وقد أسس الكثيرون من الاتابكية إمارات خاصة في المناطق التي حكموا فيها. وعماد الدين الزنكي وابنه نور الدين الزنكي اشتهرا بالدهاء السياسي والعسكري وبمجابهتهما للصليبيين وتنشئتهما لشخصية إسلامية كبيرة مثل صلاح الدين الأيوبي. ويطلق على الزنكيين اسم أتابكية الموصل لاتخاذهم مدينة الموصل مركزاً لهم. وقد استمرت هذه الإمارة من عام ١١٢٧ حتى عام ١٢٣٣ وبعد عام ١٢٣٣ حكمت سلالة لولو التي رعاها الزنكيون وحتى عام ١٢٦٢. وبذلك استمرت أتابكية الموصل مائة وخمسه وثلاثين عاماً تابعة للسلاجقة الكبار أول الأمر ثم سلاجقة العراق اسمياً، فالخوارزمية واستقلت في هذه الفترة من الناحية الفعلية. ثم خضعت للأيوبيين ثم المماليك وفي عام ١١٤٦ تفرع عنها فرع حلب.

وعماد الدين الزنكي هو ابن قسم الدولة اق سونغور بك ابن آلتورغان بك من سادة قبيلة ألاوشار من أتراك الاوغوز. وقد خلف عماد الدين

أتابكية في الموصل ابناه سيف الدين غازي الأول وقطب الدين مودود. أما ابنه نور الدين فقد أنشأ فرع حلب. وتوالى على الحكم في الموصل ابنا مودود غازي الثاني ومسعود الأول ثم أرسلان شاه ابن الأخير فابنه مسعود الثاني فابناه أرسلان شاه الثاني وناصر الدين محمود. وسيطر وزير آخر الأتابكيه بدر الدين لؤلؤ على الحكم وخلفه أبناؤه ركن الدين إسماعيل ومجاهد إسحاق ومظفر علي. وبعد ذلك قضى الايلخانيون على أتابكية الموصل.

فرع حلب ١١٤٦ ـ ١١٨٣:

ومؤسس هذا الفرع الذي استمر سبعه وثلاثين عاماً هو نور الدين محمود الزنكي بن عماد الدين وهو من أشهر شخصيات القرون الوسطى والتاريخين التركي والإسلامي. وقد أدى دوراً هاماً في محاربة الصليبيين ورعا صلاح الدين الأيوبي فأرسله إلى الموصل للقضاء على الخلافة الفاطمية. وقد أعقبه بعد وفاته ابنه إسماعيل ثم ابن أخيه عماد الدين وفي عام ١١٨٣ قضى الأيوبيون على أتابكية حلب.

فرع سنجار ١١٧٠ ـ ١٢٢٠:

بعد أن فقد عماد الدين الزنكي ابن قطب الدين مودود مدينة حلب انسحب إلى مقره القديم في سنجار وأسس إمارة هناك. وقد خلفه ابنه محمد فابناه عماد الدين وجلال الدين محمود. وقد استمرت هذه الإمارة نصف قرن.

فرع جزيرة ابن عمر ١١٧٠ ـ ١٢٢٧:

أسس هذه الإمارة سنجر شاه ابن غازي الثاني. وقد دامت سبعة وخمسين عاماً وقضي عليها من قبل الأيوبيين. وقد خلف مؤسسها ابناه محمود ومودود.

أتابكية الشام ـ آل بوري ١١٠٩ ـ ١١٥٤:

حكم آل بوري ثلاثة وأربعين عاماً في بلاد الشام بعد حكم سلاجقة سوريا. وقد أنهي حكمهم من قبل الزنكيين. ومؤسس السلالة توغ تيكين الذي كان اتابك سلاجقة سوريا، وقد خلفه ابنه بوري وكان والياً على بعلبك وقتل من قبل الإسماعيليين فأعقبه ابنه محمد ثم ابنه أباق، وفي عام ١١٥٤ استولى الزنكيون على دمشق فانسحب أباق إلى حمص ثم إلى بالس.

أتابكية أربيل ـ يل بك تكين ١١٤٤ ـ ١٢٣٣:

ومن الإمارات التركية أتابكية أربيل التي حكمت الموصل وأربيل وشهرزور وحكارى وحران وسنجار وتكريت أي في المناطق المحصورة بين شمال العراق وجنوب شرق الأناضول. وقد قضى عليها من قبل العباسيين وكانت عاصمتهم أول الأمر في حران من مدن الأناضول ثم نقلت إلى اربيل. وأول أتابك هو علي كوجوك ابن بك تكين من قادة السلاجقة ثم خلفه ابناه الذي حكم ثانيهما خمسة وستين عاماً.

أتابكية فارس: السالغور ١١٤٧ ـ ١٢٨٧:

حكم أتابكية فارس في مقاطعة فارس الإيرانية بمركزها شيراز مائة وأربعين عاماً وتبعت هذه الإمارة السلاجقة الكبار وسلاجقة العراق والخوارزمية والمغول والأيلخانيين، ثم قضى عليها الايلخانيون بصورة نهائية. وقد امتدّ نفوذ أتابكية فارس أحياناً إلى البحرين والقطيف وأول أتابك منهم هو سونغور من قبيلة سالور من أتراك الأوغوز. وقد أعقبه في حكم الإمارة شقيقه زنكي فابنه تكله ثم طغرل بن سونغور ثم سعد الأول ابن زنكى فابنه أبو بكر فابنه سعد الثاني فابنه محمد فابن سالغور شاه محمد شاه وشقيقه سلجوق شاه وأخيراً آبيش خاتون ابنة سعد الثاني.

قارا خطاي كرمان: آل قوتلوغ خان ١٢٢٢ ـ ١٣٠٣:

وهي إمارة مغولية اندمجت في العنصر التركي وحكمت واحداً وثمانين عاماً تابعة للخوارزمية ثم المغول ثم الايلخانيين. وكانت عاصمتها في كرمان وتحكم ما حواليها. وقد قضى عليها من قبل المظفريين. ومؤسس الإمارة هو باراق حاجب وهو أمير مغولي قدم إلى كرمان بعد سقوط إمبراطورية القاراخطاي بفعل الخوارزمية. وقد خلفه ابنه ركن الدين ثم ابن شقيقه تنكو بك، محمد ثم زوجة الأخير قوتلوغ خاتون فأبناؤها سيورغاتمش وصفوة الدين خاتون ثم محمود شاه ابن شقيقها السلطان حجاج، ثم شاه جهان.

آل شيروان شاه ١١٥٥ ـ ١٥٥١:

تأسست على أنقاض الدولة السلجوقية إمارات ودويلات تركية وإيرانية كثيرة لا تأثير لها على التاريخ التركي العام ونكتفي منها بذكر آل شيروان شاه الذين حكموا ثلاثمائة وستة وثمانين عاماً (١١٥٥ ـ ١٥٥١) باستثناء عشرة أعوام وقعوا فيها تحت الاحتلال الصفوي. وآل شيروان شاه سلالة فارسية اندمجت في العنصر التركي وكانت عاصمتها شاماخ أول الأمر، ثم نقلت إلى دربند وقد تبعت هذه السلالة في سني حكمها سلاجقة العراق وآل ايل دنيز والخوارزمية والمغول والايلخانيين والجلائريين والتيموريين والقارة قويون والاق قويون والصفويين والعثمانيين، وكان حكمها في أذربيجان الشمالية وأرمينيا وداغستان واران وشيروان.

وأول حاكم منهم ينتمي إلى عائلة عربية تابعة للعباسيين قضى عليها بعد ثمانية وتسعين ومائتي عام من قبل الكرجيين وظهرت العائلة الثانية بعد ثمانية وخمسين عاماً من هذا التاريخ. وأول شيروان شاه هو مينو جيهر ابن كسرى وتعاقب على الحكم ثمانية متوارثين الحكم أبا عن جد، وفي عام ١٣٨٢ سيطرت عائلة دربندية من هذه السلالة على الحكم وحاكمها الأول هو الشيخ إبراهيم الأول.

(المبحث السابع)

الدولة التركية الكبرى في الشرق (تركستان)

١ ـ السلطان ملكشاه (١٠٧٢ ـ ١٠٩٢)

كنا قد توقفنا عن البحث عن الدولة التركية الكبرى (السلاجقة الكبار) بعد تحدثنا عن السلطان ألب أرسلان الذي توفي في عام ١٠٧٢. ويعتبر عهد ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان الذي دام عشرين عاماً من أهم أدوار السلاجقة.

ولد السلطان ملكشاه في ٦ آب (أغسطس) ١٠٥٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٠٩٢ عن سبعة وثلاثين عاماً. وكان قد أمضى شبابه مع الجيش التركي بالقرب من قارص. وبعد أن زار السلطان ألب أرسلان مثوى جده سلجوق بك في جند وعاد إلى خراسان أعلن في تموز (يوليو) ١٠٦٦ ولاية عهد ملكشاه رسمياً. وقد اعتلى ملكشاه العرش بعد وفاة أبيه وهو في السابعة عشر من عمره. وقد رافقه في سني حكمه وزير أبيه نظام الملك. وقد عمل هذا الوزير على تنظيم الدولة على أروع ما يكون وكتب بالفارسية مؤلفه الخالد «سياستنامة».

وقد أحبط ملكشاه محاولات عمه كاورت ملك كرمان الرامية إلى الاستيلاء على العرش فغلب هذا على أمره وقتل وارتبطت سلطنة سلاجقة كرمان بذلك بأصفهان عاصمة ملكشاه. وقد انتهز الغزنويون هذه الفرصة

فدحروا في كانون الأول (ديسمبر) ١٠٧٣ في معركة جيغيل كنت الملك عثمان عم ملكشاه وأسروه.

وناهض القاراخانيون أيضاً السلاجقة إلا أنهم اضطروا إلى الطاعة بعد أن تقدم السلاجقة إلى ما وراء النهر واقتربوا من سمرقند. فأبقى ملكشاه عرش القاراخانيين الغربيين في سمرقند وانضمت هذه المملكة إلى الدولة التركية الكبرى. وإزاء ذلك ومنعاً لنشوب حرب ثانية فقد أرسل الغزنويون الملك عثمان إلى ملكشاه بصحبة سفراء وهدايا كثيرة فقبل ملكشاه الذي كان يتحين الفرص لفتح الأناضول بالصلح وتصاهرت السلالتان التركيتان الكبيرتان. وبعد ذلك دعم ملكشاه محاولات سليمان شاه لفتح الأناضول وساعده ماديّاً وبشريّاً بإرسال الألوف من مهاجري الأوغوز إلى الأناضول.

وانتزع الملك آتسز من سادة قبيلة يوا الاوغوزية في عهد ملكشاه سواحل البحر الأبيض الشرقية من الفاطميين. واستسلمت مدينة دمشق بعد الحصار السلجوقي الثالث في ١٠ حزيران (يونيو) ١٠٧٦ وتليت خطبة الجمعة باسم الخليفة العباسي والخاقان التركي بدلاً من الخليفة الفاطمي. وقد انتزعت سورية وفلسطين والحجاز واليمن أيضاً من أيدي الفاطميين إلا أن حملة مصر بقيادة آتسز أخفقت. وبعد هذا منح ملكشاه سوريا إلى أخيه الملك طوتوش الذي نازع بتحريض من ارتوق بك الفاتح سليمان شاه الذي أراد ضم حلب بعد أنطاكية إلى دولة تركيا مما أدى إلى دحر سليمان شاه وانتحاره. وقد أرسل ملكشاه إلى طوتوش يؤنبه ويبدي أسفه لموت سليمان شاه المبكر.

وفي عام ١٠٨٦ قدم السلطان ملكشاه إلى حلب للاهتمام شخصيّاً بأمور الشرق الأدنى. وشكر اللّٰه على إتمامه نعمته بإكمال الفتوحات الكبرى إلى هذه المساحات الشاسعة عندما رأى البحر الأبيض في منطقة السويدية. وفي ١٣ آذار (مارس) ١٠٨٧ دخل بغداد للمرة الأولى، وزوج

ابنته بالخليفة المقتدي. وكان قد زار بغداد ثانية في عام ١٠٩١ فأمر بفتح مصر إلا أن وفاته أدى إلى تأجيل الأمر الذي تحقق من قبل صلاح الدين الأيوبي.

وفد السلطان في عام ١٠٧٦ إلى ققفاسيا وعاد إليها في عام ١٠٧٨ وضم غرب بحر الخزر حتى جبال القفقاس إلى الدولة التركية الكبرى. وزار ملك جورجيا (كوتايس) جورجي أصفهان راجياً وملتمساً لعدم إلغاء مملكته فأعلن خضوعه وولاءه. وقد نصب السلطان ابن عمه الملك إسماعيل ملكاً على مقاطعات القفقاس.

وبعد ذلك عاد السلطان إلى الشرق، إلى آسيا الوسطى وتركستان. واستولى على بخاري وسمرقند وأسر أحمد خان خاقان القاراخانيين الغربي. إلا أنه عفا عنه وأرسله ثانية إلى دياره. وبعد ذلك سار السلطان على الفرع الشرقي للقاراخانيين في كشغر ولما دخل أوزكنت أسرع هارون بوغرا خان (قاغان الشرق) إلى إعلان ولائه للخاقان التركي الأكبر فعدل السلطان عن سيره إلى كشغر ودخلت الدولة القاراخانية في الاتحاد التركي الكبير.

وبعد ذلك تمّ ربط شبه الجزيرة العربية بالدولة فقدم الجيش التركي بقيادة تورشك وجوبوق ويارن قوش إلى الحجاز ودخل مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم سار إلى اليمن في عام ١٠٩٢ وربط العسير واليمن وعدن وحضرموت بالإمبراطورية التركية. وكانت عمان ونجد قد فتحت من قبل وبذلك انضمت شبه الجزيرة العربية بكاملها إلى الإمبراطورية التركية. توفي السلطان ملكشاه بعد ستة وثلاثين يوماً من مقتل وزيره نظام الملك وهو في شرخ شبابه في بغداد ونقل جثمانه إلى أصفهان حيث دفن.

كان ملكشاه الحاكم الأعظم الذي وحد العالم الإسلامي تحت الإدارة التركية وقد لقب بالسلطان الأعظم إذ كان يتبعه أباطرة يلقبون بالسلطان أو القاغان مثل سليمان شاه الكبير وحكام القاراخانيين. كما كان

يلقب بأبي الفتح نظراً لفتوحاته الهامة والمتواصلة. وأطلق عليه أيضاً لقب السلطان العادل لإدارته إمبراطوريته الواسعة بروح سمحاء مشبعة بالعدل والنظام.

مجد الدولة التركية الكبرى في عهد السلطان ملكشاه يبلغ قمته

بلغت الدولة التركية في عهد السلطان ملكشاه شأوا لم تبلغه ثانية إلا في القرن السادس عشر في عهد السلاطين العثمانيين الكبار. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار خضوع الغزنويين والغوريين في عهد السلطان سنجر للدولة الكبرى فإن الدولة التركية الكبرى في عهد السلاجقة كانت تضم المقاطعات التالية:

إيران، أفغانستان، شمال الهند حتى نهر نارباد (باستثناء البنغال)، تركستان الشرقية والغربية، جنوب القفقاس، داغستان، الأناضول، العراق، سوريا، فلسطين، لبنان، شبه الجزيرة العربية، جزر الأناضول الغربية.

ومساحة هذه الأراضي تقرب من ١٥ مليون كم مربع. وكانت الدولة التركية الكبرى محاطة من جوانبها بالبحر الأسود وبحر إيجه ومرمره والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي. كما كانت بحيرات قزوين وارال وبلقاش مياها داخلية. وتنحصر هذه المساحات بين خطي عرض ٥٥ درجة و٢٠ درجة وخطي طول ٩٥ درجة و٢٥ درجة فهي تقع بين الصين والبلقان وبين القفقاس وبحر عمان.

تحققت أمال الدولة التركية الكبرى التي عاشت بين جوانح الأتراك طيلة ألف من السنين ووصل الأتراك إلى المياه المفتوحة. وقد أبدى السلطان ملكشاه عناية فائقة تليق بالأباطرة العالميين برجال العلم والأدب من كل قوم. فأمر بوضع (التقويم الجلالي) الذي كان يحتوي على إصلاحات هامة. ونشأ في عهده أهم شخصيات الأدب والتاريخ والتصوّف والفلسفة والعلوم الإسلامية مثل عمر الخيام والكثيري والجويني والغزالي

والمعزي واللامعي والأنصاري والبيهقي ومحمود الكشغري والجرجاني.

منح السلطان ملكشاه علاوات لأفراد الجيش التركي لدى جلوسه على العرش. وقد قدرت هذه العلاوة سنويّاً بسبعمائة ألف دينار ذهبي. كما وهب مبالغ طائلة بمناسبة تتويجه وقد وصل السلطان العظيم الذي حمد اللّه عند رؤيته البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأسود وبلل سيفه ثلاث مرات في مياهها وعندما عاد لزيارة قبر أبيه السلطان ألب أرسلان في مرو وضع السيف على القبر وقال: أبشرك يا أبتي فقد حكم ابنك حتى نهاية العالم.

وخصص مبلغ ثلاثمائة ألف دينار ذهبي من ميزانية الدولة لمساعدة الفقراء ورجال العلم والفن. وقد اعترض وزير حربيته قوملو تاج الملك يوماً على هذا التخصيص وقال للسلطان إن هذا المبلغ يتيح فيما لو أضيف إلى ميزانية الجيش فتح أسوار البيزنطيين فرد عليه السلطان قائلاً: إن حماية الفقراء والعلماء هي بنفس أهمية فتح هذه الأسوار.

ويماثل السلطان ملكشاه في مجده وعظمته علاء الدين كيقباد في إمبراطورية تركيا الأولى والسلطان سليمان القانوني في الإمبراطورية الثانية فقد كان عهده عهد رخاء وسعادة للأتراك.

ويتحدث عنه المؤرخون المسيحيون المعاصرون بإسهاب فيقول ماثيوس الأورفه لي: كان السلطان ملكشاه متسامحاً إزاء رعاياه المسيحيين ورؤوفاً بهم فنال رضا الإله وكانت أرمينيا في عهده ترفل بالاستقرار والنعيم.

كما يقول صامويل آنيلي: أرسخ ملكشاه أسس الاستقرار والسلام في أرجاء إمبراطوريته لم يؤذ أحداً. وكان أصيلاً في عظمته وأطواره وعقائده. كما كان محبوباً من قبل شعبه وكان من المقدر أن تخضع أوربا للأتراك.

وكانت ميزانية الدولة التركية السنوية في عهد ملكشاه تقدر بحوالي

٤٣٠ مليون دينار ذهبي باستثناء الغنائم. كما كان الجيش التركي يضم مليون محارب باشتراك قوات الدول التابعة.

وأسست بإشراف الوزير السلجوقي نظام الملك الجامعات العلمية المسماة بالمدارس النظامية باسم الوزير السلجوقي في بغداد وأصفهان والبصرة ونيسابور وهرات ومرو وبلح وامول والموصل، وقد أحدثت هذه المدارس ثورة في النظم التعليمية في العالم الإسلامي بما كانت تضمه من مكتبات وغرف المسافرين وأوقافها الغنية وحتى بمستشفياتها الخاصة في قسم منها.

كما كانت مبالغ طائلة تصرف من أجل الإعمار. فقد صرف من أجل تعمير جامع حلب الكبير ١٥٠٠ دينار ذهبي يومياً وبالإضافة إلى كون التعليم العالي مجانياً فقد كان طلاب العلم يتقاضون مخصصات للطعام والسكن. وقد أنفق على المدرسة النظامية في بغداد ستمائة ألف دينار. وألحقت بها أوقاف غنية من مزارع وقرى وحمامات ومنازل تبلغ قيمتها مئات الألوف من الدنانير. وعين لإدارة أو قافها أبو سعد الصوفي ولإدارة مكتبتها الشيخ أبو زكريا خطيب التبريزي. وكانت ميزانية نظامية بغداد السنوية ١٥,٠٠٠ دينار، كما كان خريجوها يرتقون إلى أكبر المراكز الإدارية والعلمية وأرفعها. وقد أدار المدرسة النظامية في بغداد التي كانت تعتبر أكبر جامعة عالمية لمدة أحد عشر عاماً (١٠٧٢ ـ ١٠٨٣) العالم الكبير جمال الدين أبو إسحاق الشيرازي الذي أم الخليفة شخصيّاً صلاة جنازته في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٠٨٣. كما كان يدير نظامية نيسابور التي كانت أكبر الجامعات بعد نظامية بغداد المتصوّف الكبير أمام الحرمين أبو المعالي الجويني والذي كان يدرس أربعمائة طالب وقد توفي هذا العالم الكبير في ٢٠ آب (أغسطس) ١٠٨٥ ومن تلاميذه العالم المتبحر في الكلام (الفلسفة الإسلامية) الغزالي والذي درس في نظامية بغداد.

٢ ـ السلطنة السلجوقية في عهد أبناء ملكشاه (١٠٩٢ ـ ١١٥٧)

السلطان بركياروق ١٠٩٣ ـ ١١٠٤

بعد وفاة السلطان جلال الدولة ملكشاه جلس على العرش ابنه الصغير السلطان محمود الذي كان يبلغ الخامسة من العمر إلا أن السلطان ركن الدين بركياروق سرعان ما أطاح به واعتلى العرش. وبركياروق هو الابن الأكبر للسلطان ملكشاه ولما كان ولد في عام ١٠٨١ فيكون في الحادية عشر ونصف من عمره لدى جلوسه على العرش. وقد دام حكمه اثني عشر عاماً وكانت وفاته وهو في الثالثة والعشرين من العمر.

وقد اشتهر بركياروق بقابليته التي تفتحت مبكراً وقد زار بغداد لفترة من الزمن. وقد تخلص من أحد منافسيه عندما توفي السلطان محمود نتيجة إصابته بالجدري إلا أن أخاه السلطان محمد طابار وطوتوش ابن عمه السلطان ألب أرسلان كانا من منافسيه الأقوياء. وقد حاول طوتوش السيطرة على العرش فقدم إلى ري (طهران حالياً) إلا أن المعركة التي جرت في ٢٦ شباط (فبراير) ١٠٩٥ انتهت بهزيمته ووفاته. وأعقب هذا تمرد شقيق طوتوش الملك أرسلان أرغون الذي قتل عام ١٠٩٦ والملك محمد الذي غلب هو الآخر على أمره.

وبذلك تخلص بركياروق من جميع منافسيه ما عدا شقيقه الملك محمد طابار. وقد عين بركياروق شقيقه الأصغر الملك سنجر ملكاً على خراسان (بمركزها مرو) أكبر مقاطعات الإمبراطورية إلا انه لم يستطع أن يفرقه عن طابار. وقد عين طابار والياً على أران والملك مودود على أذربيجان. كما منح ابني طوتوش مقاطعة سوريا. وأرسل قليج أرسلان الأول إلى تركيا والملك توارن شاه إلى كرمان. إلا أن طابار لم يعدل عن مطالبته بعرش الدولة الكبرى حتى أنه غلب السلطان بركياروق في عام ١١٠٠ واجبره على الانسحاب إلى خراسان. ولكن السلطان عاد فسار في

عام ١١٠١ وغلب الملك طابار في المعركة التي جرت بالقرب من همذان فحكم الدولة بعد ذلك دون منافس أو رقيب.

وبعد وفاة بركياروق خلفه ابنه السلطان ملكشاه الثاني الذي لم يمكث على العرش أكثر من عام واحد. إذ أبعده عمه محمد طابار بسهولة واعتلى العرش حاكماً سابعاً للدولة التركية الكبرى.

السلطان محمد طابار ١١٠٥ ـ ١١١٨

ما إن سمع محمد طابار بوفاة أخيه المبكر وجلوس ملكشاه الثاني الذي كان يبلغ الثامنة من العمر على العرش، حتى غادر كنجه ووصل العاصمة حيث اعتلى العرش ومن أعماله أنه حارب الصليبيين وعمل على تقوية الإدارة المركزية وترسيخ أسس الدولة.

وبعد وفاة السلطان طابار المبكر اعتلى العرش شقيقه السلطان سنجر وتقلد لقب «السلطان الأعظم معز الدين سنجر» الذي نقل العاصمة إلى مدينة مرو وحكم الدولة التركية الكبرى مدة أربعين عاماً منها. وقد حكم سنجر في ١٨ نيسان (أبريل) ١١١٨ وحتى ٢٩ نيسان (أبريل) ١١٥٧ وتوفي عن ثلاثة وسبعين عاماً وبوفاته انقرض السلاجقة الكبار وحل محلهم السلطان قليج أرسلان الثاني إمبراطور تركيا وسلاجقة العراق الذين بدأوا من أبناء سنجر بالحكم.

السلطان سنجر ١١١٨ ـ ١١٥٧

خضع الغزنويون والغوريون للدولة التركية الكبرى تماماً في عهد السلطان سنجر. واتسعت رقعة الدولة التركية الكبرى حتى أواسط الهند. وانشغل السلطان سنجر بأمور الأفغان وأقصى الشرق والهند وآسيا الوسطى وكانت هذه السياسة مخالفة لسياسة السلاجقة الكبار الأولى التي كانت تعتمد على الاتجاه نحو البحار. في حين ترك السلطان سنجر إدارة هذه

الأقاليم إلى الملوك والأتابكية من السلاجقة واهتم شخصيّاً بإدارة دولته الشرقية من مرو التي كانت تقع في مفرق طرق الشرق. وبالرغم من أن شخصية السلطان سنجر المتميزة لم تدع مجالاً لأحد لمجرد التفكير في التمرد عليه إلا أن سياسة السلطان في أعوامه الأخيرة واجهت بعض المشاكل فقد وقف القره خطاي حجر عثرة في طريق السلطان سنجر في تقدمه نحو الصين. كما عمل الأوغوز على إنهاء نفوذ السلاجقة الكبار.

القره خطاي ١١٢٤ ـ ١٢١١

بعد سقوط حكم سلالة لياو في الصين أسس فرع من هذه السلالة إمبراطورية القره خطاي في الشرق والتي دامت سبعة وثمانين عاماً بإدارة سلالة مغولية واقعة تحت تأثير صيني.

وكانت عاصمة الدولة هي مدينة بالاساغون التركية الشهيرة والواقعة غرب بحيرة ايصيق. وقد أخضعت إمارات الأويغور إلى حكمها وتقدمت قواتها نحو الشرق فاضطرت القاراخانيين إلى الاعتراف لها بالسيادة. كما انتزعت بقاع القاراخانيين الشرقيين في كشغر من السلاجقة وأخضعتها لها. ثم سار القره خطاي على القاراخانيين الغربيين في سمرقند وبعد أن غلب هذا تدخل متبوعهم السلطان سنجر إلا أنه هزم في معركة قطوان التي جرت في ٩ أيلول (سبتمبر) ١١٤١ وخسر سنجر بذلك أراضيه في تركستان الشرقية والغربية. ونتيجة ذلك خضعت ما وراء النهر وخوارزم إلى القره خطاي وكان ملوك القره خطاي يسمون (كور خان) وقد حكمت امرأتان من ضمن الأباطرة الخمسة الذين اعتلوا عرش الدولة وقد انقسمت الإمبراطورية بعد سقوطها بين دولة النايمان والخوارزمية. وتقلّد حاكم النايمان الأخير كوجلك خان لقب كورخان واعتنق البوذية تحت تأثير زوجته بعد أن كان مسيحيّاً.

النايمان ١٢١١ ـ ١٢١٨

حكم كوجلك خان سبعة أعوام كإمبراطور إلى أن قتل في عام ١٢١٨ من قبل قوات جنكيز خان. وكانت عاصمته كشغر وكان قد استولى على تركستان الشرقية وشرق ما وراء النهر وهو مسيحي نسطوري اعتنق بعد ذلك البوذية. ويرى زكي وليدي طوغان أن حكام النايمان هم من سلالة الكوك تورك. وقد أخضع جنكيز خان النايمان وألحق دولتهم بإمبراطوريته.

٣ ـ الدولة التركية الشرقية: الخوارزمية والجغتائيون

الخوارزمية ١١٥٧ ـ ١٢٣١

تنازع الخوارزمية وسلاجقة العراق من أبناء طابار (أبناء أخ سنجر) بعد وفاة السلطان سنجر في عام ١١٥٧ على حكم الدولة الكبرى. وقد ظهرت في الأعوام الأخيرة بوادر تفكك الدولة السلجوقية الكبرى بعد توافد مئات الألوف من الأوغوز المسلمين من منطقة أوست يورد إلى خراسان ومعاملة السلطان سنجر لهذه القبائل الرحل بشيء من الجفاء. وقد أنزل هؤلاء الأوغوز الضربة الثانية بالسلاجقة بعد القره خطاي. حتى أن السلطان سنجر الذي هزم أمام قوات الأوغوز عاش في حالة تشبه الأسر بين أيديهم. وإن أظهر هؤلاء احتراماً فائقاً له باعتباره خاقان الأتراك فإنهم حاولوا إدارة الدولة بعقلية القبائل الرحل، تلك العقلية التي كان السلاجقة قد نبذوها من زمن بعيد وتوصلوا إلى شأو بعيد في الحضارة والإدارة الدولية بسبب ذلك. وقد أطلق الأوغوز سراح السلطان سنجر بعد فترة إلا أن السلطان لم يعمر بعد ذلك طويلاً.

وبعد وفاة السلطان سنجر حاول سلاجقة العراق أن يحلوا محل السلطان الكبير إذ إن الخوارزمية كانوا تحت تأثير القره خطاي. وفي عام ١١٦٧ أعلن الخوارزميون عدم ارتباطهم بسلاجقة العراق بصراحة. وبعد انسحاب سلاجقة العراق في ٢٥ أذار (مارس) ١١٩٤ من مسرح التاريخ

نهائياً فقد انتقل عرش الدولة التركية الشرقية إلى الخوارزمية. وبعد ذلك قام هؤلاء بفتوحاتهم وقد قضوا في عام ١٢١١ على إمبراطورية القره خطاي وعادت بذلك ما وراء النهر بعد ستين عاماً من حكم القره خطاي إلى الحكم الإسلامي.

كان حكام خوارزم في جنوب بحيرة آرال يسمون خرزم شاه. ومؤسس سلالة الخوارزمية الأخيرة هو آنوش تيكين غرجالي من فرع البغديل من الاغوز وقد عين والياً على خوارزم من قبل السلطان ملكشاه، وبعد وفاته في عام ١٠٩٧ عين السلطان بركياروق ابنه قطب الدنيا والدين أبو الفتح محمد والياً على خوارزم وهو أول من تلقب بخرزم شاه. وقد أدار هذا المنطقة مدة واحد وثلاثين عاماً (١٠٩٧ ـ ١١٢٨). وبعد وفاته خلفه ابنه بهاء الدين أبو المظفر غازي علاء الدين آتسز. وحكم مدة ثمانية وعشرين عاماً حتى وفاته في ٣٠ تموز (يوليو) ١١٥٦ ثم خلفه ابنه تاج الدنيا والدين أبو الفتح أيل أرسلان كخرزم شاه ثالث. واستقل في حكمه بعد وفاة السلطان سنجر. ووفد من خراسان إلى نيسابور في عام ١١٦٧ وتقلد لقب الملك وبعد حكم دام أكثر من خمسة عشر عاماً توفي في كرغانج في عام ١١٧٢ وبعد وفاته خلفه ابنه أبو المظفر محمد علاء الدين تكش الذي كان قبل اعتلائه العرش والياً على جند مدة ستة عشر عاماً وبعد ٢٨ عاماً من الحكم توفي في ٤ تموز (يوليو) ١٢٠٠.

وقد أعقب هذا بعد وفاته ابنه السلطان قطب الدين ألب أولوغ محمد خرزم شاه الذي تلقب بلقب علاء الدين. وحكم هذا عشرين عاماً حتى عام ١٢٢٠ إلا أنه لم يكن فاتحاً وداهية مثل أبيه فعجز عن مقاومة قوات جنكيز وتوفي في جزيرة مهجورة.

وقد خلف محمد خرزم شاه ابنه جلال الدين خرزم شاه الذي كان ذا مقدرة عسكرية فذة إلا أنه لم يكن قادراً على تفهم الشؤون السياسية

فبالرغم من صموده أمام المغول لفترة من الزمن فقد اضطر إلى التخلي عن أرض آبائه وأجداده للمغول وبدأ بالحكم في إيران والقفقاس. وتمادى إلى حدّ التعرض لخاقان تركيا الكبير علاء الدين فدحر وقتل. وكان جلال الدين قد حكم أحد عشر عاماً (١٢٢٠ ـ ١٢٣١) وكان قبل ذلك والياً على غزنه (أفغانستان) وبذلك يكون الخوارزمية قد حكموا مدة أربعة وثلاثين ومائة عام كانوا خاضعين فيها حتى عام ١١٥٧ إلى السلاجقة وانسحبوا من تركستان إلى إيران في الأعوام الأحد عشر الأخيرة. وكانت العاصمة أول الأمر مدينة كورغانج في خوارزم ونقلت من ١٢١٢ وحتى ١٢٢٠ إلى سمرقند. وقد قام الخوارزميون بفتوحات كبيرة وأسسوا إمبراطورية كبيرة وقد قام السلطان علاء الدين تكش بفتوحات كبرى. وسيطروا على خراسان نسبياً في عام ١١٦٧ ثم على بخارى في عام ١١٨٢ وعلى كرجان ومازندران في عام ١١٨٣ وعلى خراسان كليّاً في عام ١١٨٧ وعلى ري في عام ١١٩٢ وكرمان في ١١٩٥ وهرات في ١٢٠٤ وبلخ وجزجان وتوهارستان وسيستان وسيجستان في ١٢٠٤ وبسطوا الحماية على غور في نفس العام. كما استولوا على عمان (حماية) في ١٢١١ وفرغانة في ١٢١٢ وشاس واوزكنت في نفس العام وقزوين وأذربيجان واران واستاهر وفارس (على شكل حماية) في ١٢١٢ وبلوشستان ومكران في ١٢١١ وطبرستان في ١٢١٠ وما وراء النهر في تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٢١٠. وقد قضوا على القاراخانيين في عام ١٢١٢ وفي أوج عظمة الإمبراطورية حدث الغزو المغولي فقضى على هذه الإمبراطورية الكبيرة.

فتح المغول في عام ١٢٢٠ مقاطعات الخوارزميين الأصلية فقد وقعت جند، وزاوه وحبوشان وآمول في أيديهم ثم أعقبتها سمرقند وبخارى. وبعد ذلك دخل المغول إيران فاستولوا على سمنان وري وهمدان وأردبيل وبالرغم من أن جلال الدين الخوارزمي أخرج المغول من إيران فإن هذا كان مجرد تأجيل لتأسس حكم الايلخانيين.

وبسقوط تركستان تحت حكم المغول أصبح جغتاي خان الابن الثاني لجنكيز خان خاقان الأتراك الشرقي خلفاً للخوارزمية.

الجغتائيون ١٢٣١ ـ ١٣٧٠ . ١٢٢٧ ـ ١٨٧٠

اعتلى جغتاي خان عرش الدولة التركية الشرقية بعد وفاة جلال الدين الخوارزمي في عام ١٢٣١. وكانت تركستان الشرقية والغربية وما وراء النهر من حصة جغتاي بعد وفاة جنكيز خان. وكانت المالق ثم كشغر عاصمة الجغتائيين. وقد انتهى حكمهم في عام ١٣٧٠ بعد ترأس تيمور للأتراك الشرقيين. إلا أن شعب جغتاي استمر في تركستان الشرقية وكشغر حتى عام ١٨٧٠. وإن كان الحكم الصيني في عام ١٧٥٩ قد شكل ضربة قاصمة لشعب جغتاي إلا أن تركستان الشرقية حاولت التخلص من الحكم الصيني، وقد وفق في ذلك مرات عديدة حتى يومنا هذا. وبذلك استمر حكم شعب جغتاي مدة ثلاثة وأربعين وستمائة عام حتى ١٨٧٠. وقد اندمج الجغتائيون تماماً بالأتراك ولكن إعلان الإسلام ديناً رسمياً لهم تأخر حتى عام ١٣٢٦ أي أنهم أسلموا بعد الايلخانيين ودولة التون أوردو بمدة غير قليلة.

توفي جغتاي الابن الثاني لجنكيز بعد حكم دام خمسه عشر عاماً. وكانت زوجته سيونج تركن مسلمة وهي ابنة أبي الفوارس قوتلوغ سلطان براق حاجب خان مؤسس دولة قره خطاي كرمان والمتوفى عام ١٢٣٥.

وأبناء جغتاي هم موتوكن وسربان وبتا الذين قتلوا في عام ١٢٢١ أثناء حرب جرت مع الخوارزمية ويسو منكو الذي حكم أربعة أعوام (١٢٤٧ ـ ١٢٥١). وقد حكم نيكباي بن سربان عاماً وآلغو بن بتا خمسة أعوام. واستمرت السلالة بأولاد موتوكن إذ إن قرة هولاكو هو أحد أبناء موتوكن الثلاثة. وقد حكم قره هولاكو خمسة أعوام (١٢٤٢ ـ ١٢٤٧) وحكم عاماً آخر في ١٢٥١ كما حكم ابنه مبارك شاه الذي أسلم مدة ستة أشهر ولم تستمر السلالة من قره هولاكو بل من باراق بن ييسون توفا

وكودامي بن بوري. وقد حكم باراق خان حوالي خمسة أعوام كما حكم ابنه دوه أربعة وعشرين عاماً. وحكم توكا تيمور وتاليكو ابنا كودامي بضعة أعوام ثم اعتلى العرش أورك تيمور بن توكا تيمور ثم ابنه ياسادور خان ثم ابناه خليل خان وقازان خان.

إلا أن السلالة الجغتائية الأصلية استمرت من دوه خان فقد حكم ستة من أبنائه وهم كونجوق وكبك واسن بوغا وإيلجي كداي وعلاء الدين طرما شيرين، وقد أسلم الأخير واستولى على غزنة وتوسع في فتوحاته في الهند وبعد قتله خلفه ابنه سنجر ثم جنكشي خان بن كبك خان.

وقد أنهى تيمور حكم الجغتائيين ونصب سيورغاتمش خان ثم السلطان محمود خان على عرش جغتاي. ولم يكن هذان من شعب جغتاي بل من نسل أوقتاي الابن الثالث لجنكيز. وقد حارب محمود مع تيمور جنباً إلى جنب في معركة أنقرة.

ملحق أبرز الشخصيات التركية التاريخية حتى نهاية القرن الثالث عشر

ندرج في هذا الملحق أبرز الشخصيات التركية التاريخية حتى نهاية القرن الثالث عشر وقد تمّ اختيارهم من ضمن آلاف الشخصيات التركية لتميزهم بدهاء فائق واستبعد من لم يضف شيئاً جوهرياً على التاريخ التركي كما أن اختيارهم تمّ بعد إمعان وتمحيص توخياً لاختيار من وصل الذروة فقط.

ومن هذه الشخصيات من أثر بشكل فعال على تاريخ العالم ومنهم من أسدى للأمة التركية خدمات جلى لن تنسى.

القرن الثالث قبل الميلاد :

تيومان	وفاته ٢٠٩	أول خاقان تركي كبير وأول من حاول توحيد الأتراك في الوطن الأم.

القرن الثاني قبل الميلاد:

مته	وفاته ١٧٤	ابن تيومان الذي جعل من الأتراك قوماً مسيطرين على قارة آسيا وقد خلد باسم أوغوزخان
كون يابكو	وفاته ١٦١	ابن مته ووريثه في العرش. خاقان كبير

القرن الأول قبل الميلاد :

جيجي يابكو	وفاته ٣٦	من أكبر حكام الهون
هوهانية يابكو	وفاته ٣١	شقيق جيجي وآخر حكام الهون الكبار

القرن الرابع للميلاد:

نظراً لقلة المصادر حول القرون الثلاثة الأولى للميلاد فمن المتعذر تثبيت أهم الشخصيات التركية من الدرجة الأولى لهذه الفترة. ولذلك نتخطى هذه القرون إلى القرن الرابع الميلادي.

ليو ـ تسونغ يابكو	وفاته ٣١٨	خاقان الأتراك من سلالة التابغاج. خاقان كبير
بالامير	وفاته ٤٠٠	المؤسس العظيم لدولة هون الفولجا ـ أدخل الأتراك إلى أوربا

القرن الخامس للميلاد :

طولون قاغان	٤١٠	الخاقان التركي الكبير من سلالة الأوار
آتيلا	٥٣	خاقان هون أوربا ـ من أشهر الشخصيات العالمية العسكرية
جولوق قاغان	٤٦٤	الخاقان التركي الكبير من سلالة الأوار

القرن السادس للميلاد :

أونابوى قاغان	٥٢١	الخاقان التركللميلاد: من سلالة الأوار
بومين قاغان	٥٥٣	الخاقان التركي الكبير مؤسس سلالة الكوك تورك
باغان قاغان	٥٧٢	ابن بومين قاغان ـ الخاقان والقائد الكبير
إيسته مي قاغان	٥٧٦	شقيق بومين قاغان ـ الفاتح والإداري التركي الكبير
بايان قاغان	٦٠٢	الخاقان التركي الكبير لأوار أوربا

القرن السابع للميلاد :

تونغ يابكو قاغان (٦٣٠) : من سلالة الكوك تورك.

الخاقان الذي فتح ايران.

كورشاد	٦٣٩	من أمراء الكوك تورك ـ قائد الثورة البطولية في التاريخ التركي
كوبرات خان	٦٤٢	أول حاكم للأتراك البلغار ـ ويروى أنه ابن حفيد آتيلا
إيلتريش قوتلوغ قاغان	٦٩٣	الخاقان التركي الكبير الذي افتتح الدورة الثانية لسلالة الكوك تورك وأعاد للأتراك شوكتهم وقوتهم
أسباروخ خان	٧٠١	ابن كوبرات خان، الخان التركي الكبير للأتراك البلغار

القرن الثامن للميلاد:

قاباغان قاغان	٦٦٥ ـ ٧١٦	شقيق إيلتريش قوتلوغ قاغان ومن أعظم حكام سلالة الكوك تورك
كول تيكين	٦٨٤ ـ ٧٣١	ابن إيلتريش والقائد العام للقوات التركية الغازية في عهده
بيلكه تونيوكوك	٦٤٨ ـ ٧٣٤	الوزير التركي الكبير للكوك تورك ـ خلد في كتابات أورخون
بيلكه قاغان	٦٨٣ ـ ٧٣٤	ابن إيلتريش والخاقان التركي الكبير الذي اكتسب الأتراك في عهده مجداً وفخراً وخلد في كتابات أورخون بينما خلد نصب آخر حياة أخيه كول تيكين الذي كان يصغره بعام واحد
يولغ تيكين	٦٨٨ ـ ٧٣٥	ابن قاباغان قاغان وابن عم بيلكه قاغان وكول تيكين وهو مؤلف كتابات أورخون التي تعتبر من أهم آثار الأدب التركي حتى يومنا الحاضر
قورومش خان	٧٥٦	من كبار حكام أتراك البلغار في الدانوب
باينجور قاغان	٧٥٩	الخاقان التركي الكبير من سلالة دوقوز أوغوز ـ أون أويغور
بوكو قاغان	٧٨٠	خاقان تركي كبللميلاد: السلالة

القرن التاسع للميلاد :

قوروم خان	٨١٤	من كبار حكام بلغار الدانوب
أومورتاغ خان	٨٣١	من كبار حكام بلغار الدانوب وابن قوروم خان

بوغوريس خان	٩٠٧	من كبار حكام بلغار الدانوب. اندمج البلغار بعد حكمه في العنصر السلافي وهو ابن حفيد أومورتاغ خان

القرن العاشر للميلاد:

صاتوق بوغرا خان	٩٥٥	الخاقان التركي الكبير من القاراخانيين ـ أعلن الإسلام ديناً رسمياً للدولة التركية الكبرى ويعد هذا العمل واحداً من أهم أربعة حوادث في التاريخ التركي والحوادث الثلاثة الأخرى هي بترتيب أهميتها : فتح استانبول في ١٤٥٣ ـ معركة ملازكيرت في ١٠٧١ ـ معركة انداناكان في ١٠٤٠

القرن الحادي عشر للميلاد:

السلطان محمود الغزنوي	٩٧٠ ـ ١٠٣٠	السلطان الذي أسس الحكم التركي الإسلامي في الهند والذي استمر حتى القرن التاسع عشر
جاغري بك	٩٩٠ ـ ١٠٦٠	القائد والفاتح السلجوقي الكبير وهو الأخ الأكبر لطغرل بك قاد مع أخيه معركة انداناكان وانتصر فيها
السلطان طغرل بك	٩٩٥ ـ ١٠٦٣	أول خاقان تركي كبير من السلاجقة واشتهر بفتوحاته ودهائه الإداري وكان حامياً للخلافة العباسية

السلطان ألب أرسلان	١٠٢٩ ـ ١٠٧٢	ابن جاغري بك وابن أخ طغرل بك وهو الفاتح والقائد المشهور وقد غير مجرى التاريخ بانتصاره في معركة مالازكيرت وفتح أبواب الأناضول حتى بحري إيجه ومرمره أمام الأتراك
محمود الكشغري	١٠٨٠	من أمراء الإمبراطورية التركية من سلالة القاراخانيين. مؤلف ديوان لغات الترك الذي يعد أهم المؤلفات التركية الأدبية بعد كتابات أورخون
يوسف خاص حاجب	١٠١٥ ـ ١٠٨٥	وزير من وزراء القاراخانيين ومؤلف قوتادغو بيليك أي علم السعادة وهو من أشهر المؤلفات الأدبية التركية
السلطان الغازي سليمان شاه قوتالمش الأول	١٠٤٥ ـ ١٠٨٦	فاتح الأناضول ومؤسس دولة تركيا وأول شخصية كبيرة في تاريخ تركيا ـ من شخصيات السلاجقة البارزين
أفشين بك	١٠٨٦	القائد التركي الذي مهد لفتح الأناضول بغزواته الموفقة
أرتوق بك	١٠٩١	مؤسس سلالة أبناء أرتوق والقائد الكبير الذي اشترك في الحملة لفتح الأناضول وفتح وادي كلكيت وعمان
السلطان ملكشاه	١٠٥٥ ـ ١٠٩٢	وريث السلطان ألب أرسلان في العرش وابنه. اكتسبت الدولة التركية في عهده صفة الإمبراطورية. دعم فتح الأناضول ووقع مرسوم تأسيس دولة تركيا

آتسز بك	١٠٩٤	فاتح سورية وفلسطين. تقلد لقب الملك. قاد الجيوش ضد الفاطميين
دانشمند غازي	١١٠٤	من القادة الأتراك في فتح الأناضول ومؤسس سلالة دانشمند
السلطان قليج أرسلان الأول	١٠٧٣ ـ ١١٠٧	ابن السلطان سليمان شاه الأول وحاكم تركيا. دافع ببسالة عن تركيا في الحروب الصليبية الأولى

القرن الثاني عشر للميلاد:

بلك بك	١١٢٤	قائد من بني أرتوق. حارب الصليبيين واستشهد
عماد الدين زنكي	١٠٨٤ ـ ١١٤٩	مؤسس أتابكية الزنكيين. حارب الصليبيين وأنتصر في حروب عديدة
السلطان مسعود الأول	١٠٩٨ ـ ١١٥٥	حاكم تركيا الكبير وابن السلطان قليج أرسلان الأول. دافع عن تركيا في الحملة الصليبية الثانية
السلطان سنجر	١٠٨٤ ـ ١١٥٧	آخر ملوك الأتراك الكبار من السلاجقة. سيطر على دولتي الغزنويين والغوريين
أحمد اليسوي	١١٦٦	من المتصوفين والشعراء الأتراك في تركستان، ومؤسس المذهب اليسوي
نور الدين الزنكي	١١١٨ ـ ١١٧٤	ابن عماد الدين الزنكي ووريثه. الأتابك التركي صهر السلطان مسعود الأول. حارب ضد الصليبيين. رعى صلاح الدين الأيوبي واهتم بنشأته ثم أرسله إلى مصر

السلطان قليج أرسلان الثاني	١١١٥ ـ ١١٩٢	ابن السلطان مسعود الأول ووريثه الخاقان التركي الكبير. اهتم بتقوية أسس إمبراطورية تركيا وحطم آمال البيزنطيين في استعادة الأناضول في معركة ميريوكافالون
علاء الدين تكش الخوارزمي	١٢٠٠	الفاتح الكبير وخاقان الدولة التركية الشرقية (تركستان) من الخوارزمية
معز الدين محمد	١٢٠٦	سلطان الهند من الغوريين. استولى على ميراث الغزنويين في الهند وتركه إلى آي بك من المماليك

القرن الثالث عشر للميلاد:

السلطان آي بك	١٢٠٠	مؤسس إمبراطورية المماليك التركية في الهند
جلال الدين الخوارزمي	١٢٣١	دافع عن العالم الإسلامي ضد المغول. آخر حكام الخوارزمية الشرقيين
السلطان أيل طوتمش	١٢٣٦	من سلاطين مماليك الهند. صهر السلطان ألب بك
السلطان علاء الدين كيقباد	١١٩٢ ـ ١٢٧٣	الخاقان التركي الكبير ومن أعظم حكام سلاجقة تركيا. بلغت تركيا في عهده الرخاء والنعيم الذي لم تبلغه بعد ذلك إلا في عهد السلطان سليمان القانوني
السلطان آي بك	١٢٥٧	مؤسس إمبراطورية المماليك التركية في سورية ومصر. أطاح بالأيوبيين وحكم في مصر

السلطان قوتوز	١٢٦٠	القائد الكبير وأعظم حكام المماليك في مصر بعد بيبرس. انتصر في معركة عين جالوت وأوقف المغول في أبواب مصر
بركة خان	١٢٠٩ ـ ١٢٦٦	أول من أسلم من بني جنكيز. الخاقان الكبير لدولة ألتون أوردي وهو حفيد جنكيز خان وشقيق باتوخان
مولانا جلال الدين الرومي	١٢٠٧ ـ ١٢٧٣	من أكبر شعراء العالم والمتصوفين. مؤسس طريقة المولوية التي تعد من أهم الطرائق التركية. له تأثير هام على الثقافة التركية. من أهم رجال الفكر في التاريخ
السلطان بيبرس	١٢٢٣ ـ ١٢٧٧	القائد والحاكم الكبير لمماليك مصر. قضى على الصليبيين في الشرق الأدنى وجابه المغول كحاكم دولة إسلامية
محمد بك الأول القاراماني		١٢٨٣

أعلن اللغة التركية لغة رسمية. حاول إنقاذ تركيا من الإيلخانيين وقتل في سبيل ذلك.

السلطان بالابان	١٢٠٧ ـ ١٢٨٦	من أكبر حكام مماليك الهند
السلطان كالاون	١٢٠٩	من أكبر حكام مماليك مصر ومؤسس أهم سلالة من المماليك
يونس أمره	١٢٤٠ ـ ١٣٢٠	ممثل الأدب الشعبي التركي وشاعر متصوف

تحدثنا في هذا الملحق عن سبع وستين شخصية كبيرة منها إحدى

وثلاثون شخصية عاشت في دور ما قبل الإسلام حتى أواخر القرن التاسع، وست وثلاثون عاشت في الدور التركي الإسلامي الذي بدا من القرن العاشر، وثلاث وعشرون من هذه الشخصيات رجال أثروا على مجرى تاريخ العالم.

وقد اكتفينا بذكر هؤلاء وحتى نهاية القرن الثالث عشر في حين يظهر في القرن الرابع عشر شخصيات كبرى ولا سيما في التاريخ العثماني ثم يعقبهم في القرون الأخيرة شخصيات تركية هم من العظمة والقوة بمكان.

فهرس الموضوعات

القسم الثاني
الأناضول وتركيا



المدخل إلى التاريخ التركي

هذا الكتاب يضم الجزء الأول والثاني من كتاب ـ تاريخ تركيا ـ الذي ألفه المؤرخ البحاثة الشهير يلماز أوزطونا بدءاً من وجود الترك على وجه البسيطة وحتى العصر الحديث.

ويقتصر الجزء الأول في هذا الكتاب على نشأة الأتراك، ومناطقهم الجغرافية، والدول التركية الكبرى في الهند والصين وأقطار أخرى قبل الإسلام وبعده.

ويتابع المؤلف ليسلط الضوء على السلاجقة والغزنويين، كما يبحث في انفتاح الأتراك على القارة الأوربية.

ويتطرق الكتاب في قسمه الثاني إلى الأناضول وتركيا، ويزوّد القارىء بأدقّ المعلومات عن الحروب الصليبية واشتراك الأتراك في ردّ تلك الحملات، كما يعطي القارىء معلومات واسعة ودقيقة عن إمارات الأناضول ودولها التركية.

والكتاب ملف وثائقي هام يكشف عن إسهام الأتراك في حضارة الشرق، كما يشكل مرجعاً لا غنى عنه في كل ما يتعلق بالأمة التركية قبل نشوء الإمبراطورية العثمانية. وقد نقل هذين الجزئين إلى اللغة العربية الباحث المعروف أرشد الهرمزي.

وما من شك أن المترجم قد نجح في عمله نجاحاً كبيراً يعود إلى ثقافته التركية والعربية وإتقانه اللغتين، وتعمقه في تاريخ الترك ورجوعه إلى ما ألف في هذا المجال كل ذلك أضفى على هذه الترجمة سمة الدقة في المضمون، والروعة في جمالية الأسلوب، فالكتاب يعد ذخراً للمؤرخين والباحثين والقراء.

الناشر



